

مواقف الشيعة

(الجزء الثاني)

تأليف
آية الله الشيخ
علي الأحمد الميانجي



فهرس المطالب

- 292 - المفید رحمہ اللہ وبعض المخالفین
- 293 - مسلمة ورجل
- 294 - ابن عباس وعمر
- 295 - ابن عباس وعمر
- 296 - أبو ذر وعثمان
- 297 - أبو ذر وعثمان
- 298 - أبو ذر و عثمان
- 299 - أبو ذر وأبو هريرة
- 300 - أبو ذر وعثمان
- 301 - عمار وعثمان
- 302 - المقداد وعبد الرحمن
- 303 - المقداد والشورى
- 304 - ابن عباس وعمر
- 305 - أبو ذر وعثمان

306 - ابن عباس وعثمان

• 307 - صعصعة وعثمان

• 308 - عمار وعثمان

• 309 - أم سلمة وعائشة

• 310 - أم سلمة وعائشة

• 311 - أم سلمة وعائشة

• 312 - الأشتري وعائشة

• 313 - أبو الأسود وعائشة

• 314 - زيد بن صوحان وعائشة

• 315 - الأحنف وعائشة

• 316 - عمران وعائشة وطلحة والزبير

• 317 - عبيد بن كلاب وعائشة

• 318 - عمار وعائشة

• 319 - عمار وعائشة

• 320 - ابن عباس وعائشة

• 321 - ابن عباس ورجل

- 322 - عمار وعبيد الله بن عمر
- 323 - عمار مع رجل
- 324 - عمار مع ذي الكلاع
- 325 - محمد بن أبي حذيفة مع معاوية
- 326 - صعصعة مع معاوية
- 327 - شيخ مع معاوية
- 328 - مجفن بن أبي مجفن ومعاوية
- 329 - ابن عباس ومعاوية
- 330 - ابن عباس ومعاوية
- 331 - ذكوان مع معاوية
- 332 - محمد الحموي مع معاوية
- 333 - بنو هاشم ومعاوية
- 334 - خالد بن معمر مع معاوية
- 335 - طلق ومعاوية
- 336 - رجل ومعاوية
- 337 - رجل من همدان مع عمرو

- 338 - رجل من أهل الكوفة ومعاوية
- 339 - عمر بن علي وسعيد بن المسيب
- 340 - طوماح ومعاوية
- 341 - أبو المرقع ومعاوية
- 342 - ابن عباس مع الخولج
- 343 - صعصعة والخولج
- 344 - قيس وحسان
- 345 - امرأة عمرو بن الحمق مع معاوية
- 346 - زينب عليها السلام ويزيد
- 347 - زينب عليها السلام ويزيد
- 348 - زينب عليها السلام وأهل الكوفة
- 349 - زينب عليها السلام وابن زياد
- 350 - أم سلمة وعائشة
- 351 - أبو سعيد الخوري وأبو هارون العبدي
- 352 - خطبة أبي ذر
- 353 - ابن أذينة وابن أبي ليلى

- 354 - الأعمش وأبو حنيفة وابن قيس
- 355 - الأعمش وهشام بن عبد الملك
- 356 - هشام وضوار
- 357 - هشام وابن أبي عمير
- 358 - الربيع وعبد الله بن الحسن
- 359 - شيعي وناصبي
- 360 - المفيد والسائل
- 361 - الإمام الصادق عليه السلام وولد العباس
- 362 - سلمان الفارسي ورجل
- 363 - سلمان الفارسي وعمر
- 364 - أبو ذر بالشام
- 365 - أبو ذر بالشام
- 366 - المقداد وعثمان
- 367 - ابن حزم مع المخالفين
- 368 - أبو عبيدة وسالم بن أبي حفصة
- 369 - نص آخر

- 370 - حذيفة بن اليمان مع ربيعة
- 371 - حذيفة وربيعة
- 372 - الأحنف ومعاوية
- 373 - صعصعة ومعاوية
- 374 - عقيل رحمه الله ومعاوية
- 375 - شريك بن الأعور ومعاوية
- 376 - عمرو بن العجلان ومعاوية
- 377 - علوي وأبو العيناء
- 378 - ابن الحنفية والحجاج
- 379 - ابن قيس ومعاوية
- 380 - عقيل رحمه الله ومعاوية
- 381 - الأحنف ورجل
- 382 - شيخ مع هشام بن عبد الملك
- 383 - رجل من أهل السكاسك ومعاوية
- 384 - عبد الرحمن وشرحبيل
- 385 - ابن عم عمرو وعمرو

- 386 - رجل من طي مع معاوية
- 387 - الإمام الحسن عليه السلام مع عائشة
- 388 - أم كلثوم وحفصة
- 389 - أم سلمة وعائشة
- 390 - رجال الشيعة وعثمان
- 391 - الأشر وسعيد بن العاص
- 392 - الخليل وابن المقفع
- 393 - الأحنف ومعاوية
- 394 - أبو الأسود وزباد
- 395 - الأعوابي وعبد الملك
- 396 - الأعوابي والحجاج
- 397 - رجل مع الحجاج
- 398 - يحيى والحجاج
- 399 - حماد بن عيسى وصديقه
- 400 - رجل مع معاوية
- 401 - سعيد بن قيس وأصحابه مع معاوية

- 402 - عمار وعمر بن العاص
- 403 - عدي بن حاتم ومعاوية
- 404 - حجل بن أثال مع ابنه
- 405 - أبو الطفيل ومعاوية
- 406 - رجل من أهل الشام مع هاشم
- 407 - رجال من أصحاب علي عليه السلام مع عمرو
- 408 - عبد الله بن عباس مع الخولج
- 409 - عبد الله بن أبي عقرب مع الخولج
- 410 - الأحنف ومعاوية
- 411 - الأحنف ومعاوية
- 412 - عبد الله بن عباس و معاوية
- 413 - عبد الله بن عباس ومعاوية
- 414 - مسلم بن عقيل وعبيد الله
- 415 - قيس بن مسهر مع ابن زياد
- 416 - بوير وعمر بن سعد
- 417 - بوير مع الشمر بن ذي الجوشن

- 418 - عبد الله بن عفيف وعبيد الله
- 419 - جندب بن عبد الله مع ابن زياد
- 420 - محمد بن الحنفية وأصحابه وابن الزبير
- 421 - الأحوص مع عوف بن ضبعان
- 422 - رجل مع مصعب
- 423 - امرأة المختار مع مصعب
- 424 - محمد بن النعمان وهشام
- 425 - هشام بن الحكم مع هشام بن سالم
- 426 - هشام مع الديصاني
- 427 - هشام مع النظام
- 428 - سلمان مع ابن سوريا
- 429 - رجل مع عمار
- 430 - رجل من طي مع معاوية
- 431 - الأشتر وجير
- 432 - رجل ناسك مع معاوية
- 433 - محمد بن أبي بكر وعمرو بن العاص ومعاوية

- 434 - الأعوابي والحجاج
- 435 - جعفر بن أبي طالب وعمرو عند النجاشي
- 436 - عبد الله بن عباس وبسر بن لُطاة
- 437 - الأشتري وسعيد
- 438 - ابن عباس والزبير
- 439 - الأشتري مع الخوارج
- 440 - شريح بن هانئ وأبو موسى
- 441 - عبد الله بن عباس وأبو موسى
- 442 - الأحنف وأبو موسى
- 443 - ابن عباس وعبد الرحمن بن خالد
- 444 - أحمد بن جعفر الواسطي مع ابن أبي الحديد
- 445 - ابن عباس وعمر
- 446 - عائشة وحفصة وأم كلثوم
- 447 - الحسن عليه السلام وعمار مع أبي موسى
- 448 - الحسن عليه السلام وعمار مع أبي موسى
- 449 - الأشتري وأبو موسى

- 450 - محمد بن معد مع ابن أبي الحديد
- 451 - قيس ومعاوية
- 452 - وليد بن جابر مع معاوية
- 453 - رجل من المنصور
- 454 - الأعوابي وسليمان بن عبد الملك
- 455 - صعصة ومعاوية
- 456 - يحيى بن عبد الله مع ابن مصعب
- 457 - أبو دلف والمأمون
- 458 - يحيى بن محمد مع ابن أبي الحديد
- 459 - الأحنف ومعاوية
- 460 - محمد بن الحنفية وعبد الله بن الزبير
- 461 - ابن عباس وابن الزبير
- 462 - ابن عباس وابن الزبير
- 463 - محمد بن الحنفية وعبد الملك
- 464 - أشعب ورجل من ولد الزبير
- 465 - زبير وزيد بن معقل

- 466 - بهلول وأبو حنيفة
- 467 - بهلول وعمرو بن عطاء
- 468 - بهلول وإسحاق
- 469 - الكميت والكلبي
- 470 - النوبختي مع الحلاج
- 471 - الحر مع أهل الكوفة
- 472 - سلمان وعمر
- 473 - الإمام الصادق عليه السلام مع جماعة
- 474 - سعيد بن جبير والحجاج
- 475 - أبو بكر الحضرمي مع زيد
- 476 - محمد بن علي الأحول مع زيد
- 477 - أبو الصباح مع زيد
- 478 - سورة مع زيد
- 479 - زيد وهشام
- 480 - زهير مع أهل الكوفة
- 481 - دلف مع أبيه

- 482 - المفيد مع شيخ من العامة
- 483 - شويح بن هاني وعمر
- 484 - محمد بن الحنفية وابن الزبير
- 485 - شاب من أهل الكوفة مع أبي هرة
- 486 - عبد الرحمن بن حنبل مع عثمان
- 487 - عبد الرحمن والحجاج
- 488 - أبو الطفيل وعمر بن عبد العزيز
- 489 - أبو الطفيل ومعاوية
- 490 - صيفي بن فسيل وزيد
- 491 - صعصة ومعاوية
- 492 - صعصة ومعاوية
- 493 - صعصة والمغرة
- 494 - صعصة وعمر
- 495 - شعبة بن غريص ومعاوية
- 496 - شريك والمهدي
- 497 - شريك والمهدي

- 498 - علي بن جعفر ورجل
- 499 - الهيثم بن حبيب وأبو حنيفة
- 500 - أبو ذر وبعض من يعود
- 501 - الأصبع بن نباتة ومعاوية
- 502 - عقيل ومعاوية
- 503 - عقيل ومعاوية
- 504 - عقيل ومعاوية
- 505 - أبو ذر ومعاوية
- 506 - عمار والمقداد في يوم الثوري
- 507 - عبد الرحمن بن حسان ومعاوية
- 508 - عبيد الله الليثي مع عائشة
- 509 - عبد الله بن عباس ومعاوية
- 510 - ابن عباس ورجل من الخولج
- 511 - الناشي مع الواضي
- 512 - الناشي مع الأشعوي
- 513 - الناشي مع بعض المجورة

- 514 - ابن دكين مع رجل
- 515 - قنبر مع الحجاج
- 516 - قيس بن مسهر مع ابن زياد
- 517 - كريم بن عفيف وعبد الوحمان ومعاوية
- 518 - الشيخ الطوسي والخليفة العباسي
- 519 - محمد بن الحنفية والسائل
- 520 - الوهي والوليد
- 521 - جهني مع محمد بن طلحة
- 522 - أبو العيناء وموسى بن عبد الملك
- 523 - أبو العيناء والمتوكل
- 524 - أبو العيناء والمتوكل
- 525 - أبو العيناء ورجل من بني العباس
- 526 - ابن السكيت والمتوكل
- 527 - ابن السكيت واللياني
- 528 - ابنا عباس وابن الزبير
- 529 - محمد بن وهيب ويؤيد بن هارون

- 530 - هشام والجاثليق
- 531 - هشام والمتكلمون
- 532 - مؤمن الطاق وأبو حنيفة
- 533 - المقطع العامري ومعاوية
- 534 - المقداد بن عمرو ومنلوى علي عليه السلام
- 535 - صعصعة والمغرة
- 536 - المأمون وإبراهيم بن المهدي.
- 537 - سليمان بن محمد والمأمون
- 538 - ابن أم كلاب وعائشة
- 539 - أبو قتادة وعائشة
- 540 - الرقي وأبو غيث
- 541 - أبو عدي وبنو أمية
- 542 - ثمامة وأبو العتاهية
- 543 - رجل من أصحاب علي ومعاوية
- 544 - صعصعة ورجل
- 545 - أبو ذر وموليا عثمان

- 546 - إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
- 547 - ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَعَاوِيَةُ
- 548 - كَمِيلٌ وَالْحَجَّاجُ
- 549 - عَمَارٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَأَبُو مُوسَى
- 550 - ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَمْرٌ
- 551 - الْفُزْدُقِيُّ وَهَشَامٌ
- 552 - أَبُو ذَرٍّ وَعُثْمَانُ
- 553 - الْأَشْثَرُ وَجَرِيرٌ
- 554 - عَمَارٌ وَعُثْمَانُ
- 555 - ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُثْمَانُ
- 556 - ابْنُ عَبَّاسٍ وَطَلْحَةُ
- 557 - الْأَحْنَفُ وَالزُّبَيْرُ
- 558 - عَمْرَانُ وَأَبُو الْأَسْوَدِ مَعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةُ
- 559 - ابْنُ عِيَّاشٍ وَعَبْدُ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ
- 560 - جَلِيَّةُ بْنُ قَدَامَةَ مَعَ عَائِشَةَ
- 561 - أُمُّ أَوْفَى مَعَ عَائِشَةَ

- 562 - ابن عباس وعائشة
- 563 - امرأة وابن الجوزي
- 564 - زينب وعائشة
- 565 - أم سلمة ومعاوية
- 566 - قيس بن سعد ومعاوية
- 567 - قيس ومعاوية
- 568 - عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص
- 569 - عبد الله بن أبي سفيان وعمرو
- 570 - أبو الأسود وعمرو بن العاص
- 571 - ابن عم وعمرو وعمرو
- 572 - ابن عباس وعمرو
- 573 - السيد الحموي ووالداه
- 574 - السيد الحموي وأبو الخلال
- 575 - السيد الحموي وسوار القاضي
- 576 - السيد الحموي والباھلي
- 577 - السيد الحموي ورجل

- 578 - السيد الحموي والمهدي
- 579 - السيد الحموي وسوار
- 580 - السيد الحموي وسوار
- 581 - السيد الحموي ورجلان يتفاخران
- 582 - السيد الحموي مع إباضية
- 583 - السيد الحموي مع ابن سليمان
- 584 - السيد الحموي والقاص
- 585 - جعفر بن حسين ومروان بن أبي حفصة
- 586 - فاطمة ونساء النبي صلى الله عليه وآله
- 587 - علي ابن الفلقي وابن أبي الحديد
- 588 - رجل و مقاتل بن سليمان
- 589 - قصة لأحد الوعاظ ببغداد
- 590 - أبو العيناء وعلي بن الجهم
- 591 - نعيم بن هبيرة ومصقلة
- 592 - عمار وعمر
- 593 - صورة أخرى

- 594 - ابن عباس وعمر
- 595 - المأمون وعلماء السنة في فداك
- 596 - علي بن ميثم وملحد
- 597 - عمار وعثمان
- 598 - عمار وعثمان
- 599 - أبو الأسود وزياا
- 600 - أبو الأسود ومعاوية
- 601 - أبو الأسود وبنو قشير
- 602 - أبو الأسود ومعاوية
- 603 - أبو الأسود ومعاوية
- 604 - أبو الأسود وزياا
- 605 - ابن عباس وابن الزبير
- 606 - الشيعة مع معاوية
- 607 - عامر بن عبد قيس التميمي مع عثمان
- 608 - عامر بن عبد قيس ومعاوية
- 609 - عبد الرحمان بن حنبل مع عثمان

- 610 - عبد الله بن حكيم مع طلحة
- 611 - عمار ومقداد مع بني أمية وعبد الرحمان بن عوف
- 612 - عبد الرحمان بن حسان العزوي ومعاوية
- 613 - أبو الطفيل ومعاوية
- 614 - أم سلمة ومعاوية
- 615 - الأشتر وعثمان
- 616 - صعصعة وعثمان
- 617 - ابن أخت شوحبيل وشوحبيل
- 618 - النجاشي بن الحرث وشوحبيل بن السمط
- 619 - جمع من رسل علي عليه السلام عند معاوية
- 620 - رسل أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية
- 621 - عمار وعبيد الله بن عمرو وعمرو بن العاص
- 622 - أهل العواق مع خطيب أهل الشام
- 623 - شويح بن هاني مع عمرو بن العاص
- 624 - شاعر العواق وشاعر الشام
- 625 - عمرو بن العاص وابن عباس

- 626 - ابن أبي الحديد مع متكلم إمامي
- 627 - علوي مع ابن أبي الحديد
- 628 - عبد الرحمان بن غنم مع أبي هروة وأبي الرداء
- 629 - عبد الرحمان مع شوحيل
- 630 - عبد الله بن عباس ومعاوية
- 631 - أبو أيوب ومعاوية
- 632 - أبو قتادة ومعاوية
- 633 - صعصعة والمغرة
- 634 - أنيس مع معاوية
- 635 - عقيل ومعاوية
- 636 - عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر مع معاوية
- 637 - ابن عباس ومعاوية
- 638 - عبد الله بن جعفر ومعاوية
- 639 - الأحنف ومعاوية
- 640 - المقدام بن معدي كرب ومعاوية
- 641 - رجل كوفي مع معاوية

- 642 - عبادة بن الصامت مع معاوية
- 643 - عبادة ومعاوية
- 644 - عبد الرحمان بن سهل مع معاوية
- 645 - عبادة ومعاوية
- 646 - عبادة ومعاوية
- 647 - صعصعة ومعاوية
- 648 - أهل المدينة ومعاوية
- 649 - حجر بن عدي مع زياد، معاوية، المغيرة
- 650 - صعصعة ومعاوية
- 651 - جامع المحلبي والحجاج
- 652 - قيس بن عباد وعبيد الله بن زياد
- 653 - شريك والمهدي
- 654 - مسلم بن الوليد وهارون الرشيد
- 655 - الكميث الأسدي وهشام
- 656 - الفزدق وسليمان بن عبد الملك
- 657 - عبد الله بن عباس ومعاوية

• 658 - عبد الله بن الحسن وعبد الملك

• 659 - المأمون مع الثوي

• 660 - المأمون مع الثوي أيضا

• 661 - المأمون والموتد الخراساني

• 662 - هشام مع المؤبد

• 663 - هشام بن الحكم مع رجل

• 664 - الأحنف و معاوية

• 665 - الأحنف ومعاوية

• 666 - عبد الله بن عباس وزياد

• 667 - مؤمن الطاق مع خلجي

• 668 - صعصة مع معاوية

• 669 - الأحنف وعمر بن الخطاب

• 670 - رجل مع معاوية

• 671 - صعصة مع معاوية

• 672 - صعصة مع معاوية

• 673 - محمد بن عبد الله مع المنصور

- 674 - شيخ كوفي ومحمد بن هشام
- 675 - علي بن عبد الله والوليد
- 676 - الأحنف ومعلوية
- 677 - هانئ ومعلوية
- 678 - صعصعة ومعلوية
- 679 - الفزدق وبلال بن أبي بردة
- 680 - مؤمن الطاق وأبو حنيفة
- 681 - حضين بن المنذر وعبيد الله بن ظبيان
- 682 - الفزدق وابن عفاء
- 683 - شريك ورجل
- 684 - السيد المرتضى ورجل



(292)

المفيد رحمه الله وبعض المخالفين

سئل الشيخ المفيد - رحمه الله - : لم أخذ (يعني عليا عليه السلام) عطاءهم، وصلى خلفهم، ونكح سبيهم وحكم في

مجالسهم؟

فقال: أما أخذه العطاء فأخذ بعض حقه. وأما الصلاة خلفهم فهو الإمام، من تقدم بين يديه فصلاته فاسدة، على أن كلا مؤد حقه. وأما نكاحه من سبيهم، فمن طريق الممانعة: أن الشيعة روت: أن الحنفية زوجها أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن مسلم الحنفي، واستدلوا على ذلك بأن عمر ابن الخطاب لما رد من كان أبو بكر سباه لم يرد الحنفية، فلو كانت من السبي لودها. ومن طريق المتابعة: أنه لو نكح من سبيهم لم يكن لكم ما أردتم، لأن الذين سباهم أبو بكر كانوا عندكم قادحين في نبوة رسول الله كفرا، فنكاحهم حلال لكل أحد ولو كان الذين سباهم يزيد وزيد، وإنما كان يسوغ لكم ما ذكرتموه إذا كان الذين سباهم قادحين في إمامته ثم نكح أمير المؤمنين.

وأما حكمه في مجالسهم، فإنه لو قدر أن لا يدعهم يحكمون حكما لفعل، إذ الحكم إليه، وله دونهم.

الصفحة 4

تذييل:

وفي كتاب الكر والفر: قالوا: وجدنا عليا عليه السلام يأخذ عطاء الأول ولا يأخذ عطاء ظالم إلا ظالم. قلنا: فقد وجدنا

دانيال يأخذ عطاء بخت نصر.

وقالوا: قد صح أن عليا لم يبايع ثم بايع، ففي أيهما أصاب وأخطأ في الأخرى؟

قلنا: وقد صح أن النبي صلى الله عليه وآله لم يدع في حال ودعا في حال، ولم يقاتل ثم قاتل.

(293)

مسلمة ورجل

قيل لمسلمة بن نميل: ما لعلي عليه السلام رفضه العامة وله في كل خير ضوس قاطع؟ فقال: لأن ضوء عيونهم قصير عن

نوره، والناس إلى أشكالهم أميل.

قال الشعبي: ما نوري ما نضع بعلي بن أبي طالب عليه السلام، إن أحببناه افتقنا، وإن أبغضناه كفونا!.

وقال النظام: علي بن أبي طالب محنة على المتكلم، إن وفي حقه غلا، وإن بخسه حقه أساء، والمقولة الوسطى دقيقة الوزن

حادثة الشاف صعب التوقي، إلا على الحاذق الدين.

وقال أبو العيناء لعلي بن الجهم: إنما تبغض عليا عليه السلام لأنه كان يقتل الفاعل والمفعول وأنت أحدهما، فقال له: يا مخنث! فقال أبو

(1) البحار ج 8 ص 145 ط الكمباني عن المناقب

الصفحة 5

(1) العيناء: " فضوب لنا مثلا ونسي خلقه " .

سئل زين العابدين عليه السلام وابن عباس أيضا: لم أبغضت قريش عليا عليه السلام؟
قال: لأنه أورد أولهم النار، وقد آخوهم العار (2) .

(294)

ابن عباس وعمر

روي عن ابن عباس قال: خرجت مع عمر إلى الشام، فانفرد يوما يسير على بعير، فأتبعته، فقال لي: يا ابن عباس أشكو إليك ابن عمك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولا زال راه واجدا أفيما تظن موجدته. قلت:
يا أمير المؤمنين! إنك لتعلم. قال: أظنه لا زال كئيبا لفوت الخلافة. قلت: هو ذاك، إنه زعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد الأمر له.

فقال: يا ابن عباس! وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر له، فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أمرا وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسول الله! أو كلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله كان؟ إنه أراد إسلام عمه ولم يرد الله تعالى، فلم يسلم (3) .

(295)

ابن عباس وعمر

قال عمر بن الخطاب ليلة في مسوه إلى الجابية: أين عبد الله بن عباس؟

(1) البحار: ج 8 ص 151 ط الكمباني عن المناقب. وسيأتي ص 402.

(2) البحار: ج 8 ص 151 ط كمباني عن المناقب.

(3) البحار: ج 8 ص 266 ط الكمباني

الصفحة 6

فأوتى به، فشكا إليه تخلف علي بن أبي طالب عليه السلام عنه. قال ابن عباس: فقلت له: أو لم يعتذر إليك؟ قال: بلى.

قلت: فهو ما اعتذر به.

قال: ثم أنشأ يحدثني، فقال: إن أول من راثكم (ريثكم - خ) عن هذا الأمر أبو بكر، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنوبة (قال أبو الفوج:

ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب فكوت ذكها) ثم قال: يا ابن عباس! هل تزوي لشاعر الشعراء؟ قلت: ومن هو؟ قال: ويحك شاعر الشعراء الذي يقول:

فلو أن حمدا يخلد الناس خلوا * ولكن حمد الناس ليس بمخلد

فقلت: ذاك زهير، فقال: ذاك شاعر الشعراء. قلت: وبم كان شاعر الشعراء؟ قال: إنه كان لا يعاقل الكلام ويتجنب وحشيه، ولا يمدح أحدا إلا بما فيه ⁽¹⁾.

قال الأحمدي: موت هذه القصة بألفاظ مختلفة، فراجع ج 1 ص 148 وما بعدها.

(296)

أبو ذر وعثمان

ذكر المسعودي أمر أبي ذر بلفظ هذا نصه، قال:

إنه حضر مجلس عثمان ذات يوم، فقال عثمان: رأيت من زكى ماله هل فيه حق لغوه؟ فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين، فدفع أبو ذر في صدر كعب وقال له: كذبت يا ابن اليهودي! ثم تلا: " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه نوي القوي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الوقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 20 ص 155

الصفحة 7

والموفون بعهدهم إذا عاهدوا " الآية.

فقال عثمان: أترون بأسا أن نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننقله فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكوه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك، فوقع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب، وقال: يا ابن اليهودي؟ ما أحراك على القول في ديننا؟! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي؟ غيب وجهك عني فقد آذيتني.

فخرج أبو ذر إلى الشام، فكتب معاوية إلى عثمان: أن أبا ذر تجتمع إليه الجوع، ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك.

فكتب إليه عثمان يحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس، معه خمسة من الصقالبة يطيطون به حتى أتوا به المدينة، قد تسلخت مواطن أفخاذها، وكاد أن يتلف، فقيل له: إنك تموت من ذلك! فقال: هيهات! لن أموت حتى أنفي، وذكر جوامع ما قول

به بعد ومن يتولى دفنه.

فأحسن إليه في دره أياما، ثم دخل إليه فجلس على ركبتيه وتكلم بأشياء وذكر الخبر في ولد أبي العاص: " إذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخنوا عباد الله خلا ". وتمر في الخبر بطوله، وتكلم بكلام كثير، وكان في ذلك اليوم قد أتى عثمان بركة عبد الرحمن بن عوف الوهوي من المال، فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم، فقال عثمان: إني لأرجو لعبد الرحمن خوا، لأنه كان يتصدق ويؤي الضيف وتوك ما ترون، فقال كعب الأحبار: صدقت يا أمير المؤمنين! فشال أبو ذر العصا فضوب بهارأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الألم، وقال: يا ابن اليهودي! تقول لرجل مات وتوك هذا المال: إن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة، وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " ما يسوني أن أموت

وأدع

الصفحة 8

ما يزن قواطعاً"، فقال له عثمان: وار عني وجهك.

فقال: أسير إلى مكة، قال: لا والله، قال: فتمنعني من بيت ربي أعبد فيه حتى أموت؟ قال: إي والله! قال: فإلى الشام؟ قال لا والله، قال:

البصوة؟ قال: لا والله فاختر غير هذه البلدان، قال: لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان! فسروني حيث شئت من البلاد.
قال: فإني مسيرك إلى الوبدة، قال: الله أكبر! صدق رسول الله صلى الله عليه وآله، قد أخبرني بكل ما أنا لاق.
قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأني امنع عن مكة والمدينة وأموت بالوبدة ويتولى مولاتي نفر ممن يردون من العواق نحو الحجاز الحديث⁽¹⁾.

(297)

أبو ذر وعثمان

وفي رواية الواقدي من طريق صهبان مولى الأسلميين، قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت ما فعلت! فقال له أبو ذر: نصحتك فاستغششتني، ونصحت صاحبك فاستغشني. فقال عثمان: كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها، قد أنغلت الشام علينا. فقال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام. قال عثمان: ما لك وذلك لا أم لك! قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عزوا إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(1) الغدير: ج 8 ص 295 - 296. وراجع قاموس الرجال: ج 6 ص 261. وبهج الصباغة: ج 9 ص 184 - 185 (.)

فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب! إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فوق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام.

فتكلم علي عليه السلام وكان حاضوا وقال: أشير عليك بما قاله مؤمن آل فوعون: " فإن يك كاذبا فعليه كذبه، وإن يك صادقا يصبك بعض الذي يعدكم، إن الله لا يهدي من هو مسوف كذاب " قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحب ذكره، وأجابه علي بمثله. قال:

ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر و يكلموه، فمكث كذلك أياما، ثم أمر أن يؤتى به فأتي به، فلما وقف بين يديه، قال: ويحك يا عثمان! أمارأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هداهم؟ إنك لتبتطش بي بطش الجبار. فقال: أخرج عنا من بلادنا! فقال أبو ذر: ما أبغض إلي جورك! فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال فأخرج إلى الشام أرض الجهاد، قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها أفردك إليها؟ قال: فأخرج إلى العراق، قال: لا. قال: ولم؟

قال تقدم على قوم أهل شبه وطعن في الأمة. قال: فأخرج إلى مصر؟ قال: لا، قال: فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال أبو ذر: فهو إذن التعوب بعد الهوة أخرج إلى نجد، فقال عثمان: الشرف الأبعد أقصى فالأقصى، إمض على وجهك هذا ولا تعدون الربرة فسر إليها، فخرج إليها ⁽¹⁾.

(298)

أبو ذر و عثمان

وقال اليعقوبي: وبلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله صلى الله

(1) الغدير: ج 8 ص 297

الصفحة 10

عليه وآله ويجتمع إليه الناس فيحدث بما فيه الطعن عليه وأنه وقف بباب المسجد، فقال: أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفلي، أنا جندب بن جنادة اليزيدي " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين نزية بعضها من بعض والله سميع عليم " محمد الصفوة من فوح، فالأول من إبراهيم والسلالة من إسماعيل، والعروة الهادية من محمد، إنه شرف شريفهم، و استحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسمااء المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر السلي، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجرة الزيتون، أضاء زيتها وبورك زيدها (زندها ظ)، و محمد ولث علم آدم وما فضلت به النبيون.

إلى أن قال:

وبلغ عثمان أن أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غير وبدل من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسنن أبي بكر وعمر، فسوه

إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المجلس ويقول كما كان يقول، ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه، وكان يقف على باب دمشق إذا صلى صلاة الصبح فيقول: جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الأميرين بالمعروف والتاركين له، ولعن الله الناهيين عن المنكر والآتين له فقال:

وكتب معاوية إلى عثمان: إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر.

فكتب إليه: أن أحمله على قتب بغير وطاء. فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذه! فلما دخل إليه وعنده جماعة قال: بلغني أنك تقول:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " إذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلا اتخذوا بلاد الله ولا عباد الله حولا ودين الله دغلا "، فقال: نعم سمعت رسول الله يقول ذلك. فقال لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك؟

الصفحة 11

فبعث إلى علي بن أبي طالب، فأتاه، فقال: يا أبا الحسن أسمعتم رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر؟ وقص عليه الخبر، فقال علي: نعم. فقال: فكيف تشهد؟ قال: لقول رسول الله: " ما أظلت الخضاء ولا أقلت الغواء ذا لهجة أصدق من أبي ذر ". فلم يبق بالمدينة إلا أياما حتى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجن عنها! قال: أخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم وأنفك راغم؟ قال: فإلى مكة؟

قال: لا، قال: فإلى البصرة؟ قال: لا، قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا، ولكن إلى الوبذة التي خرجت منها حتى تموت فيها! يا مروان أخرجه ولا تدع أحدا يكلمه، الحديث ⁽¹⁾.

فقال ابن أبي الحديد: واعلم أن الذي عليه أكثر أبواب السيرة وعلماء الأخبار والنقل: أن عثمان نفى أبا ذر ولا إلى الشام، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكاه منه معاوية، ثم نفاه من المدينة إلى الوبذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام. أصل هذه الواقعة: أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغره ببيت الأموال، واختص زيد بن ثابت بشئ منها، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بشر الكافرين بعذاب أليم، ويرفع بذلك صوته ويتلو قوله تعالى: " والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم " فرفع ذلك إلى عثمان مرارا وهو ساكت.

ثم إنه أرسل إليه مولى من مواليه: أن انته عما بلغني عنك. فقال أبو ذر: أينهاني عثمان عن قاءة كتاب الله تعالى، وعيب من ترك أمر الله تعالى؟ فوالله لأن رضي الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أن

(1) الغدير: ج 8 ص 298 - 299، وراجع أمالي الشيخ: ج 1 ص 127

الصفحة 12

أسخط الله برضا عثمان.

فأغضب عثمان ذلك وأحفظ فتصابر وتماسك، إلى أن قال عثمان يوما للناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئا قرضا فإذا أيسر قضي؟

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك. فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا؟ فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي إحق بالشام، فأخرجه إليها.

فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها فبعث إليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذر لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتموني عامي هذا أقبلها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها، وردّها عليه.

ثم بنى معاوية الخضواء بدمشق. فقال أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهي الإسراف.

وكان أبو ذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وآله، والله إنني لأرى حقا يطفأ، وباطلا يحيا، وصادقا مكذبا، وأثرة بغير تقى، وصالحا مستأثرا عليه.

فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام، فتدرك أهله إن كان لك فيه حاجة.

وروى شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفينانية عن جلام بن جندل الغفري، قال: كنت غلاما لمعاوية على قنشرين والعاصم في خلافة عثمان، فجئت إليه يوما أسأله عن حال عملي، إذ سمعت صرخا على باب دله يقول: " أتتكم القطار بحمل النار، اللهم العن الآمرين بالمعروف والتاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر الموتكبين له " فربأر معاوية وتغير لونه، وقال: يا جلام أتعرف الصلح؟ فقلت: اللهم لا. قال: من عذوي من جندب بن جنادة يأتينا كل يوم فيصوخ على باب قصونا بما

الصفحة 13

سمعت، ثم قال: ادخلوه علي.

فجئ بأبي ذر قوم يقودونه حتى وقف بين يديه. فقال له معاوية:

يا عدو الله وعدو رسوله! تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع، أما إنني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك، ولكني أستاذن فيك.

قال جلام: وكنت أحب أن أرى أبا ذر، لأنه رجل من قومي، فالتفت إليه، فإذا رجل أسمر ضوب من الرجال خفيف العريضين في ظهوه حناء، فأقبل على معاوية وقال: ما أنا بعدو لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عنوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عليك موات أن لا تشبع، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " إذا ولي الأمة الأعين الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأمة حنوها منه " فقال معاوية: ما أنا ذاك الرجل. قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل، أخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعتة يقول وقد مرت به: " اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب " وسمعتة صلى الله عليه وآله يقول: " إست معاوية في النار " فضحك معاوية وأمر بحبسه، وكتب إلى عثمان فيه.

فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل جندبا إلي على أغظ مركب ولوعوه. فوجه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله

على شرف ليس عليها إلا قتب، حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذه من الجهد.

فلما قدم بعث إليه عثمان: إلحق بأبي ررض شئت، قال: بمكة، قال: لا، قال: ببيت المقدس، قال: لا، قال: بأحد المصريين،

قال: لا ولكني مسيرك إلى الربذة، فسوه إليها، فلم يرزل بها حتى مات.

وفي رواية الواقدي: أن أبا ذر لما دخل على عثمان، قال له:

الصفحة 14

لا أنعم الله بقين عينا * نعم ولا لقاه يوما زينا

تحية السخط إذا التقينا

فقال أبو ذر: ما عرفت اسمي قينا قط.

وفي رواية أخرى: لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب! فقال أبو ذر: أنا جندب وسماني رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله

فاخترت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي سماني به على اسمي. فقال له عثمان:

أنت الذي رّعم أنا نقول: " يد الله مغلولة وأن الله فقير ونحن أغنياء "؟

فقال أبو ذر: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عبادته، ولكني أشهد أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

يقول: " إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله هولا وعباده هولا ودينه دخلا " فقال عثمان لمن حضر: أسمعتوها

من رسول الله؟ قالوا: لا. قال عثمان: ويلك يا أبا ذر؟

أتكذب على رسول الله؟ فقال أبو ذر لمن حضر: أما تدرون أنني صدقت قالوا: لا والله ما نوي! فقال عثمان: ادعوا لي

عليا، فلما جاء قال عثمان لأبي ذر: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص، فأعاده، فقال عثمان لعلي عليه السلام: أسمعت

هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا وقد صدق أبو ذر، فقال: كيف عرفت صدقه؟ قال: لأنني سمعت رسول الله

صلى الله عليه وآله يقول: " ما أضلت الخضواء ولا أقلت الغواء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر " فقال من حضر: أما هذا

فسمعناه كلنا من رسول الله فقال أبو ذر: أحدثكم أنني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله فتتهموني؟ ما كنت أظن

أنني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله!.

وروى الواقدي في خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين، قال:

رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت؟

الصفحة 15

فقال أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني. قال عثمان: كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها، قد أنغلت

الشام علينا. قال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام. فقال عثمان: ما لك وذلك؟ لا أم لك! قال أبو ذر: والله

ما وجدت لي عزا إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب، إما أن

أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فوق جماعة المسلمين، أو أنفيه من ررض الإسلام، فتكلم علي عليه السلام وكان حاضوا،

فقال: أشير عليك بما قال مؤمن آل فوعون: " فإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسوف كذاب " فأجابه عثمان بجواب غليظ، وأجابه علي عليه السلام بمثله. ولم نذكر الجوابين تدمما منهما ⁽¹⁾ .
قال الواقدي: ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعوا أبا ذر ويكلموه، فمكث كذلك أياما، ثم أتى به فوقف بين يديه. فقال أبو ذر:

ويحك يا عثمان! أمارأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل هداك كهدهم؟ أما إنك لتبتطش بي بطش جبار. فقال عثمان: اخرج عنا من بلادنا، فقال أبو ذر: ما أبغض إلي جورك! فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت، قال: أخرج إلى الشام لرض الجهاد؟ قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها أفردك إليها؟ قال: أفأخرج إلى العراق؟ قال: لا، إنك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولى شقة ⁽²⁾ وطعن على الأئمة والولاة، قال: أفأخرج إلى مصر؟ قال: لا، قال: فإلى أين أخرج؟ قال: إلى

(1) ذكر في البحار: ج 8 ص 317 الكلامين فراجع.

(2) في شوح النهج: " أولى شبه "

الصفحة 16

البادية، قال أبو ذر: أصير بعد الهوة أعابيا! قال: نعم، قال أبو ذر: فأخرج إلى بادية نجد؟ قال عثمان: بل إلى الشوق الأبعد أقصى فأقصى، امض على وجهك هذا، فلا تعدون الربذة، فخرج إليها ⁽¹⁾ .

(299)

أبو ذر وأبو هريرة

عن الأحنف بن قيس، قال: بينما نحن جلوس مع أبي هريرة إذ جاء أبو ذر، فقال: يا أبا هريرة هل افتقر الله منذ استغنى؟ فقال أبو هريرة:

سبحان الله! بل الله الغني الحميد، لا يفتقر أبدا ونحن الفقراء إليه. قال أبو ذر: فما بال هذا المال يجمع بعضه إلى بعض؟ فقال: مال الله قد منعه أهله من اليتامى والمساكين، ثم انطلق.

فقلت لأبي هريرة: ما لكم لا تأبون مثل هذا؟ قال: إن هذارجل قد وطن نفسه على أن يذبح في الله، أما إنني أشهد أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضاء ولا أقلت الغواء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، فإذا أردتم أن تنظروا إلى أشبه الناس بعيسى بن مريم وازهدا ونسكا فعليكم به ⁽²⁾ .

(300)

أبو ذر وعثمان

كان عثمان يخطب، فأخذ أبو ذر بحلقة الباب فقال: أنا أبو ذر من

(1) راجع الغدير: ج 8 ص 303 - 306 والبحار: ج 8 ط الكمباني ص 305 - 316 - 317، و ج 22 ص 414 عن ابن أبي الحديد، وراجع شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 8 ص 257، و ج 3 ص 55. وقاموس الرجال: ج 6 ص 262 وبهج الصباغة: ج 5 ص 247.

(2) البحار: ج 8 ص 317 ط الكمباني

الصفحة 17

عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "إنما مثل أهل بيتي مثل سفينة فوح في قومه من تخلف عنها هلك ومن ركبها نجا" قال له عثمان: كذبت. فقال له علي عليه السلام: إنما كان عليك أن تقول كما قال العبد الصالح: "إن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبك بعض الذي يعدكم" فما أتم حتى قال عثمان: بفيك التواب، فقال علي عليه السلام: بل بفيك التواب (1).

(301)

عمار وعثمان

خطب عثمان الناس ثم قال فيها: والله لأؤثرن بني أمية، ولو كان بيدي مفاتيح الجنة لأدخلنهم إياها، ولكني سأعطيهم من هذا المال على رغب أنف من رغب.

فقال عمار بن ياسر: أنفي والله وغم من ذلك، قال عثمان: فلُ غم الله أنفك، فقال عمار: وأنف أبي بكر وعمر وغم، قال: وإنك لهنالك يا ابن سمية، ثم قول إليه فوطأه، فاستخرج من تحته وقد غشي عليه وفتقه (2).

(302)

المقداد وعبد الرحمن

عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: لما بويع عثمان سمعت المقداد بن الأسود الكندي يقول لعبد الرحمن بن عوف: والله يا عبد الرحمن ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم! فقال له عبد الرحمن: وما أنت وذاك يا مقداد؟ قال: إني والله أحبهم لحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(1) البحار: ج 8 ص 317 ط الكمباني.

(2) البحار: ج 8 ص 318 و 351 ط الكمباني عن مجالس المفيد رحمه الله

الصفحة 18

عليه وآله لهم، ويعتريني والله وجد لا أبته بثة، لتشوف قريش على الناس بشوفهم، واجتماعهم على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وآله من أيديهم! فقال له عبد الرحمن: ويحك! والله لقد أجهدت نفسي لكم. قال له المقداد: والله لقد تركت رجلا

من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون، أما والله! لو أن لي على قريش أعوانا لقاتلتهم قتالي إياهم يوم بدر واحد، فقال له عبد الرحمن: تكلتك أمك يا مقداد! لا يسمعن هذا الكلام منك الناس، أم والله إنني لخائف أن تكون صاحب فرقة وفتنة. قال جندب: فأنتيته بعد ما انصرف من مقامه، فقلت له: يا مقداد أنا من أعوانك، فقال: رحمك الله! إن الذي نريد لا يغني فيه الثلاثة والرجلان.

فخرجت من عنده فأتيت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فذكرت له ما قال وما قلت، قال: فدعا لنا بخير⁽¹⁾.

(303)

المقداد والشورى

عن حبيب بن أبي ثابت، قال: لما حضر القوم الدار للشورى جاء المقداد ابن الأسود الكندي رحمه الله فقال: أدخلوني معكم، فإن الله عندي نصحا ولي بكم خوا، فأبوا. فقال: أدخلوا رأسي واسمعوا مني، فأبوا عليه ذلك. فقال: أما إذا أبيتم فلا تبايعوا رجلا لم يشهد بوا ولم يبايع بيعة الوضوان وانهم يوم أحد ويوم النقي الجمعان. فقال عثمان: أم والله لئن وليتها لأردنك إلى ربك الأول. فلما قول بالمقداد الموت قال: أخبروا عثمان أنني قد رددت إلى ربي

(1) البحار: ج 8 ص 330 ط الكمباني عن أمالي الشيخ رحمه الله ج 1 ص 194 ومجالس المفيد رحمه الله ومر ج 1 ص 62. وراجع البحار أيضا: ج 22 ص 439 عن أمالي الشيخ. وقاموس الرجال: ج 7 ص 246. والغدير: ج 9 ص 115 - 116 عن المسعودي وغيره. والعقد الفريد: ج 4 ص 279

الأول والآخر.

فلما بلغ عثمان موته جاء حتى أتى قوه، فقال: رحمك الله! إن كنت وإن كنت يثني عليه خوا. فقال له الزبير:

لأعرفنك بعد الموت تتدبني * وفي حياتي ما زودتني زادي

فقال: يا زبير أقول هذا! أؤي أحب أن يموت مثل هذا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وهو علي ساخط⁽¹⁾.

(304)

ابن عباس وعمر

عن ابن عباس، قال: قال عمر: لا أؤي ما أصنع بأمة محمد صلى الله عليه وآله وذلك قبل أن يطعن. فقلت: ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: أصحابكم؟ يعني عليا عليه السلام، قلت: نعم والله هو لها أهل في وابتته من رسول الله صلى الله عليه وآله وصوه وسابقته وبلائه. وقال عمر: إن فيه بطالة وفكاهة. قلت: فأين أنت عن طلحة؟ قال: فإن فيه الوهو والنخوة. قلت:

عبد الرحمن؟ قال: رجل صالح على ضعف فيه. قلت: فسعد؟ قال: ذلك صاحب مقنب وقتال، لا يقوم بقوة لو حمل أمها. قلت: فالبير؟ قال: وعقة لقس مؤمن الرضا كافر الغضب شحيح، وإن هذا الأمر لا يصلح إلا لقوي في غير عنف، رفيق في غير ضعف، جواد في غير سرف. قلت: فأين أنت عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه⁽²⁾.

(1) البحار: ج 8 ص 330 ط الكمباني عن مجالس المفيد.

(2) البحار: ج 8 ص 336 بروايتين ط الكمباني. راجع الغدير: ج 7 ص 145 عن البلاوي، ويأتي نظوه ج 3 ص

138

الصفحة 20

(305)

أبو ذر وعثمان

عن عبد الله بن أبي عمرة الأنصاري، قال: لما قدم أبو ذر على عثمان قال: أخبرني أي البلاد أحب إليك؟ قال: مهاجري، قال: لست بمجلوري، قال: فألحق بحرم الله فأكون فيه؟ قال: لا، قال: فالكوفة أرض بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، قال: فلست بمختار غوهن، فأمره بالمسير إلى الربذة. فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: " أسمع وأطع وأنفذ حيث قادوك ولو لعبد حبشي مجوع " فخرج إلى الربذة. فأقام هنا مدة، ثم دخل المدينة، فدخل على عثمان والناس عنده سماطين، فقال: يا أمير المؤمنين إنك أخرجتني من أرضي إلى أرض ليس بها زرع ولا ضوع إلا شويهات، وليس لي خادم إلا محررة، ولا ظل يظلني إلا ظل شجرة، فأعطني خادما وغنيمات أعيش فيها، فحول وجهه عنه، فتحول إلى السماط الآخر، فقال مثل ذلك. فقال له حبيب بن مسلمة: لك عندي يا أبا ذر ألف واهم وخادم وخمسائة شاة. قال أبو ذر: أعط خادمك وألفك وشويهاتك من هو أخرج إلى ذلك مني، فإني إنما أسأل حقي في كتاب الله. فجاء علي عليه السلام فقال له عثمان: ألا تغني عنا سفيهلك هذا! قال: أي سفيه؟ قال: أبو ذر، قال علي عليه السلام: ليس بسفيه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " ما أظلت الخضاء ولا أقلت الغواء أصدق لهجة من أبي ذر "، أقره بمقالة مؤمن آل فوعون " إن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم " قال عثمان: التواب في فيك! قال علي عليه السلام: بل التواب في فيك، أنشد بالله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله

الصفحة 21

وآله يقول ذلك لأبي ذر؟ فقام أبو هريرة وعشرة فشبهوا بذلك قول⁽¹⁾ علي عليه السلام.

قال ابن عباس: كنت عند أبي على العشاء بعد المغرب، إذ جاء الخادم، فقال: هذا أمير المؤمنين بالباب، فدخل عثمان فجلس. فقال له العباس: تعش، قال: تعشيت، فوضع يده.

فلما فرغنا من العشاء قام من كان عنده وجلست، وتكلم عثمان، فقال: يا خال أشكو إليك ابن أخيك - يعني عليا عليه السلام - فإنه أكثر في شتمي ونطق في عرضي، وأنا أعوذ بالله في ظلمكم بني عبد المطلب! إن يكن هذا الأمر لكم فقد سلمتموه إلى من هو أبعد مني، وإن لا يكن لكم فحقي أخذت. فتكلم العباس، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي، وذكر ما خص الله به قريشا منه وما خص به بني عبد المطلب خاصة، ثم قال:

أما بعد، فما حمدتك لابن أخي ولا حمدت ابن أخي فيك، وما هو وحده ولقد نطق غوه، فلو أنك هبطت مما صعدت وصعدوا مما هبطوا لكان ذلك أقرب، فقال: أنت وذلك يا خال، فقال: فلم تكلم بذلك عنك؟⁽²⁾ قال: نعم أعطهم عني ما شئت. وقام عثمان فخرج.

فلم يلبث أن رجع إليه فسلم وهو قائم، ثم قال: يا خال لا تعجل بشئ حتى أعود إليك، فوقع العباس يديه واستقبل القبلة، فقال: " اللهم أسبق بي ما لا خير لي في إدراكه " فما مضت الجمعة حتى مات⁽³⁾.

(1) في الأمالي: " فولى علي عليه السلام ".

(2) كذا في الأمالي والبحار، ولعل الصحيح: " أفأنتكلم بذلك عنك ".

(3) البحار: ج 8 ص 346 ط الكمباني عن أمالي الشيخ رحمه الله: ج 2 ص 321 وص 347 عن ابن أبي الحديد. و ج

22 ص 404 عن أمالي الشيخ رحمه أيضا. شوح النهج لابن أبي الحديد: ج 9 ص 13 - 14



(306)

ابن عباس وعثمان

قول عثمان فأنتى مقله، وأتاه الناس وفيهم ابن عباس، فلما أخذوا مجالسهم أقبل على ابن عباس، فقال: ما لي ولكم يا ابن عباس؟ ما أغواكم بي وأولعكم بتعقيب أمري! لتتقمون⁽¹⁾ علي أمر العامة - وعاتبه بكلام طويل - فأجابه ابن عباس، وقال في جملة كلامه:

أخسى الشيطان عنك لا يركبك، واغلب غضبك ولا يغلبك، فما دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك؟ قال: دعاني إليه ابن عمك علي بن أبي طالب عليه السلام، قال ابن عباس: وعسى أن يكذب مبلغك، قال عثمان: إنه ثقة، قال ابن عباس: إنه ليس بثقة من أولع وأغوى. قال عثمان: يا ابن عباس والله إنك ما تعلم من علي ما شكوت منه؟ قال: اللهم لا، إلا أن يقول كما يقول الناس وينقم كما ينقمون، فمن أغواك به وأولعك بذكوه دونهم؟ قال عثمان:

إنما آفتي من أعظم الداء الذي ينصب نفسه لأس الأمر، وهو علي ابن عمك وهذا والله كلمة من نكده وشؤمه! قال ابن عباس: مهلا استثن يا أمير المؤمنين!

قل: إن شاء الله، فقال: إن شاء الله.

ثم قال: إني أنشدك يا ابن عباس الإسلام والرحم! فقد والله غلبت وابتليت بكم، والله لو ددت أن هذا الأمر كان صاؤا إليكم دوني، فحملتموه عني وكنت أحد أعوانكم عليه، إذا والله لو جردتموني لكم خرا مما وجدتم لي، ولقد علمت أن الأمر لكم، ولكن قومكم دفعوكم عنه واختلوه دونكم فوالله ما أوري لرفعوكم أم رفعوه عنكم؟.

(1) في شرح النهج: "اتتقمون علي"

قال ابن عباس: مهلا يا أمير المؤمنين! فإننا ننشدك الله والإسلام والرحم مثل ما نشدتنا أن تطمع فينا وفيك عوا، أو تشمت بنا وبك حسودا، إن أمرك إليك ما كان قولا، فإذا صار فعلا فليس إليك ولا في يدك، وإنا والله لنخالفن إن خولفنا، ولننزل عن إن نزلنا، وما يمتك⁽¹⁾ أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلا أن يقول قائل منا ما يقوله الناس ويعيب كما عاها.

وأما صرف قومنا عنا الأمر: فعن حسد قد والله عرفته، وبغي والله علمته، فالله بيننا وبين قومنا.

وأما قولك: إنك لا تنوي رفعوه عنا أم رفعونا عنه، فلعمري إنك لتعرف أنه لو صار إلينا هذا الأمر ما لددنا به فضلا إلى فضلنا ولا قورا إلى قورنا، وإنا لأهل الفضل وأهل القدر، وما فضل فاضل إلا بفضلنا، ولا سبق سابق إلا بسبقنا، ولولا هذان ما اهتدى أحد، ولا أبصروا من عمى، ولا قصوا من جور.

فقال عثمان: حتى متى يا ابن عباس يأتيني عنكم ما يأتيني! هبوني كنت بعيدا، أما كان لي من الحق عليكم أن أراقب وأن

أناظر، بلى ورب الكعبة!

ولكن الفقرة سهلت لكم القول في، وتقدمت بكم إلى الإسراع إلي، والله المستعان.

قال ابن عباس: فخرجت فلقيت عليا، وإذا به من الغضب والتلطي أضعاف ما بعثمان، فلذت تسكينه فامتتع، فأتيت مقولي وأغلقت بابي واعتزلتهما.

فبلغ ذلك عثمان، فرسل إلي، فأتيته وقد هدأ غضبه، فنظر إلي ثم ضحك، وقال: يا ابن عباس ما أبطأ بك عنا؟ إن تركك العود علينا دليل على ما رأيت عن صاحبك وعرفت من حاله، فالله بيننا وبينه! خذ بنا في غير ذلك.

(1) في شرح النهج: " وما تمنيك "

الصفحة 24

قال ابن عباس: فكان عثمان بعد ذلك إذا أتاه عن علي عليه السلام شئ فلذت التكذيب عنه يقول: ولا يوم الجمعة حين أبطأت عنا وتركك العود إلينا! فلا أوي كيف رد عليه ⁽¹⁾.

(307)

صعصعة وعثمان

عن الشعبي، عن صعصعة بن صوحان العبدي - رحمه الله - قال: دخلت على عثمان بن عفان في نفر من المصريين، فقال عثمان: قدموا رجلا منكم يكلمني، فقدمونني، فقال عثمان: هذا! وكأنه استحدثني، فقلت له: إن العلم لو كان بالسن لم يكن لي ولا لك فيه سهم، ولكنه بالتعلم، فقال عثمان: هات.

فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم " الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور " فقال عثمان: فينا قلت هذه الآية، فقلت له: فمر بالمعروف وانه عن المنكر، فقال عثمان: دع ذا وهات ما معك.

فقلت له: بسم الله الرحمن الرحيم " الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله " إلى آخر الآية، فقال عثمان: وهذه أيضا فينا قلت.

فقلت له: فأعطنا بما أخذت من الله تعالى، فقال عثمان: يا أيها الناس عليكم بالسمع والطاعة، وإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان مع القذ، فلا تسمعوا إلى قول هذا، فإن هذا لا يوري من الله ولا أين الله.

فقلت له: أما قولك: " عليكم بالسمع والطاعة " فإنك تريد منا أن نقول غدا: " ربنا إنا أطعنا سادتنا وكروا لنا فأضلونا السبيل ". وأما قولك: " أني لا أوي من الله " فإن الله ربنا ورب آبائنا الأولين. وأما قولك: " أني لا أوي

(1) البحار: ج 8 ص 347 ط الكمباني عن شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 9 ص 8. وقد مر ج 1 ص 156

الصفحة 25

أين الله " فإن الله تعالى بالمرصاد.

قال: فغضب وأمر بصوفنا، وغلق الأبواب دوننا⁽¹⁾.

(308)

عمار وعثمان

ثم إن عمرا بعد ما صلح - من ضوب عثمان إياه كما تقدم ص 17 - من مرضه، فخرج إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فبينما هو كذلك إذ دخل ناعي أبي ذر على عثمان من الوبذة، فقال: إن أبا ذر مات بالوبذة وحيدا ودفنه قوم سفر! فاسترجع عثمان وقال: رحمه الله! فقال عمار: رحم الله أبا ذر من كل أنفسنا.

فقال له عثمان: وإنك لهنالك بعد ما وأت! أتاني ندمت على تسيوي إياه؟ قال له عمار: لا والله ما أظن ذاك. قال: وأنت أيضا إلحق بالمكان الذي كان فيه أبو ذر فلا توحه ما حيينا! قال عمار: أفعل، فوالله لمجلورة السباع أحب إلي من مجلورتك. قال: فتهيا عمار للخروج، وجاءت بنو مخزوم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسألوه أن يقوم معهم إلى عثمان ليستترله عن تسيير عمار، فقام معهم فسأله فيهم ورفق به حتى أجابه إلى ذلك⁽²⁾.

(309)

أم سلمة وعائشة

روى الشعبي عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي، قال: كنت بمكة مع

(1) البحار: ج 8 ص 450 ط الكمباني عن أمالي الشيخ رحمه الله ج 1 ص 241 وعنه قاموس الرجال: ج 5 ص 122.

(2) البحار: ج 8 ص 351 ط الكمباني عن أمالي المفيد رحمه الله

عبد الله بن الزبير وطلحة والزبير، فُرسلوا إلى عبد الله بن الزبير فأتاها وأنا معه، فقالا له: إن عثمان قتل مظلوما، وإننا نخاف أن ينقض أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله، فإن رأيت عائشة أن تخرج معنا، لعل الله أن يرتق بها فتقا، ويشعب بها صدعا.

قال: فخرجنا نمشي حتى انتهينا إليها، فدخل عبد الله بن الزبير معها في سورها فجلست على الباب، فأبلغها ما رُسلنا. فقالت: سبحان الله! والله ما أموت بالخروج! وما يحضوني من أمهات المؤمنين إلا أم سلمة، فإن خرجت خرجت معها. فوجع إليهما فبلغهما ذلك، فقالا: لرجع إليهما فلتأتها فهي أثقل عليهما منا. فوجع إليها فبلغها، فأقبلت حتى دخلت على أم سلمة.

فقالت لها أم سلمة: مرحبا بعائشة! والله ما كنت لي بزورة فما بدا لك؟

قالت: قدم طلحة والزبير فخوا أن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوما! قال:

فصوخت أم سلمة صوخة أسمعت من في الدار، فقالت:

يا عائشة أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوما؟ فما تريد؟ قالت: تخرجين معنا فلعل الله أن يصلح بخروجنا أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله. قالت: يا عائشة أخرج⁽¹⁾ وقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله ما سمعنا؟ نشدتك الله يا عائشة! الذي يعلم صدقك إن صدقت أتذكرين يوما كان يومك من رسول الله صلى الله عليه وآله فصنعت حروة في بيتي فأتيته بها وهو عليه وآله السلام يقول: "والله لا تذهب الليالي والأيام حتى نتباح [كلاب] ماء بالعواق يقال له: الحوآب امرؤة من نسائي في فئة باغية" فسقط الإناء من يدي، فرفع رأسه إلي وقال: "ما لك يا أم سلمة؟"

(1) في الاحتجاج: "تخرجين"

الصفحة 27

فقلت: يا رسول الله ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول؟ ما يؤمنني أن تكون أنا هي؟ فضحكت أنت فالتفت إليك، فقال عليه السلام: "أما تضحكين يا حمراء الساقين إني أحسبك هيه".

ونشدتك بالله يا عائشة! أتذكرين ليلة أسري بنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله من كذا وكذا وهو بيني وبين علي بن أبي طالب عليه السلام يحدثنا، فأدخلت جملك فحال بينه وبين علي بن أبي طالب، فرفع موعة كانت عنده يضوب بها وجه جملك، وقال: أما والله! ما يومه منك واحد ولا بليته منك واحدة، أما إنه لا يبيغضه إلا منافق كذاب.

وأنشدك بالله! أتذكرين مضر رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قبض فيه، فأتاه أبوك يعودده ومعه عمر، وقد كان علي بن أبي طالب عليه السلام يتعاهد ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله ونعله وخفه ويصلح ما وهي منها، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وهي حضومية فهو يخصفها خلف البيت، فاستأذنا عليه، فأذن لهما، فقالا: يا رسول الله كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أحمد الله، قال: ما بد من الموت؟ قال: أجل لا بد منه، قال: يا رسول الله فهل استخلفت أحدا؟ قال: "ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل" فخرجوا فمروا على علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يخصف نعل رسول الله، وكل ذلك تعرفينه يا عائشة وتشهدين عليه.

ثم قالت أم سلمة: يا عائشة أنا أخرج على علي بعد الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فوجعت عائشة إلى قولها وقالت: يا ابن الزبير أبلغهما أنني لست بخلجة بعد الذي سمعت من أم سلمة. فوجع فبلغهما، قال: فما انتصف الليل حتى سمعنا رغاء إبلها توتحل!

الصفحة 28

(1) فلترحتل معهما .

أم سلمة وعائشة

عن أبي أحنس الأرحبي، قال: لما رأت عائشة الخروج إلى البصرة كتبت إليها أم سلمة - رضي الله عنها - زوجة النبي صلى الله عليه وآله:

أما بعد، فإنك سدة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أمته، حجاب المضرروب على حرمة، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تتدحيه، وسكن عقراك فلا تصحريها [إن] الله من وراء هذه الأمة، قد علم رسول الله صلى الله عليه وآله مكانك، لو أراد أن يعهد إليك لفعل، ولقد عهد فاحفظي ما عهد، فلا تخالفي فيخالف بك، واذكري قوله عليه السلام في نباح الكلاب بحراً، وقوله:

" ما للنساء والغزو؟ " وقوله صلى الله عليه وآله: " انظري يا حمراء ألا تكوني أنت علت علت " بل قد نهاك عن الفوطه في البلاد، وأن عمود الإسلام لن يثاب بالنساء إن مال ولن وأب بهن إن صدع، حماديات النساء غض الأبصار وخفر الأعواض وقصر الوهلة. ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله علزك ببعض الفلوات ناصة قلوفا من منهل إلى آخر؟ إن بعين الله مهواك، وعلى رسول الله تدين، قد وجهت سدافته، وتوكت عهدها. لو سوت مسيرك هذا ثم قيل لي: " ادخلي القوس " لاستحييت أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله هاتكة حجاباً قد ضربه علي. اجعلي حصنك بيتك،

(1) البحار: ج 8 ص 396 ط الكمباني عن الاحتجاج: ج 1 ص 242. وص 400 عن ابن أبي الحديد: ج 6 ص 217 - 218. وقاموس الرجال: ج 10 ص 397 عنه. وسياتي ص 98 لما بين النقلين من الاختلاف. وراجع أيضاً قاموس الرجال: ج 2 ص 171، فإنه نقله عن المرتضى في شرح بائية السيد الحميري وكذا ج 6 ص 381 و ج 10 ص 467 و 367. وبهج الصباغة: ج 4 ص 415. والغدير: ج 5 ص 365 و ج 9 ص 83. وروضة المؤمنين ص 129

الصفحة 29

ورباعة الستر قيرك حتى تلقيه، وأنت على تلك الحال أطوع ما تكونين لله ما لؤمته، وأنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه، لو ذكرت بك بقول تعرفينه لنهشتني نهش الرقشاء المطوق.

فقلت عائشة: ما أقبلي لوعظك وما أعوفني بنصحك! وليس الأمر على ما تظنين، ولنعم المسير مسرا فعت إلي فيه فنتان متشاجرتان، إن أفعد ففي غير حوج، وإن أنهض فإلى ما لا بد من الإرياد منه. فقلت أم سلمة:

لو كان معتصما من زلة أحد * كانت لعائشة العتبي على الناس

كم سنة لرسول الله دلرسة * وتلو آي من القرآن مواس

قد يزوع الله من قوم عقولهم * حتى يكون الذي يقضي على الرأس (1)

أقول: نقله الصدوق - رحمه الله - وابن عبدربه وأحمد بن طاهر على أنه كان كتابا منها إليها، والباقيون على أنه كان خطابا، وبين الروايات اختلاف في الألفاظ، فراجع.

فأجابتها عائشة: من عائشة أم المؤمنين إلى أم سلمة: سلام عليك: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فما أقبلني لو عذك وأعرفني لحقي نصيحتك، وما أنا بمعتورة بعد تعويج، ولمنعم المطلع مطلع فوقت فيه بين فئتين متشاجرتين بين المسلمين، فإن

(1) راجع معاني الأخبار ص 378. والعقد الفريد: ج 4 ص 316. والاحتجاج: ج 1 ص 244.

والاختصاص: ص 113. والإمامة والسياسة: ج 1 ص 55 وتلخيص اليعقوبي: ج 2 ص 169. والبحار: ج 8 ص 396 ط الكمباني عن الاحتجاج، وص 397 عن معاني الأخبار، وص 399 عن الاختصاص، وص 400 عن ابن أبي الحديد، وقال: كلامها رضي الله عنها مع عائشة موازنة المعنى، رواه الخاصة والعامة بأسانيد جملة وفسروا ألفاظه. ورواه ابن أبي الحديد في شوح النهج، وذكره ابن قتيبة في غريب الحديث، ورواه أحمد بن طاهر في بلاغات النساء: ص 7، وابن أبي الحديد في شوح النهج: ج 6 ص 220 عن غريب الحديث لابن قتيبة

الصفحة 30

أقعد فعن حوج، وإن أمضي فإلى ما لا غنى بي عن الأرياد منه، والسلام.

(311)

أم سلمة وعائشة

نقل ابن أعثم في الفتوح (1)، قال: وأقبلت عائشة حتى دخلت على أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وهي يومئذ بمكة، فقالت لها: يا بنت أبي أمية إنك أول ظعينة هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت كبرية أمهات المؤمنين، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا بين بينك، وقد خربت أن القوم استنابوا عثمان بن عفان حتى إذا تاب وثوا عليه فقتلوه، وقد أخونني عبد الله بن عامر أن بالبصرة مائة ألف سيف يقتل فيها بعضهم بعضا، فهل لك أن تسوي بنا إلى البصرة لعل الله تبارك وتعالى أن يصلح هذا الأمر على أيدينا؟.

قال: فقالت لها أم سلمة رحمة الله عليها:

يا بنت أبي بكر بدم عثمان تطلبين! والله لقد كنت من أشد الناس عليه، وما كنت تسميه إلا نعتلا، فما لك ودم عثمان! وعثمان رجل من عبد مناف وأنت امرأة من بني تميم بن هرة، ويحك يا عائشة! أعلى علي وابن عمر رسول الله صلى الله عليه وآله وآله تخرجين وقد بايعه المهاجرون والأنصار؟.

ثم جعلت أم سلمة -رحمة الله عليها- تذكر عائشة فضائل علي رضي الله عنه وعبد الله بن الزبير على الباب يسمع ذلك كله، فصاح بأم سلمة، قال: يا بنت أبي أمية إننا قد عرفنا عداونك لآل الزبير.

فقالت أم سلمة: والله لتوردنها ثم لا تصلونها أنت ولا أبوك! أتطمع أن يرضى المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة، وعلي بن أبي طالب

حي وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة!؟.

فقال عبد الله بن الزبير: ما سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة قط. فقالت أم سلمة رحمته الله عليها: إن لم تكن أنت سمعته فقد سمعته خالتك عائشة، وها هي فأسألها، فقد سمعته صلى الله عليه وآله يقول: " علي خليفتي عليكم في حياتي ومماتي، فمن عصاه فقد عصاني " أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا؟ فقالت عائشة: اللهم نعم.

قالت أم سلمة رحمته الله عليها: فاتقي الله يا عائشة في نفسك، واحذري ما حذرَكَ الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ولا تكوني صاحبة كلاب الحوَاب، ولا يغرنك الزبير وطلحة، فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئاً ⁽¹⁾.

أقول: لا بأس هنا بنقل كتاب أم سلمة إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام بعد خروج عائشة أم المؤمنين إلى البصرة، وإن كان خلجا عن شوط الكتاب:

لعبد الله علي أمير المؤمنين من أم سلمة بنت أبي أمية سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، فإن طلحة والزبير وعائشة وبنيتها بني السوء وشيعة الضلال خرجوا مع ابن الخوار عبد الله بن عامر إلى البصرة، وزعمون أن عثمان بن عفان قتل مظلوماً وأنهم يطلبون بدمه، والله كافيكُم وجاعل دائرة السوء عليهم إن شاء الله تعالى. وتالله لولا ما نهى الله عز وجل منه من خروج النساء من بيوتهن وما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله عند وفاته لشخصت معك، ولكن قد بعثت إليك بأحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله وإليك ابني عمر ابن أبي سلمة، والسلام ⁽²⁾.

(1) راجع البحار: ج 8 ص 400 أيضا ط الكمباني.

(2) راجع الفتح لابن أعثم: ج 2 ص 284. وأحاديث أم المؤمنين: ج 1 ص 139. والبحار: ج 8 ص 400 ط الكمباني عن شوح النهج لابن أبي الحديد: ج 6 ص 219 تجده بالألفاظ متقلبة

(312)

الأشتر وعائشة

كتب الأشتر إلى عائشة، وهي بمكة:

أما بعد، فإنك طعينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أمرك أن تّوي في بيتك، فإن فعلت فهو خير لك، وإن أبيت إلا أن تأخذي منسأتك وتلقي جلبابك وتبدي للناس شعراتك، قاتلتك حتى رُدك إلى بيتك والموضع الذي يرضاه لك ربك.

فكتبت إليه في الجواب:

أما بعد، فإنك أول العرب شب الفتنة، ودعا إلى الفوق، وخالف الأئمة وسعى في قتل الخليفة، وقد علمت أنك لن تعجز الله

حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم، وقد جاءني كتابك وفهمت ما فيه، وسيكفينيك الله وكل من أصبح مماثلاً لك في ضلالك وغيك إن شاء الله ⁽¹⁾.

(313)

أبو الأسود وعائشة

لما انتهت عائشة وطلحة والزبير إلى حفر أبي موسى قريبا من البصرة، أرسل عثمان بن حنيف - وهو يومئذ عامل علي عليه السلام على البصرة - إلى القوم أبا الأسود الدؤلي يعلم له علمهم، فجاء حتى دخل على عائشة، فسألها عن مسورها، فقالت: أطلب بدم عثمان. قال: إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد، قالت: صدقت ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة، وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 6 ص 225. والبحار: ج 8 ص 394 ط الكمباني

الصفحة 33

لعثمان من سيوفكم؟ فقال لها: ما أنت من السوط والسيوف! إنما أنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله، أمرك أن تقوي في بيتك وتتلي كتاب ربك، وليس على النساء قتال ولا لهن الطلب بالدماء، وإن عليا لأولى بعثمان منك وأمسرحما، فإنهما ابنا عبد مناف.

فقالت: لست بمنصوفة حتى أمضي لما قدمت له، أفتظن يا أبا الأسود أن أحدا يقدم على قتالي؟ فقال: أما والله لتقاتلن قتالا أهونه الشديد.

ثم قام فأتى الزبير، فقال: يا أبا عبد الله عهد الناس بك وأنت يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول: " لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب " وأين هذا المقام من ذاك؟ فذكر له دم عثمان. قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا! قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول.

فذهب إلى طلحة، فوجده ساوا في غيه، مصوا على الحرب والفتنة. فوجع إلى عثمان بن حنيف، فقال: إنها الحرب! فتأهب لها ⁽¹⁾.

(314)

زيد بن صوحان وعائشة

لما تول علي عليه السلام بالبصرة كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدى: من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي صلى الله عليه وآله إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان. أما بعد، فأقم في بيتك وخذل الناس عن علي، وليبلغني عنك ما أحب، فإنك لوثق أهلي عندي، والسلام.

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 6 ص 225 - 226. والبحار: ج 8 ص 394 ط الكمباني عنه.

والغدير: ج 9 ص 106 عن الإمامة والسياسة: ج 1 ص 57 وسيأتي، نصه والعقد الفريد: ج 2 ص 278، وابن أبي الحديد

الصفحة 34

من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر. أما بعد، فإن الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر، أمرك أن تقوي في بيتك، وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله، فأكون قد صنعت ما أمرك الله به وصنعت ما أمرني الله به! فأمرك عندي غير مطاع وكتابك غير مجاب، والسلام. (1)

(315)

الأحنف وعائشة

ثم إنهم - يعني عائشة وطلحة والزبير - بعثوا إلى الأحنف بن قيس، فدعوه وقالوا: إننا نريد منك أن تتصونا على دم عثمان بن عفان، فإنه قتل مظلوما.

قال: فالتفت الأحنف إلى عائشة، وقال: يا أم المؤمنين أنشدك الله! أما قلت لي ذلك اليوم: إن قتل عثمان فمن أبايع؟ قلت: علي بن أبي طالب، فقالت عائشة: قد كان ذلك يا أحنف، ولكن هاهنا أمور نحن بها أعلم منك. فقال الأحنف: لا والله! لا أقاتل علي بن أبي طالب أبداً، وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمه وزوج ابنته وأبو سبطيه، وقد بايعه المهاجرون والأنصار. (2)

(316)

عمران وعائشة وطلحة والزبير

وفي نقل المفيد - رحمه الله -: دعا عثمان بن حنيف عمران بن الحصين الخواعي، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فبعثه وبعث معه

(1) ابن أبي الحديد: ج 6 ص 226 - 227. والبحار: ج 8 ص 394 ط الكمباني عنه. والعقد الفريد:

ج 4 ص 317 وفي طبعة ج 2 ص 318. وقاموس الرجال: ج 4 ص 256. وبهج الصباغة: ج 11 ص 93، و ج 6 ص 394 - 395. وروضة المؤمنين: ص 134 عن العقد وجمهورية رسائل العرب وابن أبي الحديد.

(2) الفوح لابن أعثم: ج 2 ص 289

الصفحة 35

أبا الأسود الدؤلي إلى طلحة والزبير وعائشة، فقال: انطلقا فاعلما ما أقدم علينا هؤلاء القوم وما يريدون؟. قال أبو الأسود: فدخلنا على عائشة، فقال لها عمران بن الحصين: يا أم المؤمنين ما أقدمك بلدنا؟ ولم تترك بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فرقك فيه وقد أمرك أن تقوي في بيتك؟ وقد علمت أنك إنما أصبت الفضيلة والكرامة والشرف وسميت أم المؤمنين، وضوب عليك الحجاب ببني هاشم، فهم أعظم الناس عليك منة وأحسنهم عندك يدا، ولست من اختلاف الناس في شيء ولا لك من الأمر شيء، وعلي أولى بدم عثمان، فاتقي الله واحفظي قابته وسابقتها، فقد علمت أن الناس بايعوا أباك فما أظهر عليه خلافا، وبايع أبوك عمر وجعل الأمر له دونه فصبر وسلم ولم يزل بهما را، ثم كان من أمرك وأمر الناس وعثمان ما قد علمت، ثم بايعتم عليا عليه السلام فغبنا عنكم، فأتتكم بالبيعة فبايعنا وسلمنا.

فلما قضى كلامه، قالت عائشة: يا أبا عبد الله ألقيت أخاك أبا محمد؟
تعني طلحة - فقال لها: ما لقيت به بعد، وما كنت لآتي أحدا ولا أبدا به قبلك.
قالت: فأتته فانظر ماذا يقول.

قال: فأتيناه، فكلمه عمران فلم يجد عنده شيئا مما يحب. فخرجنا من عنده فأتينا الزبير وهو متكئ، فقد بلغه كلام عمران وما قال لعائشة. فلما رآنا قعد، وقال: أيا أحب ابن أبي طالب أنه حين ملك ليس لأحد معه أمر!
فلما رأى ذلك عمران لم يكلمه، فأتى عمران عثمان فأخوه.
وعن عبد الجليل بن إواهيم، أن الأحنف بن قيس أقبل حين تولت عائشة أول مرحلة من البصرة، فدخل عليها، فقال: يا أم المؤمنين وما الذي أقدمك، وما أشخصك، وما تريد؟ قالت: يا أحنف قتلوا عثمان! فقال: يا أم المؤمنين مررت بك عام أول بالمدينة وأنا لريد مكة وقد أجمع الناس على قتل

الصفحة 36

عثمان ورمي بالحجارة وحيل بينه وبين الماء، فقلت لك: يا أم المؤمنين اعلمي أن هذا الرجل مقتول، ولو شئت لتؤدين عنه فعلت، فإن قتل فإلى من؟ فقلت: إلى علي بن أبي طالب.
قالت: يا أحنف صفوه حتى إذا جعلوه مثل الزجاج قتلوه! فقال لها:
أقبل قولك في الرضا ولا أقبل قولك في الغضب.
ثم أتى طلحة، فقال: يا أبا محمد ما الذي أقدمك وما الذي أشخصك وما تريد؟ فقال: قتلوا عثمان! قال: مررت بك عاما أول بالمدينة وأنا لريد العمرة وقد أجمع الناس على قتل عثمان ورمي بالحجارة وحيل بينه وبين الماء، فقلت لكم: إنكم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله لو تشلؤون أن تؤدوا عنه فعلتم. فقلت: دبر فادبر، فقلت لك: فإن قتل فإلى من؟ فقلت:
إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال: ما كنا نرى أن أمير المؤمنين يرى أن يأكل الأمر وحده (1).

عبيد بن كلاب وعائشة

قدمت عائشة من مكة وقد قضت حجها، حتى إذا صلت قريبا من المدينة استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي، وكان يقال له: " ابن أم كلاب " فقالت له عائشة: ويحك! لنا أم علينا؟ فقال: قتل عثمان بن عفان، فقالت: ثم ماذا؟ فقال: بايع الناس علي بن أبي طالب، قالت عائشة:

وددت أن هذه وقعت علي! قتل والله عثمان بن عفان مظلوما! وأنا مطالبة بدمه، والله ليوم من عثمان خير من علي الدهر كله.

فقال لها عبيد بن أم كلاب: ولم تقولين ذلك؟ فوالله ما أظن أن أحدا

(1) البحار: ج 8 ص 395 ط الكمباني عن الكافية

الصفحة 37

بين السماء والأرض في هذا اليوم أكرم من علي بن أبي طالب على الله عز وجل: فلم تكوهين ولايته؟ ألم تكونين تحرضين الناس على قتله؟ ثم إنك أظهرت عيبه وقلت: اقتلوا نعتلا فقد كفر! فقالت عائشة: لعوي قد قلت ذلك وقالوا، ثم رجعت عما قلت لما عرفت خوه من أوله، وذلك أنكم استتبتموه حتى إذا جعلتموه كالفضة البيضاء قتلتموه، فوالله لأطلبين بدمه!.

فقال لها عبيد بن أم كلاب: هذا والله التخليط يا أم المؤمنين، ثم أنشأ يقول:

إذا زرتها فولا لها * وحط القضاء بذاك القدر

فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الريح ومنك المطر

وأنت أموت بقتل الإمام * وقلت كذا أنه قد كفر

فهبنا أطعناك في قتله * فقاتله عندنا من أمر

فقد بايع الناس ذا موه * يزيل الشبا ويقيم الصعر

ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفي مثل من قد غدر

فلم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكف شمسنا والقمر

قال: فقالت عائشة: يا عبيد إنه لو قال هذه الأبيات غيرك لم يحتمل، ولكنك في عثمان غير ظنين⁽¹⁾.

(318)

عمار وعائشة

عن سعيد بن كرز، قال: كنت مع هولاي يوم الجمل مع اللواء، فأقبل فارس فقال: يا أم المؤمنين، قالت عائشة: سلوه من

هو؟ قيل له: من أنت؟

قال: أنا عمار بن ياسر، قالت: قولوا له: ما تريد؟ قال: أنشدك بالله الذي أخرج الكتاب على نبيه رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتك، أتعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل عليا عليه السلام وصيه على أهله؟ قالت: اللهم نعم.

قال: وجاء فارس أربعة، فهتف رجل منهم، قالت عائشة: هذا ابن أبي طالب ورب الكعبة! سلوه ما يريد؟ قال: أنشدك بالله الذي أقر الكتاب على رسول الله في بيتك، أتعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعلني وصيه على أهله؟ قالت: اللهم نعم (1).

(319)

عمار وعائشة

لما انهزم أهل البصرة أمر علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام أن تقول عائشة قصر ابن أبي خلف. فلما تولت جاءها عمار بن ياسر - رضي الله عنه - فقال: يا أمه؟ كيف رأيت ضوب بنيك دون دينهم بالسيف؟ فقالت: استبصوت يا عمار من أجل أنك غلبت! فقال: أنا أشد استبصرا من ذلك، أم والله لو ضربتمونا حتى تبلغونا مسعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنكم على الباطل. فقالت له عائشة: هكذا يخيل إليك، اتق الله يا عمار! فإن سنك قد كثرت، ودق عظمك، وفني أجلك وأذهبت دينك لابن أبي طالب.

فقال عمار رحمه الله: إني والله اخترت لنفسي في أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وآله، فأيت عليا أو أهم لكتاب الله عز وجل، وأعلمهم بتأويله وأشدهم تعظيما لحرمة، وأعرفهم بالسنة، مع قوابله من رسول الله صلى الله عليه وآله، وعظم عنايه وبلائه في الإسلام، فسكتت (1).

(320)

ابن عباس وعائشة

لما هزم علي بن أبي طالب عليه السلام أصحاب الجمل، بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس - رحمه الله

عليهما - إلى عائشة يأمرها بتعجيل الوحي وقلّة العوجة.

قال ابن عباس: فأتيتهما، وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة.

قال: فطلبت الإذن عليها فلم تأذن، فدخلت عليها من غير إذن، فإذا بيت قفار لم يعد لي فيه مجلس، فإذا هي من وراء

ستورين، قال، فضربت ببصري، فإذا في جانب البيت رحل عليه طنفسة، قال: فمددت الطنفسة فجلست عليها، فقالت من وراء

الستر: يا ابن عباس أخطأت السنة، دخلت بيتنا بغير إذننا، وجلست على متاعنا بغير إذننا!.

فقال لها ابن عباس رحمه الله عليه: نحن أولى بالسنة منك، ونحن علمناك السنة، وإنما بيتك الذي خلفك فيه رسول الله صلى

الله عليه وآله فخرجت منه ظالمة لنفسك، غاشة بدينك، عاتية على ربك، عاصية لرسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا رجعتي

إلى بيتك لم ندخله إلا بإذنك، ولم نجلس على متاعك إلا بأمرك. إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعث إليك يأمرك بالوحي

إلى المدينة وقلّة العوجة.

فقالت: رحم الله أمير المؤمنين ذلك عمر بن الخطاب! فقال ابن عباس:

(1) البحار: ج 8 ص 417 ط الكمباني عن أمالي الشيخ رحمه الله: ج 1 ص 142 والاحتجاج



هذا والله أمير المؤمنين وإن تربدت فيه وجهه ورجمت فيه معاطس، أما والله!

لهو أمير المؤمنين، وأمس برسول الله رحما، وأقرب قابة، وأقدم سبقا، وأكثر علما وأعلى منزلا، وأكثر أثرا من أبيك

ومن عمر.

فقالت: أبيت ذلك، فقال: أما والله! أن كان إياؤك فيه لقصير المدة عظيم التبعة ظاهر الشوم بين النكد، وما كان إياؤك فيه

إلا حلب شاة، حتى صوت ما تأميرين ولا تهين ولا ترفعين ولا تضعين، وما كان مثلك إلا كمثل ابن الخضومي بن نجمان أخ

بني أسد، حيث يقول:

ما زال إهداء القصائد بيننا * شتم الصديق وكثرة الألقاب

حتى تركتهم كأن قلوبهم * في كل مجمعة طنين ذباب

قال: فلأقت دمعتها وأبدت عويلها وتبدا نشيجها، ثم قالت: أخرج والله عنكم، فما في الأرض بلد أبغض إلي من بلد تكونون

فيه.

فقال ابن عباس رحمه الله: فلم؟ والله ماذا بلأعنا عندك ولا بصنيعنا إليك، إنا جعلناك للمؤمنين أما وأنت بنت أم رومان،

وجعلنا أباك صديقا وهو ابن أبي قحافة [حامل قصا الودك لابن جذعان إلى أضيافه].

فقالت: يا ابن عباس تمنون علي برسول الله؟ فقال: ولم لا نمن عليك بمن لو كان منك قلامة منه مننتنا به، ونحن لحمه

ودمه ومنه وإليه، وما أنت إلا حشية من تسع حشايا خلفهن بعده، لست بأبيضهن لونا ولا بأحسنهن وجها ولا بلرشنهن عرقا ولا

بأنضوهن ورقا ولا بأطواهن أصلا، فصوت تأميرين فتطاعين وتدعين فتجابين، ما مثلك إلا كما قال أخو بني فهر:

مننت على قومي فأبوا عدوة * فقلت لهم كفوا العدوة والشكوا

ففيه رضا من مثلكم لصديقه * وأحج بكم أن تجمعوا البغي والكفوا

قال: ثم نهضت وأتيت أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته بمقاتلتها وما رددت

(1) عليها، فقال: أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك .

قال الأحمدي: نقله ابن أبي الحديد في شوح نهج البلاغة (2)، وابن الأعمش في الفوح (3) وفيه زيادة لا بأس بنقله:

قال: ثم دعا علي رضي الله عنه بعبد الله بن عباس، فقال له: إذهب إلى عائشة فقل لها: أن توتحل إلى المدينة كما جاءت

ولا نقيم بالبصرة، فأقبل إلى عائشة فاستأذن عليها، فأبت أن تأذن له، فدخل عبد الله بغير إذن، ثم التفت فإذا راحلة عليها

وسائد، فأخذ منها وسادة وطرحها، ثم جلس عليها.

فقالت عائشة: يا ابن عباس أخطأت السنة، دخلت منزلي بغير إذني!

فقال ابن عباس: لو كنت في منزلك الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله لما دخلت عليك إلا بإذنك، وذلك المنزل

الذي أمرك الله عز وجل أن تقوي فيه، فخرجت منه عاصية لله عز وجل ولرسوله محمد صلى الله عليه وآله وبعد، فهذا أمير المؤمنين يأمرك بالارتحال إلى المدينة، فلتحلي ولا تعصي.

فقالت عائشة: رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب! فقال ابن عباس: وهذا والله أمير المؤمنين! وإن رغمت له الأنوف، ورأبت له الوجوه.

فقالت عائشة: أبيت ذلك عليكم يا بن عباس.

فقال ابن عباس: لقد كانت أيامك قصوة المدة ظاهرة الشؤم بينة النكد، وما كنت في أيامك إلا كقدر حلب شاة، حتى صوت ما تأخذين وما تعطين

(1) البحار: ج 8 ص 418 ط الكمباني عن كش ص 57 - 60 ، وقال: رواه ابن أبي الحديد والشيخ المفيد رحمه الله في الكافية بسندين: أحدهما من طريق العامة، والآخر من طريق الخاصة باختلاف يسير في بعض الألفاظ. وراجع قاموس الرجال: ج 6 ص 3. وبهج الصباغة: ج 6 ص 411.

(2) شوح نهج البلاغة: ج 6 ص 229.

(3) الفوح لابن الأعمش: ج 2 ص 335

الصفحة 42

ولا تأمرين ولا تنهين، وما كنت إلا كما قال أخو بني أسد، حيث يقول:

ما زال إهداء القصائد بيننا * شتم الصديق وكثرة الألقاب

حتى تركت كأن قولك عندهم * في كل محتفل طنين ذباب

قال: فبكت عائشة بكاء شديدا ثم قالت: نعم والله لرحل عنكم، فما خلق الله بلدا هو أبغض إلي من بلد أنتم به يا بني هاشم!

فقال ابن عباس: ولم ذلك؟

فوالله ما هذا بلاؤنا عندك يا بنت أبي بكر! فقالت عائشة: وما بلاؤكم عندي يا ابن عباس؟ فقال: بلاؤنا عندك أننا جعلناك أم

المؤمنين وأنت بنت أم رومان، وجعلنا أباك صديقا وهو ابن أبي قحافة، وبنا سميت أم المؤمنين لا بتيم وعدي.

فقالت عائشة: يا ابن عباس أتمنون علي رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال: ولم لا نمن عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ولو كانت فيك شوة منه أو ظفر لمننت علينا وعلى جميع العالمين

بذلك. وبعد، فإنما كنت إحدى تسع حشايا من حشاياه، لست بأحسنهن وجها، ولا بأكرمهن حسبا ولا برشحهن عرقا، وأنت

الآن تريد أن تقول: ولا تعصين وتأهري ولا تخالفين! ونحن لحم الرسول صلى الله عليه وآله ودمه، وفينا مواته وعلمه.

فقالت عائشة: يا ابن عباس ما با ذلك عليك علي بن أبي طالب؟ فقال ابن عباس: إيها! والله أقر له وهو أحق به مني

وأولى، لأنه أخوه وابن عمه وزوج [الطاهرة] ابنته وأبو سبطيه ومدينة علمه وكشاف الكوب عن وجهه، وأما أنت فلا والله

ما شكوت نعماءنا عليك وعلى أبيك من قبلك.

ثم خرج وسار إلى علي، فأخوه بما جرى بينه وبين عائشة من الكلام، الحديث.

وقد ذكر المؤرخون هنا كلاما جرى بينها وبين أمير المؤمنين عليه السلام تركناه مراعاة لشروط الكتاب، فمن أراد الاطلاع فليراجع المصادر المتقدمة.

الصفحة 43

وهنا كلام لها بعد مجئ الإمام الحسن عليه السلام إليها بالوسالة، وسيأتي نقله في ص 139.

(321)

ابن عباس ورجل

عن الأعمش، عن عباية الأسدي، قال: كان عبد الله بن العباس جالسا على شفير زمزم يحدث الناس، فلما فُغ من حديثه أتاه رجل فسلم عليه، ثم قال: يا عبد الله بن عباس إني رجل من أهل الشام. فقال: أعوان كل ظالم إلا من عصم الله منكم، سل عما بدا لك. فقال: يا عبد الله إني جئتك أسألك عمن قتله علي بن أبي طالب من أهل لا إله إلا الله لم يكفروا بصلاة ولا بحج ولا بصوم شهر رمضان ولا بركاة، فقال له عبد الله: ثكلتك أمك! سل عما يعنيك ودع ما لا يعنيك. فقال: ما جئتك أضرب إليك من حمص للحج ولا للعمرة، ولكني أتيتك لتشرح لي أمر علي بن أبي طالب عليه السلام وفعاله.

فقال له: ويلك! إن علم العالم صعب لا تحتمله ولا تقويه القلوب الصدئة، أخوك أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان مثله في هذه الأمة كمثل موسى والعالم عليهما السلام، وذلك إن الله تبارك وتعالى قال في كتابه: "يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء" وكان موسى يرى أن جميع الأشياء قد أثبتت له، كما ترون أن علماءكم قد أثبتوا جميع الأشياء، فلما انتهى موسى إلى ساحل البحر، فلقى العالم فاستنطق بموسى ليضل⁽¹⁾ علمه، ولم يحسده كما حسدتم أنتم علي بن أبي طالب وأنكرتم

(1) في العلل: "ليصل"

الصفحة 44

فضله. فقال له موسى عليه السلام: "هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا" فعلم العالم أن موسى لا يطيق بصحبته ولا يصبر على علمه، فقال له:

"إنك لن تستطيع معي صوا وكيف تصبر على ما لم تحط به خوا" فقال له موسى: "ستجدني إن شاء الله صاوا ولا أعصي لك أمرا" فعلم العالم أن موسى لا يصبر على علمه فقال: "فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا" قال: فركبا في السفينة، فخرقها العالم، فكان خرقها الله عز وجل رضى وسخطا لموسى. ولقي الغلام فقتله، فكان قتله الله عز وجل رضى، وسخط ذلك موسى. وأقام الجدار، فكان إقامة الله عز وجل رضى، وسخط موسى ذلك.

كذلك كان علي بن أبي طالب عليه السلام لم يقتل إلا من كان قتله لله عز وجل رضى، ولأهل الجهالة من الناس سخطاً.

اجلس حتى أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوج زينب بنت جحش فأولم، فكانت وليمته الحيس، وكان يدعو عشوة⁽¹⁾ ، فكانوا إذا أصابوا طعام رسول الله صلى الله عليه وآله استأنسوا إلى حديثه واستغنوا النظر إلى وجهه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يشتهي أن يخفوا عنه⁽²⁾ فيخلو له المقل، لأنه حديث عهد بعوس، وكان يكره أذى المؤمنين، فأقول الله عز وجل فيه وأنا أباد⁽³⁾ للمؤمنين، وذلك قوله: " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي يستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق " فلما تولت هذه الآية كان

(1) في العلل: " عشرة عشرة ".

(2) في العلل: " يخفوا ".

(3) في العلل: " أدبا "

الصفحة 45

الناس إذا أصابوا طعام نبيهم صلى الله عليه وآله لم يلبثوا أن يخرجوا.

قال: فلبث رسول الله صلى الله عليه وآله سبعة أيام ولياليهن عند زينب بنت جحش، ثم تحول إلى بيت أم سلمة بنت أبي أمية، وكان ليلتها وصبيحة يومها من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فلما تعالى النهار انتهى علي عليه السلام إلى الباب فدقه دقا خفيفا له، عرف رسول الله صلى الله عليه وآله دقه وأنكرته أم سلمة، فقال: يا أم سلمة قومي فافتحي له الباب، فقالت: يا رسول الله من هذا الذي يبلغ من خطره أن أقوم له فافتح له الباب وقد تول فينا بالأمس ما قد تول من قول الله عز وجل " وإذا سألتهم من متاعا فاسألوهن من وراء حجاب "؟ فمن هذا الذي بلغ من خطره أن أستقبله بمحاسني ومعاصمي؟.

قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله كهيفة الم غضب: " من يطع الرسول فقد أطاع الله " قومي فافتحي له الباب! فإن بالباب رجلا ليس بالحق ولا بالترق ولا بالعجول في أمره، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وليس بفاتح الباب حتى يقول عنه الوطأ.

فقامت أم سلمة وهي لا تتوي من بالباب، غير أنها قد حفظت النعت والمدح، فمشت نحو الباب وهي تقول: بخ بخ لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله! ففتحت له الباب. قال: فأمسك بعضادتي الباب ولم يزل قائما حتى خفي عنه الوطأ ودخلت أم سلمة خوفا، ففتح الباب ودخل، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أم سلمة أتعفيني؟ قالت: نعم وهنيئا له! هذا علي بن أبي طالب، فقال:

صدقته يا أم سلمة، هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو مني بمقولة هارون من موسى، إلا أنه لا

نبي بعدي.

الوصيين، وهو عيبة علمي وبابي الذي أوتي منه، وهو الوصي بعدي على الأموات من أهل بيتي والخليفة على الأحياء من أمتي، وأخي في الدنيا والآخرة، وهو معي في السنام الأعلى. اشهدي يا أم سلمة واحفظي: إنه يقاتل الناكثين والقاسطين والملقين.

(1) فقال الشامي: فوجت عني يا عبد الله، وأشهد أن علي بن أبي طالب هولاي ومولى كل مسلم .

(322)

عمار وعبيد الله بن عمر

قال نصر: ثم نادى عمار عبيد الله بن عمر - وذلك قبل مقتله - فقال:

يا ابن عمر صورك الله! بعث دينك بالدنيا من عدو الله وعدو الإسلام. قال كلا! ولكن أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم. قال: كلا! أشهد على علمي فيك أنك أصبحت لا تطلب بشئ من فعلك وجه الله، وأنت إن لم تقتل اليوم فستموت غدا، فانظر إذا أعطى الله العباد على نياتهم ما نيتك؟.

ثم قال عمار: اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت، اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك أن أضع ظبة سيفي في بطني ثم أنحني عليها حتى يخرج من ظهري لفعلت، اللهم وإني أعلم مما أعلمتني أنني لا أعمل اليوم عملا هو رضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم اليوم عملا رضى لك منه لفعلته (2).

(1) البحار: ج 8 ص 431، ط الكمباني عن علل الشرايع: ص 64.

(2) وقعة صفين لنصر: ص 320. والبحار: ج 8 ص 457 عنه ط الكمباني. وقاموس الرجال: ج 6 ص 225

(323)

عمار مع رجل

عن أسماء بن الحكم الوري، قال: كنا بصفين مع علي بن أبي طالب تحت راية عمار بن ياسر لارتفاع الضحى استظللنا ببرد أحمر، إذ أقبل رجل يستقر الصف حتى انتهى إلينا، فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار بن ياسر: هذا عمار، قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم.

قال: إن لي حاجة إليك، فأنتق بها علانية أو سوا؟ قال: اختر لنفسك أي ذلك شئت. قال: لا بل علانية، قال: فانطق، قال: إني خرجت من أهلي مستبصوا في الحق الذي نحن عليه، لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل، فلمزل على

ذلك مستبصرا حتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا، فتقدم منادينا، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونادى بالصلاة، فنادى مناديه بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة، فصلينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتابا واحدا، ورسولنا واحد، فأتركني الشك في ليلتي هذه، فبت بليلة لا يعلمها إلا الله! حتى أصبحت. فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له، فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟ قلت: لا، قال: فאלقه فانظر ما يقول لك فاتبعه فجئتك لذلك.

قال له عمار: هل تعرف صاحب الرواية السوداء المقابلة (لمقابلتي خ ل المقابلتي خ ل) فإنها رواية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات، وهذه الرابعة ما هي بخوهم ولا أوهم، بل هي شوهم وأفجوهم، أشهدت بوا واحدا وحنينا أو شهدها لك أب فيخبرك عنها؟ قال: لا. قال: فإن مراكزنا على مراكز ريات رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين، وإن هؤلاء على مراكز ريات

الصفحة 48

المشوكين من الأخواب، هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله لو ددت أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفرقا للذي نحن عليه كانوا خلقا واحدا فقطعته وذبحته! والله لدمؤهم جميعا أحل من دم عصفور، أفترى دم عصفور حواما؟ قال: لا بل حلال، قال: فإنهم كذلك حلال دموهم، أتراني بينت لك؟ قال: قد بينت لي، قال: فاختر أي ذلك أحببت.

قال: فانصرف الرجل. ثم دعاه عمار بن ياسر، فقال: أما أنهم سيضربوننا بأسيا فهم حتى يرتاب المبطلون منكم، فيقولون: لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا، والله ما هم من الحق على ما يقضي عين ذباب، والله لو ضربونا بأسيا فهم حتى يبلغونا مسعفات هجر لعرفت أنا على حق وهم على باطل، وأيم الله لا يكون سلما سالما أبدا حتى ييؤ أحد الفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين، وحتى يشهوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق وأن قتلهم في الجنة وموتاهم، ولا ينصوم أيام الدنيا حتى يشهوا بأن موتاهم وقتلهم في الجنة، وأن موتى أعدائهم وقتلهم في النار وكان أحيؤهم على الباطل (1).

(324)

عمار مع ذي الكلاع

... فقال أبو فوح: فكننت في الخيل يوم صفين في خيل علي عليه السلام وهو واقف بين جماعة من همدان وحمير وغوهم من أفناء قحطان، وإذا أنا رجل من أهل الشام يقول: من دل على الحموي أبي فوح؟ فقلنا: هذا الحموي فأيهم تريد؟ قال: أريد الكلاعي أبا فوح.

(1) وقعة صفين: ص 321. والبحار: ج 8 ص 457 ط الكمباني عنه. وسيأتي برواية أخرى عن ابن أبي الحديد ص 213

الصفحة 49

قال: قلت: قد وجدته، فمن أنت؟ قال: أنا ذو الكلاع سر إلي. فقلت له: معاذ الله! أن أسير إليك إلا في كتيبة. قال ذو الكلاع: [بلى] فسر فلك نمة الله ونمة رسول ونمة ذي الكلاع حتى توجع إلى خيلك، فإنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم

تملينا فيه، فسر دون خيلك حتى أسير إليك. فسار أبو فوح وسار ذو الكلاع حتى التقيا.

فقال ذو الكلاع: إنما دعوتك أحدثك حديثا حدثناه عمرو بن العاص [قديما] في إمرة عمر بن الخطاب. قال أبو فوح: وما هو؟ قال ذو الكلاع:

حدثنا عمرو بن العاص: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: " يلتقي أهل الشام وأهل العراق، وفي إحدى الكتبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمار بن ياسر " قال أبو فوح: لعمر الله إنه لفينا! قال: أجاد هو في قتالنا؟ قال أبو فوح: نعم ورب الكعبة لهو أشد على قتالكم مني! ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته، وبدأت بك قبلهم وأنت ابن عمي! قال ذو الكلاع: ويلك! علام تتمنى ذلك منا؟ والله ما قطعك فيما بيني وبينك، وإن رحمتك لقوية وما يسوني أن أقتلك. قال أبو فوح: إن الله قطع بالإسلام لرحاما قوية ووصل به لرحاما متباعدة، وإنني لقاتلك أنت وأصحابك! ونحن على الحق وأنتم على الباطل مقيمون مع أئمة الكفر ورؤوس الأخواب.

فقال له ذو الكلاع: [فهل تستطيع أن تأتي معي في صف أهل الشام ف] أنا جار لك من ذلك ألا تقتل ولا تسلب ولا تكوه على بيعة ولا تحبس عن جندك، وإنما هي كلمة تبلغها عمرو بن العاص، لعل الله أن يصلح بذلك بين هذين الجندين ويضع الحرب والسلاح.

فقال أبو فوح: إني أخاف غواتك وغوات أصحابك. فقال ذو الكلاع: أنا لك بما قلت زعيم. فقال أبو فوح: اللهم إني وى ما أعطاني ذو الكلاع، وأنت تعلم ما في نفسي، فاعصمني واختر لي وانصوني وادفع عني

الصفحة 50

ثم سار مع ذي الكلاع حتى عمرو بن العاص، وهو عند معاوية وحوله الناس، وعبد الله بن عمرو يحرض الناس على الحرب، فلما وقفا على القوم، قال ذو الكلاع لعمرو: يا أبا عبد الله هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمار بن ياسر لا يكذبك؟ قال عمرو: ومن هو؟ قال: ابن عمي هذا وهو من أهل الكوفة. فقال عمرو: إني لأرى عليك سيما أبي زاب. قال أبو فوح: علي سيماء محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه، وعليك سيماء أبي جهل وسيماء فوعن.

فقام أبو الأعور فسل سيفه، ثم قال: لا رى هذا الكذاب اللئيم يشاتمنا بين أظهرنا وعليه سيماء أبي زاب! فقال ذو الكلاع: أقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأخطفن أنفك بالسيف! ابن عمي وجلي عقدت له بذمتي وجئت به إليكما ليخبركما عما تملرتم فيه.

قال له عمرو بن العاص: أذكرك بالله يا أبا فوح إلا ما صدقتنا ولم تكذبنا أفيكم عمار بن ياسر؟ فقال له أبو فوح: ما أنا بمخبرك عنه حتى تخبرني لم تسألني عنه؟ فإننا معنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عدة غوه وكلهم جاد في قتالكم! فقال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " إن عمرا تقتله الفئة الباغية وإنه ليس ينبغي لعمار أن يفارق الحق و أن تأكل النار منه شيئا " فقال أبو فوح: لا إله إلا الله والله أكبر! والله إنه لفينا جاد على قتالكم. فقال عمرو: والله إنه لجاد على قتالنا؟ قال: نعم والله الذي لا إله إلا هو [و] لقد حدثني يوم الجمل إنا سنظهر عليهم، ولقد حدثني أمس أن لو

ضربتونا حتى تبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على حق وأنهم على باطل، و [ل] - كانت قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار، فقال له عمرو: فهل تستطيع أن تجمع بيني وبينه؟ قال: نعم.

فلما أراد أن يبلغه أصحابه ركب عمرو بن العاص وابناه وعتبة بن أبي

الصفحة 51

سفيان وذو الكلاع وأبو الأعور السلمي وحوشب والوليد بن [عقبة بن] أبي معيط، فانطلقوا حتى أتوا خيولهم، وسار أبو فوح ومعه شوحبيل بن ذي الكلاع حتى انتهيا إلى أصحابه.

فذهب أبو فوح إلى عمار فوجده قاعدا مع أصحاب له منهم ابنا بديل وهاشم والأشتر وجرية بن المثنى وخالد بن المعمر وعبد الله بن حجل وعبد الله ابن العباس.

وقال أبو فوح: إنه دعاني ذو الكلاع - وهو ذورحم - فقال: أخبرني عن عمار ابن ياسر أفياكم هو؟ قلت: لم تسأل؟ قال: أخبرني عمرو بن العاص في إبرة عمر ابن الخطاب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " يلتقي أهل الشام وأهل العراق، وعمار في أهل الحق تقتله الفئة الباغية " فقلت: إن عمرا فينا، فسألني أجاد هو في قتالنا؟ فقلت: نعم والله أجد مني، ولوددت أنكم خلق واحد فذبحتكم وبدأت بك يا ذا الكلاع! فضحك عمار وقال: هل يسرك ذلك؟ قال: قلت: نعم!.

قال أبو فوح: أخبرني [الساعة] عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " عمار تقتله الفئة الباغية " قال عمار: أقرته بذلك؟

قال: نعم أقرته فأقر، فقال عمار: صدق وليضونه ما سمعوا ولا ينفعه!.

ثم قال أبو فوح لعمار - ونحن اثنا عشر رجلا - : فإنه يريد أن يلقاك. فقال عمار لأصحابه: لركبوا، فركبوا ولساروا، ثم بعثنا إليهم فلرسا من عبد القيس يسمى عوف بن بشر، فذهب حتى كان قريبا من القوم، ثم نادى: أين عمرو ابن العاص؟ قالوا: هاهنا، فأخوه بمكان عمار وخيله. قال عمرو: قل له فليسر إلينا. قال عوف: إنه يخاف غراتك، فقال له عمرو: ما أحوأك علي وأنت على هذه الحال! فقال له عوف: حوأي عليك بصيوتي فيك وفي أصحابك، فإن شئت نابذتك [الآن] على سواء، وإن شئت التقيت أنت وخصماؤك، وأنت

الصفحة 52

كنت غاوا. فقال له عمرو: ألا أبعث إليك بفلس يوافقك؟ فقال له عوف:

ما أنا بالمستوحش فابعث بأشقي أصحابك! قال عمرو: فأياكم يسر إليه؟ فسار إليه أبو الأعور.

فلما تواقفا تعرفا، فقال عوف لأبي الأعور: إني لأعرف الجسد وأنكر القلب، إني لا أراك مؤمنا وإنك لمن أهل النار. فقال أبو الأعور: لقد أعطيت لسانا يكبك الله به على وجهك في نار جهنم. فقال عوف: كلا! والله إني أتكلم بالحق، وتتكلم أنت بالباطل، وإني أدعوك إلى الهدى وأقاتل أهل الضلالة وأفر من النار، وأنت بنعمة الله ضال تنطق بالكذب وتقاتل على ضلالة وتشترى العقاب بالمغفرة والضلالة بالهدى، انظروا إلى وجهنا ووجهكم وسيمانا وسيماكم واسمعوا إلى دعوتنا ودعوتكم

فليس أحد منا إلا [و] هو أولى بمحمد صلى الله عليه وآله وأقرب إليه قرابة منكم. قال له أبو الأعور: [لقد] أكثرت الكلام وذهب النهار، ويحك! ادع أصحابك وأدعو أصحابي فأنا جار لك حتى تأتي موقفك أنت فيه الساعة، فإني لست أبدأ بغدرو ولا أجزئ على غدر حتى تأتي أنت وأصحابك وحتى تقفوا، فإذا علمت كم هم جئت من أصحابي بعددهم، فإن شاء أصحابك فليقفوا، وإن شئوا فليكثروا.

فسار أبو الأعور في مائة فارس حتى إذا كان حيث كنا بالموة الأولى وقفوا، وسار في عشوة بعمره. وسار عمار في اثني عشر فرسا حتى إذا اختلفت أعناق الخيل، خيل عمرو وخيل عمار. ورجع عوف بن بشر في خيله وفيها الأشعث بن قيس، وتول عمار والذين معه فاحتوا بحمائل سيوفهم. فتشهد عمرو بن العاص. فقال له عمار بن ياسر: اسكت (بعد هذا الكلام ليس عند ابن عقبة إلى

الصفحة 53

(1) موضع العلامة) فقد تركتها في حياة محمد صلى الله عليه وآله وبعد موته ونحن أحق بها منك، فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقنا باطلك، وإن شئت كان خطبة فنحن أعلم بفصل الخطاب منك، وإن شئت أخوتك بكلمة تفصل بيننا وبينك وتكفوك قبل القيام، وتشهد بها على نفسك، ولا تستطيع أن تكذبني [فيها]. قال عمرو: يا أبا اليقظان ليس لهذا جئت إنما جئت لأنني رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم، أذكرك الله إلا كفت سلاحهم وحقت دماءهم وحرضت على ذلك، فعلام تقاثلنا؟ أو لسا نعبد إلهها واحدا ونصلي [إلى] قبلتكم وندعو دعوتكم ونؤا كتابكم ونؤمن برسولكم؟.

قال عمار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك، إنها لي ولأصحابي: القبلة و الدين وعبادة الرحمن والنبى صلى الله عليه وآله والكتاب من دونك ودون أصحابك، الحمد لله الذي قررك لنا بذلك دونك ودون أصحابك، وجعلك ضالا مضلا لا تعلم هاد أنت أم ضال، وجعلك أعمى، وسأخوك فعلام قاتلتك عليه أنت وأصحابك: أموني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أقاتل الناكثين وقد فعلت، وأموني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم، وأما الملقون فما أوهي أركهم أم لا، أيها الأبتى!

ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه واعد من عاداه " وأنا مولى الله ورسوله وعلي بعده وليس لك مولى.

قال له عمرو: لم تشتمني يا أبا اليقظان و لست أشتمك؟.

قال عمار: وبم تشتمني؟ أتستطيع أن تقول: إني عصيت الله ورسوله يوما قط؟.

(1) يأتي موضع العلامة بعد ذلك ص 54

الصفحة 54

قال له عمرو: إن فيك لمسات سوى ذلك.

فقال عمار: إن الكريم من أكرمه الله، كنت وضيعا فوفعني الله، ومملوكا فأعتقني الله، وضعيفا فقواني الله، وفقرا فأغناني الله.

وقال له عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب سوء. قال عمرو: فعلي قتله؟ قال عمار: بل الله رب علي قتله و علي معه. قال عمرو:

أكنت فيمن قتله (من هنا عند ابن عقبة) قال: كنت مع من قتله، وأنا اليوم أقاتل معهم.

قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمار: أراد أن يغير ديننا فقتلناه. فقال عمرو: ألا تسمعون؟ قد اعترف بقتل عثمان. قال عمار: وقد قالها فوعن قبلك لقومه: " ألا تسمعون " فقام أهل الشام ولهم زجل، فوكوا خيولهم فوجوا [وقام عمار وأصحابه فوكوا خيولهم ورجعوا] فبلغ معاوية ما كان بينهم فقال: هلكت العرب! أن أخذتهم خفة العبد الأسود، يعني عمار بن ياسر

(1)

(325)

محمد بن أبي حذيفة مع معاوية

حدثني رجل من أهل الشام، قال: كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة مع علي بن أبي طالب عليه السلام ومن أنصره وأشياعه - وكان ابن خال معاوية وكان رجلا من خيار المسلمين - فلما توفي علي عليه السلام أخذه معاوية ورأى قتله، فحبسه في السجن دها.

ثم قال معاوية ذات يوم: ألا نرسل إلى هذا السفية محمد بن أبي حذيفة؟

فنبكته ونخوه بضلاله، ونأمره أن يقوم فيسب عليا قالوا: نعم

(1) وقعت صفين لنصر: ص 333 - 339 . والبحار: ج 8 ص 488 - 489 ط الكمباني. وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج 9 ص 16. وبهج الصباغة: ج 6 ص 5. وسيأتي عن فتوح ابن أعثم، في ص 160

الصفحة 55

فبعث إليه معاوية وأخرجه من السجن.

فقال له معاوية: ألم يأن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصوتك علي بن أبي طالب الكذاب؟ ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوما؟ وأن عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه، وأن عليا هو الذي دس في قتله ونحن اليوم نطلب بدمه.

قال محمد بن أبي حذيفة: إنك لتعلم أنني أمس القوم بك رحما وأعرفهم بك. قال: أجل. قال: فوالله الذي لا إله غيره ما أعلم أحدا شك في دم عثمان وألب الناس عليه غيرك! لما استعملك ومن كان مثلك، فسأله المهاجرون و الأنصار أن يغزوك، فأبى، ففعلوا به ما بلغك، ووالله ما أحد اشتراك في دمه بدءا وأخوا إلا طلحة والزبير وعائشة، فهم الذين شهوا عليه بالعظيمة وألوا عليه الناس، وشركهم في ذلك عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وعمار والأنصار جميعا. قال: قد كان ذلك.

قال: فوالله إنني لأشهد أنك منذ عرفتك في الجاهلية والإسلام لعلى خلق واحد، مازاد فيك الإسلام قليلا ولا كثوا، وإن علامة

ذلك فيك لبينة، تلومني على حب علي عليه السلام خرج مع علي عليه السلام كل صوام قوام مهاجري وأنصلي، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعنقاء، خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دنياك، والله ما خفي عليك ما صنعت، وما خفي عليهم ما صنعوا، إذ أحلوا أنفسهم لسخط الله في طاعتك، والله لا زال أحب عليا لله ولرسوله، وأبغضك في الله ورسوله أبدا ما بقيت. قال معاوية: وإنني رأك بعد على ضلالك، ربه! فمات في السجن⁽¹⁾.

(1) قاموس الرجال: ج 7 ص 500. والبحار: ج 8 ص 530 ط الكمباني، كلاهما عن الكشي:

ص 70 - 72

الصفحة 56

(326)

صعصعة مع معاوية

عن عاصم بن أبي النجود، عن شهد ذلك: أن معاوية حين قدم الكوفة دخل عليه رجال من أصحاب علي عليه السلام وكان الحسن عليه السلام قد أخذ الأمان لرجال منهم مسمين بأسمائهم وأسماء آبائهم، وكان منهم صعصعة. فلما دخل عليه صعصعة قال معاوية لصعصعة: أما والله! إنني كنت لأبغض أن تدخل في أمان. قال: وأنا والله أبغض أن أسمىك بهذا الاسم، ثم سلم عليه بالخلافة. قال: فقال معاوية: إن كنت صادقا فاصعد المنبر فالعن عليا. قال: فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس؟ أتيتكم من عند رجل قدم شوه وأخر خوه، وإنه أموني أن ألعن عليا! فالعنوه لعنه الله! فضج أهل المسجد بآمين. فلما رجع إليه فأخوه بما قال. قال: لا والله ما عنيت غوي، رجع حتى تسميه باسمه. فوجع وصعد المنبر ثم قال: أيها الناس! إن أمير المؤمنين أموني أن ألعن علي بن أبي طالب! فالعنوا من لعن علي بن أبي طالب! قال: فضجوا بآمين. قال: فلما خبر معاوية، قال: لا والله ما عني غوي، أخرجوه لا يساكنني في بلد، فأخرجوه⁽¹⁾.

(1) (البحار: ج 8 ص 531 ط الكمباني عن الكشف، وقاموس الرجال: ج 5 ص 120. والكشي: ص 69. والصرط المستقيم: ج 3 ص 72 عنه

الصفحة 57

(327)

شيخ مع معاوية

قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: كنت أنا ومعاوية بن أبي سفيان بالشام، فبينما نحن ذات يوم إذ نظرنا إلى شيخ وهو مقبل من صدر البرية من ناحية العواق. فقال معاوية: عرجوا بنا إلى هذا الشيخ لنسأله من أين أقبل وإلى أين يريد؟ وكان مع معاوية أبو الأعور السلمي وولدا معاوية خالد وزيد وعمرو بن العاص.

قال: فوجنا إليه. فقال له معاوية: من أين أقبلت يا شيخ وإلى أين تريد؟ فلم يجبه الشيخ. فقال عمرو بن العاص: لم لا تجب أمير المؤمنين؟

فقال الشيخ: إن الله جعل التحية غير هذه. فقال معاوية: صدقت يا شيخ وأخطأنا وأحسننا وأساءنا، السلام عليك يا شيخ فقال: وعليك السلام. فقال معاوية: ما اسمك يا شيخ؟ فقال: اسمي جبل.

وكان ذلك الشيخ طاعنا في السن، بيده شئ من الحديد ووسطه مشدود بشريط من ليف المقل، وفي رجله نعلان من ليف المقل وعليه كساء قد سقط لحامه وبقي سداؤه، وقد بانث شراسيف حذبه، وقد غطت حواجبه على عينيه.

فقال معاوية: يا شيخ من أين أقبلت وإلى أين تريد؟ قال الشيخ: أتيت من العواق لريد بيت المقدس. قال معاوية: كيف تركت العواق؟ قال:

على الخير والبركة والنفاق. قال: لعلك أتيت من الكوفة من الغوي. قال الشيخ: وما الغوي؟ قال معاوية: الذي فيه أبو زاب. قال الشيخ: من تعني بذلك ومن أبو زاب؟ قال: ابن أبي طالب. قال له الشيخ: رغم الله أنفك، ورض الله فاك، ولعن الله أمك وأباك، ولم لا تقول: الإمام العادل،

الصفحة 58

والغيث الهاطل، يعسوب الدين، وقاتل المشركين والقاسطين والملقين، سيف الله المسلول، ابن عم الرسول، وزوج البتول، تاج الفقهاء، وكنز الفقاء، وخامس أهل العباء والليث الغالب، أبو الحسين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام. فعندها قال معاوية: يا شيخ! إنني رى لحملك ودمك قد خالط لحم علي بن أبي طالب عليه السلام ودمه حتى لو مات ما أنت فاعل؟.

قال: لا أتهم في فقد ربي واجل في بعده حزبي، واعلم أن الله لا يميت سيدي وإمامي حتى يجعل من ولده حجة قائمة إلى يوم القيامة.

فقال: يا شيخ! هل تركت من بعدك أمرا تفتخر به؟ قال: تركت الفوس الأشقر والحجر والمدر والمنهاج لمن أراد المواج. قال عمرو بن العاص: لعله لا يعرفك يا أمير المؤمنين! فسأله معاوية فقال له: يا شيخ أتعرفني؟ قال الشيخ: ومن أنت؟ قال: أنا معاوية بن أبي سفيان، أنا الشجرة الزكية والفروع العلية سيد بني أمية.

فقال له الشيخ: بل أنت اللعين على لسان نبيه وفي كتابه المبين، إن الله قال: "والشجرة الملعونة في القرآن" والشجرة الخبيثة والعروق المجتثة الخسيسة الذي ظلم نفسه وربه، وقال فيه نبيه: "الخلافة محومة على أبي سفيان الزنيم بن الزنيم ابن آكلة الأكباد الفاشي ظلمه في العباد".

فَعِنْدَهَا اِغْتَاظٌ مَعَاوِيَةَ وَحَنَقٌ عَلَيْهِ فَوَدَّ يَدَهُ اِلَى قَائِمٍ سَيْفِهِ وَهُمْ يَقْتُلُ الشَّيْخَ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا اَنْ الْعَفْوُ حَسَنٌ لَأَخَذْتُ رَأْسَكَ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتَ لَوْ كُنْتُ فَاعِلًا ذَلِكَ؟ قَالَ الشَّيْخُ: إِذَا وَاللَّهِ أَفْزَرَ بِالسَّعَادَةِ، وَتَفَوَّزَ أَنْتَ بِالشَّقْوَةِ، وَقَدْ قَتَلَ مَنْ هُوَ أَشَرُّ مِنْكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَعُثْمَانُ شَرُّ مِنْكَ.

قَالَ مَعَاوِيَةُ: يَا شَيْخَ هَلْ كُنْتَ حَاضِرًا يَوْمَ الدَّارِ؟ قَالَ: وَمَا يَوْمَ الدَّارِ؟
قَالَ مَعَاوِيَةُ: يَوْمَ قَتَلَ عَلِيٌّ عُثْمَانَ. فَقَالَ الشَّيْخُ: تَاللَّهِ مَا قَتَلَهُ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ



لعلاه بأسياف حداد وسواعد شداد وكان يكون في ذلك مطيعا لله ولرسوله.

قال معاوية: يا شيخ هل حضوت يوم صفين؟ وما غبت عنها. قال:

كيف كنت فيها؟ قال الشيخ: أيتمت منك أطفالا، ولملت منك نسوانا، وكنت كالليث أضرب بالسيف تلة وبالرمح أخرى.

قال معاوية: هل ضربتني بشي، قط؟ قال الشيخ: ضربتك بثلاثة وسبعين سهما، فأنا صاحب السهمين اللذين وقعا في بردتك،

وصاحب السهمين اللذين وقعا في مسجدك، وصاحب السهمين اللذين وقعا في عضدك، ولو كشفت الآن لأريتك مكانهما.

فقال معاوية: يا شيخ هل حضوت يوم الجمل؟ قال: وما يوم الجمل؟

قال معاوية: يوم قاتلت عائشة عليا عليه السلام، قال: وما غبت عنها.

قال معاوية: يا شيخ الحق مع علي أم مع عائشة؟ قال الشيخ: بل مع علي. قال معاوية: ألم يقل الله: "ولأزواجه أمهاتهم"؟

وقال النبي صلى الله عليه وآله: "أم المؤمنين"؟ قال الشيخ: ألم يقل الله تعالى: "يا نساء النبي.... وقون في بيوتكن ولا

توجن توج الجاهلية الأولى"، وقال النبي صلى الله عليه وآله: "أنت يا علي خيلفتي على نسواني وأهلي وطلاقهن بيدك"

أفقرى في ذلك معها حق حتى سفكت دماء المسلمين وأذهبت أموالهم؟ فلعنة الله على القوم الظالمين، وهما ⁽¹⁾ كاهرة فوح في النار ولبئس مؤى الكافرين.

قال معاوية: يا شيخ ما جعلت لنا شيئا نحتج به عليك، فمتى ظلمت الأمة وطفيت عنهم قناديل الرحمة؟ قال: لما صوت

أموها وعمرو بن العاص وزوها. قال: فاستلقى معاوية على قفاه من الضحك وهو على ظهر

(1) كذا في البحار أيضا والظاهر أن الصحيح: "وهي"

فوسه فقال: يا شيخ هل من شيء نقطع به لسانك؟ قال: وما ذلك؟ قال:

عشرون ناقة حواء محملة عسلا ووا وسمنا، وعشوة آلاف درهم تتفقها على عيالك وتستعين به على زمانك. قال الشيخ:

لست أقبلها! قال: ولم ذلك؟

قال الشيخ: لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "وهم حلال خير من ألف درهم حرام"، قال معاوية: لإن

أقمت في دمشق لأضربن عنقك. قال: ما أنا مقيم معك فيها. قال معاوية: ولم ذلك؟ قال الشيخ: لأن الله تعالى يقول: "ولا

تكونوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون" وأنت أول ظالم وآخر ظالم.

⁽¹⁾ ثم توجه الشيخ إلى بيت المقدس .

(328)

مجفن بن أبي مجفن ومعاوية

عن الموفقيات للزبير بن بكار الزبوي، حدث عن رجاله، قال: دخل مجفن بن أبي مجفن⁽²⁾ الضبي على معاوية، فقال: يا معاوية جئتك من عند ألام العرب وأعبي العرب وأجبن العرب وأبخل العرب! قال: ومن هو يا أبا بني تميم؟ قال: علي بن أبي طالب قال معاوية: اسمعوا يا أهل الشام ما يقول أخوكم العواقي! فابتوره أيهم يقوله عليه ويكرمه، فلما تصدع الناس عنه قال له: كيف قلت؟ فأعاد عليه.

فقال له: ويحك يا جاهل! كيف يكون ألام العرب وأبوه أبو طالب،

(1) البحار: ج 8 ص 531 - 532 ط الكمباني عن الفضائل.

(2) كذا في البحار، وفي ابن أبي الحديد: ج 1 ص 22 - 34 محفن بن أبي محفن و ج 6 ص 279:

محفن - ثم أشار إلى القصة.

(3) كذا في البحار أيضا والصحيح " أخوكم "

الصفحة 61

وجده عبد المطلب، وإمرأته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟! وأنى يكون أبخل العرب؟ فوالله لو كان له بيتان بيت تبين وبيت تبر لأنفذ توه قبل تبنيه. وأنى يكون أجبن العرب؟ ووالله ما التقت فتتان قط إلا كان فرسهم غير مدافع. وأنى يكون أعبي العرب؟ فوالله ما سن البلاغة لقويش غوه، ولما قامت أم مجفن عنه ألام وأبخل وأجبن وأعبي لبظر أمه، فوالله لولا ما تعلم لضربت الذي فيه عيناك، فأياك عليك لعنة الله والعود إلى مثل هذا؟ قال: والله أنت أظلم مني فعلى أي شيء قاتلته وهذا محله؟ قال: على خاتمي هذا حتى يجوز به أروي. قال: فحسبك ذلك عوضا من سخط الله وأليم عذابه! قال: لا يا ابن مجفن، ولكنني أعوف من الله ما جهلت، حيث يقول: "ورحمتي وسعت كل شيء"⁽¹⁾.

(329)

ابن عباس ومعاوية

جاء الخبر إلى معاوية بموت الحسن بن علي عليهما السلام فسجد شكرا لله تعالى وبان السرور في وجهه - في حديث طويل ذكره الزبير، ذكرت منه موضع الحاجة إليه - وأذن للناس، وأذن لابن عباس بعدهم، فدخل فاستدناه، وكان عوف بسجده، فقال: أتتوي ما حدث بأهلك؟ قال: لا.

قال: فإن أبا محمدرحمه الله توفي، فعظم الله أجرك! فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! عند الله نحتسب المصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله، وعند الله نحتسب مصيبتنا بالحسن رحمه الله، إنه قد بلغتني سجدتك، فلا أظن ذلك إلا لوفاته، والله لا يسد جسده حفوتك ولا يريد انقضاء أجله في عموك، ولطال

(1) البحار: ج 8 ص 533 ط الكمباني عن كشف. وفي الإمامة والسياسة: ج 2 ص 101 وبهج الصباغة ج 10 ص 268 نقلوه عن عبد الله بن أبي محجن، وكذا ج 6 ص 133 و ج 4 ص 686

ما رزينا بأعظم من الحسن ثم جبر الله.
قال معاوية: كم كان أتى له؟ قال: شأنه أعظم من أن يجهل مولده.
قال: أحسبه ترك صبيته صغرا؟ قال: كلنا كان صغرا فكبر. ثم قال:
أصبحت سيد أهلك. قال: أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام فلا، ثم قام وعينه تدمع.
فقال معاوية: لله تروه! ما هيجنأه قط إلا وجدناه سيدا.
ودخل على معاوية بعد انقضاء الغواء. فقال: يا أبا العباس أما تتوي ما حدث في أهلك؟ قال: لا، قال: هلك أسامة بن زيد
فعظم الله أجرك!
قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! رحم الله أسامة، وخج.
فأتاه بعد أيام وقد غزم على محاقفته فصلى في الجامع يوم الجمعة، واجتمع الناس عليه يسألونه عن الحلال والحرام والفقه
والتفسير وأحوال الإسلام والجاهلية.
وافتقد معاوية الناس، فقيل: إنهم مشغولون بابن عباس، ولو شاء أن يضربوا معه بمائة ألف سيف قبل الليل لفعل! فقال:
نحن أظلم منه، حبسناه عن أهله ومنعناه حاجته ونعينا إليه أحبته، فانطلقوا وادعوه.
فأتاه الحاجب فدعاه، فقال: إنا بني عبد مناف إذا حضوت الصلاة لم نقم حتى نصلي، أصلي - إن شاء الله - وآتيه، فوجع.
وصلى العصر وأتاه: فقال: حاجتك؟ فما سأله حاجة إلا قضاها، وقال:
أقسمت عليك لما دخلت بيت المال فأخذت حاجتك. وإنما أراد أن يعرف أهل الشام ميل ابن عباس إلى الدنيا، فعرف ما يريد
فقال: إن ذلك ليس لي ولا لك، فإن أذنت أن أعطي كل ذي حق حقه فعلت. قال: أقسمت عليك إلا دخلت فأخذت حاجتك.
فدخل فأخذ بونس خز أحمر، يقال: إنه كان لأمير المؤمنين علي بن أبي

طالب عليه السلام ثم خرج، فقال: يا أمير المؤمنين بقيت لي حاجة. قال ما هي؟ قال: علي بن أبي طالب قد عرفت فضله
وسابقته وقوابته، وقد كفاكه الموت، أحب أن لا يشتم على مناوركم. قال: هيهات يا ابن عباس!
أليس فعل وفعل؟ فعدد ما بينه وبين علي عليه السلام، فقال ابن عباس:
أولى لك يا معاوية! والموعد القيامة، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون! وتوجه إلى المدينة ⁽¹⁾.

(330)

ابن عباس ومعاوية

مضى فيما مر ⁽²⁾ كلام لابن عباس مع معاوية في الخلافة، ولكن نرده هنا برواية أخرى، لما بينهما من الاختلاف:

حدث الزبير عن رجاله عن ابن عباس: أن معاوية أقبل عليه وعلى بني هاشم، فقال: إنكم تريدون أن تستحقوا الخلافة كما استحققتكم النبوة ولا يجتمعان لأحد، حجتكم في الخلافة شبهة على الناس، تقولون: نحن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فما بال خلافة النبي في غيونا، وهذه شبهة، لأنها تشبه الحق. فأما الخلافة: فتتقلب في أحياء قريش برضى العامة وشورى الخاصة، فلم يقل الناس: ليت بني هاشم ولونا، ولو أن بني هاشم ولونا لكان خرا لنا في دنيانا وآخرتنا، فلاهم حيث اجتمعوا على غيركم تمنوكم، ولوزهدتم فيها أمس لم تقاتلوا عليها اليوم؟ وأما مازعتم أن لكم ملكا هاشميا ومهديا قائما، فالمهدي عيسى بن مريم عليه السلام، وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلمه إليه، ولعمري! لنن ملكتمونا مارائحة عادولا صاعقة ثمود

(1) البحار: ج 8 ص 533 ط الكمباني عن الكشف عن الموفقيات. ج 1 ص 82 و 83.

(2) راجع ج 1 ص 83

الصفحة 64

فأهلك للقوم منكم لنا. ثم سكت.

فقال له عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أما قولك: إنا نستحق الخلافة بالنبوة، فإذا لم نستحقها بها، فبم؟ وأما قولك: إن الخلافة والنبوة لا تجتمعان لأحد، فأين قول الله تعالى:

"فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما"؟ فالكتاب النبوة والحكمة السنة، والملك الخلافة، ونحن آل إبراهيم فينا وفيهم واحد والسنة لنا ولهم جليلة.

وأما قولك: إن حجتنا مشتبهة، فوالله لهي أضوأ من الشمس وأنور من نور القمر، وإنك لتعلم ذلك، ولكن ثنى عطفك وصعوك، قتلنا أخاك وجدك وأخاه وخالك، فلا تبك على أعظم حائلة وأرواح أهل النار، ولا تغضبن لدماء أحلها الشوك ووضعها.

فأما ترك الناس أن يجتمعوا علينا، فما حرموا منا أعظم مما حرمنا منهم.

وأما قولك: إننا زعمنا أن لنا ملكا مهديا، فالزعم في كتاب الله تعالى:

"زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا" وكل يشهد أن لنا ملكا ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله لأمره منا من يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما، لا تملكون يوما واحدا إلا ملكنا يومين ولا شهرا إلا ملكنا شهرين ولا هولا إلا ملكنا حولين.

وأما قولك: أن المهدي عيسى بن مريم، فإنما يقول عيسى على الدجال فإذا رآه ينوب كما تنوب الشحمة، والإمام منارجل يصلي خلفه عيسى ابن مريم، ولو شئت سميته.

الصفحة 65

(1)

وأما ريح عاد وصاعقة ثمود، فإنهما كانا عذابا، وملكنا والحمد لله رحمة.

(331)

ذكوان مع معاوية

نقل الجنازدي في معالم العزة ما لا يخلو نقله هنا عن فائدة، قال:

عن ذكوان مولى معاوية، قال: قال معاوية: لا أعلمن أحدا سمي هذين الغلامين ابني رسول الله إلا فعلت وفعلت، ولكن

قولوا: ابني علي عليه السلام.

قال ذكوان: فلما كان بعد ذلك أمرني أن أكتب بنيه في الشرف، قال: فكتبت بنيه وبني بنيه وتركيت بني بناته. ثم أتيت

بالكتاب، فنظر فيه، فقال: ويحك! لقد أغفلت كبر بني! فقلت: من؟ قال: أما بنو فلانة لابنته بني؟ أما بنو فلانة بني لابنته؟ قال:

قلت: الله! أيكون بنو بنائك بنيك ولا يكون بنو فاطمة بني رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: ما لك قاتلك الله! لا يسمعن هذا أحد منك⁽²⁾.

(332)

محمد الحموي مع معاوية

اجتمع الطوماح وهشام الرادي ومحمد بن عبد الله الحموي عند معاوية ابن أبي سفيان، فأخرج برة فوضعها بين يديه،

ثم قال: يا معشر شعواء العرب! قولوا قولكم في علي بن أبي طالب، ولا تقولوا إلا الحق وأنا نفي من صخر بن حرب إن

أعطيت هذه البرة إلا من قال الحق في علي.

(1) البحار: ج 8، ص 534 ط الكمباني عن الكشف عن الموفقيات.

(2) البحار: ج 8 ص 534 ط الكمباني

الصفحة 66

فقام الطوماح، فتكلم وقال في علي ووقع فيه. فقال معاوية: اجلس فقد عرف الله نيتك ورأى مكانك.

ثم قام هشام الرادي، فقال أيضا ووقع فيه. فقال معاوية: اجلس، فقد عرف الله مكانكما.

فقال عمرو بن العاص لمحمد بن عبد الله الحموي - وكان خاصا به -:

تكلم ولا تقل إلا الحق، ثم قال: يا معاوية قد آليت ألا تعطي هذه البرة إلا قائل الحق في علي. قال: نعم أنا نفي من صخر

بن حرب إن أعطيتها منهم إلا من قال الحق في علي.

فقام محمد بن عبد الله، فتكلم، ثم قال:

بحق محمد قولوا بحق * فإن الإفك من شيم اللئام

أبعد محمد بأبي وأمي * رسول الله ذي الشرف الهمام

أليس علي أفضل خلق ربي؟ * وأشرف عند تحصيل الأنام؟

ولايته هي الإيمان حقا * ففرني من أباطيل الكلام
وطاعة ربنا فيها وفيها * شفاء للقلوب من السقام
علي إمامنا بأبي وأمي * أبو الحسن المطهر من حرام
إمام هدى أتاه الله علما * به عرف الحلال من الحرام
ولو أنني قتلت النفس حبا * له ما كان فيها من اثم
يحل النار قوم يبعضوه * وإن صاموا وصلوا ألف عام
ولا والله ما تركو صلاة * بغير ولاية العدل الإمام
أمير المؤمنين بك اعتمادا * وبالغور الميامين اعتصامي
برئت من الذي عادى عليا * وحل به من ولاد الحوام
تناسوا نصبه في يوم خم * من البري ومن خير الأنام

الصفحة 67

وغم الأنف من يشنأ كلامي * علي فضله كالبحر طامي
وأوأ من أناس أخروه * وكان هو المقدم بالمقام
علي هزم الأبطال لما * رؤا في كفه ماح الحسام
على آل النبي صلاة ربي * صلاة بالكمال وبالتمام
فقال معاوية: أنت أصدقهم قولا، فخذ هذه البوة ⁽¹⁾.

(333)

بنو هاشم ومعاوية

عن سليم أنه قال: حدثني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال: كنت عند معاوية ومعنا الحسن والحسين صلوات الله عليهما وعنده عبد الله بن عباس، فالتفت إلي معاوية، فقال: يا عبد الله ما أشد تعظيمك للحسن والحسين!
وما هما بخير منك ولا أبوهما خير من أبيك، ولولا أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لقلت ما أمك أسماء بنت عميس بنونها، فقلت: والله إنك لقليل العلم بهما وبأبيهما وبأمهما، بل والله لهما خير مني وأبوهما خير من أبي وأمهما خير من أمي، يا معاوية إنك لغافل عما سمعته أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهما وفي أبيهما وأمهما، قد حفظته ووعيته ورويته.

قال: هات يا ابن جعفر! هو الله ما أنت بكذاب ولا متهم. فقلت: إنه أعظم مما في نفسك. قال: وإن كان أعظم من أحد وحاء

جميعا فليست أبالي إذا قتل الله صاحبك وفوق جمعكم وصار الأمر في أهله، فحدثنا فما نبالي ما قلتم ولا يضونا ما عدتكم.
قلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسئل عن هذه الآية " وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة
الملعونة في القرآن " فقال: إني

(1) البحار: ج 8 ص 534 ط الكمباني. وراجع فرائد السمطين: ج 1 ص 374 - 375

الصفحة 68

رأيت اثني عشر رجلا من أئمة الضلالة يصعدون منوي ويقولون، يودون أمتي على أدبهم القهوى، فيهم رجلين من
حبيبن من قريش مختلفين، وثلاثة من بني أمية، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص، إذا بلغوا خمسة عشر رجلا جعلوا كتاب
الله دخلا وعباد الله خلا. يا معاوية إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول على المنبر وأنا بين يديه وعمر بن أبي
سلمة وأسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام وهو يقول: " أليست أولى
بالمؤمنين من أنفسهم "؟ قلنا: بلى يا رسول الله. فقال:

" أليس أزواجي أمهاتكم "؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: " من كنت هولا فهذا هولا أولى به من نفسه - وضرب بيده على
منكب علي عليه السلام - اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، أيها الناس! أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر
وعلي من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر، ثم ابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر ".
ثم عاد فقال: " أيها الناس! إذا أنا استشهدت فعلي أولى بكم من أنفسكم، فإذا استشهد علي فابني الحسن أولى بالمؤمنين منهم
بأنفسهم، وإذا استشهد الحسن فابني الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، فإذا استشهد الحسين فابني علي بن الحسين أولى
بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معي أمر - ثم أقبل إلى علي فقال: يا علي إنك ستتركه فاقواه مني السلام - فإذا استشهدوا
فابني محمد أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم - وستتركه أنت يا حسين فاقواه مني السلام - ثم يكون في عقب محمدرجال واحد
بعد واحد، وليس منهم أحد إلا وهو أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معي أمر، كلهم هادون مهتتون ".
فقام علي بن أبي طالب وهو يبكي، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله!

أنتقتل؟ قال: " نعم أهلك شهيدا بالسم، وتقتل أنت بالسيف وتخضب لحيتك من دمرأسك، ويقتل ابني الحسن بالسم، ويقتل
ابني الحسين بالسيف، يقتله

الصفحة 69

طاغي ابن طاغ ودعي ابن دعي.

فقال معاوية: يا ابن جعفر لقد تكلمت بعظيم! ولئن كان ما تقول حقا لقد هلكت أمة محمد من المهاجرين والأنصار غورك
أهل البيت وأوليائكم وأنصلركم!.

فقلت: والله إن الذي قلت بحق سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله قال معاوية: يا حسن يا حسين ويا ابن عباس ما
يقول ابن جعفر؟. فقال ابن عباس - ومعاوية بالمدينة أول سنة اجتمع عليه الناس بعد قتل علي عليه السلام -: إن كنت لا

تؤمن بالذي قال فرسل إلى الذين سماهم فاسألهم عن ذلك.

فرسل معاوية إلى عمر بن أبي سلمة وإلى أسامة بن زيد، فسألهما، فشهدا أن الذي قال ابن جعفر قد سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله كما سمعه.

فقال معاوية: يا ابن جعفر قد سمعنا في الحسن والحسين وفي أبيهما، فما سمعت في أمهما - ومعاوية كالمستهزئ والمنكر - فقلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " ليس في جنة عدن متول أشوف ولا أفضل ولا أقرب إلى عرش ربي من متولي، ومعني ثلاثة عشر من أهل بيتي: أولهما أخي علي، وابنتي فاطمة وابناي الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهرا، هداة مهتدون، أنا المبلغ عن الله، وهم المبلغون عني، وهم حجج الله على خلقه وشهدؤه في أرضه، وخوانه على علمه ومعادن حكمه، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، لا تبقى الأرض طرفة عين إلا ببقائهم ولا تصلح إلا بهم، يخبرون الأمة بأمر دينهم وحالهم وحوامهم، يدلونهم على رضاربهم، وينهونهم عن سخطه بأمر واحد ونهي واحد، ليس فيهم اختلاف ولا فرقة ولا تنزع، يأخذ آخهم عن أولهم إملائي وخط

الصفحة 70

أخي علي بيده، يقول ثونه يوم القيامة أهل الأرض كلهم في غمرة وغفلة وتبیهة وحوة غرهم وغير شيعتهم وأوليائهم، لا يحتاجون إلى أحد من الأمة في شئ من أمر دينهم والأمة تحتاج إليهم، هم الذين عنى الله في كتابه وقون طاعتهم بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ".
فأقبل معاوية على الحسن والحسين وابن عباس والفضل بن عباس وعمر ابن أبي سلمة وأسامه بن زيد، فقال: كلکم على ما قال ابن جعفر؟ قالوا:

نعم. قال: يا بني عبد المطلب إنکم لتدعون أمرا عظيما وتحججون بحجج قوية إن كانت حقا، وإنکم لتضمرون على أمر تسرونه والناس عنه في غفلة عمياء، وإن كان ما تقولون حقا لقد هلكت الأمة ولزدت عن دينها وتوكت عهد نبيها صلى الله عليه وآله غيركم أهل البيت، ومن قال بقولكم فأولئك في الناس قليل.

فقلت: يا معاوية إن الله تبارك وتعالى يقول: " وقليل من عبادي الشكور " ويقول: " وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين " ويقول: " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم " ويقول لوط: " وما آمن معه إلا قليل " ويقول: " وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين " يا معاوية المؤمنون في الناس قليل.

فقال ابن عباس: يا معاوية إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: " وقليل ما هم " و يقول لوط: " وما آمن معه إلا قليل " ويقول: " وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين " يا معاوية المؤمنون في الناس قليل، وإن أمر بني إسرائيل أعجب حيث قالت السحرة لوطعون: " اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا برب العالمين " فآمنوا بموسى وصدقوه وتابعوه فسار بهم وبمن تبعه من بني إسرائيل، فأقطعهم البحر وأراهم الأعاجيب وهم مصدقون به وبالتوراة مقرون له بدينه، فمر بهم على قوم يعبدون أصناما لهم، فقالوا: " يا موسى

اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة " ثم اتخذوا العجل فعكفوا عليه جميعًا! غير هارون وأهل بيته، وقال لهم السامري: " هذا إلهكم وإله موسى "، وقال لهم بعد ذلك:

" ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم " فكان من جوابهم ما قص الله في كتابه: " إن فيها قوما جبلين وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون " قال موسى: " رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين " فأحدثت هذه الأمة ذلك المثال سواء، وقد كانت لهم فضائل وسوابق مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنزل بينه قريية منه (1) مقوين بدين محمد والقآن حتى فرقهم نبيهم صلى الله عليه وآله فاختلّفوا وتفرّقوا وتحاسنوا، وخالفوا إمامهم وولّاهم حتى لم يبق منهم على ما عاهدوا عليه نبيهم غير صاحبنا الذي هو من نبينا بمقالة هارون من موسى ونفر قليل لقوا الله عز وجل على دينهم وإيمانهم، ورجع الآخرون القهقوى على أدبهم كما فعل أصحاب موسى عليه السلام باتخاذهم العجل وعبادتهم إياه وزعمهم أنه ربهم وإجماعهم عليه غير هارون وولده ونفر قليل من أهل بيته ونبينا صلى الله عليه وآله قد نصب لأمته أفضل الناس وأولاهم وخوهم بغدير خم وفي غير موطن، واحتج عليهم به، وأمر بطاعتهم، وأخوهم أنه منه بمقالة هارون من موسى، وأنه ولي كل مؤمن من بعده، وأنه كل من كان هو وليه ومن كان أولى به من نفسه فعلي أولى به، وأنه خليفته فيهم ووصيه، وأن من أطاعه أطاع الله، ومن عصاه عصى الله، ومن والاه والى الله، ومن عاداه عادى الله، فأنكروه وجهلوه وتولّوا غوه. يا معاوية أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين بعث إلى مؤتة أمر عليهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قال: " إن هلك جعفر فريد بن حرثة، فإن هلك زيد فعبد الله بن

(1) في كتاب سليم " ومنازل منه قريية " (.)

رواحة " ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم، أفكان يترك أمته؟ ولا بين لهم خليفته فيهم بعده؟ بلى ما تركهم في عمى ولا شبهة، بل ركب القوم ماركبوا بعد نبيهم وكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، فهلكوا وهلك من شايعهم، وضل من تابعهم، فبعدا للقوم الظالمين.

فقال معاوية: يا ابن عباس إنك لتنتوه بعظيم! والاجتماع عندنا خير من الاختلاف، وقد علمت أن الأمة لم تستقم على صاحبك. فقال ابن عباس:

إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها "، وإن هذه الأمة أجمعت على أمور كثرة ليس بينها اختلاف ولا منعة ولا فرقة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله، والصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، وأشياء كثرة من طاعة الله ونهي الله، مثل تحريم الزنا، والسوق، وقطع الأرحام، والكذب، والخيانة. واختلفت في شيئين: أحدهما اقتتلت عليه وتوقفت فيه، وصارت فوقها يلعن بعضها

بعضاً ويؤا بعضها من بعض⁽¹⁾ فالملك والخلافة زعمت أنها⁽²⁾ أحق بهما من أهل بيت نبي الله صلى الله عليه وآله فمن أخذنا بما ليس أهل القبلة اختلاف⁽³⁾ ، ورد علم ما اختلفوا فيه إلى الله، سلم ونجى من النار، ولم يسأله الله عما أشكل عليه من الخصلتين اللتين اختلف فيهما، ومن وفقه الله ومن عليه ونور قلبه وعرفه ولالة الأمر ومعدن العلم أين هو فعرف ذلك كان سعيداً والله وليا، وكان نبي الله صلى الله عليه وآله يقول: "رحم الله عبدا قال حقا فغنم، أو سكت فلم

(1) سقط من هنا كلمات راجع كتاب سليم بن قيس: ص 237.

(2) كذا في البحار أيضا، والظاهر: " أنك "

(3) كذا في البحار أيضا، وفي كتاب سليم: " فمن أخذ بما ليس فيه بين أهل القبلة اختلاف "

الصفحة 73

يتكلم " فالأئمة من أهل بيت النبوة ومعدن الوسالة ومقل الكتاب ومهبط الوحي ومختلف الملائكة، لا تصلح إلا فيها، لأن الله خصها بها، وجعلها أهلها في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله، فالعلم فيهم وهم أهله، وهو عندهم كله بحذافره، باطنه وظاهره، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه.

يا معاوية إن عمر بن الخطاب أرسلني في إمرته إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: إني أريد أن أكتب القرآن في مصحف فابعث إلينا ما كتبت من القرآن. فقال: تضوب والله عنقي قبل أن تصل إليه. قلت: ولم؟ قال: إن الله يقول: " لا يمسه إلا المطهرون " يعني لا يناله كله إلا المطهرون، إيانا عنى، نحن الذين اصطفانا الله من عباده، ونحن صفوة الله وضرب لنا الأمثال، وعلينا قول الوحي.

فغضب عمر، وقال: إن ابن أبي طالب يحسب أنه ليس عند أحد علم غوه، فمن كان يؤا من القرآن شيئا فليأتنا به، فكان إذا جاء رجل بقرآن فقرأه ومعه آخر كتبه، وإلا لم يكتبه. فمن قال يا معاوية: إنه ضاع من القرآن شيء فقد كذب، هو عند أهله مجبوع. ثم أمر عمر قضاته وولاته، فقال:

اجتهدوا رأيكم واتبعوا ما ترون أنه الحق.

فلم يزل هو وبعض وولاته قد وقعوا في عزيمة، فكان علي بن أبي طالب عليه السلام يخوهم بما يحتج عليهم، وكان عماله وقضاته يحكمون في شيء، واحد بقضايا مختلفة فيجزوها لهم، لأن الله لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب، وزعم كل صنف من أهل القبلة أنهم معدن العلم والخلافة دونهم! فبالله نستعين على من جحدهم حقهم، وسن للناس ما يحتاج به مثلك عليهم⁽¹⁾.

(1) البحار: ج 8 ص 536 - 537 ط الكمباني عن سليم والاحتجاج وتقدم ج 1 ص 365

الصفحة 74

ثم قاموا فخرجوا.

خالد بن معمر مع معاوية

قال معاوية لخالد بن معمر: على ما أحببت عليا؟ قال: على ثلاث خصال: على حلمه إذا غضب، وعلى صدقه إذا قال، وعلى عدله إذا ولي ⁽¹⁾.

(335)

طرق ومعاوية

عن عوانة، قال: خرج النجاشي في أول يوم من رمضان، فمر بأبي سمال الأسدي (له إواك وكان سخيا) وهو قاعد بفناء دره، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد الكناسة. قال: هل لك في رؤوس وأليات قد وضعت في التنور من أول الليل فأصبحت قد أينعت وتهأت؟ قال: ويحك! في أول يوم من رمضان؟ قال: دعنا مما لا نعرف (مما لا يعرف خ). قال: ثم مه؟ قال: ثم أسقيك من شواب كالورس، يطيب النفس ويحوي في العوق وفريد في الطوق، يهضم الطعام، ويسهل للفم الكلام. فتقول فتغديا، ثم أتاه بنبير فشرباه.

فلما كان من آخر النهار علت أصواتهما، ولهما جار يتشيع من أصحاب علي عليه السلام - فأتى عليا عليه السلام - فأخبره بقصتهما، فُرسل إليهما قوما فأحاطوا بالدار. فأما أبو سمال فوثب إلى دور بني أسد فأفلت. وأما النجاشي فأوتي به عليا عليه السلام، فلما أصبح أقامه في سواويل فضربه ثمانين ثم زاده عشوين سوطا. فقال: يا أمير المؤمنين [أما الحد فقد عرفته] فما هذه العالوة التي لا تعرف؟ قال: لحرأتك على ربك وإفطرك في شهر

(1) البحار: ج 8 ص 537 ط الكمباني

الصفحة 75

رمضان، ثم أقامه في سواويله للناس، فجعل الصبيان يصيحون به: خرى النجاشي، فجعل يقول: كلا! والله إنها يمانية [وكؤها شعر].

ومر به هند بن عاصم السلولي فطرح عليه مطرفا، ثم جعل الناس يمرون به فيطرحون عليه المطرف حتى اجتمعت عليه مطرف كثوة، ثم أنشأ يقول:

إذا الله حيا صالحا من عباده * تقيا فحيا الله هند بن عاصم

وكل سلولي إذا ما دعوته * سريع إلى داعي العلى والمكرم

ثم لحق بمعاوية وهجا عليا فقال:

ألا من مبلغ عني عليا * بأني قد أمنت فلا أخاف

عمدت لمستقر الحق لما * رأيت قضية فيها اختلاف

عن أبي الزناد قال: دخل النجاشي على معاوية، وقد أذن معاوية للناس عامة، فقال لحاجبه: ادع النجاشي. قال: والنجاشي

بين يديه ولكن اقتحمته عينه. فقال: ها أنا ذا النجاشي بين يديك يا أمير المؤمنين، إن الرجال ليست بأجسامها، إنما لك من الرجل أصغاه: قلبه ولسانه.
قال: ويحك! أنت القائل:

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة * أجش هزيم والوماح نوان

إذا قلت أطراف الروماح تنوشه * موية له الساقان والقدمان

ثم ضرب بيده إلى ثديه وقال: ويحك! إنما مثلي لا تعدو به الخيل.

فقال: [يا أمير المؤمنين] إني لم أقل هذا لك، إنما قلته لعتبة بن أبي سفيان.

ولما حد علي عليه السلام النجاشي غضب لذلك من كان مع علي [من اليمانية] وكان أخصهم به طلق بن عبد الله بن

كعب بن أسامة النهدي، فدخل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ما كنا نرى

الصفحة 76

أن أهل المعصية والطاعة وأهل الفوفة والجماعة عند دولة العدل ومعادن الفضل سيان في الخواء، حتى رأيت ما كان من

صنيعك بأخي الحرث، فوُغوت صدورنا، وشتت أمورنا، وحملتنا على الجادة التي كنا نرى أن سبيل من ركبها النار.

فقال علي عليه السلام: "إنها لكبوة إلا على الخاشعين" يا أخا بني نهد وهل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة [من

حرم الله، فأقمنا عليه حدا كان كفرته؟] إن الله تعالى يقول: "ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب

للتقوى".

قال: فخرج طلق من عند علي وهو مظهر بعفوه قابل له، فلقيه الأشر النخعي - رحمه الله - فقال له: يا طلق أنت

القائل لأمر المؤمنين: إنك وُغوت صدورنا وشتت أمورنا؟ قال طلق: نعم أنا قائلها. قال له الأشر: والله ما ذاك كما قلت،

وإن صدورنا له لسامعة، وإن أمورنا له لجامعة.

قال: فغضب طلق وقال: ستعلم يا أشر أنه غير ما قلت.

فلما جنه الليل همس هو والنجاشي [إلى معاوية، فلما قدما عليه دخل آذنه فأخوه بقنومهما، وعنده [وجه أهل الشام، منهم

عمرو بن مرة الجهني وعمرو بن صيفي وغورهما.

قال: فدخلا عليه، فلما نظر معاوية إليه قال: موحبا بالمورق غصنه المعوق أصله المسود غير المسود، في أرومة لا وام

ومحل يقصر عنه الوامي، من رجل كانت منه هفوة ونوبة باتباعه صاحب الفتنة ورأس الضلالة والشبهة التي اغترز في ركاب

الفتنة حتى اسقوى على رحلها، ثم وُجف في عشوة ظلمتها وتيه ضلالتها، وأتبعه ررجة من الناس وهنون من الحثالة، أما

والله!

ما لهم أفئدة "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها".

فقام طلق، فقال: يا معاوية إني متكلم فلا يسخطك أول دون آخر.

ثم قال وهو متكئ على سيفه: إن المحمود على كل حال رب علا فوق عباده فهم منه بمنظر ومسمع، بعث فيهم رسولا منهم لم يكن يتلو من قبله كتابا ولا يخطه بيمينه إذا لأرتاب المبطلون، فعليه السلام من رسول كان بالمؤمنين [وا] رحيمًا. أما بعد، فإننا كنا نوضع [فيما أوضعنا فيه بين يدي إمام تقي عادل] في رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أتقياء موثدين، مزالوا منرا للهدى ومعلما للدين [معالم خ] خلفا عن سلف مهتدين، أهل دين لا دنيا، وأهل الآخرة كل الخير فيهم، واتبعهم من الناس ملوك وأقيال [وسوق أقيال خ] وأهل بيوتات وشوف ليسوا بناكثين ولا قاسطين، فلم تك رغبة من رغب عنهم وعن صحبتهم إلا لمرارة الحق حيث جوعها، ولو عورته حيث سلكوها، وغلبت عليهم دنيا مؤثرة و هو متبع، وكان أمر الله قرا مقهورا [وقد فرق الإسلام قبلنا جبلة بن الايهم فورا من الضيم وأنفا من الذلة] فلا تفخون يا معاوية أن قد شددنا إليك الحال وأوضعنا نحوك الركاب، فتعلم وتتكبر [أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولجميع المسلمين].

ثم التفت إلى النجاشي، وقال: ليس بعشك فارجي.

فشق على معاوية ذلك [وغضب ولكنه أمسك] فقال: يا عبد الله ما أئونا أن نوردك مشوع ظمًا، ولا أن نصورك عن مكوع رواء [إننا لم نود بما قلناه أن نوردك مشوع ظمًا، ولا أن نصورك عن مكوع ري خ] ولكن القول قد يجري ألمعيه إلى غير الذي ينطوي عليه من الفعل. ثم أجلسه معه على سوره، ودعا له بمقطعات وبرود فصبها عليه، ثم أقبل عليه بوجهه يحدثه حتى قام.

فلما قام طلق خرج وخرج معه عمرو بن مرة وعمرو بن صيفي الجهنيان فأقبلا يلومانه في خطبته إياه وفيما عرض

لمعاوية.



فقال طلق لهما: والله ما قمت [بما سمعتماه] حتى خيل لي أن بطن الأرض أحب إلي من ظهورها عند إظهاره ما أظهر من البغي والعيب والنقص لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله، ولمن هو خير منه في العاجلة والآجلة [وما زهت به نفسه وملكه عجبه وعاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله واستقصهم] ولقد قمت مقاما عنده لوجب الله علي فيه أن لا أقول إلا حقا، وأي خير فيمن لا ينظر ما يصير إليه غدا؟ وأنشأ يتمثل بشعر لبيد بن عطر الدثيمي:

لا تكونوا على الخطيب مع الدهر * فإني فيما مضى لخطيب
أصدع الناس في المحافل بالخطبة * يعيى بها الخطيب الأريب
وإذا قالت الملوك من الحاسم * للداء قيل ذاك الطبيب
غير أنني إذا قمت كل بني الكربة * لا يستطيعها المكروب
وكذاك الفجور يصوعه البغي * وفي الناس مخطئ ومصيب
وخطيب النبي أقول بالحق * وما في مقاله عوقوب
إن من جرب الأمور من الناس * وقد ينفع الفتى التحريب
لحقيق بأن يكون هواه * وتقاه فيما إليه يؤوب

فبلغ عليا عليه السلام مقالة طلق وما قال لمعاوية. فقال: لو قتل أخو بني نهد يومئذ لقتل شهيدا. وزعم بعض الناس أن طلق بن عبد الله رجع إلى علي عليه السلام ومعه النجاشي. وعمل معاوية في إطاء طلق وتعظيم أمره حتى تسلل ما كان في نفسه ⁽¹⁾.

(1) الغارات للثقفى: ج 2 ص 533 تحقيق الأرموي، ونقل في شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 4 ص 90 - 91،

(336)

رجل ومعاوية

روي: أن معاوية بن أبي سفيان قال: إني أحب أن ألقى رجلا قد أتت عليه سن وقدرأى الناس، يخبرنا عما رأى. فقبل له: هذا رجل بحضومت.

فأرسل إليه، فأتاه، فقال له: ما اسمك؟ قال: أمد، قال: ابن من؟ قال: ابن لبد، قال ما أتى عليك من السنين؟ قال: ثلاثمائة وستون سنة، قال: كذبت.

ثم تشاغل عنه معاوية، ثم أقبل عليه بعد ذلك، فقال: ما اسمك؟

قال: أمد، قال: ابن من؟ قال: ابن لبد، قال: ما أتى عليك من السنين؟

قال: ستون وثلاثمائة، قال: أخبرنا عمارأيت من الألمان الماضية إلى زماننا هذا من ذاك، قال: يا أمير المؤمنين وكيف

تسأل من يكذب؟ قال:

إني ما كذبتك ولكن أحببت أعلم كيف عقلك.

قال: يوم شبیه يوم ليلة شبیهة بليلة، يموت ميت ويولد مولود، ولولا من يموت لم تسعهم الأرض، ولولا من يولد لم يبق

أحد على وجه الأرض.

قال: فأخبرني هل رأيت هاشما؟ قال: نعم رأيت رجلا طوالا حسن الوجه، يقال: إن بين عينيه بركة أو غوة بركة.

قال: فهل رأيت أمية؟ قال: نعم رأيت رجلا قصوا أعمى، يقال له:

إن في وجهه أشوا أو شوما.

قال: فهل رأيت محمدا؟ قال: من محمد؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ويحك! أفلا فحمته كما فخمه الله فقلت:

رسول الله صلى الله

=>

والمستترك للنوري رحمه الله باب الحدود ج 3 ص 234 شطرا منه. وكذا الوسائل كتاب الحدود عن الكافي والتهذيب

والفقيه (راجع ج 18 ص 474) والبحار: ج 8 ص 538 و 675 ط الكمباني

الصفحة 80

عليه وآله؟.

قال: فأخبرني ما كانت صناعتك؟ قال: كنت رجلا تاحوا، قال: فما بلغت في تجلرتك؟ قال: كنت لا أستري عيبا ولا رد

ربحا.

قال معاوية: سلني قال: أسألك أن تدخلني الجنة، قال: ليس ذلك بيدي ولا أقدر عليه. قال: فأسألك أن ترد علي شبابي، قال:

ليس ذلك بيدي ولا أقدر عليه. قال: فلا أرى عندك شيئا من أمر الدنيا ولا أمر الآخرة، فودني من حيث جئت بي. قال: أما هذا

فنعم.

(1) ثم أقبل معاوية على جلسائه فقال: لقد أصبح هذا زاهدا فيما أنتم فيه راغبون .

(337)

رجل من همدان مع عمرو

في خلفاء ابن قتيبة: ذكروا أن رجلا من همدان يقال له: برد، قدم على معاوية فسمع عوا يقع في علي عليه السلام، فقال له: يا عمرو إن أشياخنا سمعوا النبي صلى الله عليه وآله يقول: " من كنت مولاه فعلي مولاه " فحق ذلك أم باطل؟ فقال عمرو: حق، وأنا لزيدك أنه ليس أحد من صحابة النبي صلى الله عليه وآله له مناقب مثل مناقب علي، فوج الفتى! فقال عمرو: إنه أفسدها بأموه في عثمان.

فقال برد: هل أمر أو قتل؟ قال: لا ولكنه لوى ومنع، قال: فهل بايعه الناس عليها؟ قال: نعم، قال: فما أخرجك من بيعته؟ قال: اتهامي إياه في عثمان، قال له: وأنت أيضا قد اتهمت! قال: صدقت وفيها خرجت إلى فلسطين.

(1) البحار: ج 8 ص 538 ط الكمباني عن كنز الفوائد للكراكي

الصفحة 81

فوج الفتى إلى قومه فقال: إنا أتينا قوما أخذنا الحجة عليهم من أهواهم، علي على الحق فاتبعوه⁽¹⁾.

(338)

رجل من أهل الكوفة ومعاوية

عن محارب بن ساعدة الأيادي، قال: كنت عند معاوية بن أبي سفيان وعنده أهل الشام ليس فيهم غوهم، إذ قال: يا أهل الشام قد عرفتم حبي لكم وسيرتي فيكم، وقد بلغكم صنيع علي بالعواق وتسويته بين الشريف وبين من لا يعرف قنوه. فقال رجل منهم: لا يهد الله ركنك ولا يهيبض جناحك ولا يعدمك ولدك ولا يرينا فقدك. فقال: فما تقولون في أبي زاب؟ قال: فقال كل رجل منهم ما أراد، ومعاوية ساكت، وعنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم، فتذاكروا عليا عليه السلام بغير الحق.

فوثب رجل من آخر المجلس من أهل الكوفة [وكان قد دخل مع القوم، فقال: يا معاوية تسأل أهوما في طغيانهم يعمهون، اختاروا الدنيا على الآخرة، والله لو سألتهم عن السنة ما أقاموها، فكيف يعرفون عليا وفضله؟ أقبل علي أخوك، ثم لا تقدر أن تتكر أنت ولا من عن يمينك يعني عمروا. هو والله الرفيع جله، الطويل عماده، دمر الله به الفساد، وأبار به الشوك، ووضع به الشيطان وأوليائه، وضع به الجور، وأظهر به العدل، وأنطق زعيم الدين، وأطاب المورد، وأضحى الداجي، وانتصر به المظلوم، وهدم به بنيان الشقاق، وانتقم به من الظالمين، وأعز به المسلمين، العلم

(1) بهج الصباغة: ج 6 ص 4 و ج 4 ص 685. وقاموس الرجال: ج 6 ص 377 عن خلفاء ابن قتيبة:

ج 1 ص 97. والغدير: ج 9 ص 138 عنه أيضا

الصفحة 82

المرفوع، والكهف للعواذ، ربيع الروح، وكنف المستطيل، ولي الهرب، كريح رحمة أثرت سحابا متوقفا بعضها إلى بعض

حتى التحم واستحكم فاستغلظ فاسقوى، ثم تجاوبت فواتقه، وتلايلات بولقه، واستعد خرير مائه، فأسقى وأروى عطشانه، وتداغت جناحه، واستقلت به أركانه، واستكثرت وابله، ودام رذاذه، وتتابع مهطوله، فرويت البلاد واخضت وأرهت، ذلك علي ابن أبي طالب سيد العرب، إمام الأمة وأفضلها وأعلمها وأجملها وأحكمها، أوضح للناس سيرة الهدى بعد السعي في الردى، فهو والله إذا اشتبهت الأمور وهاب الجسور واحمرت الحدق وانبعث القلق وأبرقت البواتر، استربط عند ذلك جأشه، وعرف بأسه، ولاذ به الجبان الهلوع، فنفس كربته وحمى حمايته عند الخيول النكراء والداهية الدهياء، مستغن وأيه عن مشورة نوي الألباب وای صلیب وحلم لریب مجیب، للصواب مصیب.

فأمسكت القوم جميعا. وأمر معاوية بإخواجه، فأخرج وهو يقول: " قد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " (1).

(339)

عمر بن علي وسعيد بن المسيب

عن أبي داود الهمداني، قال: شهدت سعيد بن المسيب، وأقبل عمر بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فقال له سعيد: يا ابن أخي ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله كما يفعل إخوانك وبنو عمك؟ فقال عمر: يا ابن المسيب أكلما دخلت فأجئ فأشهدك؟ فقال سعيد: ما أحب أن تغضب، سمعت والدك عليا يقول: " والله إن لي من الله مقاما لهو خير لبني عبد المطلب مما على الأرض من شئ " فقال عمر: سمعت

(1) البحار: ج 8 ص 539 ط الكمباني عن الغارات: ج 2 ص 547 - 548 واللفظ له

الصفحة 83

والدي يقول: " ما من كلمة حكمة في قلب منافق فيخرج من الدنيا حتى يتكلم بها ".
[فقال سعيد: يا ابن أخي جعلتني منافقا؟] قال: ذلك ما أقول لك.
قال: ثم انصرف (1).

(340)

طوماح ومعاوية

كتب معاوية لعنه الله إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، يا علي لأضربك بشهاب قاطع لا يدكنه الريح ولا يطفئه الماء، إذا اهتز وقع وإذا وقع نقب، والسلام.
فلما قرأ علي عليه السلام كتابه دعا بنوأة وقوطاس، ثم كتب:
بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، يا معاوية فقد كذبت، أنا علي بن أبي طالب، وأنا أبو الحسن والحسين، قاتل جدك وعمك

وخالك وأبيك، وأنا الذي أفنيت قومك يوم بدر ويوم الفتح ويوم أحد، وذلك السيف بيدي تحمله ساعدي بجوأة قلبي كما خلفه النبي صلى الله عليه وآله بكف الوصي، لم استبدل باللهربا، وبمحمد صلى الله عليه وآله نبيا وبالسيف بدلا، والسلام على من اتبع الهدى.

ثم طوى الكتاب ودعا الطوماح بن عدي الطائي - وكان رجلا مفوها طوالا - فقال له: خذ كتابي هذا فانطلق به إلى معاوية ورد جوابه.

فأخذ الطوماح الكتاب، ودعا بعمامة فلبسها فوق قلنسوته، ثم ركب جملا بئلا فتيقا مشرفا عاليا في الهواء، فسار حتى قو مدينة دمشق، فسأل عن قواد معاوية، فقليل له: من تريد منهم؟ فقال: أريد جرولا وجضما

(1) الغارات: ج 2 ص 580

الصفحة 84

وصلادة وقلادة وسوادة وصاعقة أبا المنايا وأبا الحنوف وأبا الأعور السلمي وعمرو بن العاص وشمر بن ذي الجوشن والهدى بن [محمد بن] الأشعث الكندي، فقليل: إنهم يجتمعون عند باب الخضراء. فقول وعقل بعوره، وتوكلهم حتى اجتمعوا ركب إليهم، فلما بصروا به قاموا إليه يهزؤون به، فقال واحد منهم: يا أعوابي أعندك خبر من السماء؟

قال: نعم جبرئيل في السماء، وملك الموت في الهواء، وعلي في القضاء [الققاء ظ] فقالوا له: يا أعوابي من أين أقبلت؟ قال: من عند التقي النقي إلى المنافق الودي. قالوا له: يا أعوابي فما تقول إلى الأرض حتى نشورك؟ قال: والله ما في مشلورتكم بركة، ولا مثلي يشلور أمثالكم. قالوا: يا أعوابي فإننا نكتب إلى يزيد بخبرك - وكان يزيد يومئذ ولي عهدهم - فكتبوا إليه ⁽¹⁾.

أما بعد يا يزيد، فقد قدم علينا من عند علي بن أبي طالب عليه السلام أعوابي له لسان يقول فما يمل ويكثر فما يكل، والسلام.

فلما قرأ يزيد الكتاب أمر أن يهول عليه وأن يقام له سماطان بالباب بأيديهم أعمدة الحديد، فلما توسطهم الطوماح قال: من هؤلاء كأنهم زبانية مالك في ضيق المسالك عند تلك الهالك؟ قالوا: اسكت، هؤلاء أعوا ليزيد.

فلم يلبث أن خرج يزيد، فلما نظر إليه قال: السلام عليك يا أعوابي، قال: الله السلام المؤمن المهيمن وعلى ولد أمير المؤمنين. قال: إن أمير المؤمنين يوقأ عليك السلام، قال: سلامه معي من الكوفة. قال: إنه يعوض عليك الحوائج، قال: أما أول حاجتي إليه فزع روحه من بين جنبيه، وأن يقوم من مجلسه حتى يجلس فيه من هو أحق به وأولى منه.

(1) فيه ما لا يخفى، فإن ولايته العهد كان بعد قتل الحسن عليه السلام

الصفحة 85

قال له: يا أعوabi فإننا ندخل عليه فما فيك حيلة، قال: لذلك قدمت، فاستأذن له على أبيه.

فلما دخل على معاوية نظر إلى معاوية والسريير قال: السلام عليك أيها الملك! قال: وما منعك أن تقول يا أمير المؤمنين؟

قال: نحن المؤمنون فمن أمرك علينا؟ فقال: نولني كتابك، قال: إني لأكوه أن أطأ بساطك. قال:

فنلوه وزوي، قال: خان الوزير وظلم الأمير. قال: فنلوه غلامي قال:

غلام سوء اشتواه هولاه من غير حل واستخدمه في غير طاعة الله. قال: فما الحيلة يا أعوabi؟ قال: ما يحتال مؤمن مثلي

لمنافق مثلك، قم صاغوا فخذة!

فقام معاوية صاغوا ففتلوه ثم فضه وقأ.

ثم قال: يا أعوabi كيف خلفت عليا؟ قال: خلفته والله جلدا حريا ضابطا كريما شجاعا جوادا، لم يلق جيشا إلا هزمه، ولا

قونا إلا لرداه، ولا قصوا إلا هدمه.

قال: فكيف خلفت الحسن والحسين؟ قال: خلفتهما صلوات الله عليهما صحيحين فصيحين كريمين شجاعين جوادين شابين

طويين، يصلحان للدنيا والآخرة.

قال: فكيف خلفت أصحاب علي؟ قال: خلفتهم وعلي عليه السلام بينهم كالبدن وهم كالنجوم، إن أمرهم ابتتروا، وإن نهاهم

رتدعوا.

فقال له: يا أعوabi ما أظن بباب علي أحدا أعلم منك، قال: ويحك!

استغفر ربك وصم سنة كفلة لما قلت، كيف لورأيت الفصحاء الأدباء النطقاء ووقعت في بحر علومهم لوقت يا شقي!

قال: الويل لأملك! قال:

بل طوبى لها! ولدت مؤمنا يغمز منافقا مثلك.

قال له: يا أعوabi هل لك في جأوة؟ قال: رى استنقاص روحك فكيف لا رى استنقاص مالك؟ فأمر له بمائة ألف درهم.

قال: لزيدك

يا أعوabi؟ قال: أسد يدا سد أبدا، فأمر له بمائة ألف أخرى. قال: تلتثها فإن الله فرد، ثم تلتثها، فقال: الآن ما تقول؟ فقال:

أحمد الله وأذمك قال: ولم ويحك؟ قال: لأنه لم يكن لك ولأبيك مراثا، إنما هو من بيت مال المسلمين أعطيتيه.

ثم أقبل معاوية على كاتبه، فقال: اكتب للأعوabi جوابا، فلا طاقة لنا به، فكتب:

أما بعد يا علي، فالأوجهن إليك بربعين حملا من خردل مع كل خردلة ألف مقاتل يشربون الدجلة ويسقون الفوات.

فلما نظر الطوماح إلى ما كتب به الكاتب أقبل على معاوية فقال له:

سواة لك يا معاوية! فلا أوري أيكما أقل حياء؟ أنت أم كاتبك؟ ويحك!

لو جمعت الجن والإنس وأهل الزبور والفرقان كانوا لا يقولون بما قلت.

قال: ما كتبه عن أوي، قال: إن لم يكن كتبه عن أمرك فقد استضعفك في سلطانك، وإن كان كتبه بأمرك فقد استحيت لك من الكذب، أمن أيهما تعتذر؟ ومن أيهما تعتذر؟ أما إن لعل صلوات الله عليه ديكا أشتري جيد العنصر، يلتقط الخردل لجيشه وجبوشه، فيجمعه في حوصلته!.

قال: ومن ذلك يا أعابي؟ قال: ذلك مالك بن الحرث الأشر.

ثم أخذ الكتاب والجائزة وانطلق به إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فأقبل معاوية على أصحابه، فقال: نرى لو وجهكم بأجمعكم في كل ما وجه به صاحبه ما كنتم تؤنون عني عشر عشر ما أدى هذا عن صاحبه⁽¹⁾.

(1) الاختصاص للمفيد - رحمه الله -: ص 138 . والبحار: ج 8 ص 541 ط الكمباني عنه، ونقل ذلك أيضا برواية أخرى وجدها بخط بعض الأفاضل، فراجع

الصفحة 87

(341)

أبو المرقع ومعاوية

نقل من خط الشهيد - قدس سره - أنه قال معاوية لأبي المرقع الهمداني:

اشتم عليا، قال: بل أشتم شاتمته وظالمه. قال: أهو هولاك؟ قال: وهولاك إن كنت من المسلمين. قال: فادع عليه، قال: بل أدعو على من هو دونه.

قال: ما تقول في قاتله؟ قال: هو في النار مع من سن ذلك. قال: من قومك؟ قال: الزرق من همدان الذين أشجوك يوم صفين⁽¹⁾.

(342)

ابن عباس مع الخورج

عن يوسف بن إواهيم، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال:

إن عبد الله بن العباس لما بعثه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الخورج يوافقهم، لبس أفضل ثيابه وتطيب بأطيب طيبه وركب أفضل مواكبه، فخرج فوافقهم فقالوا: يا ابن عباس بينا أفضل الناس إذ أتيتنا في لباس الجبابة ومواكبهم فتلا عليهم هذه الآية: " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " فالبس وتجمل، فإن الله جميل يحب الجمال، وليكن من حلال⁽²⁾.

(343)

صعصعة والخورج

عن مسمع بن عبد الله البصوي عن رجل، قال: لما بعث علي بن أبي طالب عليه السلام صعصعة بن صوحان إلى الخولج، قالوا له: رأيت لو كان

(1) البحار: ج 8 ص 543 ط الكمباني.

(2) البحار: ج 8 ص 566 ط الكمباني عن الكافي

الصفحة 88

علي معنا في موضعنا أكون معه؟ قال: نعم. قالوا: أنت إذا مقلد عليا دينك لرجع فلا دين لك، فقال لهم صعصعة: ويلكم! ألا أقلد من قلد الله فأحسن التقليد، فاضطلع بأمر الله صديقا لم يزل، أو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا اشتدت الحرب قدمه في لهواتها، فيطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بحدته، مكودا في ذات الله، عنه يعبر رسول الله والمسلمون، فأين تصوفون؟

وأين تذهبون؟ وإلى من تَغيبون؟ وعن تصدقون؟ عن القمر الباهر، والسواج الزاهر، وصواط الله المستقيم، وسبيل الله المقيم، قاتلكم الله أنى توفكون! أفي الصديق الأكبر والغرض الأقصى ترمون؟ طاشت عقولكم وغرت حلومكم وشاهت وجوهكم! لقد علوتم القلة من الجبل وباعدتم العلة من النهل، أتستهذفون أمير المؤمنين صلوات الله عليه ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ لقد سولت لكم أنفسكم خسونا مبينا، فبعدا وسحقا للكوفة للظالمين! عدل بكم عن القصد الشيطان، وعمى لكم عن واضح المحجة الحومان.

فقال له عبد الله بن وهب الواسبي: نطق يا ابن صوحان بشقشقة بغير، وهرت فأطنبت في الهدير، أبلغ صاحبك إنا مقاتلوه على حكم الله والتتويل، فقال عبد الله بن وهب أبياتا (قال العكلي الحوملي: ولا أوري أهى له أم لغوه):

نقاتلكم كي ترموا الحق وحده * ونضوبكم حتى يكون لنا الحكم

فإن تبتغوا حكم الإله نكن لكم * إذا ما اصطلحنا الحق والأمن والسلم

وإلا فإن المشوقية محذم * بأيدي رجال فيهم الدين والعلم

فقال صعصعة: كأني أنظر إليك يا أخاراسب متوملا بدمائك، يحجل الطير بأشلائك، لا تجاب لكم داعية ولا تسمع لكم واعية، يستحل ذلك منكم إمام هدى. قال الواسبي:

سيعلم الليث إذا التقينا * نور الوحي عليه أو علينا

الصفحة 89

أبلغ صاحبك أنا غير راجعين عنه أو يقر الله بكوه أو يخرج عن ذنبه، فإن الله قابل التوب شديد العقاب وغافر الذنب، فإذا فعل ذلك بذلنا المهج.

فقال صعصعة: " عند الصباح يحمد القوم السوى " ثم رجع إلى علي صلوات الله عليه فأخوه بما جرى بينه وبينهم، فتمثل

علي عليه السلام:

رَأْدِرْ سُولَايِ الْوَقُوفِ فُلُوحَا * يَدَا بِيْدِ ثَمَّ اسْهَمَا لِي عَلَيِ السَّوَاءِ

يُؤْسَا لِلْمَسَاكِينِ يَا ابْنَ صُوحَانَ! أَمَّا لَقَدْ عَهْدَ إِلَيَّ فِيهِمْ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ، وَمَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَبْتَ، وَإِنْ لِهِمْ لِيَوْمَا يَدُورُ فِيهِ رَحِي الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمَلْرُقِينَ فِيهَا، فَيَا وَيْحَهَا حَتْفًا! مَا أَبْعَدَهَا مِنْ رُوحِ اللَّهِ! ثَمَّ قَالَ: الْحَدِيثُ ⁽¹⁾.

(344)

قيس وحسان

لَمَا نَصَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ لِحُكُومَةِ مِصْرَ، فَقَدِمَهَا، فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ: مَا بَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! مَا غَرُّهُ؟ فغَضِبَ وَخَرَجَ عَنْهَا مُقْبِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَمْضِ إِلَى عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ.

فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ جَاءَ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ شَامِتًا بِهِ - وَكَانَ عَثْمَانِيَا - فَقَالَ لَهُ:

نُزِعَكَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ قَتَلْتَ عَثْمَانَ، فَبَقِيَ عَلَيْكَ الْإِثْمُ ⁽²⁾ وَلَمْ يَحْسَنْ لَكَ الشُّكْرُ! فُجِرَ قَيْسٌ وَقَالَ: يَا أَعْمَى الْقَلْبِ! يَا أَعْمَى الْبَصَرِ! وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَلْقَى بَيْنِي وَبَيْنَ رَهْطِكَ حَرْبًا لَضُوبْتَ عُنُقَكَ. ثَمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ عِنْدِهِ ⁽³⁾.

* * *

(1) الاختصاص: ص 121، والبحار: ج 8 ص 566 ط الكمباني، وقاموس الرجال: ج 5 ص 124.

(2) في البحار: " الاسم " .

(3) البحار: ج 8 ص 594 ط الكمباني، والغدير: ج 9 ص 128

(345)

امراة عمرو بن الحمق مع معاوية

قَالَ: كَانَ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ الْخَوَاعِي شَيْعَةً لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا صَارَ الْأَمْرُ إِلَى مُعَاوِيَةَ انْحَازَ إِلَى شَهْرِ زُورٍ مِنَ الْمَوْصِلِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْفَأَ النَّارَ وَأَخْمَدَ الْفِتْنَةَ وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَسْتُ بِأَبْعَدَ أَصْحَابِكَ هِمَّةً، وَلَا أَشَدَّهُمْ فِي سُوءِ الْأَثَرِ صَنْعًا، كُلِّهِمْ قَدْ أَسْهَلَ لَطَاعَتِي وَسَوَّعَ إِلَى الدُّخُولِ فِي أَمْرِي، وَقَدْ بَطَأَ بِكَ مَا بَطَأَ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ يَمْحُ عَنْكَ سَالِفَ ذُنُوبِكَ وَمَحَى دَاثَرَ ⁽¹⁾ حَسَنَاتِكَ، وَلِعَلِّي لَا أَكُونُ لَكَ نُونٌ مِنْ كَانَ قَبْلِي إِنْ أَبْقَيْتَ وَاتَّقَيْتَ وَوَقَيْتَ وَأَحْسَنْتَ، فَاقْدِمْ عَلَيَّ آمِنًا فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَحْفُوظًا مِنْ حَسَدِ الْقُلُوبِ وَإِحْنِ الصُّدُورِ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

فَلَمْ يَقْدَمْ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ، فَبِعِثَ إِلَيْهِ مِنْ قَتْلِهِ وَجَاءَ رَأْسُهُ، وَبِعِثَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ.

فَوَضَعَ فِي حَرْوِهَا، فَقَالَتْ: سَتَرْتُمُوهُ عَنِّي طَوِيلًا، وَأَهْدَيْتُمُوهُ إِلَيَّ قَتِيلًا، فَأَهْلًا وَسَهْلًا مِنْ هَدِيَّةٍ غَيْرِ قَالِيَةٍ وَلَا مَقْلِيَةٍ! بَلَغَ أَيْهَا

الرسول عني معاوية ما أقول: طلب الله بدمه، وعجل الويل من نقمه، فقد أتى أمرا فريا وقتل برا تقيا، فأبلغ أيها الرسول معاوية ما قلت.

فبلغ الرسول ما قالت.

(1) في البحار: " ونحى دائر ".

(2) في البحار: " وعجل له الويل من نقمه "

الصفحة 91

فبعث إليها، فقال لها: أنت القائلة ما قلت؟ قالت: نعم غير ناكلة عنه ولا معتذرة منه. قال لها: اخرجي من بلادي، قالت: أفعل فوالله ما هو لي بوطن ولا أحن فيها إلى سجن⁽¹⁾ ، ولقد طال بها سهوي، واشتد بها عوي، وكثر فيها ديني من غير ما قوت به عيني.

فقال عبد الله بن أبي سوح الكاتب: يا أمير المؤمنين إنها منافقة فألحقها بزوجها، فنظرت إليه، فقالت: يا من بين لحبيه كجثمان الضفدع ألا قتلت من أنعمك خلعا وأصفاك كساء، إنما المرق المنافق من قال بغير الصواب واتخذ العباد كالآرباب فأقول كفه في الكتاب.

فلوما معاوية إلى الحاجب بإخواجه، فقالت: واعجابه من ابن هند!

يشير إلي ببنانه ويمنعني نوافذ لسانه، أما والله لأبقونه بكلام عتيد كقواعد⁽²⁾ الحديد أو ما أنا بآمنة بنت الشريد^{(3) (4)} .

(346)

زينب عليها السلام وزيد

روى الشيخ الصدوق عن مشايخ بني هاشم وغوهم من الناس: أنه لما دخل علي بن الحسين عليهما السلام وحرمه على زيد وجئ وأس الحسين ووضع بين يديه في طست، فجعل يضرب ثناياه بمخضرة كانت في يده، وهو يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحي قل

(1) في البحار: " إلا شجن ".

(2) في البحار: " كفوافذ ".

(3) في البحار: " بنت الرشيد ".

(4) الاختصاص: ص 16 ، والبحار: ج 8 ص 673 ط الكمباني عنه. وراجع قاموس الرجال: ج 10 ص 377 و ج 7

ص 142. وقد مر ج 1 ص 405

الصفحة 92

ليت أشياخي ببدر شهوا * خزع الخزعج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فوحا * ولقالوا يا زيد لا تشل

فجزيناه ببدر مثله * فأقمنا مثل بدر واعتدل

لست من خندف إن لم أنتقم * من بني أحمد ما كان فعل

فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب - وأما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله - وقالت:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على جدي سيد المرسلين، صدق الله سبحانه كذلك يقول: " ثم كان عاقبة الذين أسؤوا
السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون " أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وضيقنا علينا آفاق السماء
فأصبحنا لك في إيسار نساق إليك سوقا في قطار وأنت علينا ذو اقتدار أن بنا من الله هوانا وعليك منه كرامة وامتنانا؟ وأن ذلك
لعظم خطوك وجلالة قورك؟ فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك تضرب أصدريك فوحا وتتفض منزويك موحا، حين رأيت
الدنيا لك مستوسقة والأمور لديك متسقة، وحين صفا لك ملكنا وخلص لك سلطاننا، فمهلا مهلا! لا تطش جهلا، أنسيت قول الله
عز وجل: " ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خزا لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدانوا إثما ولهم عذاب مهين " .

أمن العدل يا ابن الطلقاء! تخديرك حواثك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا؟ قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن،
تحوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد، وتستشفهن أهل المناقل، ويتبرزن لأهل المناهل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد
والغائب والشهيد والشريف والوضيع والدني والوفيع، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حميم (حمي خ) عتوا منك
على الله، وجحودا لرسول الله، ودفعوا لما جاء به من عند الله، ولا غرو منك

الصفحة 93

ولا عجب من فعلك.

وأنى يوتجى مراقبة من لفظ فره أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء، ونصب الحرب لسيد الأنبياء، وجمع الأخواب
وشهر الحواب، وهز السيوف في وجه رسول الله، أشد العرب لله جحودا، وأنكرهم له رسولا، وأظهروهم له عنوانا، وأعتاهم
على الرب كفا وطغيانا، ألا إنها نتيجة خلال الكفر، وضب يجرجر في الصدر لقتلى يوم بدر، فلا يستبطئ في بغضنا أهل
البيت من كان نظره إلينا شنفا وشنانا وإحنا وأضغانا، يظهر كفه برسوله، ويفصح ذلك بلسانه، وهو يقول فوحا بقتل ولده وسبي
نويته غير متحوب ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فوحا * ولقالوا: يا يزيد لا تشل

منتحيا على ثنايا أبي عبد الله، وكان مقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ينكتها بمخصوته قد التمع السرور بوجهه.
لعوي لقد نكأت القوحة واستأصلت الشأفة بلأقتك دم سيد شباب أهل الجنة وابن يعسوب العرب وشمس آل عبد المطلب،
وهتفت بأشياخك وتقربت بدمه إلى الكوفة من أسلافك، ثم صرخت بندائك، ولعوي لقد ناديتهم لو شهودك، وشيكا تشهدهم
ولن يشهدوك ولتود يمينك كماز عمت شلت بك عن موقفها وجذت، وأحببت أمك لم تحملك وأباك لم يلدك حين تصير إلى
سخط الله ومخاصمك رسول الله.

اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا ونفص ذملنا ، وقتل حماتنا، وهتك عنا سدولنا.
وفعلت فعلتك التي فعلت، وما فريت إلا جلدك، وما جزرت إلا لحمك،

(1) في البحار: " ونقص دماننا "

الصفحة 94

وسؤد على رسول الله بما تحملت من نريته وانتهكت من حرمته وسفكت من دماء عقوته ولحمته، حيث يجمع به شملهم
ويلم به شعثهم وينتقم من ظالمهم ويأخذ لهم بحقهم من أعدائهم، فلا يستقونك الفوح بقتله، " ولا تحسبن الذي قتلوا في سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فحين بما آتاهم الله من فضله " وحسبك بالله وليا وحاكما، ورسول الله خسيما، وبجبرئيل
ظهوا، وسيعلم من بؤأك (سولك) ومكنك من رقاب المسلمين أن بئس للظالمين بدلا وأنكم شر مكانا وأضل سبيلا.
وما استصغري قترك ولا استعظامي تقريعك توهما لانتجاع الخطاب فيك بعد أن توكت عيون المسلمين عوى وصدرهم
عند ذكوه حوى، فتلك قلوب قاسية، ونفوس طاغية، وأجسام محشوة بسخط الله ولعنة الرسول، قد عشش فيه الشيطان وفوخ
ومن هناك مثلك ما هوج ونهض.

فالعجب كل العجب! لقتل الأتقياء وأسباط الأنبياء وسليل الأوصياء بأيدي الطلقاء الخبيثة ونسل العهدة الفجرة، تتطف أكفهم
من دماننا، وتتقلب أفواههم من لحومنا، وتلك الجثث الواكية على الجيوب (الجيون خ) الضاحية، تتنابها العواسل وتعفوها
الواعر (وتعفوها أمهات الفواعل خ ل) فلئن اتخذتنا مغنما لتتخذنا وشيكا مغوما، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، وما الله
بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى والمعول، وإليه الملجأ والمؤمل.

ثم كد كيدك واجهد جهدك، فوالذي شرفنا بالوحي والكتاب والنوّة والانتخاب لا تترك أمدنا ولا تبلغ غايتنا ولا تمحو ذكرنا،
ولا يرحض عنك علنا، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي: " ألا لعن الله الظالم العادي "
والحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة، وختم لأصفيائه بالشهادة ببلوغ الإادة، نقلهم إلى الرحمة والوفاء و الوضوان والمغفرة،
ولم يشق بهم غيرك، ولا ابتلي بهم سواك، ونسأله أن يكمل

الصفحة 95

لهم الأجر ويجزل لهم الثواب والذخر، ونسأله حسن الخلافة وجميل الانابة، إنه رحيم ودود.

فقال يزيد:

(1) يا صيحة تحمد من صوائح * ما أهون الموت على الفوائح

(347)

زينب عليها السلام ويؤيد

الطوي: عن فاطمة بنت علي عليه السلام قالت: لما أجلسنا بين يدي يزيدرق لنا. ثم إن رجلا من أهل الشام أحمر قام إلى

يزيد، فقال: هب لي هذه - يعني - فلرعدت وفوقت وأخذت بثياب أختي زينب - وكانت تعلم أن ذلك لا يكون - فقالت: كذبت والله ولؤمت! ما ذلك لك ولا له.

فغضب يزيد، فقال: كذبت! إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلت، قالت: كلا والله! ما جعل الله ذلك لك إلا تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا.

فغضب واستطار، ثم قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك.

قال: كذبت يا عوة الله! فقالت: أنت أمير مسلط تشتم ظالما وتقهر بسلطانك.

فكأنه استحيى فسكت.

نقله الإرشاد واللهوف لكن بدلا " فاطمة بنت علي " بفاطمة بنت

(1) الاحتجاج: ج 2 ص 34. وراجع قاموس الرجال: ج 10 ص 450. وحياة الحسين: ج 3 ص 380 عن أعلام النساء: ج 2 ص 504 وبلاغات النساء ص 21. ومقتل الخوارج: ج 2 ص 64.

والسيدة زينب. وأخبار الزينبيات: ص 86. والحدائق الوردية: ج 1 ص 129 - 131 واللهوف: ص 79.

والبحار: ج 45 ص 133 و 157



الحسين عليه السلام، والظاهر أن الصواب الأول، لكونه الأصل⁽¹⁾.

(348)

زينب عليها السلام وأهل الكوفة

قال بشير بن خزم الأسدي: نظرت إلى زينب بنت علي عليه السلام يومئذ (في الكوفة) ولم أر خفة أنطق والله منها، كأنها توغ من لسان أمير المؤمنين عليه السلام وقد أومأت إلى الناس: أن اسكتوا! فارتدت الأنفاس وسكنت الأجواس، ثم قالت: الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار. أما بعد، يا أهل الكوفة! يا أهل الختل والغدر! أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، تتخنون أيمانكم دخلا بينكم. ألا وهل فيكم إلا الصلف والنطف والصدر الشنف وملق الإمام وغمز الأعداء؟ أو كموعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون؟ إي والله! فابكوا كثوا واضحكوا قليلا، فلقد ذهبتم بعلمها وشنلها، ولن تحضوها بغسل بعدها أبدا، وأنى تحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وملاذ خيرتكم وموعد نزلتكم ومنار حجتكم وموهة سنتكم، ألا ساء ما تتررون، وبعدا لكم وسحقا، فلقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة، ويؤثم بغضب من الله، وضوبت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة! أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ وأي حرمة له انتهكتكم؟ ولقد جئتم بها صلعا

(1) قاموس الرجال: ج 10 ص 448. والاحتجاج: ج 2 ص 38

عنقاء خرقاء شوهاء كطلاع الأرض أو ملاء السماء، أفعجبتكم أن مطرت السماء دما؟ ولعذاب الآخرة أخرى وأنتم لا تتصرون.

فلا يستخفنكم المهمل، فإنه لا يخفه البدار ولا يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمصاد.

قال الولي: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيلى بيبكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، الحديث⁽¹⁾.

(349)

زينب عليها السلام وابن زياد

في الطوي والإرشاد والتهوف - واللفظ للأخير -: جلس ابن زياد في القصر للناس وأذن إذنا عاما، وجئ وأس الحسين

عليه السلام فوضع بين يديه وأدخل نساء الحسين عليه السلام وصبياناه إليه، فجلست زينب بنت علي عليه السلام.

فأقبل عليها، فقال: الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أحنوثكم، فقالت:

إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا.

فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت:

مارأيت إلا جميلاً! هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فيرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحتاج وتخاصم،

فانظر لمن يكون الفلج يومئذ هبلك أمك يا ابن مرجانة! فغضب ابن زياد، وكأنه هم بها، فقال له عمرو بن حريث: إنها امرأة

والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها، فقال ابن زياد: لقد شفى

(1) قاموس الرجال: ج 10 ص 448 عن اللهوف. وراجع الاحتجاج: ج 2 ص 29 - 30 . والمناقب لابن شهر آشوب: ج 2 ص 226 الطبع الحجري والبحار: ج 45 ص 108 عن اللهوف وص 163 عن الاحتجاج / 164 عن مجالس المفيد. وأمالى الشيخ رحمه الله: ج 1 ص 90. وحياة الحسين عليه السلام:

ج 3 ص 335 عن مقتل الحسين للمقوم. ونور الأبصار للشبلنجي: ص 167. وبلاغات النساء: ص 23، إلا أنه رواها لأُم

كلثوم عليها السلام

الصفحة 98

الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المودة من أهل بيتك، فقالت: لعوي!

لقد قتلت كهلي، وقطعت فوعي، واجتثت أصلي، فإن كان هذا شفاك فقد اشتقيت.

فقال ابن زياد: هذه سجاعة ولقد كان أبوك شاعوا سجاعا، فقالت:

يا ابن زياد ما للمرأة والسجاعة.

وزاد الطوي إن لي عن السجاعة لشغلا، ولكن نفثي ما أقول⁽¹⁾.

(350)

أم سلمة وعائشة

قال أبو مخنف: جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبي أمية أنت أول

مهاجرة من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وأنت كبوة أمهات المؤمنين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا من

بيتك، وكان جبرئيل أكثر ما يكون في متوك.

فقالت أم سلمة: لأمر ما قلت هذه المقالة؟ فقالت عائشة: إن عبد الله أخواني أن القوم استتابوا عثمان، فلما تاب قتلوه صائما

في شهر حرام! وقد عومت على الخروج إلى البصرة ومعني الزبير وطلحة، فأخرجني معنا لعل الله أن يصلح هذا الأمر على

أيدينا وبنا.

فقالت أم سلمة: إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك إلا نعتلا! وإنك

لتعوفين مقولة علي بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله، أفأذكرك؟ قالت: نعم.

قالت: أذكركين يوم أقبل عليه السلام ونحن معه حتى إذا هبط من قديد

(1) قاموس الرجال: ج 10 ص 451 - 452 عنهم. وحياة الحسين: ج 3 ص 344 - 345 عن المنتظم: ج 5 ص 98. ومقتل أبي مخنف: ص 104 بنحو آخر. ومحادثات النساء: ص 108

الصفحة 99

ذات الشمال، خلا بعلي يناجيه فأطال، فلردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعت

باكية، فقلت: ما شأنك؟

فقلت: إني هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام، أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله علي وهو غضبان محمر الوجه، فقال: " رجعي وراءك! والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غوهم من الناس إلا وهو خرج من الإيمان " فوجعت نادمة ساقطة؟ قالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت: وأذكرك أيضا: كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيس له حيسا - وكان الحيس يعجبه - فوفر رأسه وقال: " يا ليت شعري! أيتكن صاحبة الجمل الأذنب تتبجحها كلاب الحوآب فتكون ناكبة عن الصواب " فرفعت يدي من الحيس، فقلت: أعوذ بالله ورسوله من ذلك! ثم ضوب على ظهرك وقال: " إياك أن تكونيها! " ثم

قال:

" يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها! يا حمواء أما أنا فقد أنذرتك! " قالت عائشة: نعم أذكر هذا.

قالت: وأذكرك أيضا: كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر له وكان علي يتعاهد نعلي رسول الله صلى الله عليه وآله فيخصفها، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل، فأخذها يومئذ يخصفها، وقعد في ظل سورة. وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحادثانه فيما أراد. ثم قالوا: يا رسول الله إنا لا ننوي قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون بعدك مؤعا؟ فقال لهما: " أما إني قد رى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسوئيل عن هارون بن عمران " فسكتا ثم خرجا. فلما خرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قلت له - وكنت أحرأ عليه منا - من كنت يا رسول الله مستخلفا عليهم؟ فقال: " خاصف النعل "

الصفحة 100

فنظرونا فلم نر أحدا إلا عليا، فقلت: يا رسول الله ما رى إلا عليا، فقال: هو ذاك. فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

فقلت: فأني خرجت تخرجين بعد هذا؟ فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله! فقالت: أنت

ورأيك.

(1) فانصرفت عائشة عنها وكتبت أم سلمة بما قالت وقيل لها إلى علي عليه السلام .

أبو سعيد الخوري وأبو هارون العبدى

عن أبي هارون العبدى، قال: كنت رى رأى الخورج لارأى لي غوه، حتى جلست إلى أبي سعيد الخوري - رحمه الله - فسمعتة يقول: أمر الناس بخمس، فعملوا برُبع وتوَكَّوا واحدة، فقال له رجل: يا أبا سعيد ما هذه الأربع التي عملوا بها؟ قال: " الصلاة والزكاة والحج وصوم شهر رمضان " قال: فما الواحدة التي تَوَكَّها؟ قال: " ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام " قال الرجل: وأنها المفترضة معهن؟ قال أبو سعيد: نعم ورب الكعبة! قال الرجل: (2) فقد كفر الناس إذن! قال أبو سعيد: فما ذنبى؟

(352)

خطبة أبي ذر

بلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجتمع إليه الناس فيحدث بما فيه الطعن عليه، وأنه وقف بباب المسجد فقال:

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 6 ص 217 - 218. وقاموس الرجال: في ترجمة أم سلمة عنه. وقد مر ص 28 وقد أعدناه لما فيه من الفائدة. وراجع فتوح ابن أعثم: ج 2 ص 281.

(2) البحار: ج 27 ص 102 عن مجالس المفيد رحمه الله، و ج 22 ص 115 عنه أيضا

الصفحة 101

أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفري، أنا جندب بن جنادة الوبذي، " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين نزية بعضها من بعض والله سميع عليم " محمد الصفوة من فوح، فالأول من إوابهم، والسلالة من إسماعيل، والعزة الهادية من محمد، إنه أشرف شريفهم، واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسمااء المرفوعة وكالكعبة المستورة، أو كالقبة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر السري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجرة الزيتونى أضاء زيتها وبورك زبدها (زندها خ) ومحمد ولث علم آدم وما فضلت به النبيون، وعلي بن أبي طالب وصي محمد وورث علمه.

أيها الأمة المتحورة! أما لو قدمتم من قدم الله وأخرتم من أخر الله وأقرتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فوائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه، فأما إذ فعلتم ما فعلتم فتوقروا وبال أمركم " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون "

(1)

(353)

ابن أذينة وابن أبي ليلي

روينا عن عمر بن أذينة - وكان من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام - أنه قال: دخلت يوما على عبد الرحمن بن أبي ليلى بالكوفة وهو

(1) تاريخ يعقوبي: ج 2 ص 171 والاحتجاج: ج 1 ص 228. وكنز الفوائد للكراكي ص 282، وفيهما أنها كانت في مكة وهو أخذ بحلقة باب الكعبة. والبحار: ج 27 ص 320 عن تفسير فرات. وقد مر نبذ منها عن الغدير راجع ص 16. والبحار: ج 23 ص 120 و 121 و 123 و 135 بأسانيد متعددة. وأمالى الشيخ: ج 1 ص 96

الصفحة 102

قاض، فقلت: أردت - أصلحك الله - أن أسألك عن مسائل (وكنيت حديث السن) فقال: سل يا ابن أخي عما شئت. فقلت: أخبرني عنكم معاشر القضاة ترد عليكم القضية في المال والفج والدم، فتقضي أنت فيها وأيك، ثم ترد تلك القضية بعينها على قاضي مكة فيقضي فيها بخلاف قضيتك، وترد على قاضي البصرة وقضاة اليمن وقاضي المدينة فيقضون فيها بخلاف ذلك، ثم تجتمعون عند خليفتم الذي استقضاكم فتخبرونه باختلاف قضاياكم فيصوب قول كل واحد منكم! وإلهم واحد ونبيلكم واحد ودينكم واحد، أفأمركم الله عز وجل بالاختلاف فأطعتموه؟ أم نهاكم عنه فعصيتهم؟ أم كنتم شركاء الله في حكمه فلکم أن تقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أقول الله ديننا ناقصا فاستعان بكم على إتمامه؟ أم أقوله الله تاما فقصر رسول الله صلى الله عليه وآله عن أدائه؟ أم ماذا تقولون؟

فقال: من أنت يا فتى؟ قلت: من أهل البصرة. قال: من أيها؟ قلت: من عبد القيس. قال: من أيهم؟ قلت: من بني أذينة. قال: ما قابتك من عبد الرحمن بن أذينة؟ قلت: هو جدي، فحب بي وقوبني، وقال: أي فتى! لقد سألت فغلظت، وانهمكت فعوصت، وسأخوك إن شاء الله.

أما قولك في اختلاف القضايا: فإنه ما ورد علينا من أمر القضايا مما له في كتاب الله أصل وفي سنة نبيه فليس لنا أن نعدو الكتاب والسنة، وما ورد علينا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فإننا نأخذ فيه وأينا.

قلت: ما صنعت شيئا، لأن الله عز وجل يقول: " ما فرطنا في الكتاب من شيء " وقال: " فيه تبيان كل شيء " رأيت لو أن رجلا عمل بما أمره الله وانتهى عما نهاه الله عنه أبقي الله شيء يعذبه عليه إن لم يفعله أو يثيبه عليه إن فعله؟ قال: وكيف يثيبه على ما لم يأمره به أو يعاقبه على ما لم ينه عنه!.

قلت: وكيف يرد عليك من الأحكام ما ليس له في كتاب الله أثرولا في

الصفحة 103

سنة نبيه خبر؟ قال: أخوك يا ابن أخي حديثا حدثناه بعض أصحابنا، يرفع الحديث إلى عمر بن الخطاب: أنه قضى قضية بين رجلين، فقال له أدنى القوم إليه مجلسا: أصبت يا أمير المؤمنين، فعلاه عمر بالوة وقال: تكلتك أمك! والله ما يوري عمر أصاب أم أخطأ، إنمارأي اجتهدته، فلا تكونا في وجهنا.

قلت: أفلا أحدثك حديثا؟ قال: وما هو؟.

قلت: أخبرني أبي، عن أبي القاسم العبدى، عن أبان، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: " القضاة ثلاثة: هالكان

وناج، فأما الهالكان فجائر جار متعمدا ومجتهد أخطأ، والناجي من عمل بما أمره الله به " فهذا نقض حديثك يا عم!.

قال: أجل والله يا ابن أخي! فتقول: إن كل شيء في كتاب الله؟ قلت:

الله قال ذلك، وما من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى إلا وهو في كتاب الله، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله، ولقد

أخونا عز وجل فيه بما لا نحتاج إليه فكيف بما نحتاج إليه؟.

قال: كيف قلت؟ قلت: قوله: " فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها " قال: فعند من يوجد علم ذلك؟ قال: عند من عرفت.

قال: وددت لو أني عرفته فأغسل قدميه وأخدمه وأتعلم منه.

قلت: أناشدك الله هل تعلم رجلا كان إذا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاه وإذا سكت عنه ابتدأ؟ قال: نعم ذلك علي

بن أبي طالب عليه السلام، قلت: فهل علمت أن عليا سأل أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عن حلال أو حرام؟

قال: لا، قلت: فهل علمت أنهم كانوا يحتاجون إليه ويأخذون عنه؟ قال: نعم، قلت: فذلك عنده.

قال: فقد مضى فأين لنا به؟ قلت: تسأل في ولده، فإن ذلك العلم فيهم وعندهم.

الصفحة 104

قال: وكيف لي بهم؟ قلت: رأيت قوما كانوا في مفرة من الأرض ومعهم أدلاء، فوثبوا عليهم فقتلوا بعضهم وأخافوا

بعضهم فهرب واستتر من بقي لخوفه، فلم يجنوا من يدلهم فتأهوا في تلك المفرة حتى هلكوا، ما تقول فيهم؟

قال: إلى النار.

واصفر وجهه، وكانت في يده سفجلة فضوب بها الأرض فتهشمت، وضرب بين يديه وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! (1).

(354)

الأعمش وأبو حنيفة وابن قيس

عن شريك، قال: بعث إلينا الأعمش وهو شديد المرض، فأتيناه وقد اجتمع عنده أهل الكوفة - وفيهم أبو حنيفة وابن قيس

الماصر - فقال لابنه:

يا بني أجلسني، فأجلسه، فقال: يا أهل الكوفة! إن أبا حنيفة وابن قيس الماصر أتياني فقالا: إنك قد حدثت في علي بن أبي

طالب عليه السلام أحاديث، فلرجع عنها فإن التوبة مقبولة ما دامت الروح في البدن، فقلت لهما: مثلكما يقول لمثلي هذا!

أشهدكم يا أهل الكوفة إني في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، إني سمعت عطاء بن رباح يقول: سألت

رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله عز وجل: " ألقيا في جهنم كل كفار عنيد " فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "

أنا وعلي نلقي في جهنم كل من عادانا ".

(2)

فقال أبو حنيفة لابن قيس: قم بنا لا يجئ بما هو أعظم من هذا، فقاما وانصرفا .

(355)

الأعمش وهشام بن عبد الملك

في حياة الحيوان للدموي (في عنوان الشاة): أن هشام بن عبد الملك بعث إلى الأعمش: أن اكتب إلي بمناقب عثمان ومسئول علي.

فأخذ الأعمش القوطاس أدخله في فم شاة فلاكنه، وقال للرسول: قل له: هذا جوابه!.

فذهب الرسول، ثم عاد وقال: إنه آلى أن يقتلني إن لم آته بالجواب، وتحيل عليه بإخوته، فقالوا: أفده من القتل. فلما ألحوا عليه كتب إليه:

أما بعد، فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كان لعلي مسؤي أهل الأرض ما ضوتك، فعليك بخويصة نفسك، والسلام (1).

(356)

هشام وضوار

سأل ضوار هشام بن الحكم عن الدليل على الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله.

فقال هشام: الدلالة عليه ثمان دلالات: أربعة منها في نعت نسبه، وأربعة في نعت نفسه.

أما الأربعة التي في نعت نسبه: فأن يكون معروف القبيلة، معروف الجنس، معروف النسب، معروف البيت.

وذلك أنه إذا لم يكن معروف القبيلة معروف الجنس معروف النسب معروف البيت، جاز أن يكون في أطراف الأرض

وفي كل جنس من الناس.

(1) قاموس الرجال: ج 4 ص 495. وسيأتي ج 3 ص 188 عن وفيات الأعيان

فلما لم يجز أن يكون إلا هكذا ولم نجد جنسا في العالم أشهر من جنس محمد صلى الله عليه وآله وهو جنس العرب الذي منه صاحب الملة والدعوة الذي ينادى باسمه في كل يوم وليلة خمس موات على الصوامع والمساجد في جميع الأماكن " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله "، ووصلت دعوته إلى كل بر وفاجر من عالم وجاهل معروف غير منكر في كل يوم وليلة، فلم يجز أن يكون الدليل [إلا] في أشهر الأجناس. ولما لم يجز أن يكون إلا في هذا الجنس لشهرته، لم يجز إلا أن يكون في هذه القبيلة التي منها صاحب الملة دون سائر القبائل من العرب. ولما لم يجز إلا أن يكون في هذه القبيلة التي منها

صاحب الدعوة لاتصالها بالملة، لم يجز إلا أن يكون في هذا البيت الذي هو بيت النبي صلى الله عليه وآله لقب نسبه من النبي صلى الله عليه وآله إشارة إليه دون من أهل بيته.

ثم إن لم يكن إشارة إليه اشترك أهل هذا البيت وادعيت فيه، فإذا وقعت الدعوة فيه وقع الاختلاف والفساد بينهم، ولا يجوز إلا أن يكون من النبي صلى الله عليه وآله إشارة إلى رجل من أهل بيته دون غيره لئلا يختلف فيه أهل هذا البيت أنه أفضلهم وأعلمهم وأصلحهم لذلك الأمر.

وأما الأربعة التي في نعت نفسه: فأن يكون أعلم الخلق، وأسخى الخلق وأشجع الخلق، وأعف الخلق وأعصمهم من الذنوب صغورها وكبرها، لم تصبه فترة ولا جاهلية، ولا بد أن يكون في كل زمان قائم بهذه الصفة إلى أن تقوم الساعة.

فقال عبد الله بن يزيد الأباضي وكان حاضوا: من أين زعمت يا هشام أنه لا بد أن يكون أعلم الخلق؟ قال: إن لم يكن عالما [لم] يؤمن أن ينقلب شوائعه وأحكامه، فيقطع من يجب عليه الحد ويحد من يجب عليه القطع، وتصديق ذلك قول الله عز وجل: " أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا

الصفحة 107

أن يهدي فما لكم كيف تحكمون ".
قال: فمن أين زعمت أنه لا بد أن يكون معصوما من جميع الذنوب؟ قال:
إن لم يكن معصوما لم يؤمن أن يدخل فيما دخل فيه غيره من الذنوب، فيحتاج إلى من يقيم عليه الحد كما يقيمه على غيره، وإذا دخل في الذنوب لم يؤمن أن يكتم على جله وحبيبه وقريبه وصديقه، وتصديق ذلك قول الله عز وجل:
" إني جاعلك للناس إماما قال ومن نريتني قال لا ينال عهدي الظالمين ".
قال: فمن أين زعمت أنه أشجع الخلق؟ قال: لأنه قيمهم الذي رجعون إليه في الحرب، فإن هرب فقد باء بغضب من الله، ولا يجوز أن ييؤ الإمام بغضب من الله، وذلك قول الله عز وجل: " وإذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دونه إلا متحرفا لقتال أو متحزوا إلى فئة فقد باء بغضب من الله وموآه جهنم وبئس المصير ".
قال: فمن أين زعمت أنه لا بد أن يكون أسخى الخلق؟ قال: لأنه إن لم يكن سخيا لم يصلح للإمامة، لحاجة الناس إلى نواله وفضله والقسمة بينهم بالسوية، ليجعل الحق في موضعه، لأنه إذا كان سخيا لم تتق نفسه إلى أخذ شيء من حقوق الناس والمسلمين، ولا يفضل نصيبه في القسمة على أحد من رعيته، وقد قلنا: إنه معصوم.

فإذا لم يكن أشجع الخلق وأعلم الخلق وأسخى الخلق وأعف الخلق لم يجز أن يكون إماما ⁽¹⁾.

(357)

هشام وابن أبي عمير

عن ابن أبي عمير، قال: ما سمعت ولا استفتدت من هشام بن الحكم في

طول صحبتي إياه شيئا أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام، فإني سألته يوما عن الإمام أهو معصوم؟ قال: نعم، قلت له: فما صفة العصمة فيه؟

وبأي شيء تعرف؟ قال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها:

الحرص والحسد والغضب والشهوة، فهذه منتقية عنه.

لا يجوز أن يكون حريصا على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه، لأنه خلن المسلمين فعلى ماذا يحرص؟

ولا يجوز أن يكون حسودا، لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد، فكيف يحسد من هو دونه؟

ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل، فإن الله قد فرض عليه إقامة الحدود، وأن لا

تأخذه في الله لومة لائم ولا رافة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل.

ولا يجوز أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة، لأن الله عز وجل حبيب إليه الآخرة كما حبيب إلينا الدنيا، فهو ينظر

إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا، فهل رأيت أحدا ترك وجهها حسنا لوجه قبيح، وطعاما طيبا لطعام مر، وثوبا لينا لثوب خشن،

ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟⁽¹⁾

(358)

الربيع وعبد الله بن الحسن

عن الربيع بن عبد الله، قال: وقع بيني وبين عبد الله بن الحسن كلام في الإمامة، فقال عبد الله بن الحسن: إن الإمامة في

ولد الحسن والحسين عليهما السلام، فقلت: بلى هي في ولد الحسين إلى يوم القيامة نون ولد الحسن.

فقال لي: وكيف صلت في ولد الحسين نون ولد الحسن عليهما السلام.

وهما سيذا شباب أهل الجنة وهما في الفضل سواء، إلا أن للحسن على الحسين فضلا بالكبر، وكان الواجب أن تكون

الإمامة إذن في ولد الأفضل؟

فقلت له: إن موسى وهارون كانا نبيين موسلين، وكان موسى أفضل من هارون، فجعل الله عز وجل النبوّة والخلافة في

ولد هارون نون ولد موسى، وكذلك جعل الله عز وجل الإمامة في ولد الحسين نون ولد الحسن ليجري في هذه الأمة سنة من

قبلها من الأمم حذو النعل بالنعل، فما أحببت في أمر موسى وهارون عليهما السلام بشيء فهو جوابي في أمر الحسن والحسين

عليهما السلام، فانقطع.

ودخلت على الصادق عليه السلام، فلما بصر بي قال لي: أحسنت يا ربيع!
(1) فيما كلمت به عبد الله بن الحسن، ثبتك الله .

(359)

شيوعي وناصبي

قال ناصبي لشيوعي: أتحب أم المؤمنين؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: يقول النبي صلى الله عليه وآله: لم تجد امرأة غير امرأتي تحبها؟ ما لي ولزوجة النبي صلى الله عليه وآله! أفترضى أن أحب امرأتك؟
(2)

(360)

المفيد والسائل

قال الشيخ السعيد المفيد - قدس الله روحه - في المسائل السروية في جواب من سأل عن تزويج النبي صلى الله عليه وآله ابنته زينب ورقية من عثمان،

(1) البحار: ج 25 ص 258 - 259 عن علل الشرائع.

(2) البحار: ج 22 ص 246 . وزهر الوبيع: ص 58 و 259

الصفحة 110

قال - رحمه الله - (بعد إيراد بعض الأجوبة عن تزويج أمير المؤمنين عليه السلام بنته من عمر): وليس ذلك بأعجب من قول لوط: " هؤلاء بناتي هن أظهر لكم " فدعاهم إلى العقد عليهم لبناته وهم كفار ضلال قد أذن الله تعالى في هلاكهم، وقد زوج رسول الله صلى الله عليه وآله ابنتيه قبل البعثة كافرين يعبدان الأصنام، أحدهما عتبة بن أبي لهب، والآخر أبو العاص بن الربيع، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله فوق بينهما وبين ابنتيه، فمات عتبة على الكفر، وأسلم أبو العاص، فودها عليه بالنكاح الأول، ولم يكن صلى الله عليه وآله في حال من الأحوال كافراً ولا مالياً لأهل الكفر، وقد زوج من يتوأ من دينه وهو معاد له في الله عز وجل، وهما اللذان زوجهما عثمان بعد هلاك عتبة وموت أبي العاص، وإنما زوجه النبي صلى الله عليه وآله على ظاهر الإسلام، ثم إنه تغير بعد ذلك، ولم يكن على النبي صلى الله عليه وآله تبعة فيما يحدث في العاقبة. هذا على قول بعض أصحابنا، وعلى قول فريق آخر: إنه زوجه على الظاهر وكان باطنه مستورا عنه، ويمكن أن يستتر الله عن نبيه صلى الله عليه وآله نفاق كثير من المنافقين، وقد قال الله سبحانه: " ومن أهل المدينة موروا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم " فلا ينكر أن يكون في أهل مكة كذلك، والنكاح على الظاهر دون الباطن.

وأيضاً يمكن أن يكون الله تعالى قد أباحه مناكرة من يظاهر الإسلام وإن علم من باطنه النفاق، وخصه بذلك ورخص له فيه، كما خصه في أن يجمع بين أكثر من رُبْع حوائر في النكاح، وأباحه أن ينكح بغير مهر، ولم يحظر عليه المواصله في

الصيام ولا الصلاة بعد قيامه من النوم بغير وضوء، وأشباه ذلك مما خص به وحظر على غوه من عامة الناس.

فهذه أجوبة ثلاثة عن ترويح النبي صلى الله عليه وآله عثمان، وكل

الصفحة 111

(1)

واحد منها كاف بنفسه مستغن عما سواه، والله الموفق للصواب.. .

(361)

الإمام الصادق عليه السلام وولد العباس

توفي مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله لم يخلف ورثاً، فخاصم فيه ولد العباس أبا عبد الله عليه السلام وكان هشام بن

عبد الملك قد حج في تلك السنة، فجلس لهم.

فقال داود بن علي: الولاء لنا، وقال أبو عبد الله عليه السلام: بل الولاء لي.

فقال داود بن علي: إن أباك قاتل معاوية، فقال: إن كان أبي قاتل معاوية فقد كان حظ أبيك فيه الأوفر، ثم فر بجنايته وقال:

لأطونك غدا طوق الحمامة. فقال داود بن علي: كلامك هذا أهون علي من بعوة في وادي الأزرق، فقال: أما إنه واد ليس لك

ولا لأبيك فيه حق. قال: فقال هشام:

إذا كان غدا جلست لكم فلما أن كان من الغد خرج أبو عبد الله عليه السلام ومعه كتاب في كرباسة، وجلس لهم هشام،

فوضع أبو عبد الله عليه السلام الكتاب بين يديه.

فلما أن قرأ قال: ادعوا لي جندل الخواعي وعكاشة الضموي - وكانا شيخين قد أتركا الجاهلية - فومى بالكتاب إليهما،

فقال: تعرفان هذه الخطوط؟

قالا: هذا خط العاص بن أمية، وهذا خط فلان وفلان لقوم فلان من قريش، وهذا خط حرب بن أمية، فقال هشام: يا أبا عبد

الله رى خطوط أجدادي عندكم! فقال: نعم، قال: قد قضيت بالولاء لك.

قال: فخرج وهو يقول:

إن عادت العقوب عدنا لها * وكانت النعل لها حاضرة

(1) البحار: ج 22 ص 164

الصفحة 112

قال: فقلت: ما هذا الكتاب جعلت فداك؟ قال: إن نثيلة كانت أمة لأم الزبير ولأبي طالب وعبد الله، فأخذها عبد المطلب

فأولدها فلانا. فقال له الزبير: هذه الجلية ورثناها من آمنة وابنتك هذا عبد لنا، فتحمل عليه ببطن قريش. قال: فقال له: قد

أجبتك على خلة على أن لا يتصدر ابنك هذا في مجلس ولا يضرب معنا في سهم، فكتب عليه كتاباً وأشهد عليه، فهو هذا

(1)

الكتاب .

سلمان الفارسي ورجل

عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: وقع بين سلمان الفارسي - رحمه الله - وبين رجل كلام وخصومة، فقال له الرجل:

من أنت يا سلمان؟ فقال سلمان: أما أولي وأولك فنطفة قزوة، وأما آخري وآخرك فجيفة منتنة، فإذا كان يوم القيامة ووضعت الموزين، فمن ثقل ميزانه فهو الكريم، ومن خف ميزانه فهو اللئيم⁽²⁾.

سلمان الفارسي وعمر

احتجاج سلمان الفارسي - رضوان الله عليه - على عمر بن الخطاب في جواب كتاب كتبه إليه، كان حين هو عامله على المدائن بعد حذيفة بن اليمان:

بسم الله الرحمن الرحيم من سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عمر بن الخطاب:

(1) البحار: ج 22 ص 270 عن روضة الكافي.

(2) البحار: ج 22 ص 355 عن الأمالي وبهج الصباغة: ج 11 ص 47

أما بعد، فإنه أتاني منك كتاب يا عمر تؤنّبني وتعرّني، وتذكر فيه أنك بعثتني أموا على أهل المدائن، وأموتني أن أقص أثر حذيفة وأستقصي أيام أعماله وسوءه ثم أعلمك قبيحها، وقد نهاني الله عن ذلك يا عمر في محكم كتابه حيث قال: "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فهوهموه وانتقوا الله إن الله تواب رحيم" وما كنت لأعصي الله في أثر حذيفة وأطيعك.

وأما ما ذكرت: أنني أقبلت على سف الخوص وأكل الشعير، فما هما مما يعير به مؤمن ويؤنب عليه، وأيم الله يا عمر! لأكل الشعير وسف الخوص والاستغناء به عن رفيع المطعم والمشوب وعن غصب مؤمن حقه وادعاء ما ليس له بحق أفضل وأحب إلى الله عز وجل وأقرب للتقوى، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصاب الشعير أكل وفوح به ولم

يسخطه.

وأما ما ذكرت: من إعطائي، فإني قدمته ليوم فاقتي وحاجتي، ورب العزة يا عمر! ما أبالي إذا جاز طعامي لهواتي وانساغ في حلقي ألباب البر ومخ المعز كان أو خشلة الشعير.

وأما قولك: إني ضعفت سلطان الله وهنته وأذلت نفسي وامتهنتها حتى جهل أهل المدائن إمرتي واتخذوني جسوا يمشون فوقي ويحملون علي ثقل حملتهم، وزعمت أن ذلك مما يوهن سلطان الله ويذله.

فاعلم: أن التذلل في طاعة الله أحب إلي من التعزز في معصيته وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله يتألف الناس ويتقرب منهم ويتقربون منه في نبوته وسلطانه حتى كأنه بعضهم في الدنو منهم، وقد كان يأكل الجشب ويلبس الخشن وكان الناس عنده قوشيههم وعوبيهم وأبيضهم وأسودهم سواء في الدين.



وأشهد أنني سمعته يقول: " من ولي سبعة من المسلمين بعدي ثم لم يعدل فيهم لقي الله وهو عليه غضبان " فليتني يا عمر أسلم من عملة (1) المدائن مع ما ذكرت أنني أذلت نفسي وامتهنتها، فكيف يا عمر حال من ولي الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإنني سمعت الله يقول: " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ".
 أعلم أنني لم أتوجه أسوسهم وأقيم حدود الله فيهم إلا بلشاد دليل عالم فنهجت فيهم بنهجه وسرت فيهم بسيرته (2).
 وأعلم أن الله تبارك وتعالى لو أراد بهذه الأمة خيراً أو أراد بهم رشداً لولى عليهم أعلمهم وأفضلهم، ولو كانت هذه الأمة من الله خائفين، ولقول نبي الله متبعين، وبالحق عالمين ما سموك أمير المؤمنين، فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، ولا تغتر بطول عفو الله عنك وتمديده بذلك من تعجيل عقوبته.
 وأعلم أنه سيركك عواقب ظلمك في دنياك وآخرك، وسوف تسأل عما قدمت وأخرت، والحمد لله وحده (3).

(364)

أبو ذر بالشام

عن أبي جهضم الأردني، عن أبيه - وكان من أهل الشام - قال: لما سير عثمان أبا ذر من المدينة إلى الشام كان يقص علينا، فيحمد الله فيشهد شهادة الحق، ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله ويقول: أما بعد، فإننا كنا في

(1) في البحار: " إمارة ".

(2) يريد علياً عليه السلام.

(3) البحار: ج 22 ص 360 - 361 عن الاحتجاج ج 1 ص 185

جاهليتنا قبل أن يقول علينا الكتاب ويبعث فينا الرسول، ونحن نوفي بالعهد، ونصدق الحديث (بالحديث خ) ونحسن الجوار، ونؤوي الضيف، ونواسي الفقير، فلما بعث الله تعالى فينا رسول الله وأقول علينا كتابه كانت تلك الأخلاق يرضاها الله ورسوله، وكان أحق بها أهل الإسلام وأولى أن يحفظوها، فلبثوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا.
 ثم إن الولاة قد أحدثوا أعمالاً قباحاً ما نعرفها: من سنة تطفأ، وبدعة تحيي، وقائل بحق مكذب، وأثرة لغير تقي، وأمين مستأثر عليه من الصالحين.

اللهم إن كان ما عندك خيراً لي فاقبضني إليك غير مبدل ولا مغير، وكان يعيد هذا الكلام ويبيده.

فأتى حبيب بن مسلمة معاوية بن أبي سفيان، فقال: إن أبا ذر يفسد عليك الناس بقوله: كيت وكيت، فكتب معاوية إلى

(1)

عثمان، الحديث .

أبو ذر بالشام

عن أبي جهضم، عن أبيه، قال: لما أخرج عثمان أبا ذر الغفري - رحمه الله - من المدينة إلى الشام، كان يقوم في كل يوم فيعظ الناس، ويأمرهم بالتمسك بطاعة الله، ويحذوهم عن ارتكاب معاصيه، ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما سمعه منه في فضائل أهل بيته عليه وعليهم السلام ويحضهم على التمسك بعقوته.

فكتب معاوية إلى عثمان: أما بعد، فإن أبا ذر يصبح إذا أصبح ويمسي إذا أمسى وجماعة من الناس كثير عنده، فيقول: كيت وكيت، فإن كان لك حاجة في الناس قبلي، فأقدم أبا ذر إليك، فإنني أخاف أن يفسد الناس

(1) البحار: ج 22 ص 395

الصفحة 116

عليك، والسلام.

فكتب إليه عثمان: أما بعد، فأشخص إلي أبا ذر حين تنتظر في كتابي هذا، والسلام.

فبعث معاوية إلى أبي ذر، فدعاه وأقواه كتاب عثمان، وقال له: النجا الساعة! فخرج أبو ذر إلى راحلته فشدها بكرها وأنساعها.

فاجتمع إليه الناس، فقالوا له: يا أبا ذر - رحمك الله - أين تريد؟ قال:

أخرجوني إليكم غضبا علي وأخرجوني منكم إليهم الآن عبثا بي، ولا زال هذا الأمر فيما رى شأنهم فيما بيني وبينهم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، ومضى.

وسمع الناس بمخرجه فاتبعوه حتى خرج من دمشق، فسلخوا معه حتى انتهى إلى دير الرمان، فقل وتول معه الناس، فاستقدم فصلى بهم، ثم قال:

أيها الناس! إنني موصيكم بما ينفعكم، وتترك الخطب والتشقيق، احموا الله عز وجل. قالوا: الحمد لله. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فأجابوه بمثل ما قال. فقال: أشهد أن البعث حق وأن الجنة حق وأن النار حق، وأقر بما جاء من عند الله واشهدوا علي بذلك، قالوا: نحن على ذلك من الشاهدين. قال: ليبشر من مات منكم على هذه الخصال برحمة الله وكرامته، ما لم يكن للمهمين ظهورا ولا لأعمال الظلمة مصلحا ولا لهم معينا.

أيها الناس! أجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضبا لله عز وجل إذا عصي في الأرض، ولا توضحوا أئمتكم بسخط الله، وإن أحدثوا ما لا تعرفون فجانوهم وازرؤا عليهم وإن عذبتم وحرمتم وسوتم حتى يرضى الله عز وجل، فإن الله أعلى وأجل لا ينبغي أن يسخط يرضى المخلوقين، غفر الله لي ولكم، استودعكم الله، وأقوا عليكم السلام ورحمة الله.

الصفحة 117

فناداه الناس أن: سلم الله عليك ورحمك يا أبا ذر يا صاحب رسول الله!

ألا نودك إن كان هؤلاء القوم أخرجوك؟ ألا نمنعك؟ فقال لهم: رجعوا رحمكم الله، فإني أصبر منكم على البلوى، وإياكم والفرقة والاختلاف.

فمضى حتى قدم على عثمان، فلما دخل عليه قال له: لا قرب الله بعمرو عينا! فقال أبو ذر: والله ما سمانى أهوى عمروا، ولكن لا قرب الله من عصاه وخالف أمره ورتكب هواه!.

فقام إليه كعب الأحبار، فقال له: ألا تتقي الله يا شيخ تجبه (وتجيب خ ل) أمير المؤمنين بهذا الكلام! فوقع أبو ذر عصا كانت في يده فضوب به رأس كعب، ثم قال له: يا ابن اليهوديين ما كلامك مع المسلمين؟ فوالله ما خرجت اليهودية من قلبك بعد.

فقال عثمان: والله لا جمعتني وإياك دار! قد خرفت وذهب عقلك، أخرجوه من بين يدي تركوه قتب ناقته بغير وطاء، ثم انجو به الناقة وتعتوه حتى توصلوه الربدة، فقلوه بها من غير أنيس حتى يقضي الله فيه ما هو قاض. فأخرجوه متعتعا ملهزا بالعصي، وتقدم ألا يشيعه أحد من الناس.

فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فبكى حتى بل لحيته بدموعه! ثم قال: أهكذا يصنع بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إنا لله وإنا إليه راجعون! ثم نهض ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله ابن العباس والفضل وقتهم وعبيد الله حتى لحقوا أبا ذر فشيّعوه.

فلما بصر بهم أبو ذر - رحمه الله - حن إليهم وبكى عليهم! وقال: بأبي وجوه إذا رأيتها ذكوت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وشملتني البركة برويتها، ثم رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم إني أحبهم ولو قطعت لبا لبا في محبتهم! ما زلت عنها ابتغاء وجهك والدار الآخرة، فلجعوا رحمكم الله، والله أسأل أن

الصفحة 118

(1) يخلفني فيكم أحسن الخلافة، فودعه القوم ورجعوا وهم يبكون على فراقه .

(366)

المقداد وعثمان

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن عثمان قال للمقداد: أما والله لتنتهين أو لأردنك إلى ربك الأول. قال: فلما حضت المقداد الوفاة قال لعمار: أبلغ عثمان عني أنني قد رددت إلى ربي الأول (2) .

(367)

ابن حزم مع المخالفين

عن ابن حزم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني ناظرت قوما فقلت: أستم تعلمون أن رسول الله هو الحجة من الله على الخلق؟ فحين ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجة من بعده؟ فقالوا: القوان.

فنظرت في القَوَانِ فإذا هو يخاصم فيه المرجي والحروري والوندیق الذي لا يؤمن حتى يغلب الرجل خصمه، فعرفت أن القَوَانَ لا يكون حجة إلا بقيم ما قال فيه من شئ كان حقاً. قلت: فمن قيم القَوَانِ؟ قالوا: قد كان عبد الله ابن مسعود وفلان وفلان وفلان يعلم. قلت كله؟ قالوا: لا. فلم أجد أحداً يقال: إنه يعرف ذلك كله إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، وإذا كان الشئ بين القوم وقال هذا: لا أوي وقال هذا: لا أوي وقال هذا: لا أوي وقال هذا: لا أوي، فأشهد أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان قيم القَوَانِ، وكانت طاعته مفروضة، وكان حجة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس كلهم، وأنه عليه السلام ما قال في القَوَانِ فهو حق.

(1) البحار: ج 22 ص 395 - 397 عن مجالس المفيد - رحمه الله -: ص 95 - 98.

(2) البحار: ج 22 ص 438 عن الكافي

الصفحة 119

فقال: رحمك الله!

فقبلت رأسه، وقلت: إن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك رسول الله حجة من بعده، وأن الحجة من بعد علي عليه السلام الحسن بن علي عليه السلام، وأشهد على الحسن بن علي عليهما السلام أنه كان الحجة وأن طاعته مفقوضة.

فقال: رحمك الله!

فقبلت رأسه، وقلت: أشهد على الحسن بن علي عليهما السلام أنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوه، وأن الحجة بعد الحسن الحسين بن علي عليهما السلام وكانت طاعته مفقوضة.

فقال: رحمك الله!

فقبلت رأسه، وقلت: وأشهد على الحسين بن علي عليهما السلام أنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده، وأن الحجة من بعده علي بن الحسين عليهما السلام وكانت طاعته مفقوضة.

فقال: رحمك الله!

فقبلت رأسه، وقلت: وأشهد على علي الحسين أنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده، وأن الحجة من بعده محمد بن علي أبو جعفر عليه السلام وكانت طاعته مفقوضة.

فقال: رحمك الله!

قلت: أصلحك الله أعطني رأسك، فقبلت رأسه، فضحك.

فقلت: أصلحك الله قد علمت أن أباك عليه السلام لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك أبوه، فأشهد بالله أنك أنت الحجة من بعده، وأن طاعتك مفقوضة.

الصفحة 120

فقال: كف رحمك الله!

قلت: أعطني رأسك اقبله، فضحك.

قال: سلني عما شئت فلا أنكرك بعد اليوم أبدا⁽¹⁾.

(368)

أبو عبيدة وسالم بن أبي حفصة

عن أبي عبيدة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك! إن سالم بن أبي حفصة يلقاني فيقول لي: أستم تروون أنه " من مات وليس له إمام فموتته مودة جاهلية "؟ فأقول له: بلى. فيقول لي: قد مضى أبو جعفر عليه السلام فمن إمامكم اليوم؟ فأكوه - جعلت فداك - أن أقول له: جعفر عليه السلام، فأقول: أئمتي آل محمد صلى الله عليه وآله، فيقول لي: ما رأيك صنعت شيئا.

فقال عليه السلام: ويح سالم بن أبي حفصة لعنه الله! وهل يبوي سالم ما مقولة الإمام؟ إن مقولة الإمام أعظم مما يذهب إليه سالم والناس أجمعون، فإنه لن يهلك منا إمام قط إلا ترك من بعده من يعلم مثل علمه ويسير مثل سيرته ويدعو إلى مثل الذي دعا إليه، فإنه لم يمنع الله ما أعطى داود أن أعطى سليمان أفضل منه⁽²⁾.

(369)

نص آخر

عن أبي عبيدة الحذاء قال: كنا زمان أبي جعفر عليه السلام حين قبض

(1) البحار: ج 23 ص 17 - 18 عن علل الشرائع، وراجع بهج الصباغة: ج 3 ص 5.

(2) البحار: ج 23 ص 41 عن إكمال الدين وص 80 عن الكشي وص 86 عن بصائر الدرجات بنحو آخر يأتي

نتردد، كالغنم لاراعي لها، فلقينا سالم بن أبي حفصة، فقال: يا أبا عبيدة من إمامك؟ قلت: أئمتي آل محمد صلى الله عليه وآله، فقال: هلكت وأهلك!

أما سمعت أنا وأنت معي أبا جعفر عليه السلام وهو يقول: " من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية "؟ قلت: بلى لعوي فرزقني الله المعرفة.

قال: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن سالم بن أبي حفصة قال لي:

كذا وكذا. فقال لي: يا أبا عبيدة: إنه لم يموت منا ميت حتى يخلف من بعده من يعمل مثل عمله ويسير بمثل سيرته ويدعو إلى مثل الذي دعا إليه، يا أبا عبيدة!

إنه لم يمنع ما أعطى داود أن أعطى سليمان.

قال: ثم قال: يا أبا عبيدة إنه إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان، لا يسأل الناس بينة⁽¹⁾.

(370)

حذيفة بن اليمان مع ربيعة

عن ربيعة السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: من الرجل؟

قلت: ربيعة السعدي، فقال لي: مرحبا مرحبا! بأخ لي قد سمعت به ولم أر شخصه قبل اليوم، حاجتك؟

قلت: ما جئت في طلب غرض من الأغراض الدنيوية، ولكني قدمت من العواق من عند قوم قد افترقوا خمس فرق.

فقال حذيفة: سبحان الله تعالى! وما دعاهم إلى ذلك والأمر واضح بين وما يقولون؟

قال: قلت: فرقة تقول: أبو بكر أحق بالأمر وأولى بالناس، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله سماه الصديق وكان معه في

الغار. وفرقة تقول: عمر بن

(1) البحار: ج 23 ص 86 عن بصائر الدرجات

الصفحة 122

الخطاب، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: " اللهم أعز الدين بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب "

فقال حذيفة: الله تعالى أعز الدين بمحمد ولم يغره بغره.

وقالت فرقة: أبو ذر الغفري رضي الله عنه، لأن النبي قال: " ما أظلت الخضواء ولا أقلت الغواء على ذي لهجة أصدق

من أبي ذر "

فقال حذيفة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق منه وخير وقد أظلت الخضواء وأقلته الغواء.

وفرقة تقول: سلمان الفارسي، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه " أترك العلم الأول وأترك العلم الآخر، وهو

بحر لا يتوقف، وهو منا أهل البيت "، ثم إنني سكت.

فقال حذيفة: ما منعك من ذكر الفرقة الخامسة.

(1)

قال: قلت: لأنني منهم، وإنما جئت مرتادا لهم وقد عاهدوا الله على أن لا يخالفوك، وأن لا يتولوا عند أموك .

فقال لي: يا ربيعة اسمع مني وعه واحفظه وقه، وبلغ الناس عني: إنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أخذ

الحسين بن علي ووضع على منكبه وجعل يقي بعقبه، وهو يقول: " أيها الناس! إنه من استكمال حجتي على الأشقياء من بعدي

التركين ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ألا!

وإن التركين ولاية علي بن أبي طالب هم الملقون من ديني! أيها الناس!

هذا الحسين بن علي خير الناس جدا وجدة، جده رسول الله صلى الله عليه وآله سيد ولد آدم، وجدته خديجة سابقة نساء

العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، وهذا الحسين خير الناس أبا وأما، أبوه علي بن أبي طالب وصي

(1) لعل المراد: وأن لا يقفوا عند أمرك، أو فيه سقط، صحيحة: وأن لا ينزلوا إلا عند أمرك

الصفحة 123

رسول رب العالمين ووزوه وابن عمه، وأمه فاطمة بنت محمد رسول الله، وهذا الحسين خير الناس عما وعمه، عمه جعفر بن أبي طالب المزين بالجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، وعمته أم هاني بنت أبي طالب، وهذا الحسين خير الناس خالا وخالة، خاله القاسم بن رسول الله، وخالته زينب بنت محمد رسول الله. ثم وضعه عن منكبه ووج بين يديه، ثم قال:

أيها الناس! وهذا الحسين جده في الجنة، وجدته في الجنة، وأبوه في الجنة، وأمه في الجنة، وعمه في الجنة، وعمته في الجنة، وخاله في الجنة، وخالته في الجنة، وهو في الجنة، وأخوه في الجنة. ثم قال: أيها الناس! إنه لم يعط أحد من نرية الأنبياء الماضين ما أعطي الحسين، ولا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إراهيم خليل الله.

ثم قال: أيها الناس! لجد الحسين خير من جد يوسف " فلا تخالجنكم الأمور، بأن الفضل والشرف والموتلة والولاية ليست إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله ونريته وأهل بيته، فلا تذهبن بكم الأباطيل ⁽¹⁾ .

(371)

حذيفة وربيعه

عن ربيعة السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت له: يا أبا عبد الله إنا لنتحدث عن علي ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: إنكم تفرطون في علي، فهل أنت محدثي بحديث فيه؟

فقال حذيفة: يا ربيعة وما تسألني عن علي؟ فالذي نفسي بيده! لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد في كفة الميزان منذ بعث الله محمدا إلى يوم القيامة ووضع عمل علي عليه السلام في الكفة الأخرى لوجح عمل علي عليه السلام

(1) البحار: ج 23 ص 111 - 112 عن الطرائف للسيد ابن طاوس رحمه الله تعالى

الصفحة 124

على جميع أعمالهم.

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل.

فقال حذيفة: يا لكع! وكيف لا يحمل؟ وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يوم عمرو بن عبد ود قد دعا إلى المباراة فأحجم الناس كلهم ما خلا عليا عليه السلام؟ فإنه برز إليه وقتله الله على يده، والذي نفس حذيفة بيده! لعمله ذلك اليوم أعظم أجرا من عمل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة ⁽¹⁾ .

(372)

الأحنف ومعلوية

قال معلوية للأحنف: صف لي الناس ولّوجز.

قال: رؤوس رفعهم الحظ، وأكتاف عظمهم التدبير، وأعجاز شهوهم المال، وأذنان ألحقهم بهم الأدب، ثم الناس بعدهم أشباه البهائم، إن شبعوا ناموا وإن جاعوا استاموا⁽²⁾.

(373)

صعصعة ومعلوية

تكلم صعصعة عند معلوية فوق. فقال: أبهرك القول؟ فقال: إن الجياد نضاحة بالماء⁽³⁾.

(374)

عقيل رحمه الله ومعلوية

قال معلوية لعقيل: ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم! قال: لكنه في

(1) البحار: ج 20 ص 256 عن الإرشاد للمفيد رحمه الله.

(2) ربيع الأوار للزمخشري: ج 1 ص 402.

(3) ربيع الأوار: ج 1 ص 669. والعقد الفريد: ج 2 ص 271، والبيان والتبيين: ج 1 ص 133

الصفحة 125

نسائكم أبين يا بني أمية!⁽¹⁾.

(375)

شريك بن الأعور ومعلوية

دخل شريك بن الأعور على معلوية - وكان دميما - فقال له: إنك لدميم والجميل خير من الدميم، وإنك لشريك وما لله

شريك، وإن أباك لأعور والصحيح خير من الأعور، فكيف سدت قومك؟.

فقال: وإنك معلوية وما معلوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب، وإنك لابن حرب والسلم خير من الحرب، وإنك لابن صخر

والسهل خير من الصخر، وإنك لابن أمية وما أمية إلا أمة صغرت، فكيف صوت أمير المؤمنين؟

وخرج وهو يقول:

أيشتمني معلوية بن حرب * وسيفي صلرم ومعني لساني

وحولي من نوي يمن ليوث * ضواغمة تهش إلى الطعان
يعير بالدمامة من سفاه * وربات الخور من الغواني
نوات الحسن والريبال جهم * شتيم وجهه ماضي الجنان⁽²⁾

(376)

عمرو بن العجلان ومعلوية

حج معلوية فتلقته قريش بوادي القوى، والأنصار بأبواب المدينة.
فقال: يا معشر الأنصار! ما منعكم أن تلقوني حيث تلقنتي قريش؟ قالوا:
لم يكن لنا رواب. قال: فأين النواضح؟ قال الغمر بن عجلان: أنضيناها يوم

(1) ربيع الأبرار: ج 1 ص 675.

(2) (ربيع الأوار: ج 1 ص 699. والغدير: ج 10 ص 171 - 172 عن المستطرف: ج 1 ص 72. وزهر الربيع:
ص 50 ويأتي ص 137

الصفحة 126

بدر في طلب أبي سفيان وأصحابه، فسكت مفحما.

فلما دخل المدينة قال: أين زيد بن ثابت؟ قالوا: عليل أصابه سلس البول. فقال: علي به.
فقال: ما منعك من تلقيتي؟ قال: علتي. قال: ليس كذا، ولكن غرك ما قيل في زيد بن ثابت: كاتب الوحي. قال: بلى حيث لم
يأمنك الله ورسوله، فأفحم⁽¹⁾.

(377)

علوي وأبو العيناء

قال علوي لأبي العيناء: أتبغضني وقد أمرت بالصلاة علي، تقول:
" صلى الله على محمد وآله " قال: إني أقول: " الطيبين الأخيار " فتخرج أنت⁽²⁾.

(378)

ابن الحنفية والحجاج

أخذ الحجاج ابن الحنفية بمبايعة عبد الملك، قال: إذا اجتمع الناس عليه كنت كأحدهم. قال: لأقتلنك، قال: أو لا تتوي؟ قال:
وما لا أوي؟ قال:

حدثني أبي: " إن الله في كل يوم ثلاثمائة وستين لحظة، له في كل لحظة ثلاثمائة وستون قضية " فلعله يكفيك في كل قضية من قضاياها.

فلترعد الحجاج وانتفض! وقال: لقد لحظك الله، فاذهب حيث شئت.

فكتب الحجاج بحديثه إلى عبد الملك، ووافق ذلك كتاب ملك الروم إليه يتهدده، فكتب عبد الملك إلى قيصر بحديث محمد.

(1) ربيع الأبرار: ج 1 ص 689.

(2) (ربيع الأوار: ج 1 ص 717 . والمحاضرات للراغب: ج 1 ص 344 وفيه: " لوجل " مكان " لأبي العيناء ". وقاموس

الرجال: ج 8 ص 345 . وزهر الوبيع: ص 33

الصفحة 127

فكتب إليه قيصر: هيهات هيهات! هذه كلام ما أنت بأبي عوه، هذا كلام لم يخرج إلا من نبي أو من أهل بيت نوة⁽¹⁾ .

(379)

ابن قيس ومعاوية

خالف ناس من قريش معاوية، فقال: لقد هممت أن أبعث إليهم من يأتيني برؤوسهم.

فقام إليه ابن قيس (لعله عبد الله بن قيس بن مخزومة بن عبد المطلب بن عبد مناف) فقال: لو فعلت ذلك لقطعنا أعدادها من

رؤوس بني أبي سفيان.

فقال معاوية: أنت يا غواب! فقال: إن الغواب يدب إلى الرخمة حتى ينقف رأسها.

(2) فضحك معاوية وسكت .

(380)

عقيل رحمه الله ومعاوية

كتب معاوية إلى عقيل بن أبي طالب يعتذر إليه من شئ هوى بينهما:

من معاوية بن أبي سفيان إلى عقيل بن أبي طالب: أما بعد يا بني عبد المطلب، فأنتم والله فروع قصي، ولباب عبد مناف،

وصفوة هاشم، فأين أحلامكم الواسية وعقولكم الكاسية، وحفظكم الأواصر وحبكم العشائر؟

ولكم الصفح الجميل والعفو الجزيل، مقرونان بشرف النوة وعز الرسالة، وقد والله ساء أمير المؤمنين ما كان هوى، ولن

يعود لمثله إلى أن يغيب في الثوى.

فكتب إليه عقيل:

(1) ربيع الأبرار: ج 1 ص 721 - 722.

صدقت وقلت حقا غير أني * رى أن لا أراك ولا تاني
ولست أقول سوءا في صديقي * ولكني أصد إذا جفاني
فوكب إليه معاوية وناشده في الصفع وأجله بمائة ألف درهم حتى رجع ⁽¹⁾.

(381)

الأحنف ورجل

قال رجل للأحنف: أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه!! قال: ما ذممت مني يا ابن أخي؟ قال: الدمامة وقصر القامة. قال:
لقد عبت علي ما لم لأمر فيه ⁽²⁾.

(382)

شيخ مع هشام بن عبد الملك

قال: فبينما هشام بن عبد الملك ذات يوم في بوية الشام يتتوه ويتصيد، إذ نظر إلى غبار ساطع على قلعة الطويق، فقال
هشام لمن معه: قفوا في مواضعكم لا يتبعني أحد منكم إلى أن أرجع إليكم.
قال: ثم حرك هشام ومضى نحو الغبار، فإذا بعير قد أقبلت من بعض مدائن الشام عليها زيت وأمتعة من أمتعة الشام واد
بها الكوفة. قال: وفي العير شيخ من أهل الكوفة له رواء ومنظر، ومع الشيخ غلمة له أحداث وهم بنوه، ومع هشام مولى له
يقال له: ربيع.

قال: فسلم هشام فوئوا عليه السلام، وهم لا يعرفونه، فأقبل هشام على الشيخ فقال: ممن أنت وأين منشوك؟ فقال الشيخ: أما
المنشأ فالكوفة، وأما من أين فما سؤالك عن ذلك؟ فوالله إني لو كنت من العرب في أعلاها لما

(1) ربيع الأبرار: ج 1 ص 734.

(2) ربيع الأوار: ج 1 ص 846

نفحك، ولو كنت من أدناها لما ضوك.

فقال هشام: والله يا شيخ ما أظنك كتمت نسبك إلا وأنت مستحي.

فقال: فضحك الشيخ! ثم قال: يا هذا ما هو إلا ما ظننت، وإني لأرجو أن يسأل الله عز وجل عمن يحبسني بما أطلع عليه
من دناءة جنسك ونسبك إذ أنبأتني به، فإن قبح وجهك وحول عينيك ودمامة خلقتك وسوء منطقك قد أطمعني في ذلك منك:

وأنا أخوك ممن أنا إذ قد أبيت إلا ذلك:

أنارجل من حكم، وأمي سلولية، ونحن اليوم خلف في عكل.

فقال هشام: نسأل الله العافية ممن قد ابتلاك به يا شيخ! لقد اجتمع فيك ما لم يجتمع في أحد قط.

فقال: ولم تقول ذلك وقد أملت أن يسأل الله عن ينسبنا عندما قد توسمته فيك عند معرفتي بنسبك؟ فمن أنت يا هذا؟

فقال: هشام: أنارجل من قريش.

فقال الشيخ: إن قريشا كثير، وإن فيهم من قد علا نجمه، وفيهم من قد سقط سهمه، فمن أيها أنت؟

فقال هشام: أنا والله من أعلاها وأسناها وزكاهها، أنارجل من بني أمية التي لا تسامى أخطرها ولا يورك آثرها.

فقال الشيخ: موحبا بك يا أخي⁽¹⁾ بني أمية! سليت ورب الكعبة غمي وفوجت عني كربي، كنتم والله يا بني أمية في

الجاهلية قوبون في التجارة، وفي الإسلام عاصين لأهل الطهارة، سيدكم حمار وأميركم جبار، إن قللتكم عن الأربعين لم تتركوا

بئار، وإن بلغتكم كنتم بشهادة الرسول من أهل النار، رجالكم يتقلبون في [عار] النسبة، ونسأؤكم على نساء الأنام سبة،

ومنكم

(1) كذا في الأصل والصحيح يا أخا

الصفحة 130

الباكي على معلليه⁽¹⁾ ، ومنكم معاليه مؤوي الطرداء وباقي الأخيار السعداء، الذي اختار القوابة على الصحابة، صرف المال عن أهل النجابة، منكم صاحب الراية يوم القليب، أبو اللعينة ذات العيوب، ومنكم صخر بن حرب، فكان في الجاهلية خمرا، وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله مجزأ كفرا، وفي إسلامه رديا منافقا، وإلى كل السوءات سابقا، وابنه معلوية لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله لعنات سبعا سبعا (سبعة سبعة خ)، منعه الله عز وجل أن ينال بدعوته عليه سبعا، منع أباه من الإسلام وحته على عبادة الأصنام، ثم قال في الشعر الذي بعث به إلى أبيه يقول:

يا صخر لا تسلمن طوعا فتفضحنا * بعد الذين بيدر أصبحوا مزقا

خالي وجدي وعم الأم ثالثهم * والعراء حنظلة المهدي لنا رقا

لا توكنن إلى أمر تقلدنا * والرافضات به في مكة الخرقا

فالموت أهون من قول النساء لنا * خلا ابن حرب عن العقبي كذا فوقا

ثم إنه بعد ذلك عادى النبي صلى الله عليه وآله، وقاتل الوصي، وألحق زياد الدعي، وعهد إلى ابنه الفاسق الودي، وبدل

مكان كل سنة بدعة،

(1) زيد في (د): الذي يقول:

يا جوري الحي عن قبيبه * منعوا مني معاليه

كيف تلوموني على رجل * لو شفاني هم مساعيه
لم يقل إنني ندمت ولا * عندها فاضت مدامعيه

وفي الفلسية:

يا جوري الحي عن بنيه * يا جوري لا تلمنيه
لا نفر النفا وقد * حبوا عني معليه
كم تلوموني على رجل * لو سقاني سم ساعيه
لم أقل إنني ندمت ولا * عندها فاضت مدامعيه

الصفحة 131

وجعل لابنه يزيد في راقه الدماء فسحة وسعة، ونبش قبر حمزة سيد الشهداء، وأجرى فيه الماء عدوة وبغضا، ألحق زياد بن عبيد اللعين بأبي سفيان الخمار، وزوجه من نسائه ذات القلائد والخمار، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: " الولد للفواش وللعاهر الحجر " فتوك قول النبي صلى الله عليه وآله وزياد بن عبيد افتخر، وسلطه على شيعة علي بن أبي طالب، ولم يخف من سوء العواقب.

ومنكم عقبة بن أبي معيط، نفاه رسول الله صلى الله عليه وآله من قريش وسائر العرب، وضرب عنقه بين يديه علي ذو الحسب، وألبسكم بقتله من بين قريش العار، وجعل أرواحهم إلى النار، فقبلتم نسبه فيكم، وزوجتموه، وهو علج من أهل صفورية فادعيتومه. وابنه المحنود في الخمر، صلى بالناس أربعاً في الفجر والظهر في مساجد الله وهو سكون، وقوب أهل الخيانة والغدر، فسماه الله في كتابه فاسقا، وجعله في الدرك الأسفل منافقا.

ومنكم يا بني أمية الحكم بن العاص الملقب بالحياص، نفاه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد لعنه إياه وأردفه ثانية وباللعنة تناء.

ومنكم عبد الملك، غصب الأوار، واستعان بالفجار، وتهلون بالأخبار، فالحجاج أفضل حسناته، والغدر والفجور أقل سيئاته. ثم بنوه الجباوة في الإسلام، أبناء اللعنة والجور في الأحكام: منهم سليمان والوليد وهشام، وقبله يزيد، لا نذكر أحدا منهم وأي سديد، وما لهم في اللعنة من مزيد، خونة غفوة، رموا بيت الله الحرام بالحجارة والعفوة، وقتلوا قبل ذلك العشوة البررة.

ومن نسائكم آكلة الأكباد، ومظاهرة الفساد [الصادة لزوجها عن الوشاد والداعية إلى الكفر والفساد] والعناد، وصويحاتها الناوات يوم أحد بالدفراف المغنيات، وقد دنت الزخوف.

فأنتم يا بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن، لا ينكر ذلك إنس ولا جان،



لا أحد من أهل الإيمان، فأولكم ردئ، وأوسطكم وئ، وشريفكم دنئ، وآخركم مسئ.

ألا فخذها يا أبا أمية * يكون في قلبك منهاكية

لا تفخون بعدها عليه * ما تركت فخرا لك سمية

قال: ثم مر الشيخ على وجهه حتى لحق بالغير، وبقي هشام حوانا لا يبوي بما يقول، ثم أقبل على غلامه ربيع، فقال: ويلك ياربيع! رأيت ما منينا به في هذا اليوم من هذا الشيخ، والله لقد أظلمت الدنيا علي حتى ظننت أني لا أبصر شيئا! ولكن هل تحفظ من كلامه شيئا؟ فقال ربيع:

يا أمير المؤمنين والله لقد بقيت متحورا لا أعقل من أوري شيئا، ولقد هممت أن أعليه بالسيف مرورا لولا هيبتك، فكيف أحفظ ما قال؟ فقال هشام: لكني والله قد حفظته! ولو علمت أنك تحفظه لضربت عنقك.

قال: ثم رجع هشام إلى أصحابه، ووجه الخيل في طلب الشيخ وعزم على قتله. قال: فكان الشيخ داهيا، فوقع في قلبه أنه هشام بن عبد الملك، واتقى ما قال وخشي الطلب، فعدل عن الطويق وأخذ في البرية على مياه بني كلاب، فطلب فلم يقدر عليه، ومضى حتى دخل الكوفة، فلم يزل هشام متأسفا على ما فاتته من قتل الشيخ.

قال: فكان ربيع يقول: والله ما شذ عني من كلام الشيخ شيء وإني لأحفظه، و [ما] حدثت بهذا الحديث أحدا حتى مات هشام (1)

(383)

رجل من أهل السكاسك ومعلوية

ذكر في تهيو معلوية لحرب صفين وخدعه شوحبيل، أنه قال: وجعل

(1) فتوح ابن أعثم: ج 2 ص 481 وما بعدها

شوحبيل لا يأتي مدينة من مدائن الشام إلا دعاهم إلى نصر معلوية وحرضهم على قتال علي بن أبي طالب، حتى اجتمع إليه خلق كثير، فأقبل بهم إلى معلوية فبايعوه على أنهم يقاتلون بين يديه ويموتون تحت ركابه. قال: فوثب رجل من أهل السكاسك، وكان مجتهدا فاضلا وكان شاعرا، واسمه الأسود بن عرفة، فوقف بين يدي معلوية، وأنشأ [وجعل] يقول أبياتا من الشعر مطلعها:

كانت الشام قبل شوح وبيل * لعلي ظهوا له حذاء

[فإذا فأقبل (1) الإمام وقد قال * أناس بحطة الأهواء

فاسقوى الغث والسمين لدى الناس * وقالوا الجماء كالقنواء

ودعانا عميدنا شوحيل * إلى فتنة بها صماء
فقتلنا الذي دعانا إليه * وثنيينا أعنة البغضاء
(2) غير أنا نحب أبا السبطين * إذ كان سيد الأوصياء [
[شهد الفتح والنضير وبوا * وحنينا وأحد يوم البلاء
وله يوم خيبر راية النصر * وقد قل شوكة الأعداء
وله في قريظة الخطر الأعظم * إذ قل جد أهل اللواء
(3) فاحذر اليوم صولة الأسد الورد * إذا جاء في رحى الهيجاء]

قال: فقطع عليه معاوية كلامه، ثم قال: من هذا الأسد الورد؟ فقال:

هذا والله علي بن أبي طالب، أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمه، وزوج ابنته، وأبو سبطيه، الذي قتل جدك وعم أمك و أخاك وخالك يوم

(1) كذا في الأصل والصحيح: " أقبل "

(2) و (3) ما بين المعقوفتين اقتبسناه من الهامش

الصفحة 134

بدر، فأنت تطالبه في الإسلام بما فعل في قومك الكوفة الفجرة!.

فقال معاوية: خنوه، فوثب إليه غلامان من غلمان معاوية.

وقام إليه شوحيل، فقال: كف عنه يا معاوية، فإنه رجل من سادات قومه، فلا تؤذيه فانقض والله ما في عنقي من بيعتك.

قال معاوية: فإني قد وهبته لك.

قال: فهرب الرجل إلى مصر، ثم كتب إلى علي - رضي الله عنه - أبياتا من الشعر، مطلعها:

ألا أبلغ أبا حسن عليا * فكفي بالذي تهوى طويلا
[أعد مأثرا عظمت وطالت * وأخرى منك أذكروها جميلة
فسر بها معاوية بن صخر * وأيقن أنها ليست قليلة
وقال لشوحيل منك هذا * فقال العراء من أعلى قبيلة
وأهل الشام يستمعون قولي * أجوز بالقلوب لها فضيلة
فكاشوني وكنت من أجرب (كذا) * كذئب السوء في الشاة الأكيلة
لأيهم ما أحب ويزلقوني * بأبصار على البغضاء دليلا
فأمسيت بعد سابقة بمصر * وكانت من مقالته جليلا
فأيقن أنني منها وئ * وأني منه منقطع الوسيلة

(384)

عبد الرحمن وشوحيل

قال: فلما ورد كتاب معاوية على شوحيل وقواه، أقبل إلى عبد الرحمن

(1) ما بين المعقوفتين في الهامش.

(2) (فؤح بن أعثم: ج 2 ص 407 - 409

الصفحة 135

ابن غنم الأودي - وهو صاحب معاذ بن جبل وكان أفقه أهل الشام - فاستشله في المسير إلى معاوية.

فقال له عبد الرحمن: ويحك يا شوحيل! إن الله تعالى لم يزل يريد بك خواراً مذ هاجرت إلى وقتك هذا، وإنه لن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس، ولا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأنت رجل من خيار كندة، وإن القالة قد فشت في الناس أن علياً قتل عثمان، ولو كان علي قتلته لما بايعه المهاجرون والأنصار وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهم الحكام على الناس، وإنما معاوية إنما يدعوك إلى نفسه ليأخذ من دينك ويعطيك من دنياءه، كما فعل بعمر بن العاص، فإن كان ولا بد أن تكون أمراً فسر إلى علي بن أبي طالب، فإنه أحق الناس بهذا الأمر من معاوية وغير معاوية، ثم جعل يقول أبياتاً، مطلعها:

أيا شوح يا ابن السمط إنك بالغ * بأخذ علي ما تريد من الأمر
[أيا شوح يا ابن السمط لأنك مصغياً * إلى فتنة عمياء ينتهه الخبر
أيا شوح إن الشام شامك ما بها * سواك فدع قول المضلل من قهر
فإن ابن هند ناصب لك خدعة * تكون علينا مثل راغية البكر
فإن نال ما يوجو بنا كان ملكه * هنيئاً له والحرب قاصمة الظهر
فبايع ولا ترجع إلى العقب ناكصاً * أعيدك بالله الغريز من الكفر
ولا تقبلن قول الطغاة فإنما * يريدون أن يلقوك في لجة البحر
وماذا عليهم أن تطاعن عنهم * علياً بأطواف المثقفة السمر
فإن غلبوا كانوا علينا أئمة * ونطلب طول الدهر بالرحل والوتر
وإن غلبوا لم يصل بالحرب غيونا * وكان علينا حربهم آخر الدهر
وهان على علياً لؤي بن غالب * دماء بني قحطان في ملكهم تحوي
ودع عنك عثمان بن عفان إننا * لك الخير لا نوي وإنك لا تتوي

على أي حال كان مصوع جنبه * ولا تسمعن قول ابن هندولا عمرو ⁽¹⁾ .

قال: فلما سمع شوحبيل بن السمط هذا الشعر كأنه [وقع] بقلبه ثم أقبل على عبد الوحمان بن غنم، فقال: إني سمعت ما قلت وقد أحببت أن أسمع كلام معاوية، الخبر ⁽²⁾ .

(385)

ابن عم عمرو وعمرو

لما بايع عمرو بن العاص معاوية بن أبي سفيان وبايع دينه بمصر، أخذ عمرو الكتاب وانصرف إلى منزله مسرورا، فقال له ابن عم له: أبا عبد الله ما لي رأك فرحا مستبشوا وقد بعث دينك بدنياك! أتظن أن أهل مصر يسلمون إليك مصر وهم الذين قتلوا عثمان بن عفان؟ فتبسم عمرو، ثم قال: يا ابن أخي إن الأمر لله عز وجل دون علي ومعاوية. قال: فأنشأ ذلك الفتى يقول شعوا:

[ألا يا أخت أخت بني زياد * رمى عمرو بداهية البلاد
تشوط في الكتاب عليه حرفا * يناديه بخدعته المناد
ألا يا عمرو ما أحرزت مصوا * ولا ملت الغداة إلى الرشاد
أبعث الدين بالدنيا خسرا * فأنت بذاك من شر العباد
وفدت إلى معاوية بن صخر * فكنت بها كوافد قوم عاد
فأعطيت الذي عظمت بطرس * به خدع ونضج من مداد
بأنك آخذ ما عشت مصوا * ودون مرامها خوط القتاد
ألم تعرف أبا حسن عليا * وما نالت يده من الأعادي

(1) ما بين المعقوفتين من الهامش.

فروح ابن أعثم: ج 2 ص 198

عدلت به معاوية بن صخر * فيا بعد الصلاح من الفساد
ينادي بالزوال وأنت منه * شديد الخوف فانظر من تعادي ⁽¹⁾]

قال: فقال له عمرو: يا ابن أخي إني لو كنت مع علي لوسعني بيتي، ولكني مع معاوية. فقال له الفتى: أما معاوية فإنه لم يردك، ولكنه أراد دينك ولدت دنياه.

قال: وبلغ ذلك معاوية وما تكلم به الفتى معه وهم بقتله فهرب فصار إلى علي رضي الله عنه فحدثه بالقصة وكيف بايع

عمرو معاوية، فقوبه علي وأدناه وفوض له في كل أصحابه .

(386)

رجل من طي مع معاوية

قال: ثم إن معاوية ذات يوم ركب وخوج إلى الصحاء ومعه جماعة من وجوه أهل الشام، فبينما هو كذلك إذا بشخص قد أقبل من ناحية العراق على قعود له، فقال: علي بهذا المقبل، فأتوا به.
فقال له معاوية: ممن الرجل؟ قال: من طي. قال: فمن أين أقبلت؟
قال: من الكوفة. قال: وأين تريد؟ قال: لريد ابن عم لي يكون في ناحيتك يقال له: حابس بن سعد الطائي.
فقال معاوية: علي بحابس، فأقبل إليه، فلما نظر إلى ابن عمه رحب به وقوبه وفوح برؤيته وأحضوه بين يدي معاوية.
فقال له معاوية: كيف خلفت علي بن أبي طالب وأين تركته وعلى ماذا قد عزم؟ فقال: نعم يا معاوية أخرك أنه قدم من البصرة إلى الكوفة، فلما

(1) هذه الأشعار بين المعقوفتين اقتبسناها من الهامش.

(2) فوح ابن الأعثم: ج 2 ص 388. وسيأتي ص 384 عن نصر

الصفحة 138

دخلها تهافت الناس عليه بالبيعة، ثم إنه ندب الناس إلى قتالك، وأيته وقد حف به الناس من المهاجرين والأنصار، حتى لقد حمل إليه الصبي، ودنت منه العجوز، وخرجت إليه العروس، كل ذلك فحاً ولايته، ولقد تركته وماله همة إلا الشام، فهذا ما عندي من الخبر.

فقال معاوية: ما اسمك؟ قال: اسمي خفاف. قال: هل تقول شيئاً من الشعر؟ قال: نعم فأنشأ يقول شعوا:

[قلت والليل ساقط الأكناف * ولجنبي على الفواش تجاف

لرق بالنجم لا يمني الغمض * بعين طويلة التراف

ليت شعوي وإنني لمسول * على إلى اليوم بالمدينة صاف

من صحاب النبي إذ عظم الخطب * وفيهم على البلية كاف

أحلال دم الإمام بذنوب * أم حوام بشبهة الوقاف

قال لي القوم لا سبيل إلى ما * تطلب اليوم قلت حسبي كفاف

عند قوم ليسوا بأوعية العلم * ولا أهل صحة وعفاف

جمجم القوم عند ما قلت ماؤا * خيروني معاشر الأثواف

لم قتلتم إمامكم قال قوم * لست تقوى على الأمور الخوافي

قلت لما ضعفت عنه دعوني * إن قلبي من القلوب الضعاف
قد مضى ما مضى ومر به الدهر * كما مر ذاهب الأسلاف
فاسمع الآن يا ابن هند مقالا * من حكيم مهذب وصاف
(1) ليس يألوك في النصيحة جهدا * فاقبلها نصيحة من خفاف]

قال: فلما سمع معاوية هذا الشعر كأنه انكسر بذلك، ثم أقبل على حابس بن سعد، فقال: ويحك يا حابس! لرى ابن عمك هذا عينا علينا لأهل

(1) ما بين المعقوفتين من الهامش

الصفحة 139

الواق، فأخرجه عنا لا يفسد علينا أهل الشام.
فقال: والله ما قدمت الشام رغبة مني فيها ولا في أهلها، وإني لأحل عنها وزاهد في جورك (1).

(387)

الإمام الحسن عليه السلام مع عائشة

ذكر ابن أعثم في الفتح (2) (بعد ذكر إرسال أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس إلى عائشة وذكر مجئ أمير المؤمنين إليها بنفسه) قال:

فلما كان من الغد بعث إليها ابنه الحسن [فجاء الحسن] فقال لها: يقول لك أمير المؤمنين: أما والذي خلق الحبة وروا النسمة! لئن لم تحلي الساعة لأبعثن عليك بما تعلمين.
قال: وعائشة في وقتها ذلك قد ضفوت قونها الأيمن وهي تريد أن تضفر الأيسر. فلما قال لها الحسن ما قال وثبت من ساعتها وقالت: رحلوني!!.

فكانت لها امرأة من المهالبة: يا أم المؤمنين جاءك عبد الله بن عباس فسمعناك وأنت تجاوبيه حتى علا صوتك، ثم خرج من عنك وهو مغضب، ثم جاءك الآن هذا الغلام برسالة أبيه فأقلقك وقد كان أبوه جاءك فلم نر منك هذا القلق والخزع؟.
فكانت عائشة: إنما أقلقني لأنه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن أحب أن ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فليُنظر إلى هذا الغلام، وبعد فقد بعث إلي أبوه بما قد علمت لا بد من الوحيل.

(1) فتوح ابن أعثم: ج 2 ص 360. ونقله ابن أبي الحديد في شرحه: ج 3 ص 111 بنحو آخر يأتي. وراجع الإمامة والسياسة: ج 1 ص 84.

(2) فتوح ابن أعثم: ج 2 ص 339

الصفحة 140

فكانت لها المرأة: سألتك بالله وبمحمد صلى الله عليه وآله إلا أخوتني بماذا بعث إليك علي رضي الله عنه؟ فكانت عائشة

رضي الله عنها: ويحك!

إن رسول الله صلى الله عليه وآله أصاب من مغزیه نفلا، فجعل يقسم ذلك، فسألناه أن يعطينا منه شيئا وألحنا عليه في ذلك، فلامنا علي رضي الله عنه وقال: حسبك أضمرت رسول الله صلى الله عليه وآله، فتجهمناه وأغلظنا له في القول، فقال: " عسى ربه إن طلقك أن يبدله أزواجا خيرا منكن " فأغلظنا له أيضا في القول وتجهمناه، فغضب النبي صلى الله عليه وآله من ذلك وما استقبلنا به عليا، فأقبل عليه، ثم قال: يا علي إنني قد جعلت طلاقهن إليك، فمن طلقتهن منهن فهي بائة، ولم يوقت النبي صلى الله عليه وآله في ذلك وقتا في حياة ولا موت، فهي تلك الكلمة، وأخاف أن أبين من رسول الله صلى الله عليه وآله

(1)

(388)

أم كلثوم وحفصة

(لما بلغ حفصة بنت عمر بن الخطاب أن جمعا من أهل البصرة وافقوا عائشة ووزروها واجتمعوا إليها) فرسلت إلى أم كلثوم فدعتها، ثم أخوتها باجتماع الناس إلى عائشة، كل ذلك ليغمرها بكثرة الجوع إلى عائشة. قال: فقالت لها أم كلثوم: على رسلك يا حفصة! فإنكم إن تظاهرت على أبي فقد تظاهرت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان الله مولاه وجوئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير.

(1) فتوح ابن أعثم: ج 2 ص 339 - 340. وراجع قاموس الرجال: ج 10 ص 317. وبهج الصباغة:

ج 6 ص 417. والايضاح: ص 79 ولكن فيه: " أرسل إليها الحسين عليه السلام بعد أن أرسل الحسن عليه السلام " وفي هامشه: عن ابن شهر آشوب والبحار وغوهما

الصفحة 141

فقالت حفصة: يا هذه أعوذ بالله من شك! فقالت أم كلثوم: وكيف يعيذك الله من شوي وقد ظلمتني حقي موتين: الأولى مواتي من أمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، والثاني مواتي من أبيك عمر بن الخطاب. قال: لامت النساء حفصة على ذلك لوما شديدا (1).

(389)

أم سلمة وعائشة

(نقلنا فيما مضى موقف أم سلمة -رحمة الله عليها - مع عائشة، ونقله ابن أعثم في الفوح، ونقل في ذيله وقال:) ثم جعلت أم سلمة -رحمة الله عليها - تذكر عائشة فضائل علي رضي الله عنه وعبد الله بن الزبير على الباب يسمع ذلك كله، فصاح بأم سلمة! قال:

يا بنت أبي أمية إنا قد عرفنا عدوتك لآل الزبير .

فقال أم سلمة: والله لتوردنها ثم لا تصونها أنت ولا أبوك، أطمع أن يرضى المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة، وعلي بن أبي طالب حي، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة؟ فقال عبد الله بن الزبير: ما سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة قط.

فقال أم سلمة رحممة الله عليها: إن لم تكن أنت سمعته فقد سمعته خالتك عائشة، ها هي فاسألها، فقد سمعته صلى الله عليه وآله يقول: " علي خليفتي عليكم في حياتي ومماتي، فمن عصاه فقد عصاني " أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا؟ فقالت عائشة: اللهم نعم.

قالت أم سلمة رحممة الله عليها: فائق الله يا عائشة في نفسك، واحذري

(1) فتوح ابن أعثم: ج 2 ص 299 - 300. وراجع فاموس الرجال: ج 10 ص 472. ويأتي برواية أخرى ص 237

الصفحة 142

ما حزنك الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ولا تكوني صاحبة كلاب الحوآب لا يغرنك الزبير وطلحة، فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئاً⁽¹⁾.

(390)

رجال الشيعة وعثمان

قال: فجلس نفر من أهل الكوفة، منهم: يزيد بن قيس الأزجي، ومالك ابن حبيب البروعي، وحجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق القواعي، وزيد بن حفيظة التميمي، وعبيد الله بن الطفيل البكائي، وزيد بن النضر الحرثي، وكرام بن الحزومي المالكي، ومعل بن قيس الرياحي، وزيد بن حصن السنبسي، وسليمان بن صود القواعي، والمسيب بن نخية الوري، ورجال كبير⁽²⁾ من قى أهل الكوفة ورؤسائهم، فكتبوا إلى عثمان بن عفان:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من المأ المسلم من أهل الكوفة: سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإننا كتبنا إليك هذا الكتاب نصيحة لك واعتذرا وشفقة على هذه الأمة من الفقة، وقد خشينا أن تكون خلقت لها فتنة، وإن لك ناصرا ظالما وناقما عليك مظلوما، فمتى نقم عليك الناقم ونصرك الظالم أخلفت الكلمتان وتباين الفوقان، وحدثت أمور متفارقة أنت جنيتهما بأحداقك يا عثمان، فائق الله! والزم سنة الصالحين من قبلك، واووع عن ضرب قوابتنا ونفي صلحائنا وقسم فيئنا بين أشورنا والاستبدال عنا واتخاذك بطانة من الطلقاء وأبناء الطلقاء دوننا، فأنت أمونا ما أطعت الله واتبعت ما في كتابه وأنبت إليه وأحييت أهله، وجانبت الشر وأهله، وكنت للضعفاء، ورددت من

(1) فتوح ابن أعثم: ج 2 ص 282 - 283، وراجع فاموس الرجال: ج 10 ص 399 عنه.

نفيت منا، وكان القريب والبعيد عندك في الحق سواء، فقد قضينا ما علينا من النصيحة لك، وقد بقي ما عليك من الحق، فإن تبت من هذه الأفاعيل نكون لك على الحق أنصرا وأعوانا، وإلا فلا تلوم إلا نفسك، فإننا لن نصالحك على البدعة وترك السنة، ولن نجد عند الله عذرا إن تركنا أمره لطاعتك، ولن نعصي الله فيما يرضيك، هو أعز في أنفسنا وأجل من ذلك، نشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدا، ونستعينه وكفى بالله ظهوا، راجع الله بك إلى طاعته يعصمك بتقواه من معصيته، والسلام.

قال: فلما كتبوا الكتاب وفوغوا منه، قال رجل منهم: من يبلغه عنا كتابنا؟ فوالله أن ما نرى أحدا يجتوئ على ذلك. قال: فقال (1) رجل من عزة آدم ممشوق، فقال: والله ما يبلغ هذه الكتاب إلا رجل لا يبالي أضوب أم حبس أم قتل أم نفي أم حرم، فأيكم غم على أن يصيبه خصلة من هذه الخصال فيأخذها! فقال القوم: ما هاهنا أحد يحب أن يبتلي بخصلة من هذه الخصال، فقال العزي: هاؤوا كتابكم! فوالله إني لا عافية [لي] وإن ابتليت فما أنا يائس أن يرزقني ربي صوا وأجوا، قال: فدفعوا إليه كتابهم.

وبلغ ذلك كعب بن عبيدة النهدي - وكان من المتعبدین - فقال: والله لأكتبن إلى عثمان كتابا باسمي واسم أبي بلغ ذلك من عنده ما بلغ! ثم كتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من كعب بن عبيدة:

أما بعد، فإني نذير لك من الفتنة متخوف عليك فاق هذه الأمة، وذلك أنك قد نفيت خيلهم، ووليت أشولهم، وقسمت فيأهم في عوهم،

واستأثرت بفضلهم، ومزقت كتابهم، وحميت قطر السماء ونبت الأرض، وحميت بني أبيك على رقاب الناس، حتى قد لوغرت صدورهم واختوت عدوتهم، ولعمري! لئن فعلت ذلك فإنك تعلم أنك إذا فعلت ذلك وتكرمت فإنما تفعله من فيئنا وبلادنا، والله حسيبك يحكم بيننا وبينك، وإن أنت أبييت وعنيت قتلنا وأذانا ولم تفعل فإننا نستعين الله ونستجوه من ظلمك لنا بكرة وعشيا، والسلام.

ثم جاء كعب بن عبيدة بكتابه هذا إلى العزي - وقد ركب يريد المدينة - فقال: أحب أن تدفع كتابي هذا إلى عثمان، فإن فيه نصيحة له وحثا على الإحسان إلى الرعية والكف عن ظلمها، فقال: أفعل ذلك.

قال: ثم أخذ الكتاب منه ومضى إلى المدينة.

ورجع كعب بن عبيدة حتى دخل المسجد الأعظم فجعل يحدث أصحابه بما كتب إلى عثمان. فقالوا: والله يا هذا لقد اجزأت وعرضت نفسك لسطوة هذا الرجل! فقال: لا عليكم فإني أرجو العافية والأجر العظيم، ولكن ألا أخوكم بمن هو أجوا مني؟

قالوا: بلى ومن ذلك؟ فقال: الذي ذهب بالكتاب. فقالوا: بلى صدقت إنه كذلك! وإنا لنرجو أن يكون أعظم هذا المصير أحوا عند الله غدا.

ذكر قنوم العزّي على عثمان وما كان من قصته معه:

قال: وقدم العزّي على عثمان -رض- بالمدينة، فدخل وسلم عليه، ثم ناوله الكتاب الأول -وعنده نفر من أهل المدينة - فلما قرأه عثمان رتد لونه وتغير وجهه! ثم قال: من كتب إلي هذا الكتاب؟ فقال العزّي: كتبه إليك ناس كثير من صلحاء الكوفة وقوائها وأهل الدين والفضل. فقال عثمان: كذبت إنما كتبه السفهاء وأهل البغي والحسد، فأخبرني من هم؟ فقال

الصفحة 145

العزّي: ما أنا بفاعل. فقال عثمان إذا والله أوجع جنبك وأطيل حبسك، فقال العزّي: والله لقد جئتكم وأنا أعلم أنني لا أسلم منك. فقال عثمان: جردوه!

فقال العزّي: وهذا كتاب آخر، فاقرأه من قبل أن تجردني. فقال عثمان: آت به، فناوله إياه، فلما قرأه قال: من كعب بن عبيدة هذا؟ قال العزّي: إيه! قد نسب لك نفسه. قال عثمان فمن أي قبيل هو؟ قال العزّي: ما أنا مخبرك عنه إلا ما أخبرك عن نفسه.

قال: فالتفت عثمان إلى كثير بن شهاب الحرثي، فقال: يا كثير هل تعرف كعب بن عبيدة؟ قال كثير: نعم يا أمير المؤمنين هو رجل من بني نهد.

قال: فأمر عثمان بالعزّي، فجردوه من ثيابه ليضرب. فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لماذا يضرب هذا الرجل؟ إنما هو رسول جاء بكتاب وأبلغك رسالة حملها، فلم يجب عليه في هذا ضرب. فقال عثمان رض: أفقوى أن أحبسك؟ قال: لا ولا يجب عليه الحبس.

قال: فخلّى عثمان عن العزّي وانصرف إلى الكوفة، وأصحابه لا يشكون أنه قد حبس أو ضوب أو قتل. قال: فلم يشعروا به إلا وقد طلع عليهم، فما بقي في الكوفة رجل مذكور إلا أتاه ممن كان على رأيه، ثم سأله عن حاله، فأخبرهم بما قال وما قيل له: ثم أخبرهم بصنع علي -رضي الله عنه - فعجب أهل الكوفة من ذلك ودعوا لعلي بخير وشكروه على فعله.

قال: وكتب عثمان إلى سعيد بن العاص: أن تسوح إلي كعب بن عبيدة مع سائق عنيف حتى يقدم علي به، والسلام.

قال: فلما ورد كتاب عثمان رضي الله عنه على سعيد بن العاص ونظر فيه، أرسل إلى كعب بن عبيدة، فشده في وثاق

ووجه به إلى عثمان مع رجل

الصفحة 146

فظ غليظ، فلما صار في بعض الطريق جعل الرجل ينظر إلى صلاة كعب بن عبيده وتسبيحه واجتهاده، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! بعثت مع رجل مثل هذا أهديه إلى القتل والعقوبة الشديدة أو الحبس الطويل! ثم أقبل بكعب بن عبيدة حتى أدخله على عثمان.

فلما سلم عليه جعل عثمان ينظر إليه، ثم قال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه! أنت تعلمني الحق وقد قأت القرآن وأنت في صلب أب مشرك؟

قال كعب: على رسلك يا ابن عفان! فإن كتاب الله لو كان للأول دون الآخر لم يبق للآخر شيء، ولكن القرآن للأول والآخر.

فقال عثمان: والله ما أراك تتوي أين ربك! قال: بلى يا عثمان هو لي ولك بالمرصاد! فقال مروان: يا أمير المؤمنين حلمك على مثل هذا وأصحابه أطمع فيك الناس. فقال كعب: يا عثمان إن هذا وأصحابه أغمروك وأغرونا بك.

قال عثمان: جروه! فجروه وضربه عشرين سوطاً، ثم أمر به فود إلى الكوفة، وكتب إلى سعيد بن العاص: أما بعد، فإذا قدم عليك كعب بن عبيدة هذا فوجه به مع رجل فظ غليظ إلى جبال كذا، فليكن منفياً عن بلده وقوره.

قال: فلما قدم كعب على سعيد بن العاص دعا به فضمه إلى رجل من أصحابه يقال له: بكير بن حوان الأحوي، فخرج به حتى جعله كذلك حيث أمر عثمان.

قال: وأقبل طلحة والزبير حتى دخلا على عثمان (فذكر اعتراضهما على أعمال عثمان. ثم قال) قال: فدعا عثمان من ساعته بواء وقرطاس وكتب إلى عامله بالكوفة سعيد بن العاص.

الصفحة 147

أما بعد، فإني خشيت أن أكون قد اقترفت ذنباً عظيماً وإثماً كبيراً من كعب بن عبيدة! وإذا ورد كتابي هذا إليك فابعث إليه فليقدم عليك، ثم عجل به إلي، والسلام.

قال: فلما ورد الكتاب على سعيد بن العاص دعا ببكير بن حوان الأحوي وأنفذه إلى كعب بن عبيدة فأشخصه إليه، ثم وجه به إلى المدينة.

فلما أدخل على عثمان سلم فود عليه السلام، ثم أدنى مجلسه وقال: يا أخا بني نهد إنك كتبت إلي كتاباً غليظاً، ولو كتبت أنت لي فيه بعض اللين وسهلت بعض التسهيل لقبلت مشورتك ونصيحتك، ولكنك أغلظت لي وتهددتني واتهمتني حتى أغضبتني فنلت منك ما نلت، وإنه وإن كان لكم علي حق فلي عليكم مثله مما لا ينبغي أن تجهلوه.

قال: ثم روع عثمان قميصه ودعا بالسوط فدفعه إليه، وقال: قم يا أخا بني نهد اقتصص مني ما ضربتك! فقال كعب بن عبيدة: أما أنا فلا أفعل ذلك، فإني أدعه الله تعالى، ولا أكون أول من سن الاقتصاص من الأئمة، والله لئن تصلح أحب إلي من أن تفسد، ولئن تعدل أحب إلي من أن تجور، ولئن تطيع الله أحب إلي من أن تغضبه.

ثم وثب كعب بن عبيدة، فخرج من عند عثمان، فتلقاه قوم من أصحابه، فقالوا: ما منعك أن تقتصص منه وقد أمكنك من نفسه؟

سبحان الله! والي أمر هذه الأمة! ولو شاء لما أقداني (1) من نفسه، وقد وعد التوبة ولرجو أن يفعل (2).

(1) كذا في المصدر أيضا ولعل الصحيح: "أقداني".

(2) (فوح ابن أعثم: ج 2 ص 179 - 188. وراجع الغدير: ج 9 ص 47 وما بعدها

الصفحة 148

(391)

الأشتر وسعيد بن العاص

قال: فبينما سعيد بن العاص ذات يوم في مسجد الكوفة - وقت صلاة العصر - وعنده وجوه أهل الكوفة، إذ تكلم حسان بن محبوب الذهلي، فقال:

والله إن سهلنا لخير من جبلنا. فقال عدي بن حاتم: أجل! السهل أكثر واوخصبا وخوا. فقال الأشتر: وغير هذا أيضا، السهل أنهله مطردة ونخله باسقات، وما من فاكهة ينبت بها الجبل إلا والسهل ينبتها، والجبل خور وعر يحفي الحافر، وصخره يعمي البصر ويحبس عن السفر، وبلدتنا هذه لا ترى فيها ثلجا ولا قوا شديدا.

قال: فقال عبد الرحمن بن خنيس الأسدي صاحب شوطة سعيد بن العاص: هو لعوي كما تذكرن، ولوددت أنه كله للأمير ولكم أفضل منه.

فقال له الأشتر: يا هذا يجب عليك أن تتمنى للأمير أفضل منه ولا تتمنى له أموالنا، فما أقرك أن تتقرب إليه بغير هذا! فقال عبد الرحمان بن خنيس:

وما يضوك من ذلك يا أشتر؟ فوالله إن شاء الأمير لكان هذا كله له. فقال له الأشتر: كذبت والله يا ابن خنيس! والله أن لو رام ذلك لما قدر عليه، ولورمته أنت لوعت دون وعا يذل يخشع.

قال: فغضب سعيد بن العاص من ذلك، ثم قال: لا تغضب يا أشتر! فإنما السواد كله لقريش، فما نشاء منه أخذنا وما نشاء تركنا، ولو أن رجلا قدم فيه رجلا لم يرجع إليه أو قدم فيه يدا لقطعتها! فقال له الأشتر: أنت تقول هذا أم غورك؟ فقال سعيد بن العاص: لا بل أنا أقوله. فقال الأشتر: أتريد أن تجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بأسيا فنا بستاننا لك ولقومك؟ والله ما يصيبك من العواق إلا كل ما يصيب رجلا من المسلمين.

قال: ثم التفت الأشتر إلى عبد الرحمن بن خنيس، فقال: وأنت يا عدو الله

الصفحة 149

ممن يزين له رأيه في ظلمنا والتعدي علينا، لكون ولاك الشوطة. قال: ثم مد الأشتر يده فأخذ حمائل سيف ابن خنيس

فجذبه إليه وقال: بونكم يا أهل الكوفة هذا الفاسق فاقتلوه! حتى لا يكون للمجرمين ظهير. قال:

فأخذته الأيدي حتى وقع لجنبه، ثم جروا وجهه.

فوثب سعيد بن العاص مسوعا حتى دخل إلى منزله.

وقام الأشتر فخرج من المسجد، وخرجوا معه أصحابه وهم يقولون: وفقك الله فيما صنعت وقلت! فوالله لئن رخصنا هؤلاء قليلا لعموا أن دورنا ومولثنا التي ورثناها عن آبائنا وبلادنا لهم دوننا.

قال: فكتب سعيد بن العاص من ساعته بذلك إلى عثمان كتابا في أوله: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من سعيد بن العاص، أما بعد، فإني أخبر أمير المؤمنين أنني ما أملك من الكوفة شيئا مع الأشتر النخعي، ومعه قوم زعمون أنهم القواء وهم السفهاء! فهم يردون علي أئري ويعيبون علي صالح أعمالي، وإن الأشتر كان بينه وبين صاحب شوطي كلام ومواجهة في شيء لا أصل له، فأغوى به الأشتر سفهاء أصحابه وأشوار أهل مصر حتى وثوا عليه وأنا جالس، فضربوه حتى وقع لجنبه وهو لما به، فليكتب إلي أمير المؤمنين وأيه أعمل به إن شاء الله.

فكتب إليه عثمان كتابا في أوله:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنك لا تملك من الكوفة شيئا مع الأشتر، ولعمري إنك منها العريض الطويل، وقد كتبت إلى الأشتر كتابا وضمنته كتابك، فادفعه إليه، وانظر أصحابه هؤلاء الذين ذكرتهم فألحقهم به، والسلام.

قال: ثم كتب عثمان إلى الأشتر: أما بعد، فقد بلغني يا أشر أنك تلقح وتريد أن تتبح، وأيم الله أني لا أظن أنك تستر أمرا لو أنك أظهرته لحل به

الصفحة 150

دمك! وما أراك منتهيا عن الفتنة أو يصيبك الله بقلعة ليس معها بقيا!

فانظر إذا أتاك كتابي هذا فوائته ورأيت أن لي عليك طاعة فسر إلى الشام فتكون بها مقيما حتى يأتيك أئري، واعلم أنني إنما أسيرك إليها لا لشيء إلا لإفسادك علي الناس، وذلك بأنك لا تألوهم خبالا ولا ضلالا.

قال: فلما ورد كتاب عثمان على الأشتر وقأه غزم على الخروج عن الكوفة، ورسل إليه سعيد بن العاص: أن اخرج وأخرج من كان معك على رأيك، فرسل إليه الأشتر: أنه ليس بالكوفة أحد إلا وهو يرى رأيي فيما أظن لا يحبون أن تجعل بلادهم بستانا لك ولقومك، وأنا خرج فيمن اتبعني، فانظر فيما يكون من بعد هذا.

قال: ثم خرج الأشتر من الكوفة ومعه أصحابه، وهم: صعصة بن صوحان العبدي، وأخوه، وعائذ بن حملة الظهري، وجندب بن زهير الأودي، والحلث بن عبد الله الأعور الهمداني، وأصغر بن قيس الحرثي، ويؤيد بن المكف، وثابت بن قيس بن منقع، وكميل بن زياد، ومن أشبههم من إخوانهم، حتى صاروا إلى كنيسة يقال لها: "كنيسة مريم" فرسل إليهم معاوية، فدعاهم فجاءوا حتى دخلوا ثم سلموا وجلسوا.

فقال لهم معاوية:

يا هؤلاء اتقوا الله! ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات.

قال: ثم سكت معاوية، قال له كميل بن زياد:

يا معاوية! فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فنحن أولئك الذين هداهم الله.

فقال له معاوية: كلا يا كميل! إنما أولئك الذين أطاعوا الله ورسوله وولاة الأمر، فلم يذنبوا محاسنهم ولا أشاعوا مساوئهم



فقال كميل: يا معاوية! لولا أن عثمان بن عفان وفق منك بمثل هذا الكلام وهذه الخديعة لما اتخذك لنا سجنا.

فقال له الأشر: يا كميل ابتدأنا ⁽¹⁾ بالمنطق وأنت أحدثنا سنا. قال:

فسكت كميل وتكلم الأشر، فقال:

أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى أكرم هذه الأمة برسوله محمد صلى الله عليه وآله فجمع به كلمتها وأظهرها على الناس، فلبث بذلك ما شاء الله أن يلبث ثم قبضه الله عز وجل إلى رضوانه ومحل جنانه صلى الله عليه وآله وسلم كثوا. ثم ولي من بعده قوم صالحون عملوا بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وخوهم بأحسن ما أسلفوا من الصالحات. ثم حدثت بعد ذلك أحداث، فأى المؤمنون من أهل طاعة الله أن ينكروا الظلم وأن يقولوا بالحق، فإن أعاننا ولاتنا - أعفاهم الله من هذه الأعمال التي لا يجبها أهل الطاعة - فنحن معهم ولا نخالف عليهم، وإن أبوا ذلك فإن الله تبارك وتعالى قد قال في كتابه وقوله الحق: "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبهوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون " فلسنا يا معاوية بكاتمي وهان الله عز وجل ولا بتركي أمر الله لمن جهله حتى يعلم مثل الذي علمنا، وإلا فقد غشتنا أئمتنا وكنا كمن نبذ الكتاب وراء ظهره.

فقال له معاوية: يا أشر إني أراك معلنا بخلافنا مرتضيا بالعدوة لنا، والله لأشدن وثاقك ولأطيلن حبسك!.

فقال له عمرو بن زرة: يا معاوية! لئن حبسته لتعلمن أن له عشوة كثوة عددها لا يضام، شدها شديد على من خلفها

ونزها.

(1) كذا في المصدر أيضا ولعل الصحيح: " ابتدأنا "

فقال معاوية: وأنت يا عمرو تحب أن يضرب عنقك ولا تترك حيا، اذهبوا بهم إلى السجن!.

قال: فذهبوا بهم إلى السجن.

فقام زيد بن المكفكف، فقال: يا معاوية! إن القوم بعثوا بنا إليك لم يكن بهم عجز في حبسنا في بلادنا لو رأوا ذلك، فلا تؤذينا وأحسن مجورتنا ما جلورناك، فما أقل ما نجورك حتى نفرقك! إن شاء الله تعالى.

قال: ثم وثب صعصعة بن صوحان، فقال: يا معاوية! إن مالك بن الحرث الأشر وعمرو بن زرة رجلان لهما فضل في دينهم وحالة حسنة في عشيرتهم وقد حبستهم، فأمر بإخراجهم فذلك أجمل في الوأي.

قال معاوية: علي بهم، فأوتي بهم من الحبس، فقال معاوية: كيف ترون عوفي عنكم يا أهل العواق بعد جهلكم واستحقاقكم الحبس؟ رحم الله أبا سفيان لقد كان حليما ولو ولد الناس كلهم لكانوا حلماء.

فقال صعصعة بن صوحان: والله يا معاوية لقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان فسفهؤهم وجهالهم أكثر من حلمائهم!.

فقال معاوية: فإني أعطيت لسانا حديدا، اخرجوا واتقوا الله وأحسنوا الثناء على أئمتكم، فإنهم جنة لكم

فقال صعصعة: يا معاوية! إنما لا زى لمخلوق طاعة في معصية الخالق.

فقال معاوية: اخرج عني أخرجك الله إلى النار! فلعمري أنك حدث.

(1) فخرج القوم من عند معاوية وصاروا إلى منزلهم فلم زالوا مقيمين بالشام، وقد وكل بهم قوم يحفظونهم أن لا يورحوا . إلى هنا انتهى الأصل بخط المؤلف.

قال - بعد ذكر منع معاوية الماء -: فدعا علي - رضي الله عنه - بشبث بن

(1) فتوح ابن أعثم: ج 2 ص 170 - 177. وراجع الغدير ج 9 ص 30 - 36 و 37 وما بعدها

الصفحة 153

ربعي الرياحي وصعصعة بن صوحان العبدي، فقال لهما: انطلقا إلى معاوية، فولا له: إن خيلك قد حالت بيننا وبين الماء، ولو كنا سبقناك لم نحل بينك وبينه، فإن شئت فخل عن الماء حتى نسوي فيه نحن وأنت، وإن شئت قاتلناك عليه حتى يكون لمن غلب وتوكلنا ما جئنا له من الحرب.

قال: فأقبل شبث، فقال: يا معاوية إنك لست بأحق من هذا الماء منا، فخل عن الماء فإننا لا نموت عطشا وسيوفنا على عواتقنا.

ثم تكلم صعصعة بن صوحان، فقال: يا معاوية إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول لك: إنما قد سونا مسرنا هذا وإني أكره قتالكم قبل الاعذار إليكم، فإنك قدمت خيلك، فقاتلتنا من قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكف حتى نعذر إليك ونحتج عليك، وهذه مرة أخرى قد فعلتموها، حلتم بين الناس والماء، وأيم الله لنشربن منه شئت أم أبيت! فامنن إن قوت عليه من قبل أن نغلب فيكون الغالب هو الشرب.

فقال لعمر بن العاص: ما ترى أبا عبد الله؟ فقال: رى أن عليا لا يظما وفي يده أعنة الخيل، وهو ينظر إلى الوات دون أن يشرب منه، وإنما جاء لغير الماء، فخل عن الماء حتى يشرب ونشرب.

قال: فقال الوليد بن عقبة: يا معاوية إن هؤلاء قد منعوا عثمان بن عفان الماء أربعين يوما وحصروه! فامنعهم إياه حتى يموتوا عطشا واقتلهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون!

قال: ثم تكلم عبد الله بن سعد بن أبي سوح، فقال: صدق الوليد في قوله فامنعهم الماء، منعهم الله إياه يوم القيامة.

فقال صعصعة: إنما يمنعه الله يوم القيامة الكوفة الفسقة الفجوة مثلك ومثل نظرائك هذا الذي سماه الله في الكتاب فاسقا الوليد بن عقبة الذي صلى بالناس الغداة ربعا وهو سكران، ثم قال: ريدكم؟ فجلد الحد في الإسلام.

الصفحة 154

(1) قال: فتأروا إليه بالسيوف، فقال معاوية: كفوا عنه، فإنه رسول... الخ .

الخليل وابن المقفع

كان ابن المقفع والخليل يحبان أن يجتمعا، فاتفق التقؤهما، فاجتمعا ثلاثة أيام يتحوران، فقيل لابن المقفع: كيف رأيته؟ فقال: وجدت رجلا عقله زائد على علمه، وسئل الخليل عنه، فقال: وجدت رجلا علمه فوق عقله⁽²⁾.

(393)

الأحنف ومعاوية

قال معاوية: ما من شيء يعدل النسيب، فقال الأحنف: إلا أن تبادر بالعمل الصالح أجلك، تعجل إخراج ميتك، وتتكح الكفوء ابنتك⁽³⁾.

(394)

أبو الأسود وزباد

قال زياد لأبي الأسود: لولا أنك كبرت لاستعملتك واستشرتك، فقال: إن كنت تريدني للصواع فليس في، وإن كنت تريد الوأي فهو وافي⁽⁴⁾.

(395)

الأعرابي وعبد الملك

انقطع عبد الملك عن أصحابه فانتهى إلى أعرابي، فقال: أتعرف عبد الملك؟ قال: نعم جائر بائر! قال: ويحك أنا عبد الملك! قال: لا حياك الله ولا بياك ولا قربك، أكلت مال الله وضيعت حرمة. قال: ويحك! أنا أضر وأنفع، قال: لا رزقني الله نفعك، ولا دفع عني ضورك! فلما وصلت خيله علم صدقه، فقال: يا أمير المؤمنين اكنم ما جرى، فالمجالس بالأمانة⁽⁵⁾.

(1) فتوح ابن أعثم: ج 3 ص 1 - 3.

(2) (المحاضرات للراغب: ج 1 ص 16.

(3) (المحاضرات: ج 1 ص 26.

(4) (المحاضرات: ج 1 ص 28.

(5) (المحاضرات: ج 1 ص 231

(396)

الأعوابي والحجاج

سأل الحجاج أعوابيا عن أخيه محمد بن يوسف، كيف تركته؟ فقال:

تركته سميّنا عظيما. قال: إنما سألت عن سيرته؟ قال: ظلوما غشوما. قال: أما علمت أنه أخي؟ قال: نعم ما هو بك أعز مني بالله. فأمر بضوبه، فقيل له:

اعتذر إليه، فقال: معاذ الله! أن أعتذر من حق لُردته ⁽¹⁾.

(397)

رجل مع الحجاج

خطب الحجاج يوما فأطال، فقام رجل، فقال: الصلاة! الوقت لا ينتظرك والرب لا يعنرك، فأمر بحبسه فأتاه قومه،

وزعموا أنه مجنون، فإن رأى أن يخلي سبيله. فقال: إن أقر بالجنون خليته، فقيل له ذلك، فقال: معاذ الله! لا رُعم أن الله ابتلاني وقد عافاني، فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه ⁽²⁾.

(398)

يحيى والحجاج

قال الحجاج ليحيى: أنت وُعم أن الحسن والحسين أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم. قال: والله! لأقتلنك إن

لم تأت بآية تدل على ذلك، فقال: نعم إن الله تعالى يقول: "ومن نريته داود وسليمان وأيوب - إلى قوله - وزكريا ويحيى وعيسى" وهو ابن مريم وقد نسبه إليه. فقال الحجاج: أولى لك! قد نجوت ⁽³⁾.

(1) المحاضرات: ج 1 ص 238.

(2) المحاضرات: ج 1 ص 239.

(3) المحاضرات: ج 1 ص 345، وسيأتي بنقل أبسط

(399)

حماد بن عيسى وصديقه

كان حماد بن موسى يترفض، وكان له صديق يثق إليه ويوافقه في مذهبه، فأودعه حماد تراهم وطالبه بها بعد مدة فجده،

فاضطر إلى أن مضى لمحمد بن سليمان وسأله أن يحضوه ويحلف له بحق علي بن أبي طالب، فإنه يتخرج من ذلك، فقال:

أعز الله الأمير! هذا الرجل أجل عندي من أن أحلف له بالوادة من مختلف في ولايته وإيمانه، ولكني أحلف له بالمتفق على

إيمانهما وخلافتهما - أبي بكر وعمر - فضحك محمد بن سليمان والتزم بعض ما ادعي عليه وصالحه على بعض .

(400)

رجل مع معاوية

قال (لما منع معاوية الماء بصفين ورجع رسل علي عليه السلام من عند معاوية وأصر هو على المنع): فوثب رجل من أهل الشام، يقال له: المواء بن الفيل بن الأهل فقال: ويحك يا معاوية! والله لو سبقك علي إلى الماء فقتل عليه من قبلك إذا لما منعك منه أبدا، ولكن أخبرني عنك [أنك] إذ أنت منعت الماء من هذا الموضع ألا تعلم أنه برحل من موضعه هذا ويتول على مشوعة أخرى فيشرب منه ثم يحربك على ما صنعت؟ ألا تعلم أن فيهم العبيد والإماء والضعيف ومن لا ذنب له؟ هذا والله أول البغي والفجور، والله لقد حملت من لا يريد قتالك على قتالك [و] يمنعك هذا الماء، فإن شئت فاغضب وإن شئت فترض، فإنني لا أدع القول بالحق ساءك أم سوك.
ثم أنشأ يقول:

(1) المحاضرات: ج 1 ص 485

الصفحة 157

لعمرو أبي معاوية بن صخر * وعمرو ما لدائهما نواء
سوى طعن يحار العقل فيه * وضرب حين يختلط الدماء
فلست بتابع دين ابن هند * طوال الدهر ما لرسى حواء
لقد ذهب العتاب فلا عتاب * وقد ذهب الولاء فلا ولواء
وقولي في حوادث كل أموي * على عمرو وصاحبه العفاء
ألا لله ترك يا ابن هند * لقد ذهب الحياء فلا حياء
أتحمون الفوات على رجال * وفي أيديهم الأسل الظماء
وفي الأعناق أسياف حداد * كأن القوم عندكم نساء
فتوجو أن يجاوركم علي * بلا ماء وللأخواب ماء
دعاهم دعوة فأجاب قوم * كجرب الإبل خالطها الهناء

قال: فأمر معاوية بقتل هذا الرجل، فوثب قوم من بني عمه فاستوهوه منه فوهبه لهم، فلما كان الليل هرب إلى علي بن أبي طالب فصار معه ⁽¹⁾.

(401)

سعيد بن قيس وأصحابه مع معاوية

قال (بعد أن نقل أنه أخذ مشوعة الفوات من أيدي عساكر الشام بالحرب الشديد بين جنود العواق والشام): ثم دعا علي - رضي الله عنه - سعيد بن قيس الهمداني وبشير بن عمرو الأنصاري، فقال لهما: انطلقا إلى معاوية فادعوا إلى الله عز وجل وإلى الطاعة والجماعة واحتجوا عليه، وانظرا ما رأيته وعلى ماذا قد عزم.

قال: فأقبلا حتى دخلا على معاوية، فتقدم بشير بن عمرو، فقال: يا معاوية! إن الدنيا غدرة غلرة، سفيهة جائرة، وعنك زائلة، وإنك راجع إلى

(1) فتوح ابن أعثم: ج 3 ص 4 - 5

الصفحة 158

الله عز وجل فمحاسبك على عملك ومجزيك بما قدمت يداك.

قال: فقطع معاوية عليه الكلام، ثم قال: فهلا بهذا أوصيت صاحبك؟

فقال الأنصاري: يا سبحان الله العظيم! إن صاحبي ليس مثلك، إنه أحق بهذا الأمر منك للفضل في الدين والسابقة في الإسلام والقوابة من الرسول صلى الله عليه وآله.

فقال معاوية: فيقول ماذا؟ قال: إني آمرك بتقوى الله وإجابة الحق والدخول فيما دخلت فيه المهاجرون والأنصار والتابعون، فإن ذلك أسلم لك في دنياك وآخرتك.

فقال معاوية: ونطل دم عثمان، لا والله! لا كان ذلك أبدا، وما لكما ولا لصاحبكما عندي إلا السيف، فاخرجا عني.

قال: فوثبا قائمين والتفت إليه سعيد فقال: والله يا ابن هند لتغلبن سيوف صاحبنا ما تود أن أمك هند لم تلدك ولم تكن في العالمين! فقال معاوية: يد الله فوق يدك.

قال: وأقبلا إلى علي - رضي الله عنه - يخوانه بذلك، فدعا علي بشبث بن ربعي الرياحي ويؤيد بن قيس الأرجي وزيد بن خصفة التميمي وعدي بن حاتم الطائي، فرأسهم إلى معاوية وقال [لهم]: اعنروا إليه وأنذروه قبل الإقدام على الحرب.

قال: فجاء القوم حتى دخلوا على معاوية وتقدم عدي بن حاتم، فقال:

يا معاوية إننا قد أتيناك ندعوك إلى أمر الله يجمع الله [به] كلمتنا ويحقن دماء المسلمين، وندعوك إلى أفضل الناس سابقة وأحسنهم في الإسلام أؤا وقد اجتمع الناس إليه ورأسدهم الله تعالى بالذي رأوا، فاتق الله يا معاوية! وانته عما قد رُمعت عليه من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بما أصاب به أنصار الجمل.

فقال معاوية: كأنك إنما جئت متهددا، كلا والله يا عدي! إني لابن

الصفحة 159

صخر بن حرب ما يقع لي بالشنان، أما إنك من المجلبين على عثمان، وأنا رجو [أن تكون] ممن يقتله الله، فرأى عدي إجابته فسبقه شبث بن ربعي، فقال:

يا معاوية [لقد] أتيناك فيما يصلحنا وإياك، فصوت تضرب لنا الأمثال التي لا ينتفع بها [أحد].

قال: ثم تكلم يزيد بن قيس، فقال: يا معاوية إننا لم نأتك إلا لنبلغ ما بعثنا به ونؤدي عنك ما نسمعه منك، وإن صاحبنا هو من قد عرفته وعرفه المسلمون، وإننا والله مارأينا رجلا قط أعمل بالتقوى ولا أهدى في الدين ولا أجمع خصال الخير كلها منه. قال معاوية: إنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة، فأما الجماعة التي دعوتم إليها فنعمنا هي. وأما الطاعة لصاحبكم، فإننا لا نأوها واجبة علينا، لأن صاحبكم قتل خليفتنا وفوق جماعتنا، وهو زعم أنه لم يقتل ولم يأمر، ونحن لا نرد ذلك عليه غير أن قتلة صاحبنا عنده، فليدفعهم إلينا لنفديهم بصاحبنا، ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

قال شبيب: لو مكنت من عمار بن ياسر هل كنت قاتله؟ فقال معاوية:

وما يمنعني من قتله؟ والله لو قدرت على ابن سمية لما قتلته بعثمان، ولكني كنت أقتله بقاتل مولى عثمان بن عفان! فقال شبيب بن ربعي: إذا والله ما عدلت يا معاوية! والله لا تصل إلى قتل عمار أو ترى الهامات، وقد نرت عن الكواهل وتضيق عليك أرض الفضاء وحبها.

قال: ثم خرج القوم من عند معاوية، فصاروا إلى علي - رضي الله عنه - فأخبروه بالذي كان بينهم وبين معاوية من

(1) الكلام

(1) فتوح ابن أعثم: ج 3، ص 23 وما بعدها، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج 5 ص 14 و 20 و 21 و 22 عن نصر ويأتي ص 426 عن لفظ نصر أيضا لما بين الروايين من الاختلاف

الصفحة 160

(402)

عمار وعمر بن العاص

قال (في ذكر وقعة صفين): فأصبح القوم، فدنا بعضهم من بعض ومع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يومئذ رجل من حمير يكنى بأبي فوح، وكان مغوها متكلمًا، وكان له فضل وقدر وطاعة في الناس، فقال لعلي: يا أمير المؤمنين أتأذن لي في كلام ذي الكلاع؟ فإنه رجل من قومي وهو سيد عند أهل الشام، فلعلي أشككه فيما هو فيه، فقال له علي: يا أبا فوح إن رد مثل ذي الكلاع شديد عند أهل الشام، فإن أحببت لقاءه فالقه بالجميل، وإياك والكتب! قال: فبعث أبو فوح إلى ذي الكلاع: إني أريد لقاءك، فاخرج إلي أكرمك.

قال: فجاء ذو الكلاع إلى معاوية، فقال: إن أبا فوح يريد كلامي ولست مكلمه إلا بإذنك، فما ترى في كلامه أكلمه أم لا؟ فقال معاوية: وما تريد إلى كلامه؟ فوالله ما نشك في هداك ولا في ضلالتك ولا في حقك ولا في باطله.

فقال ذو الكلاع: على ذلك ائذن لي في كلامه، فقال معاوية: ذاك إليك.

وفشا أمر أبي فوح وذو الكلاع في الناس، فأنشأ رجل من أصحاب علي يقول:

أذكر أخا كلع أبرأ سيعقه * شكا وشيكا فباوه أبا فوح

حتى تشككه في دين صاحبه * والشك منه قريب شبه تصريح
أما الوجع فإني لست آمله * إلا وبعض دماء القوم مسفوح
من يحصب ورعين أو نوي كلع * وأصبح الشمر ذي الوأي الواجيج
كم ساعد قد أبان السيف مرفقها * ورأس أشوس وسط القوم مطروح
قال ابن هند له قولا فأطمعه * إن المطامع باب غير مفوح
باوه من قبل أن تتشب أظافه * من ابن هند بتشييع وتجليح

الصفحة 161

وامنحه نصحك إما كنت ناصحه * ما كان نصح أبي فوح بمشروح
إن خالف اليوم أهل الشام ذو الكلع * لا يمس بالشام قرن غير منطوح
قال: وأقبل [أبو] فوح حتى وقف بين الجمعين، وخوج ذو الكلاع حتى وقف قبالتة، فقال أبو فوح: يا ذا الكلاع! إنه ليس
في هذين الجمعين أحد أولى بنصحتك مني، إن معاوية بن أبي سفيان أخطأ وأخطأتم معه في خصال كثرة لخطأة واحدة، إنه
من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، فأخطأ بادعائه إياه وأخطأتم باتباعه وأخطأ في الطلب بدم عثمان وأخطأتم معه، لأن
غوه أولى بطلب دم عثمان منه، وأخطأ أنه رمى عليا بدم عثمان وأخطأتم بتصديقكم إياه ونصركم له، وهذا أمر قد شهدناه
وغبتم عنه، فاتق الله ويحك يا ذا الكلاع!
فإن عثمان بن عفان أبيع له (أتيح له - خ) قوم فقتلوه بدعوى ادعوا عليه، والله الحاكم في ذلك يوم القيامة، وقد بايعت
الناس عليا برضاء منه ومنهم، لأنه لم يك للناس بد من إمام يقوم بأمرهم، وليس لأهل الشام مع المهاجرين والأنصار أمر، فإن
قلت: إن عليا ليس بخير من معاوية ولا بأحق منه بهذا الأمر، فهات رجلا من قویش ممن ترضى دينه حتى يعدل بينهم في
شئ من الدين والشرف والسابقة في الإسلام.
فقال له ذو الكلاع: إنني قد سمعت كلامك أبا فوح ولم يخف علي منه شئ، ولكن هل فيكم عمار بن ياسر؟ فقال أبو فوح:
نعم هو فينا، قال: فهل يتهيأ لك أن تجمع بينه وبين عمرو بن العاص فيتكلمان وأنا أسمع؟ فقال أبو فوح: نعم.
ثم ولى إلى عسكوه، فصار إلى عمار وطلب إليه وسأله أن يلقي عمرو بن العاص.
قال: فخرج عمار في ثلاثين رجلا من المهاجرين والأنصار ليس فيهم رجل إلا وقد شهد بوا مع رسول الله صلى الله عليه
وآله غير رجلين: عمرو بن

الصفحة 162

الحق القواحي، ومالك بن الحارث الأشر. قال: وقام الصباح الحموي إلى معاوية، فقال له: إني رى لك أن لا تأذن لذي الكلاع أن يلقي أبا فوح، فإنه قد طمع فيه،
وأخاف أن يشككه في دينه! فقال معاوية: إني قد نهيته فلم ينته عن ذلك، وهو رجل من سادات حمير، وأنا لرجو أن لا يخذع.

قال: فأنشأ رجل من أصحاب معاوية في ذلك يقول:

إنني رأيت أبا فوح له طمع * في ذي الكلاع فلا يقرب أبا فوح
إنني أخاف عليه من بواره * كيد الواق وقونا غير منطوح
إن يرجع اليوم للعقبين ذو كلع * يرجع له الشام من شك وتصويح
ما قول عمرو وشر القول أكذبه * إلا هشيم نواه عاصف الريح
لا برك الله في عمرو وخطبته * إن التي رامها فجر وتجليح
لو شاء قال له قولا يشككه * حتى يظن سحق النخل كالشيخ

قال: فأقبل ذو الكلاع إلى عمرو بن العاص إذ هو واقف يحرض الناس على القتال، فقال له: أبا عبد الله هل لك في رجل ناصح صادق لبيب شفيق يخبرك عن عمار بن ياسر بالحق؟ فقال له عمرو: [و] من هذا معك؟ فقال: هذا ابن عم لي من أهل الواق غير أنه جاء معي بالعهد والميثاق على أنه لا يؤذى ولا يهاج حتى يرجع إلى عسكوه. فقال عمرو: إنا لنؤي عليه سيماء أبي زاب، فقال أبو فوح: بل سيماء محمد وأصحابه علي وعليك سيماء جهل بن أبي جهل وسيماء فوعن ذي الأوتاد.

قال: فوثب أبو الأعور السلمي فسل سيفه ثم قال: رى هذا الكذاب الأثيم يشاتمنا وهو بين أظهرنا، وعليه سيماء أبي زاب. فقال ذو الكلاع: مهلا يا أبا الأعور! لأقسم بالله لو بسطت يدك إليه لأخطمن أنفك بالسيف! ابن عمي وجلي قد عقدت له ذمتي وجئت به إليكم ليخبركم عما تملئتم فيه

الصفحة 163

فتسل عليه السيف!!

قال: فسكت أبو الأعور وتكلم عمرو بن العاص، فقال: ألسنت أبا فوح؟

فقال: بلى أنا أبو فوح. قال عمرو: فأنا أذكرك الله أبا فوح إلا صدقتنا ولم تكذبنا أفيكم عمار بن ياسر؟ قال أبو فوح: ما أنا بمخبرك حتى تخبرني لم تسألني عنه؟ فإن معنا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - وكلهم جاد في قتالكم، فقال عمرو: لأنني سمعت رسول الله وهو يقول لعمار:

" تقتلك الفئة الباغية " وإنه " ليس ينبغي لعمار بن ياسر أن يفرق الحق ولا تأكل النار منه شيئا " فقال أبو فوح: لا إله إلا الله والله أكبر! إن عمرا معنا وإنه لجاد في قتالكم، فقال عمرو: إنه والله لجاد على قتالنا؟ فقال أبو فوح: والله لقد حدثني يوم الجمل إننا سنظهر عليهم، فكان كما قال: ولقد حدثني بالأمس أن لو هزمتونا حتى تبلغونا إلى سعفات هجر لعلمنا بأننا على حق وأنكم على باطل، وأن قتالنا في الجنة وقتالكم في النار، فقال عمرو: فهل تستطيع أن تجمع بيني وبينه؟ قال أبو فوح: نعم، وها هو واقف في ثلاثين رجلا من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

فأقبل عمرو بن العاص حتى وقف قريبا من أصحاب علي، ومعه نفر من أصحاب معاوية. قال: ونظر إليهم عمار، فرسل

إليهم رجل من عبد القيس يقال له: عوف بن بشر، فأقبل حتى إذا كان قريبا منهم نادى بأعلى صوته:

أين عمرو بن العاص؟ فقال عمرو: ها أنا فهات ما عندك، فقال: هذا عمار قد حضر، فإن شئت فتقدم إليه. قال عمرو:

فسر إلينا حتى نكلمك، فقال:

أنا أخاف غواتك. قال عمرو: فما الذي جرأك وأنت على هذه الحالة؟ فقال له عوف بن بشر: الله جرأني عليك وبصوني

فيك وفي أصحابك، فإن شئت نابذتك، وإن شئت التقيت أنت وخصماؤك. فقال له عمرو: من أنت يا أخي؟ قال: أنا عوف بن

بشر الشنبي رجل من عبد القيس. قال عمرو: فهل

الصفحة 164

لك: أن أبعث لك بفلس يوافقك؟ فقال له عوف: ما أنا بمستوحش من ذلك، فابعث إلي أشقى أصحابك. فقال عمرو

لأصحابه: أيكم يخرج إليه فيكلمه، فقال أبو الأعور: أنا إليه أسير.

ثم أقبل إليه أبو الأعور حتى واقفه، فقال له عوف: إني لأرى رجلا لا أشك أنه من أهل النار إن كان مصوا على ما رى،

فقال له أبو الأعور: لقد أعطيت لسانا حديدا أنكبك الله في نار جهنم! فقال عوف: كلا! والله إني لا أتكلم إلا بالحق ولا أنطق

إلا بالصدق، وإني أدعو إلى الهدى وأقاتل أهل الضلال وأفر من النار، وأنت رجل تشوي العقاب بالمغفرة والضلالة بالهدى،

فانظر إلى وجهنا ووجهكم وسيماننا وسيمانكم، واسمع إلى دعوانا ودعواكم، فليس منا أحد إلا وهو أولى بمحمد صلى الله

عليه وآله وأقرب إليه منكم.

فقال أبو الأعور: أكتوت الكلام وذهب النهار، فاذهب وادع أصحابك وأدعو أصحابي وأنا جار لك حتى تأتي موقفك هذا

الذي أنت فيه، ولست أبدأك بغدر حتى تأتي أنت وأصحابك.

قال: فوجع عوف بن بشر إلى عمار بن ياسر ومن معه، فأخوهم بذلك، وأقبل عمار ومعه الأجلاء من أهل عسكوه، وتقدم

عمرو بن العاص في أجلاء عسكوه حتى اختلفت أعناق الخيل، فقلوا هؤلاء هؤلاء عن خيولهم واحتوا بحمائيل سيوفهم،

وذهب عمرو [يتكلم] التشهد، فقال عمار: اسكت! وقد تركتها في حياة محمد صلى الله عليه وآله وبعد موته، ونحن أحق بها

منك، فاخطب بخطبة الجاهلية، وقل قول من كان في الإسلام دنيا ذليلا وفي الضلال رأسا محلرا، فإنك ممن قاتل النبي صلى

الله عليه وآله في حياته وبعد موته وفتن أمته من بعده، وأنت الأبتز ابن الأبتز شاني محمد صلى الله عليه وآله وشاني أهل

بيته.

قال: فغضب عمرو، ثم قال: أما إن فيك لهنات! ولو شئت أن أقول لقلت.

الصفحة 165

فقال عمار: وما عسى أن تقول ابن عمي؟ إني كنت ضالا فهداني الله، ووضيعا فرفعني الله، وذليلا فأعزني الله، فإن [كنت

[رَعم هذا] فقد [صدقت، وإن [أنت] رَعم أي خنت الله ورسوله يوما واحدا أو تولينا غير الله يوما واحدا فقد كذبت، ولكن

هلم إلى ما نحن فيه الآن، فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقنا باطلك، وإن شئت كانت خطب فنحن أعلم بفصل الخطاب منك،

وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك وتكفوك قبل القيام من مجلسك وتشهد بها على نفسك، ولا تستطيع أن تكذبني: هل تعلم أن عثمان بن عفان كان عليه الناس بين خاذل له ومحرض عليه [و] ما هم فيه من نصوه بيده ولا نهى عنه بلسانه؟ وقد حصر أربعين يوما في جوف بئر له جمعة ولا جماعة، وتظن ما كان فيه قبل أن يقتل ما كان من طلحة والزبير وعائشة بنت أبي بكر حين منعها أزراقها فقالت فيه ما قالت وحضت على قتله، فلما قتل خرجت فطلبت بدمه بغير حق ولا حكم من الله تعالى في يدها، ثم إن صاحبك هذا معاوية قد طلب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يترك له ما في يده، فأبى علي ذلك، فانظر في هذا، ثم سلط الحق على نفسك فاحكم لك وعليك.

قال: فقال عمرو: صدقت أبا اليقظان قد كان ذلك كما ذكرت في أمر عائشة وطلحة والزبير. وأما معاوية فله أن يطلب بدم عثمان، لأنه رجل من بني أمية وعثمان من بني أمية وليس لهذا جئت... إذ ارسل هذا الأمر الذي قد شجر بيننا وبينكم، لأنني رأيته أطوع هذا العسكر، فذكر الله إلا كفت سلاحهم وحقت دماءهم وحضت على ذلك، ويحك أبا اليقظان! على ماذا تقاقلنا؟ ألسنا نعبد الله واحدا؟ ألسنا نصلي إلى قبلتكم وندعو بدعوتكم ونقرأ كتابكم ونؤمن بنبيكم؟

فقال عمار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك! القبلة والله لي ولأصحابي،

الصفحة 166

ولنا الدين والوآن وعبادة الرحمن، ولنا النبي والكتاب، من دونك ودون أصحابك، وإن الله - تبرك وتعالى - قد جعلك ضالا مضلا، وأنت لا تعلم أهاد أنت أم ضال، ولقد أمني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أقاتل الناكثين فقد فعلت، وأمني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم، وأما الملوقن فلا أوري أركهم أم لا.

أيها الأبتري! ألسنت تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله قال: " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصوه واخذل من خذله "؟ فأنا مولى الله ولرسوله وعلي مولاي من بعده، وأنت فلا مولى لك.

فقال عمرو بن العاص: ويحك أبا اليقظان! لم تشتمني ولست أشتمك؟

فقال عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ فقال عمار: قد أخبرتك كيف قتل عثمان. فقال عمرو: فعلي قتله، فقال عمار: بل الله قتله. قال عمرو: فهل كنت فيمن قتله؟ قال عمار: أنا مع من قتله وأنا اليوم أقاتل لمن قتله، لأنه أراد أن يقتل الدين، فقتل.

فقال عمرو: يا أهل الشام إنه قد اعترف بقتل عثمان أمامكم! فقال عمار: قد قالها فوعون لقومه " ألا تسمعون "، أخبرني يا ابن النابغة! هل أقرت أنني أنا الذي قتلت عثمان حتى تشهد علي أهل الشام؟ فقال عمرو يا هذا:

إنه كان من أمر عثمان ما كان [و] أنتم الذين وضعت سيوفكم على عواتقكم وتحربتم علينا مثل لهب النوان حتى ظننا أن صاحبكم لا بقية عنده، فإن تتصفونا من أنفسكم فادفعوا إلينا قتلة صاحبنا ولجوا من حيث جئتم، ودعوا لنا ما في أيدينا، وإن أبيتم ذلك فإن دون ما تطلبون منا والله حوط القتاد!.

قال: ثم تبسم عمار، ثم قال: ليس أول كلامك هذا يا ابن النابغة! يا دعي يا ابن الدعي! يا ابن حوار قريش! يا من ضوب على خمسة بسهامهم كل يدعيك حتى قلبك شوه! أفني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تغتمز؟ أما

والله! لقد علمت قريش قاطبة أن علياً لا يجلس له علاولا يقع له بالشنان ولا يغمز غمز التين.

قال: فقام أهل الشام فوكوا خيولهم ولهم زجل فصاروا إلى معاوية، فقال له معاوية: ما وراءكم؟ فقالوا: وراءنا والله إنما قد

سمعنا من عمار بن ياسر كلاماً يقطر الدم! والله لقد أخرس عمرو بن العاص حتى ما قدر له على الجواب! فقال معاوية:

هلكت العرب بعد هذا ورب الكعبة!

قال: ورجع عمار في أصحابه إلى علي بن أبي طالب فأخوه بالذي دار بينه وبين عمرو بن العاص، فأنشأ رجل من

أصحاب علي يقول:

[ما زلت يا عمرو قبل اليوم مبتدر * تبغي الخصومة جهوا غير سوار

حتى رأيت أبا اليقظان منتصباً * لله در أبي اليقظان عمار

ما زال يوق منك العظم منتقياً * مخ العظام بحق غير إنكار

حتى رمى بك في بحر له لجج * يرمي بك الموج في لجج من النار]

قال: وقد كان مع معاوية رجل من حمير يقال له: الحصين بن مالك، وكان يكاتب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -

ويدهله على عورات معاوية، وكان له صديق من أصحاب معاوية يقال له: الحرث بن عوف السكسكي، فلما كان ذلك اليوم قال

الحصين بن مالك للحرث بن عوف: يا حرث إنه قد آتاك الله ما أردت، هذا عمرو وعمار وأبو فوح وذو الكلاع قد التقوا،

فهل لك أن تسمع من كلامهم؟ فقال الحرث بن عوف: إنما هو حق وباطل، وفي يدي من الله هدى، فسر بنا يا حصين.

قال: فجاء الحصين والحرث حتى سمعا كلام عمرو وعمار، فلما سمع الحرث بن عوف كلام عمار وتظاهر الحجة على

عمرو بقي متحواً، فقال له الحصين: ما عندك الآن يا حرث؟ فقال الحرث: ما عندي وقعة والله بين العار والنار، والله لا

أقاتل مع معاوية بعد هذا اليوم أبداً، فقال له: ولا أنا

أقاتل علياً بعد هذا اليوم أبداً.

قال: ثم هربا من عسكر معاوية جميعاً فصار أحدهم إلى حمص وأظهر التوبة، وصار الحرث بن عوف إلى مصر تائباً

من قتال علي - رضي الله عنه - وأنشأ يقول:

[قال الحصين ولم أعلم بنيته * يا حار هل لك في عمرو وعمار

يا حار هل لك في أمر له نبأ * فيه شر كان من عوف وإنكار ⁽¹⁾

فاسمع وتسمع ما يأتي العيان به * إن العيان شفاء النفس يا حار

لما رأيت لجاج الأمر قلت له * قولا ضعيفا نعم والكوه إضملي

سونا إلى ذلك الراين مع نفر * شم كوام وجدنا زندهم وولي

لما تشهد عمرو قال صاحبه * اسكت فإنك من ثوب الهدى علي
فلتد عمرو على عقبه منكسرا * كالهز برقب ختلا عزم الفار
ما زال يرميه عمار بحجته * حتى أقر له من غير إكثار
قال الحصين لما أبصوت حجته * غواء مثل بياض الصبح للسري
ما بعد هذين من عيب لمنتظر * فاختر فدى لك بين العار والعار
قلت الحياة فواق القوم معترفا * بالذنب حقا وليس العار كالعار]

قال: وأقبل نفر من أصحاب معاوية إلى عمرو بن العاص، فقال له بعضهم:

أبا عبد الله أأست الذي رويت لنا أن النبي صلى الله عليه وآله قال: " يور الحق مع عمار حيث ما دار "؟ فقال عمرو: بلى
قد رويت ذلك ولكنه يصير إلينا ويكون معنا.
فقال له ذو الكلاع: هذا والله محال من الكلام! والله لقد أفحمك عمار حيث بقيت وأنت لا تقدر على إجابته، قال عمرو:
صدقت وربما كان كلام

(1) كذا في الفتوح



ليس له جواب.

قال: فأنشأ رجل من بني قيس يقول في ذلك:

[والواقصات يركب عامدين له * إن الذي كان في عمرو لمأثور
قد كنت أسمع والأنباء شائعة * هذا الحديث فقلت الكذب والزور
حتى تلقينه عن أهل محنته ⁽¹⁾ * فاليوم لرجع والمغور مغور
واليوم أوأ من عمرو وشيعته * ومن معاوية المحذو به العير
لا لا أقاتل عمرا على طمع * بعد الرواية حتى ينفخ الصور
تركت عمرو وأشياعا له نكوا * إني بتركهم يا صاح معنور
يا ذا الكلاع فدع لي معشوا كفروا * أو لا فديتك دين فيه تغير
ما في مقال رسول الله في رجل * شك ولا في مقال الرسل تحيير]
قال: ثم هرب صاحب هذا الشعر حتى لحق بعلي بن أبي طالب، فصار معه.

قال: فدعا معاوية عمرو بن العاص، فقال: يا هذا إنك أفسدت أهل الشام علي، أكل ما سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وآله - تقوله وترويه؟ ما أكثر ما سمعنا منه فلم نروه! فقال عمرو: يا هذا والله لقد رويت هذا الحديث وأنا لا أظن أن صفيين تكون، ولست أعلم الغيب ولقد رويت أنت أيضا في عمار مثل الذي رويت أنا فما ذنبي؟ قال: ثم أنشأ عمرو يقول:

[أعاتبني إن قلت شيئا سمعته * وقد قلت لو أنصفتني مثله قبلي
فعلك فيما قلت فعل بنيه * وتولق بي في مثل ما قلته فعلي
وهل كان لي علم بصفيين أنها * تكون وعمار يحث على قتلي
فلو كان لي بالغيب علم كتمته * وكأوت أوقاما مراحلم تغلي
أبى الله إلا أن صدرك واغر * علي بلا ذنب جنيت ولا نحل

سوى أنني والواقصات عشية * بنصرك مدخول الهوى ذاهل العقل
فلا وضعت عندي حصان قناعها * ولا حملت وجناء عومسة رحلي
ولا زلت أدعى في لؤي بن غالب * قليلا غناي لا أمرولا أحلي
إن الله رخي من خناقك مرة * ونلت الذي رجوه إن لم رد أهلي
وأترك لك الشام الذي ضاق رحبها * عليك ولم يهنك بالعيش من أجلي]

قال: فأجابه معاوية وأنشأ يقول:

الآن لما أَلقت الحرب بركها * وقام بنا الأمر الجليل على رجل
غمرت قناتي بعد سبعين حجة * شفاها كأني لا أمر ولا أحلي
أبيت لأمر فيه للشام فتنة * وفي دون ما أظهرته زلة النعل
فقلت لك القول الذي ليس ضاؤا * ولو ضر لم يضرك حملك لي نعلي
تعاتبني في كل يوم وليلة * كأن الذي ابليت ليس كما ابلي
فما قبح الله العتاب وأهله * ألم تر ما أصبحت فيه من الشغل
فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلة * تود بها قوما مراحلهم تغلي
دعاهم علي فاستجابوا لدعوة * أحب إليهم من بقى المال والأهل
(1) إذا قال خوضوا غمرة الموت أرقلوا * إلى الموت أرقل الملوك إلى الفحل]
(2) قال: فلما انتهى هذا الشعر إلى عمرو جاء إلى معاوية فأعته ورضي كل واحد منهم من صاحبه .

(403)

عدي بن حاتم ومعاوية

قال: فلما كان بعد مقتل علي - رضي الله عنه - أقبل عدي بن حاتم،

(1) لا توجد هذه الأبيات في المصادر غير فتوح ابن أعثم.

(2) فتوح ابن أعثم: ج 3 ص 114 - 132، وقد مر ص 48 وأعدنا ذكره لفوائد وزوائد في هذه الرواية.

وراجع قاموس الرجال: ج 10 ص 204 . والغدير: ج 2 ص 144 - 148 عن صفين نصر وشوح ابن أبي الحديد
وراجع صفين نصر ص 333 - 346

الصفحة 171

فدخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص ورجل من بني الوحيد، فسلم عدي فودوا عليه السلام.
فقال له معاوية: أبا طريف! ما الذي أبقي لك الدهر من ذكر علي بن أبي طالب؟ فقال عدي: وهل يتركني الدهر أن لا
أذكره؟ قال: فما الذي بقي في قلبك من حبه؟ قال عدي: كله وإذا ذكر لرداد.
فقال معاوية: ما أريد بذلك إلا أخلاق ذكره، فقال عدي: قلوبنا ليست بيدك يا معاوية، فضحك معاوية، ثم قال: يا معشر
طي! إنكم ما زلتم تشرفون الحاج ولا تعظمون الحرم. فقال عدي: إنا كنا نفعل ذلك ونحن لا نعرف حلالا ولا ننكر حراما،
فلما جاء الله عز وجل بالإسلام غلبناك وأباك على الحلال والحرام، وكنا للبيت أشد تعظيما منكم له. فقال معاوية: عهدي بكم
يا معشر طي وإن أفضل طعامكم الميتة.
فقال عمرو بن العاص والرجل الذي عنده من بني الوحيد: كف عنه يا أمير المؤمنين، فإنه بعد صفين ذليل. فقال عدي:

صدقتم! ثم خرج عدي من عند معاوية، وأنشأ يقول:

يحاولني معاوية بن حرب * وليس إلى الذي يوجو سبيل
يذكرني أبا حسن عليا * وحظي في أبي حسن جليل
يكاشوني ويعلم أن طرفي * على تلك التي أخفى دليل
ويعلم أننا قوم جفاة * حواديون ليس لنا عقول
وكان جوابه عندي عتيذا * ويكفي مثله مني القليل
وقال ابن الوحيد وقال عمرو * عدي بعد صفين ذليل
فقلت صدقتما قد هدركني * وفرقني الذي بهم أصول
ولكني على ما كان مني * أبلبل صاحبي بما أقول
وإن أخاك في كل يوم * من الأيام محمله ثقیل

الصفحة 172

قال: فرُسل إليه معاوية بجائزة سنوية وتوضاه ⁽¹⁾.

(404)

حجل بن أثال مع ابنه

قال: ويرزجل من أصحاب معاوية يقال له: حجل بن أثال بن عامر العبسي حتى وقف بين الجمعين، ثم نادى: يا أهل العواق من يبارز؟ فما لبث أن خرج إليه ابنه وكان الابن مع علي - رضي الله عنه - والأب مع معاوية والابن يقال له: أثال. قال: فخرج إليه وهو لم يعرفه فتطاعنا بالوماح، فطعنه ابنه طعنة رداه عن فوسه. قال: وسقطت البيضة عن رأس الشيخ، فنظر إليه الفتى فعرفه أنه أهوه!

فرمى بنفسه عن فوسه وأكب عليه وقال: يا أبتى أظن أنه قد أهنتك طعنتي.

فقال: نعم يا بني، وليس على منها بأس إن شاء الله، لكن يا بني هلم إلى الشام والأموال الكثيرة مع معاوية. فقال له الابن: هلم الآخرة وجنة الخلد مع علي بن أبي طالب. فقال الشيخ: يا بني هذا ما لا يكون من أبئك أبدا. قال الفتى: يا أبتى هذا ما لا يكون من ابنك أبدا، فلرجع إلى صاحبك فإني راجع إلى صاحبي.

قال: فوجع كل منهما إلى صاحبه وعجب أهل العسكرين منهما جميعا، وضربوا في الأمثال بعد ذلك، فأنشأ الشيخ يقول:

[إن حجل بن عامر واثالا * أصبحا يضوبان في الأمثال

أقبل الفرس المدجج في النقع * أثال يحوي يريد زالي

دون أهل العواق إذ عظم النقع * على ظهر هيكل ذیال

فتناولته بباوة الومح * فأهوى بأسمر عسال
فأطعنا وذاك من عجب الدهر * عجيب بحادثات الليالي
شاحوا بالقناة صدر أبيه * وعزيز علي طعن أثال
لا أبالي إذا طعنت اثالا * واثالا كذاك ليس ببالي
فافترقنا على السلامة والنفس * تقيها مؤخر الآجال
لا واني على الهدى وراه * من هداي على سبيل الضلال
وكلانا رجو الثواب إلى الله * يقينا بغير قيل وقال
قال: فلما انتهى شعر الشيخ بأهل العواق أنشأ ابنه يقول:

إن طعني وسط العجاجة حجلا * لم رد بالذي فعلت عقوقا
كنت أرجو به الثواب من الله * وكوني مع النبي رفيقا
لم زل أنصر العواق من الشام * رأني بفعل ذاك حقيقا
قال أهل العواق إذ عظم الخطب * ونق المبلزون نقيقا
من فتى يأخذ الطريق إلى الله * وكنت الذي أخذت الطريقا
حاسر الرأس لا أريد سوى الموت * رى كل ما يكون دقيقا
فإذا فرس تقحم في النقع * بيوتا تخاله أم عنيقا
فسبقني حبل بنافذة الطعن * وما كنت قبلها مسبقا
وتلاقيته بطعنة صدق * وكلانا يبارز العبقوقا
أحمد الله ذا الجلال [وذا] القوة * حمدا يزيدني توفيقا
إنني لم زل بنافذة الطعن * سواء ولم يك تعويقا
قلت للشيخ لست أكفوك الدهر * لطيف الغداء والتفريقا
غير أنني أخاف من لهب النار * بتوكي الهدى فكن لي رفيقا
فأبى الشيخ أن يكون سعيدا * ولقد كنت ناصحا وشفيقا [1]

(405)

أبو الطفيل ومعوية

قال: ثم أقبل عبد الله بن الطفيل إلى علي، فقال: كيف رأيت فعلنا في عدونا يا أمير المؤمنين؟ (وذلك في صفين) والله لقد استكوهوني على الانصاف فاستكوهتهم على الرجعة. قال: فأعجب عليا ذلك منه، وأثنى عليه وعلى قومه خرا، فأنشأ أبو الطفيل يقول:

[تحامت كنانة في حربها * وحامت تميم وحامت أسد
وحامت هولن من بعدها * فما حام منا ومنهم أحد
لقينا الفلرس يوم الخميس * والعيد والسبت قبل الأحد
وأمدادهم خلف أذناهم * وليس لنا من سوانا مدد
لقينا قبائل أنسابهم * إلى حضوموت وأهل الجند
فلما تناولوا بآبائهم * دعونا معدا ونعم المعد
فظلنا نفلق هاماتهم * ولم نك فيها ببيض البلد
ونعم الفلرس يوم الوغى * فقل من عديد وقل في عدد
وقل في طعان كفوغ الدلاء * وضوب عظيم كنار الوقد
ولكن عصفنا بهم عصفة * وفي الحرب بشر وفيها نكد
طحنا الفلرس يوم العجاج * وسقنا الأراذل سوق النقد
وقلنا علي لنا والد * ونحن له في ولاية الولد]

قال: فاشتد هذا الشعر على معوية وغمه غما شديدا.

ثم إنه جلس ذات يوم - وذلك بعد صفين - وعنده يومئذ عمرو بن العاص وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم، فذكروا هذه القصيدة، فما منهم أحد إلا وشتم أبا الطفيل أقبح الشتيمة، وبلغ ذلك أبا الطفيل، فأنشأ يقول:

[أيشتمني عمرو ومروان ضلة * لرأي ابن هند والشقي سعيد

وحول ابن هند شايعون كأنهم * إذا ما استقاموا في الحديث قروود
يعضون من غيض علي أكفهم * وذلك غم لا أحب شديد
وما سبني إلا ابن هند وإنني * بتلك التي يشجى بها لوصود

كما بلغت أيام صفين نفسه * تواقبه والشامتون شهود
فلم يمنعه والوماح تتوشه * وطاعتهم ربح العنان عنود
وطرت لعمرو في الفجاج شظية * ومروان من وقع السيوف بعيد
وما لسعيد همة غير نفسه * وكل التي يخشونها ستعود
(1) فتخطوهم والحرب خطأ كأنهم * حمام وبلي في الهوى وصيود

(406)

رجل من أهل الشام مع هاشم

قال: فخرج إليه (يعني إلى هاشم بن عتبة الموقال - رضوان الله عليه - في يوم من أيام صفين وهو في ميدان النضال)
رجل من أصحاب معاوية، وجعل يشتم عليا ويقول القبيح!
فقال له هاشم: يا هذا! إن لهذا الكلام بعده الخصام، فاتق الله ولا تشتم، فإنك راجع إلى ربك وأنه مسائلك عن هذا الموضوع
وعن هذا الكلام.

فقال الشامي: وكيف لا أشتكم ولا ألعنكم وقد بلغني عن صاحبكم أنه لا يصلي وأنكم لا تصلون؟! فقال له هاشم: يا هذا
الرجل! أما قولك: إننا ما نصلي، فوالله ما فينا أحد يؤخر الصلاة عن وقتها طرفة عين. وأما قولك: عن صاحبنا أنه لا يصلي،
فوالله أنه لأول ذكر صلى من هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه لأفقه خلق الله في دين الله وأولاهم برسول
الله صلى الله عليه وآله، وليس معه أحد إلا وهو قرئ لكتاب الله عالم بحدود

(1) فتوح ابن أعثم: ج 3 ص 168 - 169

الصفحة 176

الله، ولا يغونك هؤلاء الأشقياء المغرورون.
فقال الشامي: يا هذا! ما أظنك والله إلا وقد نصحتني في ديني ولكن هل من توبة؟ قال: نعم إن تبت تاب الله عليك، فإنه هو
الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. قال: ففقع الشامي فوسه وركض، فصار إلى علي - رضي الله عنه - فكان
(1) معه.

(407)

رجال من أصحاب علي عليه السلام مع عمرو

قال (في بيان وقعة صفين): فأقبل عمرو (بن العاص) على بغلة له شهباء حتى دنا من ميسرة علي - رضي الله عنه - ثم
نادى بأعلى صوته: يا أهل أمي أنا عمرو بن العاص، فليخرج إلي رجل منكم.

قال: فخرج إليه رجل من عبد القيس يقال له: " عقيل بن ثوبة " فقال له عمرو: من أنت يا ابن أخ؟ فقال: أنا رجل من عبد القيس شهدت يوم الجمل فأبلاني الله بلاء حسنا، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس، ووالله! أن لو كان بعدي رجل هو أعدى لك مني لما خرجت إليك، وبلك! أما تستحي وأنت شيخ قريش؟ أنت تؤثر معاوية على علي وتبيع دينك بمصر وتتصر رجلا من الطلقاء على رجل من سادات المهاجرين والأنصار.

قال: فتبسم عمرو، ثم قال: يا ابن أخ أحب أن يخرج إلي غيرك، فقال الرجل: والله لا يخرج إليك إلا من هو مثلي في عدولتك، ثم رجع إلى أصحابه.

وخرج إلى عمرو رجل من بني تميم يقال له: " طحل بن الأسود بن ردلج " فقال له عمرو: من أنت يا ابن أخ؟ فقال: أنا من لا يقبلك عثوثك، ولا يقبل

(1) راجع فتوح ابن أعثم: ج 3 ص 196 . وشرح ابن أبي الحديد: ج 8 ص 36 . وبهج الصباغة: ج 6 ص 28 . والغدير: ج 9 ص 122. وصفين نصر: 354 - 355

الصفحة 177

معزوثك، ولا يرحم عثوثك، ولا يبلعك ريقك، أما والله! لقد أخذت دنيا دنية فانية بآخرة عند الله باقية، ولقد خالفت عليا وإنك لتعلم أنه خير من معاوية.

فقال عمرو: ليس لهذا دعوتك يا ابن أخ، ولكن هل فيكم رجل من عزة؟ قال: نعم، قال عمرو: فادعه إلي.

قال: فوجع الرجل، وخرج إلى عمرو رجل من عزة فانتسب له، فوحب به عمرو. فقال له العوي: أما الترحيب فإني أردت عليك، وأما السلام فإني لا أبالي به، فلا تظن أنني دون صاحبي اللذين خرجا إليك من قبلي، فوالله ما خرجت إليك إلا وأنا أريد أن أجيبك بما يسوؤك وأنا الذي أقول:

[يضوب الشام يا أمانة بالحق * وأهل العواق بالتمحيص
وابن هند يدعو إلى النار * وكعب يدعو إلى الترخيص
باعه القوم دينهم بمناء * عوض بيع من البوع رخيص
وعلي يدعو العباد إلى الله * وفيما يقول عمرو نكوص
وعزيز عليه ما عنت القوم * حريص وذاك غير حريص
يا حماة العواق لا تسأموا اليوم * في الضوب والطعان القويص
أطلقوا هذه النفوس عن الفوش * وقوب النساء ولبس القميص
واحملوها على مباشرة الموت * فما عن لقاءه من محييص
تغلوهم والواقصات على الشام * بحكم الوصي للتمحيص
فقال له عمرو: يا هذا إنه ما أتاني أحد أشد علي منك، فأخرج إلي رجلا من بني هظيم.

قال: فوجع العزوي وخرج إلى عمرو رجل من بني هظيم، فانتسب لعمرو، فإذا هو من أخواله! فقال له عمرو: إنه لم يلتقي [أحد] أحب إلي منك لأنك من أخوالي فالقني بالجميل حتى أفلرك، فقال: قل ما تشاء.

فقال عمرو: إني إنما أتيتكم حمية مني لكم فلا تفضحوني، واعلموا أن

الصفحة 178

العرب لا بد لها من ذكر صفين بعد هذا اليوم، فلا تتكسوا رأسي واكفوني أمركم، ودعونا وعلياً وأصحابه.

قال: فقال له الرجل: يا عدو الله! أتخطب إلينا عقولنا؟ فقال عمرو: لا لعمر الله! ما أخطب إليكم عقولكم، ولكن شحبييل بن ذي الكلاع الحموي زعم بأنكم لستم بأكفاء في الحروب، فلهذا جئتم.

قال: فقال له الهضيبي: أعزب قبحك الله! وقبح كلاعا كلها، وقبح لما.

(1) جئت به .

(408)

عبد الله بن عباس مع الخوارج

قال: فبينما علي - كرم الله وجهه - مقيم بالكوفة ينتظر انقضاء المدة التي كانت بينه وبين معاوية ثم ورجع إلى محاربة أهل الشام، إذ تحركت طائفة من خاصة أصحابه في أربعة آلاف فارس، وهم من النساك العباد أصحاب الوانس، فخرجوا عن الكوفة وتحزبوا وخالفوا علياً - كرم الله وجهه - وقالوا:

" لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله " قال: وانحاز إليهم نيف عن ثمانية آلاف رجل ممن يرى رأيهم.

قال: فصار القوم في اثني عشر ألفاً وسلخوا حتى تروا بحروراء، وأمروا عليهم عبد الله بن الكواء.

قال: فدعا علي - رضي الله عنه - بعبد الله بن عباس فأسله إليهم، وقال: يا ابن عباس امض إلى هؤلاء القوم، فانظر ما هم عليه ولماذا اجتمعوا.

قال: فأقبل [عليهم] ابن عباس حتى إذا أشرف عليهم ونظروا إليه ناداه بعضهم وقال: ويلك يا ابن عباس! أكفوت ربك كما كفر صاحبك علي بن أبي طالب؟ فقال ابن عباس: إني لا أستطيع أن أكلم كلكم، ولكن أنظروا

(1) فتوح ابن أعثم: ج 3 ص 230 - 233. وراجع قاموس الرجال: ج 6 ص 254

الصفحة 179

أيكم أعلم بما يأتي ويذر فليخرج إلي حتى أكلمه.

قال: فخرج إليه رجل منهم يقال له: " عتاب بن الأعرور الثعلبي " حتى وقف قبالة، وكان القآن إنما كان ممثلاً بين عينيه، فجعل يقول ويحتج ويتكلم بما يريد، وابن عباس ساكت لا يكلمه بشئ حتى إذا فرغ من كلامه أقبل عليه ابن عباس، فقال: إني أريد أن أضوب [لك] مثلاً، فإن كنت عاقلاً فافهم. فقال الخرجي: قل ما بدا لك.

فقال له ابن عباس: خبرني عن دار الإسلام هذه هل تعلم لمن هي ومن بناها؟ فقال الخرجي: نعم هي لله عز وجل وهو الذي بناها على أيدي أنبيائه وأهل طاعته، ثم أمر من بعثه إليها من الأنبياء أن يأمرؤا الأمم أن لا تعبوا إلا إياه فأمن قوم وكفر قوم، وآخر من بعثه إليها من الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله، فقال ابن عباس: صدقت، ولكن خبرني عن محمد حين بعث إلى دار الإسلام فبناها كما بناها غيره من الأنبياء هل أحكم عملتها وبين حدودها وأوقف الأمة على سبلها وعملها [و] شوايع أحكامها ومعالِم دينها؟ قال الخرجي: نعم قد فعل محمد ذلك.

قال ابن عباس: فخبرني الآن عن محمد هل بقي فيها أرحل عنها؟ قال الخرجي: بل رحل عنها. قال ابن عباس: فخبرني رحل عنها وهي كاملة العملة بينة الحدود، أم رحل عنها وهي خربة لا عمران فيها؟ قال الخرجي: بل رحل عنها وهي كاملة العملة بينة الحدود قائمة المنار.

قال ابن عباس: صدقت الآن، فخبرني هل كان لمحمد صلى الله عليه وآله أحد يقوم بعملة هذه الدار من بعده أم لا؟ قال الخرجي، بلى قد كان له صحابة وأهل بيت ووصي ونزية يقومون بعملة هذه الدار من بعده. قال ابن عباس: ففعلوا أم لم يفعلوا؟ قال الخرجي: بلى قد فعلوا وعمرؤا هذه الدار من بعده

الصفحة 180

قال ابن عباس: فخبرني الآن عن هذه الدار من بعده هل هي اليوم على ما تركها محمد صلى الله عليه وآله من كمال عملتها وقوام حدودها أم هي خربة عاطلة الحدود؟ قال الخرجي: بل هي عاطلة الحدود، خربة. قال ابن عباس: أفنريته وليت هذه الخراب أم أمته؟ قال: بل أمته. قال: ابن عباس: أفأنت من الأمة أو من النزية؟ قال: أنا من الأمة.

قال ابن عباس: يا عتاب فخبرني الآن عنك كيف توجو النجاة من النار وأنت من أمة قد أخربت دار الله ودار رسوله وعطلت حدودها؟ فقال الخرجي: إنا لله وإنا إليه راجعون! ويحك يا ابن عباس! احتلت والله حتى أوقعنتي في أمر عظيم وأؤمتتي الحجة حتى جعلتني ممن أخرب دار الله، ولكن ويحك يا ابن عباس! فكيف الحيلة في التخليص مما أنا فيه؟

قال ابن عباس: الحيلة في ذلك: أن تسعى في عملة ما أخربته الأمة من دار الإسلام. قال: فدلني على السعي في ذلك. قال ابن عباس: إن أول ما يجب عليك في ذلك أن تعلم من سعى في خراب هذه الدار فتعاديهِ وتعلم من يريد عملتها فتواليهِ. قال: صدقت يا ابن عباس، والله ما أعرف أحد في هذا الوقت يحب عملة دار الإسلام غير ابن عمك علي بن أبي طالب لولا أنه حكم عبد الله بن قيس في حق هو له.

قال ابن عباس: ويحك يا عتاب! إنا وجدنا الحكومة في كتاب الله عز وجل، إنه قال تعالى: " فبيعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما "، وقال تعالى: " يحكم به نوا عدل منكم ".

قال: فصاحت الخوارج من كل ناحية، وقالوا: فكأن عمرو بن العاص عندك من العدول؟ وأنت تعلم أنه كان في الجاهلية رأسا وفي الإسلام ذنباً، وهو الأبتَر ابن الأبتَر ممن قاتل محمداً صلى الله عليه وآله وفتن أمته من بعده.

قال: فقال ابن عباس: يا هؤلاء إن عمرو بن العاص لم يكن حكما أفتحتجون به علينا؟ إنما كان حكما لمعلوية، وقد أراد أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - أن يبعثني أنا فأكون له حكما فأبيتم عليه، وقتلتم: قدرضينا بأبي موسى الأشعوي، وقد كان أبو موسى لعوي رضي في نفسه وصحبته وإسلامه وسابقته، غير أنه خدع، فقال ما قال، وليس يؤمننا من خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى، فانتقوا ربكم ورجعوا إلى ما كنتم عليه من طاعة أمير المؤمنين، فإنه وإن كان قاعدا عن طلب حقه فإنما ينتظر انقضاء المدة، ثم يعود إلى محاربة القوم، وليس علي - رضي الله عنه - ممن يقعد عن حق جعله الله له.

قال: فصاحت الخورج وقالوا: هيهات يا ابن عباس! نحن لا نتولى عليا بعد هذا اليوم أبدا، فلرجع إليه وقل له: فليخرج إلينا بنفسه حتى نحتج عليه ونسمع كلامه ⁽¹⁾ ... الحديث.

(409)

عبد الله بن أبي عقب مع الخورج

كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الخورج كتابا وطواه وختمه ودفعه إلى عبد الله بن أبي عقب ورأسله.

قال: فأقبل عبد الله بن أبي عقب إلى الخورج بالكتاب حتى إذا صار إلى النهروان، تقدم إلى عبد الله بن وهب الواسبي، وهو جالس على شاطئ النهروان محتب بحمائل سيفه، وحرقرص بن زهير إلى جانبه، ورؤساء الخورج جلوس حولهم.

(1) (فتوح ابن أعثم: ج 4 ص 89 - 95) وقد مر سابقا احتجاج ابن عباس على الخورج، وذكرنا روايات متعددة منه، وأعدنا هنا لكثير الفائدة. وراجع الفتوح: ج 4 ص 121. ولقد تركنا احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام، ولعلنا نأتيه في كتاب منفرد إن شاء الله تعالى

قال: فسلم عبد الله بن أبي عقب ودفع الكتاب إلى عبد الله بن وهب، فأخذه وفضه وقواه عن أخوه، ثم ألقاه إلى حرقرص، فقواه، ثم رفع رأسه إلى ابن أبي عقب، فقال له: لولا أنك رسول لألقيت منك أكثرك شوا! فمن أنت؟ قال: رجل من الموالي.

قال: من أي الموالي أنت؟ قال: من موالي بني هاشم. قال: إني أظنك من هذا الرجل بسبب، يعني علي بن أبي طالب، فقال: أنا رجل من أصحابه. قال: أفحلال أنت [أم لا]؟ قال: بل حوام دمي في كتاب الله عز وجل.

فقال: ما أراك تعرف كتاب الله! قال: بلى إني لأعرف منه الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني والسوي والحضري. قال: وتعرف الله حق معرفته؟

فقال: نعم إني لأعرفه ولا أنكره، أو من به ولا أكفوه. قال: وبماذا عرفته؟

قال: برسوله وكتابه المقول. قال: صدقت، فاصدقني ما تكون من علي بن أبي طالب؟ قال: أنا أخوه في الإسلام.

قال عبد الله بن وهب: أو مسلم أنت؟ قال: أنا مسلم والحمد لله.

قال: ما الإسلام؟ قال له ابن أبي عقب: إن الإسلام عشرة أسهم، خاب من لا سهم له فيها: شهادة أن لا إله إلا الله وهي

الملة، والصلاة وهي الفطرة، والزكاة وهي الطهر، والصوم وهو الجنة، والحج وهو الشريعة، والجهاد وهو الغزو والأمر

بالمعروف وهو الوفاق، والنهي عن المنكر وهو الحجة، والطاعة وهي العصمة، والجماعة وهي الألفة.

قال: صدقت. فخيرني ما الإيمان؟ فقال: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفوق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون، والرضا بما جاء من عند الله من سخط أو رضى، والجنة حق والنار حق، وأن الله يبعث من في القبور.

فقال عبد الله بن وهب: أيها الرجل إنه حرم علينا دمك، فخيرني أعالم أنت أم متعلم؟ قال (فقال له خ): متعنت أنت أم مستوشد؟ قال: بل

الصفحة 183

مستوشد. قال عبد الله بن وهب: فكم الصلوات؟ فقال: أما الفريضة فإنها خمس ومعها نوافل، أفعن الفريضة تسألني أم عن النافلة؟ فقال: بل عن الفريضة أسألك فكم في الفريضة من ركعة؟ قال: سبع عشرة ركعة وفيها سبع عشرة مرة سمع الله لمن حمده وفيها أربع وثلاثون سجدة وفيها أربع وتسعون تكبيرة، قال:

صدقت فكم السنة؟ قال: السنة عشر، خمس منها في الرأس، وخمس في الجسد، فأما اللواتي في الرأس: فالمضمضة، والاستنشاق، وقص الشرب، والسواك، وفوق الشعر. وأما اللواتي في الجسد: فالختان، وحلق العانة، والاستنجاء بالماء، وتنظيف الأبط، وتقليم الأظفار.

فقال عبد الله بن وهب: صدقت أيها الرجل، ولكن خيرني كم يجب في خمس من الإبل صدقة؟ فقال ابن أبي عقبة: في خمس من الإبل شاة، وفي عشر شاتان، وفي خمس عشرة ثلاث شياه، فإذا بلغت عشوين ففيها أربع شياه، إلى أن تبلغ خمسا وعشوين، فإذا زادت واحدة ففيها بنت مخاض، فإن لم توجد بنت مخاض، فابن لبون إلى خمس وثلاثين، فإذا زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى أن تبلغ خمسا وأربعين، فإذا زادت واحدة ففيها جذعة إلى أن تبلغ خمسا وسبعين، فإذا زادت واحدة ففيها حقتان طويدتا الفحل إلى أن تبلغ عشوين ومائة، فإذا بلغت الإبل عشوين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة، فإذا بلغت الإبل ثلاثين ومائة فالحساب على ما خبرتكم، وليس هذا من علم مثلي فسل عن غير هذا.

فقال له عبد الله بن وهب: ذر عنك هذا! فخيرني عن صدقة البقر، قال:

إذا أخوك بذلك، في كل ثلاثين بقرة تباع فهو حولي لسنة، وفي الأربعين بقرة منه إلا ما كان من البقر العوامل التي تحرث الأرض ويسقى عليها الحرث، فإنه لا صدقة عليها، لأنها بمقولة النوايا المركوبة، والتي يحمل عليها الأثقال من

الصفحة 184

البغل والحمير فقد خرج حكمها عن حكم البقر السائمة، فسنة البقر السائمة بخلاف سنة البقر العوامل، وأما من راد بها التجارة فيقوم في رأس السنة وينظر إلى ثمنها فيحسب ذلك، ويخرج صاحبها زكاتها كما تخرج زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم، ومن كل عشوين مثقالا نصف مثقال، وما زاد فبالحساب.

فقال عبد الله بن وهب: صدقت، فخيرني عن صدقة الغنم ما هي؟ فقال ابن أبي عقبة: نعم، أما الغنم: فإنها إذا كانت دون الأربعين فلا صدقة عليها، فإذا بلغت أربعين فصدقتها شاة إلى أن تبلغ عشوين ومائة شاة، فإذا زادت على العشوين والمائة

واحدة فصدقتها ثلاث شياه، فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة [شاة خ] فهذا ما سألت عنه من صدقة الإبل والبقر والغنم وليس مثلي [من] يسأل عن مثل هذا، ولكن سل أيها الرجل عما أحببت من العلوم الواسعة.

فقال ابن وهب: خبرني عن الواحد ما هو؟ قال: فتبسم ابن أبي عقرب، ثم قال: هذه مسألة قد مضت في الدهر الواحد هو الله وحده لا شريك له.

قال: فخبرني عن الاثنين لم يكن لهما في عصر ثالث؟ قال: آدم وحواء.

قال: فخبرني عن ثلاث لارابع لها؟ قال: الطلاق.

قال: فخبرني عن أربع لا خامس لها؟ قال: أربع نوة حلال ولا تحل خامسة.

قال: فخبرني عن خامسة ليس لها سادسة؟ قال: الخمس صلوات مكتوبة.

قال: فخبرني عن ستة لا سابع لها؟ قال: الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض.

قال: فخبرني عن سبعة ليست لها ثامنة؟ فقال له ابن أبي عقرب: يا هذا

الصفحة 185

الرجل إن السبعة في كتاب الله عز وجل كثير [وهن] السموات سبع والأرضون سبع والبحار سبع، وقال الله تعالى: " لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم " وقال: " سبعة إذارجعتهم " وقال الويان بن الوليد ملك مصر: " إني رأت سبع بقوات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات " وقال يوسف النبي: " تزرعون سبع سنين دأبا " ومثل هذا في كتاب الله كثير.

قال: فخبرني عن سبع وثمانية؟ قال: نعم قول الله عز وجل: " سخوها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما " قال: صدقت.

فخبرني عن ثلاث وأربع وخمس وست وسبع وثمان؟ قال: فتبسم عبد الله بن أبي عقرب ثم قال: يا سبحان الله! من جمع هذه الجوع وخروج على مثل علي بن أبي طالب وهو يعلم أنه أفضى هذه الأمة وأبصر بحلالها وحوامها يسأل رسوله عن مثل هذه المسائل، قال الله تبارك وتعالى: " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم فهذا ما سألت.

فقال حرقوص: أيها الرجل، فإنني سألتك عن غير ما سألتك صاحبي، قال: سل عما بدا لك. قال: من يتولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أتولى أولياء الله المؤمنين أتولى أبا بكر وعمر وعثمان ومقداد وسلمان وأبا ذر وصهيبا وبلالا وأسلاف المؤمنين. قال: فمن تنو؟ قال: ما أتوا من أحد " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ".

قال: فما تقول في صاحبك علي؟ وما تقول في عثمان وطلحة والزبير ومعاوية والحكمين وعمر بن العاص وعبد الله بن

قيس؟

قال: أما صاحبي علي: فلو قلت فيه سوء لم أكن بالذي أصحبه ولا أقاتل

بين يديه ولا أقول بفضل. وأما عثمان: فإنه ابن عم النبي وابن ابنة عمه وخنته على ابنته رقية. وأم كلثوم، وله فضائل كثيرة، وقد جاءت بها العلماء ولا أقول فيه إلا خوا. وأما طلحة والزبير: فإنهما حواري رسول الله صلى الله عليه وآله ولم أسمع صاحبي يقول فيهما إلا خوا، ولا أقول فيهما إلا كقوله. وأما معاوية والحكماء: فمعاوية رضي وجل وعلي صاحبي وجل فخدع أحدهما صاحبه والخلافة لا تثبت لأحد بالمكر والخديعة، ونحن على رأس أمونا إلى انقضاء المدة. فقال حرقوص: أيها الرجل إنك قد لوجبت على نفسك القتل. قال: ولم ذاك؟ قال: لأنك توليت قوما كفروا بعد إيمانهم وأحدثوا الأحداث.

فقال له ابن أبي عقبة: أيها الرجل إنك لم تبلغ في العلم ما يجب عليك أن تقتش عن علم الإمام ولكني أسألك عن مسائل يسأل صبياننا بعضهم بعضا عنها في المكتب، قال: سل عما بدا لك. فقال ابن أبي عقبة: خروني أيها الرجل عن المتحابين ما هما؟ وعن المتباغضين ما هما؟ وعن المستبقيين والجديدين والدائبين، وعن الطرف والتالد وعن الطم والوم، وعن نسبة الله عز وجل ما هي؟ قال حرقوص: مارأيت أحدا يسأل عن مثل هذا، ولكن خروني عنها وأنت آمن. فقال له ابن أبي عقبة: أما المتحابان: فالمال والولد، وأما المتباغضان:

فالموت والحياة، وأما المستبقان: فالنور والظلمة، وأما الجديدان: فالليل والنهار، وأما الدائبان: فالشمس والقمر، وأما الطرف والتالد: فالمال المستحدث والمال القديم، وأما الطم والوم: فالطم البحر والوم الثوى، وأما نسبة الله عز وجل، فإن قريشا سألت النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمد صف لنا ربك، فقرئت سورة الاخلاص، وهي: " قل هو الله أحد. الله

(1) الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد .

(410)

الأحنف ومعاوية

(حينما كان معاوية يشلور في البيعة ليزيد) ثم أرسل إلى الأحنف بن قيس، فدعاه ثم شلوره في أمر يزيد. فقال: يا أمير المؤمنين إننا نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا، ولكن عليك بغوي. قال: فأمسك عنه معاوية (2).

(411)

الأحنف ومعاوية

قال: ثم قام الحصين بن نمير السكوني، فقال: يا معاوية والله لئن لقيت الله ولم تتابع ليزيد لتكونن مضيعا للأمة، فالتفت إلى الأحنف بن قيس معاوية، وقال: يا أبا بحر ما يمنعك من الكلام؟ فقال: يا أمير المؤمنين أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهله

ومدخله ومخرجه وسره وعلايته، فإن كنت تعلمه الله عز وجل ولهذه الأمة رضى فلا تتشورن فيه أحدا من الناس، وإن كنت تعلم الله غير ذلك فلا تروده الدنيا وأنت ماض إلى الآخرة، فإن قلنا ما علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا، قال: فقال معاوية: أحسنت يا [أبا] بحر! خاك الله عن السمع والطاعة خرا⁽³⁾.

(412)

عبد الله بن عباس و معاوية

(خرج معاوية من الشام إلى الحجاز قاصدا الحج فقول المدينة...) أرسل

(1) فتوح ابن أعثم: ج 4 ص 108 - 118.

(2) فتوح ابن أعثم: ج 4 ص 229.

(3) فتوح ابن أعثم: ج 4 ص 231 ، وسيأتي قريب منه ص 446



معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر والزبير فأخبر أنهم قد مضوا إلى مكة فسكت ساعة يفكر في أمرهم، ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فدعاه، فلما دخل عليه قرب مجلسه، ثم قال: يا ابن عباس أنتم بنو هاشم وأنتم أحق الناس بنا وأولاهم بمودتنا لأننا بنو عبد مناف، وإنما باعد بيننا وبينكم هذا الملك [و] قد كان هذا الأمر في تيم وعدي، فلم يعترضوا عليهم ولم يظهروا لهم من المباحة، ثم قتل عثمان بين أظهركم فلم تغيروا، ثم وليت هذا الأمر فوالله لقد قربتكم وأعطيتكم ورفعت مقدلكم، فما تودون مني إلا بعدا، وهذا الحسين ابن علي قد بلغني عنه هنات غوها خير له منها، فاذكروا علي بن أبي طالب ومحاربتة إياي ومعه المهاجرون والأنصار، فأبى الله تبرك وتعالى إلا ما قد علمتم، أفترجون بعد علي مثله؟ أم بعد الحسن مثله؟

قال: فقطع عليه ابن عباس الكلام، ثم قال:

صدقتم يا معاوية نحن بنو عبد مناف، أنتم أحق الناس بمودتنا وأولاهم بنا، وقد مضى أول الأمر بما فيه، فأصلح أخوه، فإنك صائر إلى ما تريد.

وأما ما ذكرت من عطيتك إيانا فلعمري ما عليك في جود من عيب.

وأما قولك: ذهب علي أفترجون مثله؟ فمهلا يا معاوية رويدا! لا تعجل فهذا الحسين بن علي حي وهو ابن أبيه، واحذر أن تؤذيه يا معاوية فيؤذيك أهل الأرض، فليس على ظهورها اليوم ابن بنت نبي سواه، فقال معاوية: إني قد قبلت منك يا ابن عباس (1).

(413)

عبد الله بن عباس ومعاوية

قال معاوية لابن عباس - رضي الله عنه -: إنكم يا بني هاشم تصابون في

(1) فتوح ابن أعثم: ج 4 ص 238 - 239

الصفحة 189

(1) أبصركم! فقال: وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائرهم .

مؤمن الطاق مع الخرجي لقي الخرجي شيطان الطاق، فقال له: إن لم تتروأ من عثمان وعلي قتلتك، فقال: أنا من علي ومن عثمان وئ. (إنما أراد أنا من علي أي من مواليه وئ من عثمان فتخلص من الخرجي).

(414)

مسلم بن عقيل وعبيد الله

قال: فأدخل مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد، فقال الحرسى: سلم على الأمير، فقال له مسلم: اسكت لا أم لك! ما لك

وللإسلام؟ والله ليس هو لي بأمر فأسلم عليه، وأخري فما ينفعني السلام عليه وهو يريد قتلي، فإن استبقاني فسيكثر عليه

سلامي.

فقال له عبيد الله بن زياد: لا عليك سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول، فقال مسلم بن عقيل إن قتلتي فقد قتل شر منك من كان

خوًا مني.

فقال ابن زياد: يا شاق يا عاق! خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين [وألحقت الفتنة؟ فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد!

والله ما كان] معاوية [خليفة بإجماع الأمة، بل تغلب على وصي النبي بالحيلة وأخذ عنه الخلافة بالغصب] و [كذلك] ابنه

يزيد. وأما الفتنة فإنك ألحقتها، أنت وأبوك زياد بن علاج من بني ثقيف، وأنا لرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر

بريته، فوالله ما خالفت ولا كفوت ولا بدلت، وإنما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلى

الله عليه وآله ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

(1) المحاضرات للراغب: ج 2 ص 481.

(2) (المحاضرات للراغب: ج 2 ص 164

الصفحة 190

فقال له ابن زياد: يا فاسق! ألم تكن تشوب الخمر في المدينة؟ فقال مسلم بن عقيل: أحق والله بشوب الخمر مني من يقتل

النفس الحرام وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يسمع شيئًا.

فقال له ابن زياد: يا فاسق! منتك نفسك أمرا أحالك الله دونه وجعله لأهله، فقال مسلم بن عقيل: ومن أهله يا ابن مروجانة؟

فقال: أهله يزيد ومعاوية، فقال مسلم بن عقيل: الحمد لله كفى بالله حكما بيننا وبينكم.

فقال ابن زياد لعنه الله: أظن أن لك من الأمر شيئًا؟ فقال مسلم بن عقيل: لا والله ما هو الظن ولكنه اليقين.

فقال ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك، فقال مسلم: إنك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السوء، والله لو كان معي

عشوة ممن أثق بهم وقرت على شوبة من ماء لطلال عليك أن تاني في هذا القصر، ولكن إن كنت غزمت على قتلي ولا بد

لك من ذلك فأقم علي رجلا من قویش أوصي إليه بما أريد.

فوثب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: أوص إلي بما تريد يا ابن عقيل، فقال: أوصيك ونفسي بتقوى الله، فإن

التقوى فيها الدرك لكل خير، وقد علمت ما بيني وبينك من القوابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك لقوابتي أن تقضي حاجتي.

قال: فقال ابن زياد: لا يجب⁽¹⁾ يا ابن عمر أن تقضي حاجة ابن عمك (كذا) وإن كان مسرفا على نفسه، فإنه مقتول لا محالة.

فقال عمر بن سعد: قل ما أحببت يا ابن عقيل، فقال مسلم - رحمه الله -:

حاجتي إليك أن تشوي فوسي وسلاحي من هؤلاء القوم فتبيعه وتقضي عني سبعمائة درهم استدنتها في مصوكم، وأن

تستوهب جنتي إذا قتلني هذا وتولياني

في الثّواب، وأن تكتب إلى الحسين بن علي أن لا يقدم فيقول به ما قول بي.
قال: فالتفت عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد، فقال: أيها الأمير إنه يقول كذا وكذا.
فقال ابن زياد: أما ما ذكرت يا ابن عقيل من أمر دينك: فإنما هو مالك يقضي به دينك، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت. وأما جسدك: إذا نحن قتلناك فالخيار في ذلك ولسنا نبالي ما صنع الله بجثثك. وأما الحسين فإن لم يردنا لم نرده، وإن أردنا لم نكف عنه.

ولكني أريد أن تخبرني يا ابن عقيل بماذا أتيت إلى هذا البلد؟ شئت أموهم، وفرقت كلمتهم، ورميت بعضهم على بعض.
فقال مسلم بن عقيل: لست لذلك أتيت هذا البلد، ولكنكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، وتأموتم على الناس من غير رضى، وحملتوهم على غير ما أمركم الله به، وعملت فيهم بأعمال كسوى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك، ولم تول الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا وال الخلافة لنا، فإننا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج على إمام هدى وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصبا ونزع أهله بالظلم والعنوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله تبرك وتعالى، " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ".
قال: فجعل ابن زياد يشتم عليا والحسن والحسين - رضي الله عنهم - فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتيمة منهم، فاقض ما أنت قاض! فنحن أهل بيت موكل بنا البلاء.

فقال عبيد الله بن زياد: الحقوا به إلى أعلى القصر، فاضربوا عنقه وألقوا رأسه جسده.
فقال مسلم رحمه الله: أما والله يا ابن زياد! لو كنت من قريش أو كان

بيني وبينك رحم أو قوبة لما قتلتي، ولكنك ابن أبيك⁽¹⁾.

(415)

قيس بن مسهر مع ابن زياد

قال (في سود قصة كربلاء): فمضى قيس إلى الكوفة وعبيد الله بن زياد قد وضع المواصل والمصابيح على الطرق، فليس أحد يقدر أن يجوز إلا فتش، فلما تقرب من الكوفة قيس بن مسهر لقاءه عدو الله يقال له: الحصين بن نمير السكوني، فلما نظر إليه قيس كأنه أتقى على نفسه، فأخرج الكتاب سريعا فمزقه عن آخه. قال: وأمر الحصين أصحابه، فأخذوا قيسا وأخذوا الكتاب ممزقا حتى أتوا به إلى عبيد الله بن زياد.

فقال له عبيد الله بن زياد: من أنت؟ قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين الحسين بن علي - رضي الله عنهما - قال: فلم خرفت الكتاب الذي كان معك؟

قال: خوفا حتى لا تعلم ما فيه. قال: وممن كان هذا الكتاب وإلى من كان؟

فقال: كان من الحسين إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم.

قال: فغضب ابن زياد غضبا عظيما، ثم قال: والله لا تفرقني أبدا أو تدلني على هؤلاء القوم الذي كتب إليهم هذا الكتاب،

أو تصعد المنبر فتسب الحسين وأباه وأخاه فتتجو من يدي، أو لأقطعنك، فقال قيس: أما هؤلاء القوم فلا أعرفهم، وأما لعنة

الحسين وأبيه وأخيه فإني أفعل.

قال: فأمر به فأدخل المسجد الأعظم، ثم صعد المنبر وجمع له الناس ليجمعوا ويسمعوا اللعنة، فلما علم قيس أن الناس قد

اجتمعوا وثب قائما، فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على محمد وآله، وأكثر الترحم على علي وولده، ثم لعن عبيد الله بن زياد

ولعن أباه ولعن عتاة بني أمية عن آخوهم، ثم دعا

(1) فتوح ابن أعثم: ج 5 ص 97 - 102

الصفحة 193

(1) الناس إلى نصرة الحسين بن علي .

(416)

بوير وعمر بن سعد

قال: ورسل إليه - يعني إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص في كربلاء - الحسين - رضي الله عنه - بوا، فقال بوير: يا

عمر بن سعد أتترك أهل بيت النبوة يموتون عطشا، وحلت بينهم وبين الفوات أن يشربوه ووعم أنك تعرف الله ورسوله؟ قال:

فأطرق عمر بن سعد ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال: إني والله أعلمه يا بوير علما يقينا أن كل من قاتلهم وغصبهم على

حقوقهم في النار لا محالة، ولكن ويحك يا بوير! أتشير علي أن أتوك ولاية الوي فتصير لغوي؟

ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبدا ثم أنشأ يقول:

دعاني عبيد الله من دون قومه * إلى خطة فيها خرجت لحيني

(2) فوالله لا أروي وأني لواقف * على خطر بعظم علي وسيني

أأتوك ملك الوي و الوي رغبة * أم أرجع مذموما بئار حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها * حجاب وملك الوي قوة عين

(3) قال: فوجع بوير بن خضير إلى الحسين، فقال: يا ابن بنت رسول الله إن عمر بن سعد قد رضي أن يقتلك بملك الوي .

(417)

بوير مع الشمر بن ذي الجوشن

قال: وجاء الليل فبات الحسين في الليل ساجدا وراكعا مستغفوا يدعو الله

(1) فتوح ابن أعثم: ج 5 ص 146 - 147.

(2) (كذا في المصدر، والظاهر أن الصحيح: " يعظم علي وسيني " أي يعظم علي نومي، أي أن هذا الخطر نفى نومي.

(3) (فتوح ابن أعثم: ج 5 ص 172 (.)

الصفحة 194

تعالى، له نوي كوي النحل.

قال: وأقبل الشمر بن ذي الجوشن - لعنه الله - في نصف الليل ومعه جماعة من أصحابه حتى تقرب من عسكر الحسين، والحسين قد رفع صوته وهو ينثو هذه الآية "ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم... " - إلى آخرها - قال: فصاح لعين من أصحاب شمر بن ذي الجوشن: نحن ورب الكعبة الطيبون؟ وأنتم الخبيثون! وقد ميزنا منكم.

قال: فقطع برير الصلاة فناداه: يا فاسق يا فاجر يا عدو الله! أمتك يكون من الطيبين؟ ما أنت إلا بهيمة لا تعقل، فأبشر بالنار يوم القيامة والعذاب الأليم.

قال: فصاح به شمر بن ذي الجوشن - لعنه الله - وقال: أيها المتكلم! إن الله تبارك وتعالى قاتلك وقاتل صاحبك عن

قريب.

فقال له برير: يا عدو الله! أبا الموت تخوفني؟ والله إن الموت أحب إلينا من الحياة معكم! والله لا ينال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله قوم⁽¹⁾ راقوا دماء نريته وأهل بيته.

قال: وأقبل رجل من أصحاب الحسين إلى برير بن خضير، فقال له: رحمك الله يا برير! إن أبا عبد الله يقول لك: رجع

إلى موضعك ولا تخاطب القوم، فلعمري لئن كان مؤمن آل فوعن نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، فلقد نصحت وأبلغت في النص⁽²⁾ح .

* * *

(1) قوما ظ.

(2) (فتوح ابن أعثم: ج 5 ص 179 - 180 (.)

الصفحة 195

(418)

عبد الله بن عفيف وعبيد الله

قال: فصعد ابن زياد المنبر (بعد أن قتل الحسين عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه، وقال في بعض كلامه: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكذاب ابن الكذاب! (وشيعته خ ل) قال: فما زاد على هذا الكلام شيئا

فقام إليه عبد الله بن عفيف الأردني - رحمه الله - وكان من خيار الشيعة وكان أفضلهم، وكان قد ذهبت عينه اليسرى في يوم الجمل والأخرى في يوم صفين، وكان لا يفرق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل، ثم ينصرف إلى منزله، فلما سمع مقالة ابن زياد وثب قائماً ثم قال:

يا ابن مروجانة! الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله! أقتلوا أبناء النبيين وتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين؟

قال فغضب ابن زياد، ثم قال: من المتكلم؟ فقال: أنا المتكلم يا عدو الله! أقتل النرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الوجس في كتابه ووعم أنك على دين الإسلام؟ واعوناه! أين ولاد المهاجرين والأنصار؟ لا ينتقمون من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد نبي رب العالمين.

قال: فزاد غضبا عدو الله حتى انتفخت أوداجه، ثم قال: علي به!

قال: فتبارت إليه الجلازة من كل ناحية ليأخذه، فقامت الأثواف من الأرد من بني عمه فخلصوه من أيدي الجلازة وأخرجوه من باب المسجد، فانطلقوا به إلى منزله.

وقال ابن زياد عن المنبر ودخل القصر، ودخل عليه أثواف الناس، فقال:

رأيتكم ما صنع هؤلاء القوم؟ فقالوا: قدرأينا أصلح الله الأمير! إنما الأرد فعلت ذلك فشد يدك بساداتهم، فهم الذين استنقوه من يدك حتى صار إلى منزله.

الصفحة 196

قال: فرسل ابن زياد إلى عبد الوحمان بن مخنف الأردني، فأخذه وأخذ معه جماعة من الأرد فحبسهم، وقال: والله لا خرجتم من يدي أو تأتوني بعبد الله بن عفيف.

قال: ثم دعا ابن زياد عمرا بن الحجاج الوبيدي ومحمد بن الأشعث وشبث بن الربيع وجماعة من أصحابه، قال لهم: اذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى الأرد الذي قد أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه اثنتوني به.

قال: فانطلقت رسل عبيد الله بن زياد إلى عبد الله بن عفيف، وبلغ الأرد، فاجتمعوا واجتمع معهم أيضا قبائل اليمن ليمنعوا عن صاحبهم عبد الله بن عفيف... فكسروا الباب واقتحموا عليه، فصاحت ابنته: يا أبت أذاك القوم من حيث لا تحتسب! فقال: لا عليك يا ابنتي، ناوليني السيف.

قال: فناولته فأخذه وجعل يذب عن نفسه، وهو يقول:

أنا ابن ذي الفضل العفيف الطاهر * عفيف شيخي وابن أم عامر

كم دلر ع من جمعهم وحاسر * وبطل جندلته (1) مغادر

قال: وجعلت ابنته تقول: يا ليتني كنت رجلا! فأقاتل بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العزة البيرة...

ثم أوتي به حتى أدخل على عبيد الله بن زياد، فلما رآه قال: الحمد الذي أحراك!

فقال عبد الله بن عفيف: يا عدو الله! بماذا أكراني، والله لو فوج [الله] عن بصري لضاق عليك موردي [و] مصوري.
قال: فقال ابن زياد: يا عدو نفسه! ما تقول في عثمان بن عفان رضي الله عنه؟ فقال: يا ابن عبد بني علاج يا ابن موجانة
وسمية ما أنت وعثمان بن عفان؟ أساء أم أحسن وأصلح أم أفسد، والله تبترك وتعالى ولي خلقه يقضي بين خلقه وبين عثمان
بن عفان بالعدل والحق، ولكن سلني عن أبيك عن يزيد وأبيه.

(1) (جدلته خ)

الصفحة 197

فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تنوق الموت! فقال عبد الله بن عفيف: الحمد لله رب العالمين، أما إنني كنت أسأل
ربي عز وجل أن يرزقني الشهادة والآن، فالحمد لله الذي رزقني إياها بعد الإياس منها وعرفني الإجابة منه لي في قديم
دعائي.

(1) فقال ابن زياد: اضربوا عنقه! فضربت رقبته وصلب، رحمة الله عليه.

(419)

جندب بن عبد الله مع ابن زياد

قال: ثم دعا ابن زياد بجندب بن عبد الله الأردني، فقال: يا عدو الله!
ألست صاحب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في يوم صفين؟ فقال: بلى والله يا ابن زياد، أنا صاحب علي بن أبي
طالب - رضي الله عنه - ولا زلت له وليا ولا أوأ إليك من ذلك.
فقال ابن زياد: أظن أنني أتقرب إلى الله - تعالى - بدمك. فقال جندب: والله ما يقربك دمي من الله، ولكنه يباعدك منه،
وبعد فإنه لم يبق من عمري إلا أقله، وما أكره أن يكونني الله بهوانك.
فقال ابن زياد: أخرجوه عني فإنه شيخ قد خوف وذهب عقله.
قال: فأخرج عنه، وخلي سبيله (2).

(420)

محمد بن الحنفية وأصحابه وابن الزبير

نظر عبد الله بن الزبير إلى المختار وغلبته على البلاد، فعلم أنه إنما يفعل ذلك بظهر محمد بن الحنفية، فُرسل إليه أن هلم
فبايع، فإن الناس قد بايعوا، فُرسل

إليه ابن الحنفية: إذا لم يبق أحد من الناس غوي أبايك.

قال: فأبى ابن الزبير أن يتوكله، وأبى ابن الحنفية أن يبايع، وجرى بينهم كلام كثير، فُرسل ابن الزبير إلى نفر من أصحاب ابن الحنفية، فدعاهم، ثم قال لهم: إني أراكم لا تفرقون هذا الرجل، فمن أنتم؟ فإني لا أعرفكم. فقالوا نحن قوم من أهل الكوفة، قال: فما يمنعكم من بيعتي وقد بايعني أهل بلدكم؟

لعله قد غوكم هذا المختار الكذاب! فقالوا: يا هذا ما لنا وللمختار؟ إننا لو أردنا أن نكون مع المختار لما قدمنا هذه البلدة، نحن قوم قد اعتزلنا أمور الناس وأتينا هذا الحرم، فقولناه لكي لا نقتل ولا نقتل ولا نؤذي ولا نؤذى، فنحن هاهنا مقيمون عند هذا الرجل محمد بن علي، فإذا اجتمعت الأمة على رجل واحد دخلنا فيما دخل فيه الناس.

قال: فقال عبد الله بن الزبير: فأنا لا أفرقكم أو تبايعوا طائعين أو مكهين. قالوا: فإننا لا نبايع أبداً أو نرى صاحبنا هذا قد بايع.

قال: فغضب ابن الزبير، ثم قال: ومن صاحبكم؟ فوالله ما صاحبكم هذا يرضى في الدين ولا محمود الوأي ولا راجح العقل ولا لهذا الأمر بأهل!

قال: فقال له رجل من القوم يقال له: " معاذ بن هاني " أيها الرجل!

إننا لا نوري ما يقول، ولكن أريناه على مثل هذان وأمرنا وطريقتنا، وقد اعتزل الناس وما هم فيه ونحن قعود بهذا الحرم لكي لا نقتل ولا نؤذى إلى أن يجمع الله أمر الأمة على ما شاء من خلقه، فندخل فيما دخل فيه الأسود والأبيض، فأجبناه على ذلك ولؤمنا هذاه وطريقته ومذهبه، ومع ذلك فإنه لا يعيش والسلام ⁽¹⁾ ولا يكافئ بالسوء ولا يغتاب الغائب ولا يمكر به، ثم إنه قد أمرنا أن نكف أيدينا ولا نسفك دماءنا، ففعلنا ما أمرنا به، ولعمري يا ابن الزبير لئن لم

(1) كذا في المصدر

يخالفك أحد من الناس إلا خلافتنا إياك، فإنه لم يدخل عليك في ذلك شيء من الضرر.

قال: ثم تقدم عبد الله بن هاني - وهو أخو هذا المتكلم - فقال: يا ابن الزبير إننا قد سمعنا كلامك وما ذكرت به ابن عمك من السوء، ونحن أعلم به منك وأطول له معاشرة، وهو والله الرجل البر، الطيب الطعمة، الكريم الطبيعة، الطاهر الأخلاق، الصادق النية، وهو مع ذلك أنصح لهذه الأمة منك، لأنك أنت رجل تدعو الناس إلى بيعتك، فمن لا يبايعك استحللت ماله ودمه، وهو رجل لا يرى ذلك، وبعد يا ابن الزبير! فإننا ما خيلناك وتركنا هذا الأمر أن تكونوا ولاية علينا إلا لمكان الرسول محمد صلى الله عليه وآله، لأنكم أولى الناس بمقتله وموآته وقيامه في أمته، إذ كنتم من قريش، فإننا سلمنا إليكم هذا الأمر من هذا الطريق فإن أنتم عدلتم بينكم كما عدلنا عليكم علمت أنت خاصة، إن صاحبنا هذا محمد بن علي هو أهل لهذا الأمر وأولى

الناس به، لمكان أبيه علي به أبي طالب، فإن أبيت أن تقر بهذا الأمر أنه مكذب، فإننا وجدناه رجلاً من صالحى العرب، معروف الحسب، ثابت النسب، ابن أمير المؤمنين، وابن أول ذكر صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فغضب ابن الزبير وقال: من هاهنا؟ اهزؤه ولؤجؤه في قفاه! قال ابن هانئ: يا ابن الزبير! إن حرم الرحمن وجوار البيت الحرام الذي من دخله كان آمناً!.

قال: ثم تقدم أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني، فقال: يا ابن الزبير! "إن تريد إلا أن تكون جبلاً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين" فقال ابن الزبير: وأنت هاهنا يا ابن واثلة؟ فقال: نعم أنا هاهنا يا ابن الزبير، فاتق الله! ولا تكن ممن "إذا قيل له اتق الله أخذته الغوة بالإثم" قال: أفلا تسمع إلى كلام هذا الرجل الذي يضرب لي الأمثال ويأتيني بالمقاييس؟ فقال

الصفحة 200

عبد الله بن هانئ: "إنني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب" قال: فلداد غضب ابن الزبير ثم قال لأصحابه: ادفعوهم عني، فإنهم بئس العصابة.

قال: فخرجوا من بين يديه، وأقبلوا إلى محمد بن الحنفية، فأخبروه بما كان بينهم وبين ابن الزبير، فقال لهم: خاكم الله عني من قوم خير الخاء! أما إنني أتقي عليكم من هذا المسوف على نفسه، ورأى لكم من الوأي أن تعزلوني ولا تكونوا قريباً مني إلى أن تنتظروا ما يكون من عاقبة أمري وأمره، فإني أكوه أن تكونوا معي، ولعله يناله منكم أمر أعتم لكم منه.

قال: فقال أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني: جعلت فداك يا ابن أمير المؤمنين! والله ما أنطق إلا بما في قلبي ولا أخبر إلا عن نفسي، وأنا أشهد الله في وقتي هذا أنني قد رضيت أن أقتل إن قتلت، وأن أوسر إن أسوت، وأن أحبس إن حبست، وأن أشبع إن شبع، وأن أهوع إن جعت، وأن أظماً إن ظمئت، ولا والله لا أفلك في عسر ولا يسر ولا ضيق ولا جهد ما لردتني وقبلتني، رى لك ذلك علي فوضا واجبا وحقا لازماً، وما لا أبغي به منك خواء وإكواما، ولا لريد بذلك إلا ثواب الله والدار الآخرة ودفع الظلم عن أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: ثم وثب معاذ بن هانئ الكندي، فقال: جعلت فداك! نحن شيعتك وشيعة أبيك من قبلك نواسيك بأنفسنا ونقيك بأيدينا، ونحن معك على الخوف والأمن والخصب والجذب إلى أن يأتيتك الله تبترك وتعالى بالفوج من عنده، غضب ابن الزبير بذلك أم رضي.

قال: فقال محمد بن الحنفية: إن قترتم على ذلك فأنا استأنس بكم، وإن عرضت لكم مَرَب وأشغال فأنتم في أوسع العذر.

قال: فبينما القوم كذلك إذا بعمر بن عروة بن الزبير قد أقبل! حتى دخل

الصفحة 201

على محمد بن الحنفية فسلم، ثم قال: إن أمير المؤمنين يقول لك: هلم فبايع أنت وأصحابك هؤلاء الذين معك، فإنكم [إن] لم تفعلوا حبستكم وأطلت حبسكم.

قال: فسكت القوم، وأقبل عليه ابن الحنفية فقال له: رجع إلى عمك فقل له: يقول لك محمد بن علي: يا ابن الزبير! أصبحت

منتهكا للحرمة متلبثا في الفتنة هربا على نفسك الدم الحرام، فعش رويدا! فإن أمامك عقبة كؤدا وحسابا طويلا وسؤالا حفيا، وكتابا لا يغادر صغرة ولا كبوة إلا أحصاها، وبعد فوالله لا بايعتك أبدا أو لا يبقى أحد إلا بايعك، فاقضي ما أنت قاض!

قال فوجع عمر بن عروة بن الزبير إلى عمه عبد الله بن الزبير، فأخوه بذلك.

قال: وهم أصحاب محمد بن الحنفية بالوثوب على عبد الله بن الزبير، فقال لهم محمد: مهلا يا قوم! لا تفعلوا، فوالله ما أحب أني أموتكم بقتل حبشي أجدع، وأنه أجمع لي بعد ذلك سلطان العرب قاطبة من المشوق إلى المغرب.

قال - بعد ذكر استعانة محمد بن الحنفية من المختار وإرساله الجند إلى مكة لإخواجه من حصار ابن الزبير -: ثم أرسل ابن الزبير إلى أبي عبد الله الجدلي وأصحابه القادمين من الكوفة، فدعاهم، ثم قال:

أخبروني عنكم يا أهل الكوفة، أما كفاكم خروجكم مع المختار وإفسادكم علي العواق؟ حتى قدمتم هذا البلد تتلوؤني في سلطاني، أتظنون أني أخلي صاحبكم هذا دون أن يبايع وتبايعوا أنتم أيضا معه صاغرين؟

قال: فقال له أبو عبد الله الجدلي: إي والوكن والمقام والحل والحام وهذا البلد الحام وحرمة الشهر الحام! لتخليين سبيل صاحبنا ابن علي، وليقولن

الصفحة 202

من مكة حيث يشاء ومن الأرض حيث يحب، أو لنجاهدك بأسيا فإنا جهادا وجلادا يرتاب منه المبطلون.

قال: وإذا محمد بن الحنفية قد أقبل في جماعة من أصحابه حتى دخل المسجد الحرام. قال: ونظر ابن الزبير فإذا أصحابه كثير وأصحاب ابن الحنفية قليل غير أنهم مغضبون مجمعون على الحرب محبون لذلك، فعلم أن جانبهم خشن، وأن وراءهم شوكة شديدة من قبل المختار، فجعل يتشجع ويقول لإخوته وأصحابه:

ومن ابن الحنفية وأصحابه هؤلاء؟ والله ما هم عندي شيء! ولو أني هممت بهم لما مضى ساعة من النهار حتى تقطف رؤوسهم كما يقطف الحنظل.

قال له رجل من أصحاب ابن الحنفية:

والله يا ابن الزبير! لئن رمت ذلك منا، فإنني أرجو أن يوصل إليك من قبل أن ترى فينا ما تحب.

قال: ثم ضوب الطفيل بيده إلى سيفه فاستله، فهم أن يفعل شيئا.

فقال ابن الحنفية لأبيه: يا أبا الطفيل قل لابنك فليكف عما يريد أن يصنع، ثم أقبل على أصحابه، فقال:

يا هؤلاء مهلا! فإنني أذكركم الله إلا كفتم عنا أيديكم وألسنتكم فإنني ما أحب أن أقاتل أحدا من الناس ولا أقول للناس إلا حسنا، ولا أريد أيضا أن أنزع ابن الزبير في سلطانه ولا بني أمية في سلطانهم، ولا أدعوكم إلى أن يضوب بعضكم بعضا بالسيف، وإنما آمركم أن تتقوا الله ربكم وأن تحققوا دماءكم، فإنني قد اعتزلت هذه الفتنة التي فيها ابن الزبير وعبد الملك بن مروان إلى أن تجتمع الأمة على رجل واحد، فأكون كواحد من المسلمين.

قال: فقال رجل من أصحاب عبد الله بن الزبير: صدق والله الرجل - يعني

ابن الحنفية - والله ما هذه إلا فتنة كما قال، والسعيد عندي من اعتولها.

قال: فصاح به ابن الزبير وقال: اسكت أيها الرجل! فإنك لا تعقل ما يأتي، وما تنوي من هذا حتى يسمع قوله ويؤخذ وأبيه، إنما كان هذا مع أخويه الحسن والحسين كالعسيف الذي لا يؤامروا ولا يشلور.

قال: فقال له محمد بن الحنفية: كذبت والله لومت! ما كان إخواني بهذه المقتلة، ولكنهم كانوا أخوي وشقيقي، وكنت أعرف لهم فضلهم ونسبهم وقاباتهم من الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وقد كانوا يعفون لي من الحق مثل ذلك، وما قطعوا أمرا دوني مذ عقلت. وأما قولك: أنه لا ينبغي أن يسمع قلبي ولا يؤخذ وأبي فأنا والله أوجب حقا على الأمة منك وأحق بالمودة والنصر، لحق علي بن أبي طالب وقابته من الرسول محمد صلى الله عليه وآله ولو أنني أعتمد على الناس بحق النوبة أنها في بني هاشم دون غوهم لكان ينبغي لنوي الوأي والعلم أن يأخذوا وأبي ويستمعوا لقولي ويكونوا لي أود ومني أسمع ولي أنصح منهم لك يا ابن الزبير.

قال: فلم يزل هذا الكلام بين محمد بن الحنفية وبين عبد الله بن الزبير وقد ضاق الناس بعضهم بعضا في المسجد الحرام عليهم السلاح، والمعتصرون يمشون بينهم بالصلح حتى سكت ابن الزبير ولم يقل شيئا⁽¹⁾.

(421)

الأحوص مع عوف بن ضبعان

قال - في ذكر حرب إواهيم بن الأشتر مع عبيد الله بن زياد -: وتقدم رجل من عتاة أهل الشام ومودتهم يقال له: " عوف بن ضبعان الكلبي " حتى وقف بين يدي الجمعين على فارس أدهم، ثم نادى: ألا يا شيعة أبي زاب! ألا يا

(1) فتوح ابن أعثم: ج 6 ص 125 - 136، وراجع شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 20 ص 124

شيعة المختار الكذاب! ألا يا شيعة ابن الأشتر الموثاب! من كان منكم يدل بشجاعته وشدته فليبرز إلي إن كان صادقا وللقوان معانقا، ثم جعل يجول في ميدان الحرب، وهو يرتجز ويقول:

أنا ابن ضبعان الكريم المفضل * إني أنا الليث الكمي الهذلي

من عصبة يوان من دين علي * كذاك كانوا في الزمان الأول

يارجال، فما لبث أن خرج إليه الأحوص بن شداد الهمداني، وهو يرتجز ويقول:

أنا ابن شداد على دين علي * لست بمروان بن ليلى بولي

لاصطلين الحرب فيمن يصطلي * أخوض نار الحرب حتى تتجلي

قال: فجعل الشامي يشتم الأحوص بن شداد، فقال له الأحوص: يا هذا لا تشتم إن كنت غريبا، فإن الذي بيننا وبينكم أجل

من الشتيمة، أنتم تقتاتلون عن بني مروان ونحن نطالبكم بدم ابن بنت نبي الرحمن، فادفعوا إلينا هذا الفاسق اللعين عبيد الله بن زياد الذي قتل ابن بنت نبي رب العالمين محمد صلى الله عليه وآله حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلوا مع الحسين بن علي، فإننا لا نراه للحسين كفوا فنقتله به، فإذا دفعتموه إلينا فقتلناه جعلنا بيننا وبينكم حكما من المسلمين.

فقال له الشامي:

إننا قد جربناكم في يوم صفين عندما حكمنا وحكمتم، فغدرتم ولم ترضوا بما حكم عليكم.

قال: فقال له الأحوص بن شداد:

يا هذا إن الحكمين لم يحكما برضا الجميع، وأحدهما خدع صاحبه الآخر، والخلافة لا تعقد في الخديعة، ولا يجوز في الدين إلا النصيحة، ولكن ما اسمك أيها الرجل؟ فقال الشامي: اسمي منزل الاقوان حلال، فقال له الأحوص

الصفحة 205

ابن شداد: ما أقرب الاسمين بعضهم من بعض! أنت منزل الأبطال وأنا مقرب الآجال! ثم حمل عليه الأحوص والتقى بضوبتين ضوبه الأحوص ضوبة سقط الشامي قتيلًا، الخ ⁽¹⁾.

(422)

رجل مع مصعب

وقال - بعد ذكر قتل المختار -: ثم أقبل مصعب وأصحابه حتى أحرقوا بالقصر، فجعلوا ينادون لمن في القصر ويقولون: أخرجوا ولكم الأمان، فقد قتل الله صاحبكم!

قال: ففتح القوم باب القصر وخرجوا فأخذوا بأجمعهم حتى أتى بهم مصعب بن الزبير، فقدموا حتى وقفوا بين يديه، وجعل رجل منهم يقول:

ما كنت أخشى أن رى أسوا * ولا رى مدمرا تدمروا

إن الذين خالفوا الأموا * قدرغموا وتبروا تنبوا

قال: فرفع مصعب رأسه إليهم، فقال: الحمد لله الذي أمكن منكم يا شيعة الدجال.

قال: فتكلم رجل منهم يقال له: بحير بن عبد الله السلمي، فقال:

لا والله! ما نحن بشيعة الدجال، ولكننا شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله، وما خرجنا بأسيا فإنا إلا طلبا بدمائهم، وقد ابتلانا الله بالأسر وابتلاك بالعفو أيها الأمير والصفح والعفاف، وهما مقلتان مقلّة رضا ومقلّة سخط، فمن عفا عفي عنه، ومن عاقب لم يأمن من القصاص، وبعد، فإننا إخوانكم في دينكم وشركاؤكم في حظكم، ونحن أهل قبلتكم، لسنا بالتوك ولا بالديلم، وقد كان منا ما كان من أهل العواق وأهل الشام، فاصفح إن قدرت ⁽²⁾.



(423)

امراة المختار مع مصعب

قال: وأقبل مصعب حتى دخل قصر الإمرة، فجلس على سرير المختار، ثم أرسل إلى امرأتي المختار: أم ثابت بنت سورة بن جندب الؤلية، وعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية، فلما أوتي بهما قال لهما مصعب: ما تقولان في المختار؟ فقالت الؤلية: نقول فيه كما تقولون فيه، فقال مصعب: أحسنت!

اذهبي فلا سبيل عليك. فقالت الأنصارية: ولكني أقول: كان عبدا مؤمنا محبا لله ورسوله وأهل بيت رسوله محمد صلى الله عليه وآله، فإنكم إن قتلتموه لم تبقوا بعده إلا قليلا، فغضب مصعب بن الزبير ثم أمر بها فقتلت، فقال بعضهم في ذلك:

إن من أعجب العجائب عندي * قتل بيضاء حرة عطبول

قتلت هكذا على غير حرم * إن لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جر الذبول⁽¹⁾

(424)

محمد بن النعمان وهشام

عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، قال: حضرت محمد بن النعمان الأحول، فقام إليه رجل فقال له: بم عرفت ربك؟ قال: بتوقيفه وإرشاده وتعريفه وهدايته.

قال: فخرجت من عنده فلقيت هشام بن الحكم، فقلت: ما أقول لمن يسألني فيقول لي: بم عرفت ربك؟

فقال: إن سألت سائل فقال: بم عرفت ربك؟ قلت: عرفت الله جل جلاله

(1) الفتوح: ج 6 ص 199

بنفسي، لأنها أقرب الأشياء إلي، وذلك أني أجدها أبعاضا مجتمعة، وأجزاء مؤتلفة، ظاهرة التركيب، متينة الصنعة، مبنية على ضروب من التخطيط والتصوير، زائدة من بعد نقصان، وناقصة من بعد زيادة، قد أنشأ لها حواس مختلفة وجورح متباعدة: من بصر وسمع وشام وذائق ولامس، مجبولة على الضعف والنقص والمهانة، لا تترك واحدة منها مترك صاحبها ولا تقوى على ذلك، عاجزة عن اجتلاب المنافع إليها ودفع المضار عنها، واستحال في العقول وجود تأليف لا مؤلف له، وثبات صورة لا مصور لها، فعلمت أن لها خالقا خلقها ومصورا صورها، مخالفا لها في جميع جهاتها، قال الله جل جلاله: " وفي أنفسكم أفلا تبصرون "⁽¹⁾.

هشام بن الحكم مع هشام بن سالم

عن جعفر بن محمد بن حكيم الخثعمي، قال: اجتمع ابن سالم وهشام بن الحكم وجميل بن راج وعبد الرحمن بن الحجاج ومحمد بن حمران وسعيد بن غزوان ونحو من خمسة عشر من أصحابنا، فسألوا هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فيما اختلفوا فيه من التوحيد وصفة الله عز وجل وعن غير ذلك، لينظروا أيهم أقوى حجة، فوضي هشام بن سالم أن يتكلم عند محمد بن أبي عمير، ورضي هشام بن الحكم أن يتكلم عند محمد بن هشام، فتكالما وساقا ما جرى بينهما.

وقال: قال عبد الرحمن بن الحجاج لهشام بن الحكم: كفت والله بالله العظيم وألحدت فيه، ويحك! ما قرت أن تشبه بكلام ربك إلا العود يضوب به.

(1) البحار: ج 3 ص 49 - 50 عن التوحيد

الصفحة 208

قال جعفر بن محمد بن حكيم: فكتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام يحكي له مخاطبتهم وكلامهم ويسأله أن يعلمهم ما القول الذي ينبغي أن يدين الله به من صفة الجبار.

فأجابه في عرض كتابه: فهمت رحمك الله! واعلم رحمك الله إن الله أجل وأعلى وأعظم من أن يبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه، وكفوا عما سوى ذلك ⁽¹⁾.

هشام مع الديصاني

عن محمد بن أبي إسحاق عن عدة من أصحابنا: أن عبد الله الديصاني أتى هشام بن الحكم، فقال له:

ألك رب؟

فقال: بلى.

قال: قادر؟

قال: نعم قادر قاهر.

قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلها في البيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟

فقال هشام: النظرة.

فقال له: قد أنظرتك هولا.

ثم خرج عنه فكتب هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه، فأذن له، فقال: يا ابن رسول الله أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس المعول فيها إلا على الله وعليك.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: عماذا سألك؟ فقال: قال لي كيت وكيت.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام:

يا هشام كم هواسك؟

قال: خمس.

فقال: أيها أصغر؟

فقال: الناظر.

قال: وكم قدر الناظر؟

قال: مثل العدسة أو أقل منها.

فقال: يا هشام فانظر أمامك وفوقك وأخوئي.

فقال: رى سماء وأرضا ونورا وقصورا وتوابا وجبالا وأنهرا.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام:

إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضاء لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضاء.

فانكب هشام عليه وقبل يديه ورأسه ورجليه، وقال: حسبي يا ابن رسول الله! فانصوف إلى مقله، وغدا عليه الديصاني.

فقال له: يا هشام إني جئتك مسلما، ولم أجئك متقاضيا للجواب.

فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضيا فهالك الجواب، فخرج عنه الديصاني، فأخبر أن هشاما دخل على أبي عبد الله عليه

السلام فعلمه الجواب.... الخ (1).

* * *

(427)

هشام مع النظام

قال النظام لهشام بن الحكم: إن أهل الجنة لا يبقون في الجنة بقاء الأبد فيكون بقاؤهم كبقاء الله ومحال أن يبقوا كذلك.

فقال هشام: أن أهل الجنة يبقون بمبق لهم، والله يبقى بلا مبق، وليس هو كذلك.

فقال: محال أن يبقوا الأبد.

قال: قال: ما يصيرون؟

قال: يدركهم الخمود.

قال: فبلغك أن في الجنة ما تشتهي الأنفس؟

قال: نعم.

قال: فإن اشتها أو سألوأربهم بقاء الأبد؟

قال: إن الله تعالى لا يلهمهم ذلك.

قال: فلو أن رجلا من أهل الجنة نظر إلى ثرة على شجرة فمد يده ليأخذها فتدلت إليه الشجرة والثمار ثم حانت منه لفتة

فنظر إلى ثرة أخرى أحسن منها، فمد يده اليسرى ليأخذها فألركه الخمود ويداه متعلقان بشجرتين فلترفعت الأشجار، وبقي هو

مصلوبا فبلغك إن في الجنة مصلوبين؟

قال: هذا محال.

قال: فالذي أتيت به أمحل منه: أن يكون قوم قد خلقوا وعاشوا فأدخلوا الجنان تموتهم فيها يا جاهل!⁽¹⁾

* * *

(1) البحار: ج 8 ص 143 عن الكشي. وقاموس الرجال: ج 9 ص 329 عنه

الصفحة 211

(428)

سلمان مع ابن سوريا

قال - في احتجاج رسول الله صلى الله عليه وآله مع عبد الله بن سوريا اليهودي، وأن ابن سوريا قال: كان ذلك، يعني

جبرئيل عدونا فقال له سلمان الفلسي:

فما بدء عدلوته لك؟

قال: نعم يا سلمان، عادانا مورا كثرة وكان من أشد ذلك علينا أن الله أقول على أنبيائه أن بيت المقدس يخرب على يد

رجل يقال له: " بخت نصر " وفي زمانه، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، والله يحدث الأمر بعد الأمر فيمحو ما يشاء ويثبت،

فلما بلغنا ذلك الحين الذي يكون فيه هلاك بيت المقدس بعث أولئنا رجلا من أقوياء بني إسرائيل وأفاضلهم نبيا كان يعد من

أنبيائهم يقال له: " دانيال " في طلب بخت نصر ليقتله، فحمل معه وقر مال لينفقه في ذلك، فلما انطلق في طلبه لقاء بابل غلاما

ضعيفا مسكينا ليس له قوة ولا منعة، فأخذه صاحبنا ليقتله، فدفع عنه جبرئيل، وقال لصاحبنا: إن كان ربكم هو الذي أمر

بهلاككم، فإنه لا يسلطك عليه، وإن لم يكن هذا فعلى أي شيء تقتله؟ فصدقه صاحبنا وتركه، ورجع إلينا وأخبرنا بذلك، وقوى

بخت نصر وملك وعوانا وخرب بيت المقدس، فلهذا نتخذة عنوا وميكائيل عدو لجبرئيل.

فقال سلمان: يا ابن سوريا بهذا العقل المسلوك به غير سبيله ضللتهم! رأيتم كيف بعثوا من يقتل بخت نصر، وقد أخبر الله في كتبه وعلى السنة رسله أنه يملك ويخرب بيت المقدس؟ رأوا تكذيب أنبياء الله تعالى في أخبلهم واتهمهم في أخبلهم، أو صدقهم في الخبر عن الله ومع ذلك رأوا مغالبة الله، هل كان هؤلاء ومن وجوهه إلا كفرا بالله؟ وأي عدوة تجوز أن

الصفحة 212

يعتقد لجبرئيل وهو يصد عن مغالبة الله عز وجل، وينهى عن تكذيب خبر الله تعالى؟
فقال ابن سوريا: قد كان الله تعالى أخبر بذلك على ألسن أنبيائه، لكنه يمحو ما يشاء ويثبت.
قال سلمان: فإذا لا تتقوا بشئ مما في التوراة من الأخبار عما مضى وما يستأنف، فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت! وإذا لعل الله قد كان عزل موسى وهارون عن النبوة وأبطلا في دعوتهما، لأن الله يمحو ما يشاء ويثبت! ولعل كل ما أخواكم أنه يكون لا يكون وما أخواكم أنه لا يكون يكون! وكذلك ما أخواكم عما كان لعله لم يكن وما أخواكم أنه لم يكن لعله كان! ولعل ما وعده من الثواب يمحوه ولعل ما تعد به من العقاب يمحوه، فإنه يمحو ما يشاء ويثبت! إنكم جهلتم معنى " يمحو الله ما يشاء ويثبت " فلذلك أنتم بالله كافرون، ولإخبله عن الغيوب مكذبون، وعن دين الله منسلخون.
ثم قال سلمان: فإني أشهد أن من كان عنوا لجبرئيل، فإنه عدو لميكائيل، وإنهما جميعا عنوان لمن عاداهما سلمان لمن سالمهما، فأقول الله تعالى عند ذلك موافقا لقول سلمان -رحمة الله عليه -: " قل من كان عنوا لجبرئيل " ابن عباس مع عائشة روى الطوي أيضا قال: قال ابن عباس -رحمه الله -: لما حجبت بالناس نيابة عن عثمان وهو محصور، مررت بعائشة بالصلصل، فقالت: يا ابن عباس أنشدك الله - فإنك قد أعطيت لسانا وعقلا - أن تخذل الناس عن طلحة! فقد بان لك لهم بصائرهم في عثمان وأنهجت ورفعت لهم المنار وتحلوا من البلدان لأمر قد حم، وإن طلحة - فيما بلغني - قد اتخذ رجلا على بيوت الأموال، وأخذ

(1) البحار: ج 9 ص 287

الصفحة 213

مفاتيح الخرائن، وأظنه يسير - إن شاء الله - بسوة ابن عمه أبي بكر. فقال: يا أمه؟ لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا، فقالت: إيها عنك يا بن عباس! إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك (1).

(429)

رجل مع عمار

عن أسماء بن حكيم الوري، قال: كنا بصفين مع علي تحت راية عمار ابن ياسر لرتفاع الضحى، وقد استظلنا برداء أحمر، إذ أقبل رجل يستقي الصف حتى انتهى إلينا، فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار: أنا عمار، قال: أبو اليقظان؟

قال: نعم، قال: إن لي إليك حاجة أفأنتقم بها سوا أو علانية؟ قال: اختر لنفسك أيهما شئت، قال: لا بل علانية، قال: فانطق. قال: إني خرجت من أهلي مستبصوا في الحق الذي نحن عليه، لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصوا حتى ليلتي هذه، فإني رأيت في منامي مناديا تقدم فأذن وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله ونادى بالصلاة، ونادى مناديهام مثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة، فصلينا صلاة واحدة وتلونا كتاباً واحداً ودعونا دعوة واحدة، فأدركني الشك في ليلتي هذه، فبت بليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت، فأتيته أمير المؤمنين فذكرت ذلك له، فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟ قلت لا، قال: فألقه فانظر ماذا يقول لك عمار فاتبعه، فجئتك لذلك.

فقال عمار: تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي، فإنها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات وهذه الرابعة، فما هي بخوهن ولا أوهن، بل هي شوهن وأفوهن، أشهدت بواو واحداً

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 10 ص 6. وبهج الصباغة: ج 6 ص 135

الصفحة 214

ويوم حنين؟ أو شهدها أب لك فيخبرك عنها؟ قال: لا، قال: فإن مراكزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين، وإن مراكز رايات هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأخواب، فهل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ والله لو ددت أن جميع من فيه ممن أقبل مع معلوية يريد قتالنا - مفارقاً للذي نحن عليه - كانوا خلقاً واحداً فقطعته وذبحته! والله لدمؤهم جميعاً أحل من دم عصفور! أفترى دم عصفور حراماً؟ قال: لا بل حلال، قال: فإنهم حلال كذلك، أتراني بينت لك؟ قال: قد بينت لي، قال: فاختر أي ذلك أحببت.

فانصوف الرجل، فدعاه عمار، ثم قال: أما إنهم سيضربونكم بأسيا فمهم حتى يوتاب المبطلون منكم، فيقولوا: لو لم يكونوا على حق ما أظهروا علينا، والله ما هم من الحق على ما يقضي عين ذباب، والله لو ضوبونا بأسيا فمهم حتى يبلغونا سعات هجر لعلمنا أننا على حق وأنهم على باطل⁽¹⁾.

(430)

رجل من طي مع معلوية

وقام عدي بن حاتم الطائي إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إن عندي رجلاً لا يورى به رجل، وهو يريد أن يزور ابن عمه حابس بن سعد الطائي بالشام، فلو أمرناه أن يلقي معلوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام، فقال علي عليه السلام: نعم، فأمره عدي بذلك، وكان اسم الرجل خفاف ابن عبد الله.

فقدم علي ابن عمه حابس بن سعد بالشام، وحابس سيد طي بها، فحدث خفاف حابساً أنه شهد عثمان بالمدينة وسار مع علي إلى الكوفة، وكان لخفاف

لسان وهیئة وشعر، فغدا حابس بخفاف إلى معلوية، فقال: إن هذا ابن عم لي قدم الكوفة مع علي وشهد عثمان بالمدينة، وهو ثقة.

فقال له معلوية: هات حدثنا عن عثمان، فقال، نعم حصوه المكثوح [وحكم فيه حكيم ووليه عمار وتجد في أموره ثلاثة نفر: عدي بن حاتم] والأشتر النخعي وعمرو بن الحمق، وجد في أموره رجلان: طلحة والزبير، وأوأ الناس منه علي.
قال: ثم مه؟

قال: ثم تهافت الناس على علي بالبيعة تهافت الفواش حتى ضاعت النعل وسقط الوداء ووطئ الشيخ، ولم يذكر عثمان، ولم يذكر له.

ثم تهيأ للمسير، وخف معه المهاجرون والأنصار، وكوه القتال معه ثلاثة نفر: سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، فلم يستكوه أحدا واستغنى بمن خف معه عن ثقل، ثم سار حتى أتى جبل طي، فأتته جماعة كان ضلربا بهم الناس حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، فسوح رجالا إلى الكوفة يدعونهم، فأجابوا دعوته، فسار إلى البصرة فإذا هي في كفه، ثم قدم الكوفة، فحمل إليه الصبي، ودبت إليه العجوز، وخرجت إليه العروس فوحا به وشوقا إليه، وتوكته وليس له همة إلا الشام.

فذر معلوية من قوله، وقال حابس: أيها الأمير لقد أسمعني شوا غير به حالي في عثمان، وعظم به عليا عندي.
فقال معلوية: أسمعني يا خفاف، فأنشده شوا أوله:

قلت والليل ساقط الأكفاف * ولجنبي عن الفواش تجافي

(يذكر فيه حال عثمان وقتله، وفيه إطالة عدلنا عن ذكوه بحسبها، ومن جملته):

وفي نصر:

[أرقب النجم مائلا ومتى الغمض * بعين طويلة التذلف

ليت شعوي وإنني لسؤول * هل لي اليوم في المدينة شاف

من صحاب النبي إذ عظم الخطب * فيهم في الورية كاف

إحلال دم الإمام بذنب * أم حوام بسنة الوقاف

قال لي القوم لا سبيل إلى ما * تطلب اليوم قلت حسب خفاف

عند قوم ليسوا بأوعية العلم * ولا أهل صحة وعفاف

(1) قلت لما سمعت قولا دعوني * إن قلبي من القلوب ضعاف]

قد مضى ما مضى ومر به الدهر * كما مر ذاهب الأسلاف
إنني والذي يحج له الناس * علي لحق البطون عجاف
تتبلر مثل القي من النبع * بشعث مثل السهام تخاف
رهب اليوم إن أتاكم علي * صيحة مثل صيحة الأحقاف
إنه الليث غاديا وشجاع * مطوق نافث بسمزعاف
واضع السيف فوق عاتقه الأيمن * يفوي به (شؤون الصحاف
[لا رى القتل في الخلاف عليه * ألف ألف كانوا من الأشواف
سوم الخيل ثم قال لقوم * بايعوه إلى الطعان خفاف
استعوا لحرب طاغية الشام * فلوهم كالبيدين اللطاف
ثم قالوا أنت الجناح لك الريش * القدامي ونحن منه الخوافي
[أنت وال وأنت والدنا البر * ونحن الغداة كالأضياف
وقوي الضيف في الديار قليل * قد تركنا العواق للأتحاف
وهم ما هم إذا نشب البأس * من نوي الفضل والأمور الكوافي]

(1) نقلنا من النصر ما بين المعقوفين وتركنا اختلاف النسخ واعتمدنا على رواية ابن أبي الحديد

الصفحة 217

فانظر اليوم قبل باورة القوم * لسلم تهم أم بخلاف
[إن هذارأي الشفيق على الشام * ولولاه ما خشيت نشاف]
قال: فانكسر معاوية، وقال: يا حابس إنني لأظن هذا عينا لعلي، أخرجه عنك لئلا يفسد علينا أهل الشام⁽¹⁾.

(431)

الأشتر وجير

لما رجع جرير إلى علي عليه السلام (من عند معاوية وكان أمير المؤمنين عليه السلام أرسله إليه) كثر قول الناس في
التهمة لجرير في أمر معاوية، فاجتمع جرير والأشتر عند علي عليه السلام، فقال الأشتر: أما والله يا أمير المؤمنين! أن لو
كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خوا لك من هذا الذي رُحى خناقه، وأقام عنده حتى لم يدع بابا يروجو فتحه إلا فتحه، ولا بابا
يخاف أمره إلا سده.

فقال جرير: لو كنت والله أتيتهم لقتلوك - وخوفه بعمره وذو الكلاع وحوشب - وقال: إنهم زعمون أنك من قتلة عثمان.
فقال الأشتر: والله لو أتيتهم يا جرير لم يعينني جوابها ولم يثقل علي حملها، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن

قال: فأنتم إذن! قال: الآن؟ وقد أفسدتهم ووقع بينهم الشر .

عن الشعبي قال: اجتمع جرير والأشتر عند علي عليه السلام فقال الأشتر: أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرا وأخبرتك بعداوتة وغشه؟ وأقبل الأشتر يشتمه ويقول: يا أبا بجيلة إن عثمان اشترى منك دينك

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 3 ص 111 - 112 وقد مضى شطر منه 137 عن ابن أعثم، وراجع صفين نصر: ص 64 - 68 وما بين المعقوفين لنصر. وراجع الإمامة والسياسة: ج 1 ص 78

الصفحة 218

بهمدان، والله ما أنت بأهل أن تترك تمشي فوق الأرض، إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يدا بمسرك إليهم، ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم، وأنت والله منهم! ولا أرى سعيك إلا لهم، لئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسك وأشباهك في حبس لا تخرجون منه حتى تستنم هذه الأمور، ويهلك الله الظالمين.

قال جرير: وددت والله أن لو كنت مكاني بعثت، إذن والله لم توجع!

قال: فلما سمع جرير مثل ذلك من قوله فرق عليا عليه السلام فلحق بوقيساء ولحق به ناس من قسر من قومه، فلم يشهد صفين من قسر غير تسعة عشر رجلا، ولكن شهداها من أحمر سبعمائة رجل.

وقال الأشتر فيما كان من تخويف من جرير إياه بعمره وحوشب [وذي الكلاع]:

لعمرك يا جرير لقول عمرو * وصاحبه معلوي بالشام
وذي كلع وحوشب ذي ظليم * أخف علي من ريش النعام
إذا اجتمعوا علي فخل عنهم * وعن باز مخالفه نوامي
ولست بخائف ما خوفوني * وكيف أخاف أحلام النيام
وهمهم الذي حاموا عليه * من الدنيا وهمي من أمامي
فإن أسلم أعمهم بحرب * يشيب لهولها رأس الغلام
وإن أهلك فقد قدمت أمرا * أفوز بفلجه يوم الخصام
وقد زانوا علي ولؤعدوني * ومن ذا مات من خوف الكلام⁽¹⁾

(432)

رجل ناسك مع معلوية

لما غلب أهل الشام على الفوات فحوا بالغلبة، وقال معلوية: يا أهل الشام هذا والله أول الظفر! لا سقاني الله ولا أبا سفيان

إن شربوا منه أبدا حتى

يقتلوا بأجمعهم عليه، وتباشر أهل الشام.

فقام إلى معاوية رجل من أهل الشام همداني ناسك يتأله ويكثر العبادة يعرف بمعوى بن أقبل، وكان صديقا لعمر بن العاص وأخا له، فقال: يا معاوية سبحان الله! لأن سبقتهم القوم إلى الفوات فغلبتموهم عليه تمنعونهم الماء، أما والله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه! أليس أعظم ما تتالون من القوم أن تمنعهم الفوات؟ فيقولوا على فوضة أخرى ويجازوكم بما صنعتكم، أما تعلمون أن فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومن لا ذنب له؟ هذا والله أول الجور! لقد شجعت الجبان، ونصرت الموتاب، وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك.

فأغلظ له معاوية، وقال لعمر: اكفني صديقك، فأتاه عمرو فأغلظ له.

فقال الهمداني في ذلك شوا:

لعمر أبي معاوية بن حرب * وعمرو ما لدائهما نواء
سوى طعن يحار العقل فيه * وضرب حين تختلط الدماء
ولست بتابع دين ابن هند * طوال الدهر ما رُسى حواء
لقد ذهب العتاب فلا عتاب * وقد ذهب الولاء فلاولاء
وقولي في حوادث كل خطب * على عمرو وصاحبه العفاء
ألا لله ترك يا بن هند * لقد روح الخفاء فلا خفاء
أتحمون الفوات على رجال * وفي أيديهم الأسل الظماء
وفي الأعناق أسياف حداد * كأن القوم عندهم نساء
أتوجو أن يجاوركم علي * بلا ماء وللأخواب ماء
دعاهم دعوة فأجاب قوم * كحرب الإبل خالطها الهناء
قال: ثم سار الهمداني في سواد الليل حتى لحق بعلي عليه السلام ⁽¹⁾.

(433)

محمد بن أبي بكر وعمرو بن العاص ومعاوية

قال: (في مقتل محمد بن أبي بكر رحمه الله تعالى): إن عمرو بن العاص لما قتل كنانة أقبل نحو محمد بن أبي بكر، وقد تفوق عنه أصحابه، فخرج محمد متمهلا، فمضى في طريقه حتى انتهى إلى خربة فؤى إليها.

وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج على قلعة الطريق فسألهم: هل مر بهم أحد ينكرونه؟ قالوا: لا. قال أحدهم: إني دخلت تلك الخربة، فإذا أنا رجل جالس، قال ابن حديج: هو هو ورب الكعبة! فانطلقوا يركضون حتى دخلوا على محمد، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا فأقبلوا به نحو الفسطاط. قال: ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص وكان في جنده، فقال: لا والله! لا يقتل أخي صوا، ابعث إلى معاوية بن حديج فانه، فُرسل عمرو بن العاص: أن انتني بمحمد، فقال معاوية: أقتلت كنانة بن بشر ابن عمي وأخلي عن محمد هيهات! " أكفلكم خير من أولئكم أم لكم واة في الزبر ". فقال محمد: اسقوني قطرة من الماء!

فقال له معاوية بن حديج: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبدا، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محروما، فسقاه الله من الرحيق المختوم، والله لأقتلنك يا ابن أبي بكر وأنت ظمآن ويسقيك الله من الحميم والغسلين! فقال له محمد: يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان، إنما ذلك إلى الله يسقي أوليائه ويظمئ أعداءه وهم أنت وقوناؤك ومن ولاك وتوليته، والله لو كان سيفي في يدي ما بلغت مني ما بلغت. فقال له معاوية بن حديج: أتري ما أصنع بك؟ أدخلك جوف هذا

الصفحة 221

الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار.

قال: إن فعلتم ذاك بي فطالما فعلتم ذاك بأولياء الله، وأيم الله! إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها بردا وسلاما، كما جعلها الله على إواهيم خليله، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه، وإني لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية وهذا - أشار إلى عمرو بن العاص - بنار تلظى كلما خبت زادها الله عليكم سعوا. فقال له معاوية بن حديج: إني لا أقتلك ظلما، وإنما أقتلك بعثمان بن عفان. قال محمد: وما أنت وعثمان؟ رجل عمل بالجور وبدل حكم الله والوآن وقد قال الله عز وجل: " ومن لم يحكم بما أقول الله فأولئك هم الكافرون " فأولئك هم الظالمون " فأولئك هم الفاسقون " فنقمنا عليه أشياء عملها، فرددنا أن يخلع من الخلافة علنا فلم يفعل، فقتله من قتله من الناس.

(1) فغضب معاوية بن حديج فقدمه فضوب عنقه، ثم ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار .

(434)

الأعوابي والحجاج

قَالَ الْحَجَّاجُ فِي يَوْمٍ حَارٍ عَلَى بَعْضِ الْمِيَاهِ وَدَعَا بِالْغَدَاءِ، وَقَالَ لِحَاجِبِهِ: انْظُرْ مِنْ يَتَغَذَّى مَعِي، وَاجْهَدْ أَلَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَأَيُّ الْحَاجِبِ أَعْوَابِيَا نَائِمًا عَلَيْهِ شَمْلَةٌ مِنْ شَعْرٍ، فَضُوبُهُ وَجِلُهُ وَقَالَ: أَجِبِ الْأَمِيرَ، فَأَتَاهُ، فَدَعَاهُ الْحَجَّاجُ إِلَى الْأَكْلِ.

فقال: دعاني من هو خير من الأمير، فأجبتة.

قال: من هو؟

قال: الله دعاني إلى الصوم فصمت.

قال: أفي هذا اليوم الحار؟

قال: نار جهنم أشد حوا.

قال: أفطر وتصوم غدا.

قال: إن ضمنت لي البقاء إلى غدا!

قال: ليس ذلك إلي.

قال: فكيف أدع عاجلا لآجل لا تقدر عليه!

قال: إنه طعام طيب.

قال: إنك لم تطيبه ولا الخبز، ولكن العافية طيبته لك ⁽¹⁾.

(435)

جعفر بن أبي طالب وعمرو عند النجاشي

عن أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله قالت:

لما تولنا برّض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا وعبدنا الله، لا تؤذى كما كنا تؤذى بمكة، ولا نسمع

شيئا نكرهه.

فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي في أمرنا رجلين منهم جليدين، وأن يهتوا للنجاشي هدايا مما

يستطوف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منه الأدم، فجمعوا أدما كثيرا، ولم يتوكلوا من بطلقته

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 6 ص 235، وبعج الصباغة: ج 11 ص 23 عن البيان للجاحظ، والعقد الفريد: ج 3 ص 444

بطريقا إلا أهدوا إليه هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل

السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما:

إدفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم.

ثم قدما إلى النجاشي، ونحن عنده في خير دار عند خير جار، فلم يبق من بطرقته بطريق إلا دفعا إليه هديته، قبل أن يكلمنا النجاشي، ثم قالوا للبطرقة:

إنه قد فر إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فلقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجأؤوا بدين لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك أشراف قومهم لنودهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عايناه عليه، فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قربا هدايا الملك إليه فقبلها منهم، ثم كلماه فقالا له:

أيها الملك قد فر إلى بلادك منا غلمان سفهاء، فلقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، جأؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك أشراف قومنا من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لنودهم عليهم فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عايناه عليهم وعانيناه منهم.

قالت أم سلمة:

ولم يكن شئ أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم.

فقالت بطرقة الملك وخواصه حوله: صدقا أيها الملك! قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عايناه عليهم فليسلمهم الملك إليهما لنودهم إلى بلادهم وقومهم، فغضب الملك، وقال: لا ها الله! إذا لا أسلمهم إليهما، ولا أخفر قوما جلوروني وتولوا بلادنا واختاروني على سواي، حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسننت جولهم ما جلوروني



قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟

قالوا: والله ما علمناه وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وآله كائنا [في ذلك] ما هو كائن.

فلما جاءه - وقد دعا النجاشي أساقفته - فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي فرقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

قالت أم سلمة: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له:

أيها الملك! إنا كنا قوما في جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله عز وجل علينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا عليه نحن وآباؤنا من دونه من الحجلة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن التجاور والكف عن المحرم والدماء، ونهانا عن سائر الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، وبالصلاة والزكاة والصيام (قالت: فعدد عليه أمور الإسلام كلها) فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا واحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قوما فغضبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأصنام والأوثان عن عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جورك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: فهل معك مما جاء به صاحبكم عن الله شيء؟ فقال

جعفر: نعم، فقال: إقاه علي، فقرأ عليه صورا من " كهيعص " فبكى حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا لحاهم.

ثم قال النجاشي: والله إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة والله لا أسلمكم إليهم.

قالت أم سلمة:

فلما خرج القوم من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لأعيبهم غدا عنده بما يستأصل به خضواءهم، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أتقى الرجلين - : لا تفعل فإن لهم لحاما، وإن كانوا قد خالفوا قال: والله لأخبرنه غدا إنهم يقولون في عيسى بن مريم: إنه عبد.

ثم غدا عليه من الغد فقال: أيها الملك! إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما! ف أرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه، ف أرسل إليهم قالت أم سلمة:

فما قل بنا مثلها، واجتمع المسلمون وقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه والله ما قال عز وجل وما جاء به نبينا عليه السلام كائنا في ذلك ما هو كائن. فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر نقول: إنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضوب النجاشي يديه على الأرض، وأخذ منها عودا وقال: ما عدا عيسى بن مريم ما قال هذا العود. قالت: فقد كانت بطرقته تفاخرت حوله حين قال جعفر ما قال، فقال لهم النجاشي: وإن تفاخرتم! ثم قال للمسلمين: إذهبوا فأنتم سيوم بلرضي - أي آمنون - من سبكم غم، ثم من سبكم غم، ثم من سبكم غم، ما أحب أن لي دوا ذهباً وأني آذيت

الصفحة 226

رجلا منكم - والدبر بلسان الحبشة الجبل - ربوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي فيها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حتى ردني إلى ملكي فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في أفأطيعهم فيه؟ الخ (1).

(436)

عبد الله بن عباس وبسر بن رطاة

روى أبو الحسن المدائني، قال: اجتمع عبد الله بن عباس وبسر بن رطاة يوما عند معاوية - بعد صلح الحسن عليه السلام - فقال له ابن عباس: أنت أموت للعين السيئ القدم أن يقتل ابني؟! فقال: ما أموته بذلك ولوددت أنه لم يكن قتلها. فغضب بسر وزوع سيفه فألقاه، وقال لمعاوية: اقبط سيفك، قلدنتيه وأموتني أن أخبط به الناس ففعلت، حتى إذا بلغت ما أردت قلت: لم أهو ولم آمر! فقال: خذ سيفك إليك، فلعمري إنك ضعيف مائق حين تلقي السيف بين يدي رجل من بني عبد مناف قد قتلت أمس ابنه. فقال له عبيد الله: أحسبني يا معاوية قاتلا بسوا بأحد ابني؟ هو أحقر وألام من ذلك! ولكني والله لا أرى لي مقنعا ولا أترك ثرا إلا أن أصيب بهما يزيد وعبد الله!

فتبسم معاوية وقال: وما ذنب معاوية وابني معاوية؟ والله ما علمت ولا أموت ولا رضيت ولا هويت! واحتملها منه لشرفه (2) وسؤدده .

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 6 ص 307، وراجع قاموس الرجال: ج 2 ص 371.

(2) شوح النهج لابن أبي الحديد: ج 2 ص 17 - 18 وقد مر برواية أخرى

الأشتر وسعيد

قال: ... ثم اتفق أن الوليد بن عقبة لما كان عامله - أي عثمان - على الكوفة وشهد عليه بشرب الخمر صوفه وولى سعيد بن العاص مكانه، فقدم سعيد الكوفة واستخلص من أهلها قوما يسمرون عنده.

فقال سعيد يوما: إن السواد بستان لقريش وبني أمية.

فقال الأشتر النخعي: ووعم أن السواد الذي أفاءه الله على المسلمين بأسيا فبا بستان لك ولقومك؟

فقال صاحب شوطته: أتود على الأمير مقالته وأغلظ له.

فقال الأشتر لمن كان حوله من النخع وغورهم من أشواف الكوفة: ألا تسمعون؟ فوثبوا عليه بحضوة سعيد فوطؤوه وطئ

عنيفا وجروا رجله، فغلظ ذلك على سعيد وأبعد سملره فلم يأذن بعد لهم، فجعلوا يشتمون سعيدا في مجالسهم ثم تعنوا ذلك إلى

شتم عثمان، واجتمع إليهم ناس كثير حتى غلظ أمرهم، فكتب سعيد إلى عثمان في أمرهم.

فكتب إليه: أن يسوهم إلى الشام لئلا يفسدوا أهل الكوفة، وكتب إلى معاوية - وهو والي الشام - أن نوا من أهل الكوفة

قد هموا بإثارة الفتنة وقد سورتهم إليك، فأنهم، فإن أنست منهم رشدا، فأحسن إليهم ولددهم إلى بلادهم.

فلما قدموا على معاوية - وكانوا: الأشتر مالك بن كعب الأرحبي، والأسود ابن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس النخعي،

وصعصعة بن صوحان العبدي، وغورهم - جمعهم يوما وقال لهم:

إنكم قوم من العوب نوو أسنان وألسنة، وقد أركتكم بالإسلام شرفا، وغلبتم الأمم وحويتهم موليتهم، وقد بلغني أنكم ذمتم

قريشا ونقمتم على الولاة

الصفحة 228

فيها، ولولا قريش لكنتم أذلة! إن أئمتكم لكم جنة، فلا تفروا عن جنتكم، إن أئمتكم ليصبرون لكم على الجور ويحتملون

منكم العقاب، والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم الخسف ولا يحمكم على الصبر، ثم تكونون شوكاءهم فيما جررتهم على

الوعية في حياتكم وبعد وفاتكم.

فقال له صعصعة بن صوحان: أما قريش فإنها لم تكن أكثر العوب ولا أمنعها في الجاهلية، وإن غورها من العوب لأكثر

منها كان وأمنع.

فقال معاوية: إنك لخطيب القوم ولا رى لك عقلا! وقد عرفتكم الآن وعلمت أن الذي أغواكم قلة العقول، أعظم عليكم أمر

الإسلام فتذكروني الجاهلية، أخرى الله قوما عظموا أمركم! افقهوا عني ولا أظنكم تفقهون! إن قريشا لم تعز في جاهلية ولا

إسلام إلا بالله وحده، لم تكن بأكثر العوب ولا أشدها، ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا وأمحضهم أنسابا وأكملهم مروءة ولم يمتنعوا

في الجاهلية - والناس تأكل بعضهم بعضا - إلا بالله، فيوأم حراما آمنا يتخطف الناس من حولهم، هل تعرفون عوبا أو عجما

أو سودا أو حمرا إلا وقد أصابهم الدهر في بلدهم وحرمتهم إلا ما كان من قريش، فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل

الله خذه الأسفل، حتى رآد الله تعالى أن يستنقذ من أكرمه باتباع دينه من هوان الدنيا وسوء مود الآخرة، فارتضى لذلك خير خلقه، ثم لرتضى له أصحابا وكان خيلهم قريشا، ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم، فلا يصلح الأمر إلا بهم، وقد كان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كؤهم، أفزاه لا يحوطهم وهم على دينه؟! أف لك ولأصحابك! أما أنت يا صعصة فإن قويتك شر القوى، أنتها نبنا وأعمقها واديا، وألمها جونا، وأعرفها بالشر، لم يسكنها شريف قطولا وضيع إلا سب بها، زاع الأمم وعبيد فارس، وأنت شر قومك، أحين أبرزك الإسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغي دين الله عوجا وتزوع إلى الغواية؟ إنه

الصفحة 229

لن يضر ذلك قريشا ولا يضعهم ولا يمنعهم من تأدية ما عليهم، إن الشيطان عنكم لغير غافل، قد عرفكم بالشر فأغواكم بالناس، وهو صلحكم وإنكم لا تتوكون بالشر أمرا إلا فتح عليكم شر منه وأخرى، قد أذنت لكم فاذهوا حيث شئتم، لا ينفع الله بكم أحدا أبدا ولا يضره، ولستم رجال منفعة ولا مضوة، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتهم ولا تبطونكم النعمة، فإن البطر لا يجر خرا، اذهوا حيث شئتم! فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم. وكتب إلى عثمان:

إنه قدم علي قوم ليست لهم عقول ولا أديان، أضعوهم العدل، لا يريدون الله بشيء ولا يتكلمون بحجة، إنما همهم الفتنة والله مبتليهم ثم فاضحهم، وليسوا بالذين نخاف نكايتهم، وليسوا الأكثر ممن له شغب ونكير، ثم أخرجهم من الشام ⁽¹⁾.

(438)

ابن عباس والزبير

روى الزبير بن بكار في الموفقيات: قال: لما سار على عليه السلام إلى البصرة، بعث ابن عباس، فقال: إئت الزبير فاقوء عليه السلام، وقل له: يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة؟ فقال ابن عباس: أفلا آتي طلحة؟ قال: لا إذا تجده عاقصا قرنه في حزن يقول: هذا سهل.

قال: فأتيت الزبير فوجدته في بيت يتروح في يوم حار وعبد الله ابنه عنده، فقال: مرحبا بك يا ابن لبابة! أجنئت زوا أم

سفرا؟

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 2 ص 129 - 131، والغدير: ج 9 ص 33.

أقول هذا ما نقله المدائني، وأما ما نقله ابن أعثم فقد مر ص 148، وما نقله المسعودي مر ج 1 ص 253، وما نقله ابن

أبي الحديد مر ص 265

الصفحة 230

قلت: كلا! إن ابن خالك يوقاً عليك السلام ويقول لك: يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة؟

فقال:

علقتهم أني خلقت عصابة * قتادة تعلقت بنشبة
لن أدعهم حتى أألف بينهم

قال: فرددت منه جوابا غير ذلك، فقال لي ابنه عبد الله: قل له: بيننا و بينك دم خليفة ووصية خليفة، واجتماع اثنين وانفاد واحد، وأم مبرورة ومشورة العشيرة.
قال: فعلمت أنه ليس وراء هذا الكلام إلا الحرب، فوجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته ⁽¹⁾.

(439)

الأشتر مع الخولج

[عن رجل من النخع] قال: سأل مصعب إواهيم بن الأشتر عن الحال (في الحكيم) كيف كانت؟ فقال: كنت عند علي عليه السلام حين بعث إلى الأشتر ليأتيه، وقد كان الأشتر أشرف على معسكر معاوية ليدخله، فأرسل إليه علي عليه السلام يزيد بن هانئ: أن انتني، فأتاه فأبلغه.
فقال الأشتر: أئته فقل له: ليس هذه بالساعة التي ينبغي أن تويلني عن موقفي! إني قد رجوت الفتح فلا تعجلني.
فوجع يزيد بن هانئ إلى علي عليه السلام فأخوه، فما هو إلا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الوهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر، وظهرت دلائل الفتح

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 2 ص 169 . وبهج الصباغة: ج 6 ص 341 . والعقد الفريد: ج 4 ص 314 ، ولكنه اختصر ونسب الكلام إلى الزبير

الصفحة 231

والنصر لأهل العواق، ودلائل الخذلان والادبار على أهل الشام.
فقال القوم لعلي: والله ما ذاك أمرته إلا بالقتال.
قال: رأيتموني ساررت رسولي إليه؟ أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟
قالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلا فوالله اعتولناك! فقال: ويحك يا يزيد!
قل له: أقبل إلي، فإن الفتنة قد وقعت!
فأتاه فأخوه، فقال الأشتر: أرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم، قال: أما والله! لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع خلافا ورفقة، إنها مشورة ابن النابغة!

ثم قال ليزيد بن هانئ: ويحك! ألا ترى إلى الفتح! ألا ترى إلى ما يلقون؟ ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا؟ أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه؟ فقال له يزيد أتحب أنك ظفوت هاهنا وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو فيه يوج عنه ويسلم إلى عنوه؟
قال: سبحان الله! لا والله لا أحب ذلك، قال: فإنهم قد قالوا له وحلفوا عليه: لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك بأسيا فانا كما

قتلنا عثمان أو لنسلمنك إلى عدوك.

فأقبل الأشر حتى انتهى إليهم فصاح:

يا أهل الذل والوهن! أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟ وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها وتركوا سنة من أولت عليه، فلا تجيئوهم أمهلوني فراقا ⁽¹⁾ فإني قد أحسست بالفتح. قالوا: لا نمهلك، قال: فأمهلوني عوة الفوس فإني قد طمعت في النصر. قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك! قال: فحدثوني عنكم وقد قتل أمثالكم وبقي راذلكم متى كنتم محقين؟

(1) الفواق: ما بين الحلبتين، يقال: انتظرتك فواق ناقة

الصفحة 232

أحين كنتم أهل الشام؟ فأنتم الآن حين أمسكنم عن قتالهم مبطلون، أم أنتم الآن في إمساكنكم عن القتال محقون، فقتلكم إذن - الذين لا تتكرون فضلهم وأنهم خير منكم - في النار! قالوا: دعنا منك يا أشر! قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله، إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا. قال: خدعتم والله فانخدعتم! ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتكم، يا أصحاب الجباه السود، كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء الله، فلا رى فركم إلا إلى الدنيا من الموت، ألا فقبحا! يا أشباه النيب الجلالة، ما أنتم وأبين بعدها غوا أبدا فابعنوا كما بعد القوم الظالمون. فسويوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه وجوه نوابهم، وصاح بهم علي، فكفوا... الخ ⁽¹⁾.

(440)

شريح بن هانئ وأبو موسى

لما رآد أبو موسى المسير (إلى الحكمية) قام إليه شريح بن هانئ فأخذ بيده، وقال: يا أبا موسى إنك نصبت لأمر عظيم لا يجبر صدعه ولا تستقال فتنته، ومهما تقل من شئ عليك أو لك يثبت حقه وتر صحته وإن كان باطلا، وإنه لا بقاء لأهل العواق إن ملكهم معلوية، ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم علي، وقد كانت منك تشيطة أيام الكوفة والجمال، فإن تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقينا والوجاء منك يأسا، ثم قال له شريح في ذلك شعوا:

أبا موسى رميت بشر خصم * فلا تضع العواق فدتك نفسي
واعط الحق شامهم وخذه * فإن اليوم في مهل كأمس

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 2 ص 217 - 219، وصفين لنصر: ص 491

الصفحة 233

وإن غدا يجي بما عليه * كذاك الدهر من سعد ونحس

ولا يخدعك عمرو إن عمروا * عدو الله مطلع كل شمس
له خدع يحار العقل منها * موهة مؤخرقة بلبس
فلا تجعل معاوية بن حرب * كشيخ في الحادث غير نكس
هداه الله للإسلام فردا * سوى عرس النبي وأي عرس
فقال أبو موسى: ما ينبغي لقوم اتهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلا أو أجر إليهم حقا⁽¹⁾.

(441)

عبد الله بن عباس وأبو موسى

قال لما أجمع أهل العواق على طلب أبي موسى وأحضره للتحكيم على كوه من علي عليه السلام أتاه عبد الله بن العباس - وعنده وجوه الناس وأشرفهم - فقال له:
يا أبا موسى إن الناس لم يرضوا بك ولم يجتمعوا عليك لفضل لا تشرك فيه، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار والمتقدمين قبلك! ولكن أهل العواق أبوا إلا أن يكون الحكم يمانيا، ورؤا أن معظم أهل الشام يمان، وأيم الله! إنني لأظن ذلك شوا لك ولنا، فإنه قد ضم إليك داهية العرب.
وليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة، فإن تقذف بحقك على باطله تترك حاجتك منه، وإن يطمع باطله في حقك يترك حاجته منك، واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأخواب، وأنه يدعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة، فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق،

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 2 ص 245 عن كتاب نصر: ص 534، والغدير: ج 10 ص 337 عنهما، وعن الإمامة والسياسة: ج 1 ص 99 و ج 1 ص 115 في نسخة عندي

الصفحة 234

استعمله عمر وهو الوالي عليه بمقالة الطبيب يحميه ما يشتهي ويوجه ما يكره، ثم استعمله عثمان وأي عمر، وما أكثر من استعملا ممن لم يدع الخلافة!
واعلم أن لعمر مع كل شيء يسرك خبيثا يسوءك، ومهما نسيت فلا تنس أن عليا بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وأنها بيعة هدى، وأنه لم يقاتل إلا العاصين والناكثين.
فقال أبو موسى: رحمك الله! والله مالي إمام غير علي، وإنني لواقف عند مارأى، وإن حق الله أحب إلي من رضا معاوية وأهل الشام، وما أنت وأنا إلا بالله⁽¹⁾.

(442)

الأحنف وأبو موسى

كان آخر من ودع أبا موسى الأحنف بن قيس، أخذ بيده ثم قال له:

يا أبا موسى اعرف خطب هذا الأمر، واعلم أن له ما بعده، وأنتك إن أضعت العواق فلا عواق، اتق الله! فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك، وإذا لقيت غدا عمروا فلا تبدأه بالسلام، فإنها وإن كانت سنة إلا أنه ليس من أهلها ولا تعطه يدك فإنها أمانة، وإياك أن يقعدك على صدر الفواش فإنها خدعة، ولا تلقه إلا وحده، واحذر أن يكلمك في بيت فيه مخدع تخبأ لك فيه الرجال والشهود ثم أراد أن يثور ما في نفسه لعلي، فقال له:

فإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي فليختر أهل العواق من قريش الشام من شاعوا، أو فليختر أهل الشام من قريش العواق من شاعوا.

فقال أبو موسى: قد سمعت ما قلت ولم ينكر ما قاله من زوال الأمر عن علي عليه السلام.

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 2 ص 246 عن المدائني في كتاب صفين، والغدير: ج 10 ص 337 عنه

الصفحة 235

فوجع الأحنف إلى علي عليه السلام فقال له: أخرج أبو موسى والله زبدة سقائه في أول مخضه، لا أرانا إلا بعثنار جلا لا ينكر خلعتك! فقال علي والله غالب على أمره، قال: فمن ذلك نخوع يا أمير المؤمنين، وفشا أمر الأحنف وأبي موسى في الناس، فجهز الشني راكبا فتنع به أبا موسى بهذه الأبيات:

أبا موسى خراك الله خوا * عواقك إن حظك في العواق
وأن الشام قد نصبوا إماما * من الأخواب معروف النفاق
وإنا لا زال لهم عنوا * أبا موسى إلى يوم التلاق
فلا تجعل معاوية بن حرب * إماما ما مشيت قدم بساق
ولا يخدعك عمرو إن عمروا * أبا موسى تحاماه الرواقي
فكن منه على حذر وأنهج * طريقك لا قول بك الراقي
ستلقاه أبا موسى مليا * بمر القول من حق الخناق
ولا تحكم بأن سوى علي * إماما أن هذا الشر باق⁽¹⁾

(443)

ابن عباس وعبد الرحمن بن خالد

قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: حضرت الحكومة - في دومة الجندل - فلما كان يوم الفصل جاء عبد الله بن عباس فقعد إلى جانب أبي موسى وقد نشر أذنيه حتى كاد أن ينطق بهما، فعلمت أن الأمر لا يتم لنا ما دام هناك، وأنه سيفسد على عمرو حيلته، فأعملت المكيدة في أمره، فجئت حتى قعدت عنده، وقد شوع عمرو وأبو موسى في الكلام، فكلمت ابن عباس

كلمة استطعته جوابها فلم يجب، فكلمته أخرى فلم يجب، فكلمته الثالثة فقال:

إني لفي شغل عن حورك الآن!

(1) نقلناه من شرح ابن أبي الحديد وأخذنا من حوله " فجهز الشنبي " إلى آخره من صفين نصر

الصفحة 236

فجبهته وقلت: يا بني هاشم لا تتكون بأوكم وكوكم أبدا! أما والله! ولا مكان النوبة لكان لي ولك شأن، قال: فحمي وغضب واضطرب فكه ورأيه، وأسمعني كلاما يسوء سماعه، فأعرضت عنه وقمت وقعدت إلى جانب عمرو بن العاص، فقلت: قد كفيتهك التتالة، إني قد شغلت باله بما دار بيني وبينه فاحكم أنت أمرك.

قال: فذهل، والله ابن عباس عن الكلام الدائر بين الرجلين حتى قام أبو موسى، فخلع عليا (1).

(444)

أحمد بن جعفر الواسطي مع ابن أبي الحديد

(ذكر ابن أبي الحديد ما ذكره أبو حيان التوحيدي من تفضيل جعفر بن أبي طالب على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم نقل ما قاله النقيب في رده، ثم قال:) فلما خرجت من عند النقيب أبي جعفر بحثت في ذلك اليوم في هذا الموضوع مع أحمد بن جعفر الواسطي - رحمه الله - وكان ذا فضل وعقل: وكان إمامي المذهب، فقال لي: صدق النقيب فيما قال.

ألمست تعلم أن أصحابكم المعتولة على قولين؟ أحدهما: إن أكثر المسلمين ثوابا أبو بكر، والآخر: أن أكثرهم ثوابا علي، وأصحابنا يقولون: إن أكثر المسلمين ثوابا علي وكذلك الزيدية، وأما الأشعرية والكوامية وأهل الحديث فيقولون: أكثر المسلمين ثوابا أبو بكر، فقد خلص من مجموع هذه الأقوال: أن ثواب حنيفة وجعفر دون ثواب علي عليه السلام.

أما على قول الإمامية والزيدية والبغداديين كافة وكثير من البصويين من

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 2 ص 261 عن أمالي الأنباري

الصفحة 237

المعتولة فالأمر ظاهر، وأما الباقيون فعندهم أن أكثر المسلمين ثوابا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ولم يذهب ذاهب إلى أن ثواب حنيفة وجعفر أكثر من ثواب علي من جميع الفوق، فقد ثبت الإجماع الذي ذكره النقيب إذا فسونا الأفضلية بالأكثرية ثوابا، وهو التفسير الذي يقع الحجاج والجدال في إثباته لأحد الرجلين، وأما إذا فسونا الأفضلية بزيادة المناقب والخصائص وكثرة النصوص الدالة على التعظيم فمعلوم أن أحدا من الناس لا يقرب عليا عليه السلام في ذلك، لا جعفر ولا حنيفة ولا

(1) غورهما .

(445)

ابن عباس وعمر

قال (عمر بن الخطاب) لابن عباس: يا عبد الله أنتم أهل رسول الله وآله وبنو عمه، فما تقول منع قومكم منكم؟ قال: لا أؤي علتها، والله ما أضمرنا لهم إلا خوا، قال: اللهم غوا! إن قومكم كرهوا أن يجتمع لكم النوبة والخلافة فتذهبوا في السماء شمخا وبذخا، ولعلكم تقولون: إن أبا بكر أول من أحركم، أما إنه لم يقصد ذلك، ولكن حضر أمر لم يكن بحضوره أحرم مما فعل، ولولا رأي أبي بكر في لجعل لكم في الأمر نصيبا، ولو فعل ما هناكم مع قومكم، إنهم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جزره .⁽²⁾

(446)

عائشة وحفصة وأم كلثوم

قال: ولما قول علي عليه السلام ذي قار كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر: أما بعد، فإني أخوك أن عليا قد قول ذي قار وأقام بها موعوبا خائفا لما

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 22 ص 119.

(2) شوح النهج لابن أبي الحديد: ج 12 ص 9

الصفحة 238

بلغه من عدتنا وجماعتنا، فهو بمقولة الأشقر إن تقدم عقروا إن تأخر نحر. فدعت حفصة جولي لها يتغنين ويضربن بالدفوف، فأمرت أن يقلن في غنائهن: ما الخبر ما الخبر علي في السفر كالفس الأشقر إن تقدم عقروا إن تأخر نحر. وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء. فبلغ أم كلثوم بنت علي - عليه السلام - فلبست جلابيبها ودخلت عليهن في نسوة متنكوات ثم أسفوت عن وجهها! فلما عرفت حفصة خجلت واسترجعت، فقالت أم كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل، فأقول الله فيكما ما أقول.

(1) فقالت حفصة: كفي رحمك الله، وأمرت بالكتاب ففوق واستغفرت الله .

(447)

الحسن عليه السلام وعمار مع أبي موسى

قال: فلما سمع أبو موسى خطبة الحسن وعمار، قام فصعد المنبر وقال:

الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد فجمعنا بعد الفقة، وجعلنا إخوانا متحابين بعد العدوة، وحرم علينا دماءنا وأموالنا، قال الله سبحانه: "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل" وقال تعالى: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها" فاتقوا الله عباد الله! وضعوا أسلحتكم وكفوا عن قتال إخوانكم.

أما بعد يا أهل الكوفة، إن تطيعوا الله بأديا وتطيعوني ثانيا تكونوا جرثومة من حراثم العرب، يلوي إليكم المضطر ويأمن فيكم الخائف، إن عليا إنما يستفركم لجهاد أمكم عائشة وطلحة والزبير حولي رسول الله ومن معهم من

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 14 ص 13، وقاموس الرجال: ج 10 ص 472 وبهج الصباغة: ج 11 ص 104 و ج 6 ص 392

الصفحة 239

المسلمين، وأنا أعلم بهذه الفتن، إنها إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت أسفوت، إنني أخاف عليكم أن يلتقي غوان منكم فيقتتلا ثم يتروكا كالأحلاس الملقاة بنجوة من الأرض، ثم يبقى رجوة من الناس لا يأمرهم بالمعروف ولا ينهون عن المنكر. إنها قد جاءتكم فتنة كافرة، لا يورى من أين توتى، تتوك الحليم حوان، كأنني أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفتن، فيقول:

"أنت فيها نائما خير منك قاعدا، وأنت فيها جالسا خير منك قائما، وأنت فيها قائما خير منك ساعيا" فثلموا سيوفكم، وقصفوا رماحكم وانصلوا سهامكم، وقطعوا أوتاركم، وخلوا قريشا تونق فتقها وتؤاب صدعها، فإن فعلت فلأنفسها ما فعلت، وإن أبت فعلى أنفسها ما جنت سمنها في أديمها، استتصحنوني ولا تستغشوني، وأطيعوني ولا تعصوني، يتبين لكم رشدكم، ويصلى هذه الفتنة من جناها.

فقام إليه عمار بن ياسر فقال: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك؟

قال: نعم هذه يدي بما قلت.

فقال: إن كنت صادقا فإنما عناك بذلك وحدك واتخذ عليك الحجة فإرم بيئك ولا تدخلن في الفتنة، أما أني أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر عليا بقتال الناكثين وسمى له فيهم من سمي، وأمره بقتال القاسطين، وإن شئت لأقيمن لك شهودا يشهدون أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما نهاك وحدك وحزرك من الدخول في الفتنة، ثم قال له: أعطني يدك على ما سمعت، فمد إليه يده، فقال له عمار: غلب الله من غالبه وجاهده، ثم جذبه، فقول عن المنبر (1).

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 14 ص 14 - 15

الصفحة 240

(448)

الحسن عليه السلام وعمار مع أبي موسى

قال أبو جعفر - رحمه الله - : فوجع ابن عباس (من الكوفة) إلى علي عليه السلام فأخوه، فدعا الحسن ابنه عليه السلام

وعمار بن ياسر وأرسلهما إلى الكوفة، فلما قدماها كان أول من أتاها مسروق بن الأجدع، فسلم عليهما وأقبل على عمار، فقال: يا أبا اليقظان علام قتلتم أمير المؤمنين؟ قال: على شتم أعواننا وضوب أبشلنا، قال: فوالله ما عاقبتكم بمثل ما عوقبتم به ولئن صيرتم لكان خوا للصافرين.

ثم خرج أبو موسى فلقى الحسن عليه السلام فضمه إليه، وقال لعمار: يا أبا اليقظان أغوت فيمن غدا على أمير المؤمنين وأحللت نفسك مع الفجار؟ قال: لم أفعل ولم تسوءني.

فقطع عليهما الحسن، وقال لأبي موسى: يا أبا موسى لم تثبط الناس عنا؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح، وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء، قال أبو موسى: صدقت بأبي وأمي ولكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "ستكون فتنة... " وذكر تمام الحديث.

فغضب عمار وساء ذلك، وقال: أيها الناس إنما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك له خاصة. وقام رجل من بني تميم، فقال لعمار: اسكت أيها العبد! أنت أمس مع الغوغاء وتسافه أمرنا اليوم.

وثار زيد بن صوحان وطبقته فانصرفوا لعمار، وجعل أبو موسى يكف الناس ويودعهم عن الفتنة، ثم انطلق حتى صعد المنبر، وأقبل زيد بن صوحان ومعه كتاب من عائشة إليه خاصة وكتاب منها إلى أهل الكوفة عامة تثبطهم عن نصرة علي وتأمرهم بلزوم الأرض، وقال:

الصفحة 241

أيها الناس انظروا إلى هذه! أموت أن تقر في بيتها وأمرنا نحن أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، فأمرت بما أمرت به، وركبت ما أمرنا به.

فقام إليه شبيب بن ربعي، فقال له: وما أنت وذاك أيها العماني الأحمق! سرفت أمس بجولاء فقطعك الله وتسب أم المؤمنين.

فقام زيد وشال يده المقطوعة وأوماً بيده إلى أبي موسى وهو على المنبر وقال له: يا عبد الله بن قيس أتود الفوات عن أمواجه، دع عنك ما لست تتركه، ثم قأ: "ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا " الآية، ثم نادي: سيروا إلى أمير المؤمنين وصراط سيد المرسلين وانفروا إليه أجمعين.

وقام الحسن بن علي عليه السلام فقال: أيها الناس! أجيئوا دعوة إمامكم وسيروا إلى إخوانكم فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لئن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على أمرنا، أصلحكم الله.

وقام عبد خير: فقال: يا أبا موسى أخبرني عن هذين الرجلين ألم يبايعا علياً؟ قال: بلى، قال: فأحدث علي حدثاً يحل به نقض بيعته؟ قال: لا أوي، قال: لا دويت ولا أتيت! إذا كنت لا توي فنحن تركوك حتى توي، أخبرني هل تعلم أحداً خرجاً عن هذه الفوق الأربع: علي بظهر الكوفة، وطلحة والزبير بالبصرة، ومعاوية بالشام، وفوقاً رابعة بالحجاز يعود لا

يجبى بهم فى ولا يقاثل بهم عدو؟

فقال أبو موسى: أولئك خير الناس.

قال عبد خير: اسكت يا أبا موسى! فقد غلب غشك⁽¹⁾.

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 14 ص 19 - 20 ، وقاموس الرجال: ص 271 عن ذيل الطبري وتاريخ الخطيب، وسيأتي برواية أخرى ص 362، والغدير: ج 9 ص 112



(449)

الأشتر وأبو موسى

قال أبو جعفر: وأنت الأخبار عليا عليه السلام باختلاف الناس بالكوفة، فقال للأشتر: أنت شفعت في أبي موسى أن أقره على الكوفة، فاذهب فأصلح ما أفسدت.

فقام الأشتر فشخص نحو الكوفة، فأقبل حتى دخلها والناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمر بقبيلة إلا دعاها، وقال: اتبعوني إلى القصر حتى وصل القصر فاقتحمه وأبو موسى يومئذ يخطب الناس على المنبر ويثبطهم، وعمار يخاطبه والحسن عليه السلام يقول: اعتزل عملنا وتتح عن منبرنا، لا أم لك!

قال أبو جعفر: فروى أبو مريم النقي، قال: والله إنني لفي المسجد يومئذ، إذ دخل علينا غلمان أبي موسى يشتون ويبادرون أبا موسى: أيها الأمير هذا الأشتر قد جاء فدخل القصر فضوبنا وأخرجنا! فقول أبو موسى من المنبر وجاء حتى دخل القصر، فصاح به الأشتر: أخرج من قصونا لا أم لك! أخرج الله نفسك! فوالله إنك لمن المنفقين قديما. قال: أجلي هذه العشية، قال: قد أجلتك ولا تبين في القصر [الليلة] ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر، وقال: إنني قد أخرجته وغزله عنكم، فكف الناس حينئذ عنه ⁽¹⁾.

(450)

محمد بن معد مع ابن أبي الحديد

قال: حضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه على رأي الشيعة الإمامية - رحمه الله - في دره برب اللواب ببغداد في سنة ثمان وستمئة، وقرئ يوقاً عنده مغلي الواقدي، فوَأ:

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 14 ص 20 - 21، وبهج الصباغة: ج 6 ص 372 عن الطبري

حدثنا الواقدي، قال: حدثني ابن أبي سوة، عن خالد بن رياح، عن أبي سفيان - مولى ابن أبي أحمد - قال: سمعت محمد بن مسلمة يقول: سمعت أذناي وأبصوت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم أحد - وقد انكشف الناس إلى الجبل وهو يدعوهم وهم لا يلوون عليه - سمعته يقول: إلي يا فلان، إلي يا فلان، أنا رسول الله، فما عوج عليه واحد منهما ومضيا. فأشار ابن معد إلي: أن اسمع، فقلت: وما في هذا؟ قال: هذه كناية عنهما، فقلت: ويجوز ألا يكون عنهما لعله عن غورهما، قال: ليس في الصحابة من يحتشم ويستحيا من ذكره بالفوار وما شابهه من العيب فيضطر القائل إلى الكناية إلا هما. قلت له: هذا وهم، فقال: دعنا من جدلك ومنعك، ثم حلف أنه ما عنى الواقدي غورهما، وأنه لو كان غورهما لذكره صريحا، وبان في

(451)

قيس ومعاوية

قال أبو الفوج: فلما تم الصلح بين الحسن ومعاوية أرسل إلى قيس بن سعد يدعو إلى البيعة فجاءه، وكان رجلاً طويلاً يركب الفرس المشوف ورجلاه تخطان في الأرض وما في وجهه طاقة شعر وكان يسمى خصي الأنصار، فلما رأوا إدخاله إليه، قال: إني حلفت ألا ألقاه إلا وبينني وبينه الومح أو السيف، فأمر معاوية بومح وسيف فوضعا بينه وبينه ليبر يمينه.

قال أبو الفوج: وقد روي أن الحسن لما صالح معاوية اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف فرس: فأبى أن يبايع، فلما بايع الحسن أدخل قيس ليبايع، فأقبل على الحسن، فقال: أفي حل أنا من بيعتك؟ قال: نعم، فألقى له

(1) شرح النهج لابن الحديد: ج 15 ص 23 - 24

الصفحة 244

كرسي وجلس معاوية على سرير والحسن معه، فقال: له معاوية: أتبايع يا قيس؟ قال: نعم، ووضع يده على فخذه ولم يمدّها إلى معاوية، فجاء معاوية من سروه وأكب على قيس حتى مسح يده على يده وما رفع إليه قيس يده⁽¹⁾.

(452)

وليد بن جابر مع معاوية

روى أبو عبيد الله محمد بن موسى بن عمران المزياني، قال: كان الوليد ابن جابر بن ظالم الطائي ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم ثم صحب علياً عليه السلام وشهد معه صفين، وكان من رجاله المشهورين، ثم وفد على معاوية في الاستقامة، وكان معاوية لا يثبتته معرفة بعينه، فدخل عليه في جملة الناس، فلما انتهى إليه استنسبه فانتسب له، فقال: أنت صاحب ليلة الحرير؟ قال: نعم، قال: والله ما تخلو مسامعي من رجرك تلك الليلة وقد علا صوتك أصوات الناس وأنت تقول:

شئوا فداء لكم أُمي وأب * فإنما الأمر غدا لمن غلب

هذا ابن عم المصطفى والمنتجب * تنمه للعلياء سادات العرب

ليس بموصوم إذا نص النسب * أول من صلى وصام واقترب

قال: نعم أنا قائلها.

قال: فلما ذا قتلها؟

قال: لأننا كنا مع رجل لا نعلم خصلة توجب الخلافة ولا فضيلة تصير إلى التقدم إلا وهي مجموعة له، كان أول الناس سلماً وأكثرهم علماً وأرجحهم حلماً، فات الجياد فلا يشق غيوله، يستولي على الأمة فلا يخاف عثره، وأوضح منهج الهدى فلا

بافتقاده، وحول الأمر إلى من يشاء من عباده دخلنا في جملة المسلمين، فلم نزع يدا عن طاعة ولم نصدع صفاة جماعة، على أن لك منا ما ظهر، وقلوبنا بيد الله، وهو أملك بها منك، فاقبل صفونا وأعرض عن كثرنا، ولا تتركوا من الأحقاد، فإن النار تقدح بالزناد.

قال معاوية: وإنك لتهددني يا أبا طي بأوباش العواق! أهل النفاق ومعدن الشقاق.
فقال: يا معاوية هم الذين أشوقك بالريق، وحبسوك في المضيق، وذادوك عن سفن الطريق، حتى لذت منهم بالمصاحف ودعوت إليها من صدق بها وكذبت وآمن بمقولها وكفوت وعرف من تأويلها ما أنكرت.
فغضب معاوية وأدار طرفه فيمن حوله، فإذا جلهم من مضر ونفر قليل من اليمن، فقال: أيها الشقي الخائن! إني لأخال أن هذا آخر كلام تقوه به.

وكان عقير (عفوة خ) بن سيف بن ذي يزن بباب معاوية حينئذ، فعرف موقف الطائي ومراد معاوية، فخافه عليهم فهجم عليهم الدار وأقبل على اليمانية فقال: شامت الوجوه! ذلا وقلا وجدعا وقلا! كشم الله هذه الأنف كشما موعبا.
ثم التفت إلى معاوية، فقال: إني والله يا معاوية ما أقول قولي هذا حبا لأهل العواق ولا جنوحا إليهم، ولكن الحفيظة تذهب الغضب، لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخاربيعة - يعني صعصعة بن صوحان - وهو أعظم جرما عندك من هذا وأنتكأ لقلبك وأقدح في صفاتك وأجد في عدوتك وأشد انتصرا في حربك، ثم أثبتته وسوخته، وأنت الآن مجمع على قتل هذا - زعمت - استصغرا لجماعتنا، فإننا لا نمرو ولا نحلى، ولعمري! لو وكلتكم أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العاشر وذكرك الدائر وحدك المغول وعروشك المثلول، فربع على ظلعك واطونا على بلالتنا، ليسهل لك حزننا ويتطامن لك شلدنا،

فإننا لا زأم بوقع الضيم، ولا نتلمظ حرع الخسف، ولا نغمز بغماز الفتن، ولا نذر على الغضب.
فقال معاوية: الغضب شيطان، فربع نفسك أيها الإنسان! فإننا لم نأت إلى صاحبك مكروها ولم نرتكب منه مغضبا ولم ننتهك منه محرما، فنونكه!

فإنه لم يضق عنه حلمنا ويسع غوه.

فأخذ عقير بيد الوليد وخرج به إلى مقولة وقال له: والله لتؤوين بأكثر مما آب به معدي من معاوية! وجمع من بدمشق من اليمانية وفوض على كل رجل دينارين في عطائه فبلغت أربعين ألفا، فتعجلها من بيت المال ودفعها إلى الوليد ورده إلى

رجل من المنصور

قال الأحمدي: وجدت كلاما جدوا بأن ينقل وإن كان لعله خرج عن شوط الكتاب:

روى ابن قتيبة في كتاب " عيون الأخبار " قال: بينما المنصور يطوف ليلا بالبيت سمع قائلا يقول: " اللهم إليك أشكو ظهور البغي والفساد وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ".

فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد، وأرسل إلى الرجل يدعو، فصلى ركعتين واستلم الوركين وأقبل على المنصور فسلم عليه بالخلافة. فقال المنصور: ما الذي سمعتك تقوله، من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما لمضني (2).

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 6 ص 129 ص 131.

(2) (لمضيني: أي شدد الحولة علي (.)

الصفحة 247

فقال: يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمر من أصولها، وإلا احتجرت منك واقتصوت على نفسي، فلي فيها شاغل.

قال: أنت آمن على نفسك، فقل.

فقال: إن الذي دخلها الطمع حتى حال بينه وبين إصلاح ما ظهر من البغي والفساد لأنت.

قال: ويحك! وكيف يدخلني الطمع والصفاء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي؟

قال: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك؟ إن الله عز وجل استوعاك المسلمين وأموالهم، فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح، ثم سجنك نفسك فيها منهم، وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها، فقويتهم بالسلاح والرجال والكراع، وأموت بألا يدخل عليك إلا فلان وفلان - نفر سميتهم - ولم تأمر بإبصال المظلوم والملهوف، ولا الجائع والفقير، ولا الضعيف والعري، ولا أحد ممن له في هذا المال حق، فمازال هؤلاء نفر الذين استخلصتم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأموت أن لا يحجبوا عنك، يجيئون الأموال ويجمعونها ويحجبونها، وقالوا: هذا رجل قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخرنا! فائتمروا على ألا يصل إليك من أخبار الناس شيء إلا ما رأوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا بغضوه عندك وبغوه الغوائل حتى تسقط متولته ويصغر قوره.

فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهايوهم، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليقروا بها على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذو القوة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم، فامتألت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا، وصار هؤلاء شوكاؤك في سلطنتك وأنت غافل، فإن جاء

الصفحة 248

متظلم حيل بينه وبين دخول دلك، وإن أراد رفع قصة إليك عند ظهورك وجدك وقد نهيت عن ذلك، ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم، فإن جاء المتظلم إليه أرسلوا إلى صاحب المظالم ألا يرفع إليك قصته ولا يكشف لك حاله، فيجيبهم خوفا منك ولا زال المظلوم يختلف نحوه ويلوذ به ويستغيث إليه وهو يدفعه ويعتل عليه، وإذا أجهد وأحوج وظهرت أنت لبعض شأنك صوخ بين يديك فيضرب ضوبا موحا ليكون نكالا لغوه، وأنت تنتظروا لا تتكر! فما بقاء الإسلام على هذا؟

ولقد كنت أيام شببتي أسافر إلى الصين فقدمتها مرة، وقد أصيب ملكها بسمعه فبكى بكاء شديدا، فحداه جلسؤه على الصبر، فقال: أما إني لست أبكي للبلية النزلة، ولكن أبكي للمظلوم بالباب يصوخ فلا أسمع صوته، ثم قال: أما إذ ذهب سمعي، فإن بصوي لم يذهب ناوا في الناس ألا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم، ثم كان يركب الفيل طوفي نهله ينظر هل وى مظلوما.

فهذا مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين على شح نفسه، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك، فإن كنت إنما تجمع المال لولدك فقد رأك الله تعالى عوا في الطفل يسقط من بطن أمه ماله في الأرض مال، وما من مال يومئذ إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فلا زال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه، ولست بالذي تعطي، ولكن الله يعطي من يشاء ما يشاء.

وإن قلت: إنما أجمع المال لتشييد السلطان، فقد رأك الله عوا في بني أمية ما أغني عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد.

وإن قلت: أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا مقولة لا ترك إلا بخلاف ما أنت عليه، انظر هل

الصفحة 249

تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟ قال: لا، قال: فإن الملك الذي خولك ما خولك لا يعاقب من عصاه بالقتل بل بالخلود في العذاب الأليم، وقد رأى ما قد عقدت عليه قلبك وعملته جولحك ونظر إليه بصوك واجترحت يداك ومشت إليه رجلاك، وانظر هل يغني عنك ما شححت عليه من أمر الدنيا إذا انتوّه من يدك، ودعاك إلى الحساب على ما منحك؟ فبكى المنصور! وقال:

ليتني لم أخلق، ويحك! فكيف أحتال لنفسي؟ قال: إن للناس أعلما يؤعون إليهم في دينهم ويوضون بقولهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسدوك.

قال: قد بعثت إليهم فهروا مني!

قال: نعم خافوا أن تحملهم على طويقك، ولكن افتح بابك وسهل حجابك، وانظر المظلوم واقمع الظالم، وخذ الفئ والصدقات مما حل وطاب، واقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الأمة.

وجاء المؤذنون فسلموا عليه وناوا بالصلاة، فقام وصلى وعاد إلى مجلسه، فطلب الرجل فلم يوجد .

الأعوابي وسليمان بن عبد الملك

وقال ابن قتيبة في الكتاب المذكور: وقد قام أعوابي بين يدي سليمان ابن عبد الملك بنحو هذا، قال له: إنني مكرمك يا أمير المؤمنين بكلام [فيه بعض الغلظة] فاحتمله إن

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 18 ص 144 - 147

الصفحة 250

كرهته، فإن وراءه ما تحب.

قال: قل.

قال: إني سأطلق لساني بما خست عنه الألسن من عظتك تأدية لحق الله،⁽¹⁾ إنك قد تكنفك رجال أساعوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياهم بدينهم⁽²⁾ فهم حرب الآخرة سلم الدنيا، فلا تأمنهم على ما اتئمتك الله عليه، فإنهم لم يألوا الأمانة تضییعا والأمة خسفا وأنت مسؤول عما اجترأوا، وليسوا مسؤولين عما اجترأت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غيبا من باع آخرته بدنيا غره.

قال: فقال سليمان: أما أنت يا أعوابي فإنك قد سللت علينا عاجلا لسانك وهو أقطع سيفيك، فقال: أجل! لقد سللته، ولكن لك لا عليك⁽³⁾.

صعصعة ومعلوية

سأل معلوية صعصعة بن صوحان العبدي عن قبائل قريش، فقال: إن قلنا غضبتكم، وإن سكتنا غضبتكم! فقال: أقسمت عليك. قال: فيمن يقول شاعركم:

وعشوة كلهم سيد * آباء سادات وأبنؤها

إن يسألوا يعطوا وإن يعدموا * يبيض من مكة بطحورها⁽⁴⁾

(1) وحق إمامتك (العقد).

(2) ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك (العقد) (3) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 18 ص 148 واللفظ له، والعقد الفريد: ج 3 ص 166، وعيون الأخبار: ج 2 ص 333.

(4) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 18 ص 289

الصفحة 251

يحيى بن عبد الله مع ابن مصعب

روى أبو الفج علي بن الحسين الاصبهاني (في كتاب مقاتل الطالبين): إن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام لما أمنه الرشيد بعد خروجه بالديلم وصار إليه بالغ إليه في إكرامه ووه، فسعى به بعد مدة عبد الله بن مصعب الربوي إلى الرشيد - وكان يبغضه - وقال له: إنه قد عاد يدعو إلى نفسه سوا وحسن له نقض أمانه، فأحضره وجمع بينه وبين عبد الله بن مصعب لينظره فيما قذفه به ورفع عليه، فجبه ابن مصعب بحضرة الرشيد وادعى عليه الحركة في الخروج وشق العصا.

فقال يحيى: يا أمير المؤمنين أتصدق هذا علي وتستصحه وهو ابن عبد الله بن الربير الذي أدخل أباك عبد الله وولده الشعب وأضرم عليهم النار، حتى خلصه أبو عبد الله الجدلي صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام منه عنوة، وهو الذي ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله أربعين جمعة في خطبته، فلما التأت عليه الناس قال: إن له أهيل سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم واشأوا لذكوه، فأكره أن أسوهم أو أقر أعينهم، وهو الذي كان يشتم أباك ويلصق به العيوب حتى ورم كبده فمات، ولقد ذبحت بقوة يوما لأبيك فوجدت كبدها سوداء قد نقتت، فقال علي ابنه: أما ترى كبد هذه البقرة يا أبت؟ فقال: يا بني هكذا ترك ابن الربير كبد أبيك.

ثم نفاه إلى الطائف، فلما حضرته الوفاة قال لابنه علي: يا بني إذا مت فالحق بقومك من بني عبد مناف بالشام ولا تقم في بلد لابن الربير فيه إمرة، فاختر له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبد الله بن الربير، ووالله إن عدوة هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعا بمقولة سواء، ولكنه قوي علي بك وضعف عنك، فتقرب بي إليك ليظفر منك بي ما يريد إذا لم يقدر على

مثله

الصفحة 252

منك وما ينبغي لك أن تسوغه ذلك في، فإن معاوية بن أبي سفيان - وهو أبعد نسبا منك إلينا - ذكر الحسن بن علي يوما فسبه، فساعده عبد الله بن الربير على ذلك، فحروه وانتهره، فقال: إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين! فقال: إن الحسن لحمي آكله ولا لوكله. ومع هذا فهو الخرج مع أخي محمد على أبيك المنصور أبي جعفر، والقائل لأخي في قصيدة طويلة أولها:

إن الحمامة يوم الشعب من خضن * هاجت فؤاد محب دائم الحزن

يحرص أخي فيها على الوثوب والنهوض إلى الخلافة، ويمدحه ويقول له:

عررنا زار عن سطوتها * إن أسلمتك ولاركنا نوي يمن

ألست أكرمهم عودا إذا انتسوا * يوما وأطهروهم ثوبا من النر

وأعظم الناس عند الناس مقولة * وأبعد الناس من عيب ومن وهن

قوموا ببيعنكم نهض بطاعتها * إن الخلافة فيكم يا بني حسن

إنّا يثاب على الإحسان محسننا * بعد التدابر والبغضاء والاحن
حتى يثاب على الإحسان محسننا * ويأمن الخائف المأخوذ بالدمن
وتتقضي دولة أحكام قادتها * فينا كأحكام قوم عابدي وثن
مظالما قد بروا بالجور أعظمنا * وي الصناع قداح النبع بالسفن

فتغير وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر وتغيظ على ابن مصعب، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو وبأيمان
البيعة أن هذا الشعر ليس له وأنه لسديف.

فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين ما قاله غره وما حلفت كاذبا ولا صادقا بالله قبل هذا، وإن الله عز وجل إذا مجده العبد في
يمينه فقال: "والله الطالب الغالب الوحمان الوحيم" استحيى أن يعاقبه، فدعني أن أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذبا إلا
عرجل.

الصفحة 253

قال: فحلفه، قال: قل: "برئت من حول الله وقوته واعتصمت بحولي وقوتي وتقلدت الحول والقوة من دون الله استكبرا
على الله واستعلاء عليه واستغناء عنه إن كنت قلت هذا الشعر" فامتنع عبد الله من الحلف بذلك، فغضب الرشيد وقال للفضل
بن الربيع: يا عباسي ما له لا يحلف إن كان صادقا؟ هذا طيلسانني علي وهذه ثيابي لو حلفني بهذه اليمين إنها لي لحلفت، فركز
الفضل عبد الله رجله - وكان له فيه هوى - وقال له: إحلف ويحك! فجعل يحلف بهذه اليمين ووجهه متغير وهو رعد.
فضرب يحيى بين كتفيه، وقال: يا بن مصعب قطعت عموك، لا تقلح بعدها أبدا.

قالوا: فما روح من موضعه حتى عوض له أعواض الجذام، استدلت عيناه وتفقأ وجهه، وقام إلى بيته، فتقطع وتشقق
لحمه وانتثر شوه ومات بعد ثلاثة أيام، وحضر الفضل بن الربيع جنزته، فلما جعل في القبر انخسف اللحد به حتى خرجت
منه غوة شديدة! وجعل الفضل يقول: التّواب التّواب! فطوح التّواب وهو يهوى فلم يستطيعوا سده حتى سقف بخشب وطم
عليه.

(1) فكان الرشيد يقول بعد ذلك للفضل: رأيت يا عباسي ما أسرع ما ادبل ليحيى من ابن مصعب .

(457)

أبو دلف والمأمون

روى أبو الفوج الاصبهاني عن عبدوس بن أبي دلف، قال: حدثني أبي، قال: قال لي المأمون: يا قاسم أنت الذي يقول فيك
علي بن جبلة:

"إنما الدنيا أبو دلف" البيهتين.

فقلت مسوعا: وما ينفعني ذلك يا أمير المؤمنين مع قوله في:

أبا دلف يا أكذب الناس كلهم * سواي فإني في مديحك أكذب

ومع قول بكر بن النطاح في:

أبا دلف إن الفقير بعينه * لمن يرتجى جوى يديك ويأمله

رأى لك بابا مغلقا متمنعا * إذا فتحه عنك فاللبؤس داخله

كأنك طبل هائل الصوت معجب * خليا من الخوات تعس مداخله

وأعجب شئ فيك تسليم إمرة * عليك على طنز و أنك قابله

قال: فلما انصرفت، قال المأمون لمن حوله: لله به! حفظ هجاء نفسه حتى انتفع به عندي، وأطفأ لهيب المنافسة ⁽¹⁾.

(458)

يحيى بن محمد مع ابن أبي الحديد

حضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي البصري في سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد، وعنده جماعة

وأحدهم يؤا في الأغاني لأبي الفوج، فمر ذكر المغوة بن شعبة، وخاض القوم، فذمه بعض، وأثنى عليه بعضهم، وأمسك عنه آخرون.

فقال بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطوف من علم الكلام على رأي الأشعري: الواجب الكف والامساك عن الصحابة وعما شجر بينهم، فقد قال أبو المعالي الجويني: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك، وقال: "إياكم وما شجر بين صحابتي" وقال: "دعوا لي أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا لما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" وقال: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" وقال: "خيركم القون الذي أنا فيه ثم الذي

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 19 ص 97 - 98

يليه ثم الذي يليه ثم الذي يليه " وقد ورد في القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "وما يبريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" وقد روي عن الحسن البصري أنه ذكر عنده الجمل وصفين، فقال: تلك دماء طهر الله منها أسيافنا فلا نلطيخ بها ألسنتنا.

ثم إن تلك الأحوال قد غابت عنا وبعدت أخبرها على حقائقها، فلا يليق بنا أن نخوض فيها، ولو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب [أن يحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله فيه ومن المروءة] أن يحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في عائشة زوجته وفي الزبير ابن عمتة وفي طلحة الذي وقاه بيده.

ثم ما الذي أؤمنا ولوجب علينا أن نلعن أحدا من المسلمين أو نوأ منه؟

وأى ثواب في اللعنة والراء؟ إن الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف لم لم تلعن؟ بل قد يقول: لم لعنت؟ ولو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يكن عاصيا ولا آثما، وإذا جعل الإنسان عوض اللعنة " استغفر الله " كان خيرا له.

ثم كيف يجوز للعامة أن تدخل أنفسها في أمور الخاصة؟ وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمة وقادتها، ونحن اليوم في طبقة سافلة جدا عنهم، فكيف يحسن بنا التعرض لذكرهم؟ أليس يقبح من الرعية أن تخوض في دقايق أمور الملك وأحواله وشؤونه التي تحوي بينه وبين أهله وبني عمه ونسائه وسورليه؟

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله صهرا لمعاوية وأخته أم حبيبة تحته، فالأدب أن تحفظ أم حبيبة - وهي أم المؤمنين - في أخيها.

وكيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه وبين رسوله مودة؟ أليس المفسرون كلهم قالوا: هذه الآية أوتيت في أبي سفيان وآله، وهي قوله تعالى:

الصفحة 256

" عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة " فكان ذلك مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان وترويج ابنته، على أن جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاهدة لم يثبت، وما كان القوم إلا كبنى أم واحدة، ولم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط، ولا وقع بينهم اختلاف ولا زاع.

فقال أبو جعفر - رحمه الله -:

قد كنت منذ أيام علقت بخطي كلاما وجدته لبعض الزيدية في هذا المعنى نقضا وردا على أبي المعالي الجويني فيما اختلزه لنفسه من هذا الرأي، وأنا أخرج إليكم لاستغني بتأمله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه، فإني أجد ألما يمنعني من الاطالة في الحديث، لا سيما إذا خرج مخوج الجدل ومقومة الخصوم. ثم أخرج من بين كتبه كراسا قأناه في ذلك المجلس واستحسنه الحاضرون، وأنا أذكر هاهنا خلاصة:

قال: لولا أن الله تعالى أوجب معاداة أعدائه كما أوجب موالات أوليائه، وضيق على المسلمين تركها إذا دل العقل عليها أو صح الخبر عنها بقوله:

سبحانه: " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم " وبقوله تعالى: " ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أتول إليه ما اتخنوهم أولياء " وبقوله سبحانه: " لا تتولوا قوما غضب الله عليهم "، ولاجماع المسلمين على أن الله تعالى فرض عدوة أعدائه وولاية أوليائه، وعلى أن البغض في الله واجب والحب في الله واجب، لما تعرضنا لمعاداة أحد من الناس في الدين ولا الواءة منه، ولكانت عدوتنا للقوم تكلفا.

ولو ظننا أن الله عز وجل يعزونا إذا قلنا: " يارب غاب أمرهم عنا فلم يكن لخوضنا في أمر قد غاب عنا معنى " لاعتمدنا على هذا العذر

وواليهاهم، ولكننا نخاف أن يقول سبحانه لنا: إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم فلم يغيب عن قلوبكم وأسماعكم، قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التي بمثلها ألزمت أنفسكم الإقرار بالنبي صلى الله عليه وآله، وموالاته من صدقه ومعاداة من عصاه وجحدته، وأمرتم بتدبر القرآن وما جاء به الرسول، فهلا حترتم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غدا: "ربنا إنا أطعنا سادتنا وكواعنا فأضلونا السبيلا".

فأما لفظة "اللعن" فقد أمر الله تعالى بها وأوجبها، ألا ترى إلى قوله:

"أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" فهو إخبار معناه الأمر، كقوله:

"والمطلقات يتوبصن بأنفسهن ثلاثة قروء" وقد لعن الله العاصين بقوله:

"لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود" وقوله: "إن الذين يؤمنون بالله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا" وقوله:

"ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا" وقال الله تعالى لإبليس: "وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين" وقال: "إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعوا".

فأما قول من يقول: أي ثواب في اللعن؟ وأن الله تعالى لا يقول للمكلف: "لم لم تلعن؟" بل قد يقول له: "لم لعنت؟" وأنه لو جعل مكان "لعن الله فلانا" "اللهم اغفر لي" لكان خوا له، ولو أن إنسانا عاش عموه كله لم يلعن إبليس لم يؤخذ بذلك، فكلام جاهل لا يبري ما يقول.

اللعن طاعة ويستحق عليها الثواب إذا فعلت على وجهها، وهو أن يلعن مستحق اللعن لله وفي الله، لا في العصبية والهوى، إلا أن الشوع قد ورد بها في نفي الولد ونطق بها القرآن، وهو أن يقول الزوج في الخامسة "إن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين" فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة وأنه قد تعبد بهم بها، لما جعلها من معالم الشوع، ولما كررها

في كثير

من كتابه العزيز، ولما قال في حق القائل: "وغضب الله عليه ولعنه" وليس المراد من قوله: "ولعنه" إلا الأمر لنا بأن نلعنه، ولو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه، لأن الله تعالى قد لعنه، أفيلعن الله إنسانا ولا يكون لنا أن نلعنه؟ هذا ما لا يسوغ في العقل، كما لا يجوز أن يمدح الله إنسانا إلا ولنا أن نمدحه، ولا يذمه إلا ولنا أن نذمه، وقال تعالى: "هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله" وقال: "ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبروا" وقال عز وجل: "وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا".

وكيف يقول القائل: إن الله تعالى لا يقول للمكلف لم لم تلعن؟ ألا يعلم هذا القائل أن الله تعالى أمر ولاية أوليائه وأمر بعدولة أعدائه؟ فكما يسأل عن التولي يسأل عن التوي، ألا ترى أن اليهودي إذا أسلم يطالب بأن يقال له:

تلفظ بكلمة الشهادتين ثم قل: برئت من كل دين يخالف دين الإسلام؟

فلا بد من الواء، لأن بها يتم العمل ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر:

تود عوي ثم رَعم أنني * صديقك أن الوأي عنك لعرب!

فمودة العدو خروج عن ولاية الولي، وإذا بطلت المودة لم يبق إلا الواء، لأنه لا يجوز أن يكون الإنسان في لوجة متوسطة مع أعداء الله وعصاته - بألا يودهم ولا يوأ منهم - بإجماع المسلمين على نفي هذه الواسطة.

وأما قوله: " لو جعل عوض اللعنة استغفر الله لكان خوا له " فإنه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما

نفعه استغفوره ولا قبل منه، لأنه يكون عاصيا لله تعالى مخالفا أمره في إمساكه ممن أوجب الله تعالى عليه الواء وإظهار

الواء منه، والمصر على بعض المعاصي لا تقبل توبته واستغفله عن البعض الآخر.

وأما من يعيش عمره ولا يلعن إبليس: فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو

الصفحة 259

كافر، وإن كان يعتقد وجوب لعنه ولا يلعنه فهو مخطئ. على أن الفرق بينه وبين ترك لعنه رؤوس الضلال في هذه الأمة - كعلاوية والمغرة وأمثالهما - أن أحدا من المسلمين لا يورث عنده الامساك عن لعن إبليس شبهة في أمر إبليس، والامساك عن لعن هؤلاء وأضوابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم، وتجنب ما يورث الشبهة في الدين واجب، فلماذا لم يكن الامساك عن لعن إبليس نظوا للامساك عن أمر هؤلاء.

قال: ثم يقال للمخالفين: رأيتم لو قال قائل: قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف، فليس ينبغي أن نخوض في قصتهما ولا أن نلعنهما ونعاديهما ونوأ منهما، هل كان هذا إلا كقولكم: قد غاب عنا أمر معاوية والمغرة بن شعبة وأضوابهما فليس لخوضنا في قصتهم معنى؟

وبعد، فكيف أدخلتم أيها العامة والحشوية وأهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان وخضتم فيه وقد غاب عنكم؟ وبرئتم من قتلته ولعنتموهم؟

وكيف لم تحفظوا أبا بكر الصديق في محمد ابنه؟ فإنكم لعنتموه وفسقتموه، ولا حفظتم عائشة أم المؤمنين في أخيها محمد المذكور، ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر علي والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما، المتغلب على حقه وحقوقهما.

وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنة عندكم، ولعن ظالم علي والحسن والحسين تكلفا؟!

وكيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة وبرئت ممن نظر إليها ومن القائل لها: يا حمراء أو إنما هي حمراء، ولعنته بكشفه سترها، ومنعنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة وما جرى لها بعد وفاة أبيها؟!

فإن قلتم: إن بيت فاطمة إنما دخل وسورها إنما كشف حفظا لنظام الإسلام وكى لا ينتشر الأمر ويخرج قوم من المسلمين

أعناقهم من ربة الطاعة



ولزوم الجماعة.

قيل لكم: وكذلك ستر عائشة إنما كشف وهو دجها إنما هنك لأنها نشوت حب الطاعة وشقت عصا المسلمين ورأقت دماء المسلمين من قبل وصول علي ابن أبي طالب عليه السلام إلى البصرة، وهوى لها مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ومن كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كتب التورايخ والسير. فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعد، جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقق، فكيف صار هنك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار والوادة من فاعله ومن أوكد عوى الإيمان، وصار كشف بيت فاطمة والدخول عليها مقتلها وجمع حطب بابها وتهدها بالتحريق من أوكد عوى الدين وأثبت دعائم الإسلام ومما أعز الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة؟! والحرمتان واحدة والسقوان واحد.

وما نحب أن نقول لكم: إن حرمة فاطمة أعظم ومكانها رفيع وصيانتها لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى، فإنها بضعة منه وخو من لحمه ودمه، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج، وإنما هي وصلة مستعولة، وعقد يحوي محوى إجلة المنفعة وكما يملك رق الأمة بالبيع والشواء. ولهذا قال الفوضيون: رباب التورث ثلاثة: سبب ونسب وولاء، فالنسب القوابة، والسبب النكاح، والولاء: ولاء العنق، فجعلوا النكاح خلجا عن النسب، ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة: قسمين.

وكيف تكون عائشة أو غيرها في متلة فاطمة وقد أجمع المسلمون كلهم - من يحبها ومن لا يحبها منهم - أنها سيدة نساء العالمين؟

قال: وكيف يؤمننا اليوم حفتر رسول الله صلى الله عليه وآله في زوجته وحفظ أم حبيبة في أخيها، ولم تؤم الصحابة أنفسهم حفتر رسول الله صلى الله عليه

عليه وآله في أهل بيته؟

ولا أؤمت الصحابة أنفسهم حفتر رسول الله صلى الله عليه وآله في صوه وابن عمه عثمان بن عفان، وقد قتلوههم ولعنوههم، ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة! منهم عائشة، كانت تقول: اقتلوا لعنة الله نعتلا! ومنهم عبد الله بن مسعود.

وقد لعن معاوية علي بن أبي طالب وابنيه حسنا وحسينا وهم أحياء يرزقون بالعواق، وهو يلعنهم بالشام على المنابر ويقنت عليهم في الصلوات.

وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي وورثا منه وأخرجاه من المدينة إلى الشام.

ولعن عمر خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة.

وما زال اللعن فاشيا في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن والواءة.

قال: ولو كان هذا أمرا معتوا وهو أن يحفظ زيد لأجل عمرو فلا يلعن، لوجب أن تحفظ الصحابة في ولادهم، فلا يلعنوا لأجل آبائهم، فكان يجب أن يحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين، وأن يحفظ معاوية، فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الحرة وقاتل الحسين ومخيف المسجد الحرام بمكة، وأن يحفظ عمر بن الخطاب في عبيد الله ابنه قاتل الهرمزان والمحارب عليا عليه السلام في صفين.

قال: على أنه لو كان الإمساك عن عدوة من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نعادهم ولو ضوبت رقابنا بالسيوف، ولكن محبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يضع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية، وإنما لوجب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه

الصفحة 262

وآله محبة أصحابه لطاعتهم لله، فإذا عصوا الله وتركوا ما لوجب محبتهم له، فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله محابة في ترك لزوم ما كان عليه من محبتهم، ولا تغطرس في العدول عن التمسك بمواليتهم. فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب أن يعادي أعداء الله ولو كانوا عتوته، كما يحب أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسبا منه، والشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قد لوجب عدوة من رتد بعد الإسلام، وعدوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بذلك ودعا إليه. وذلك: أنه صلى الله عليه وآله قد لوجب قطع يد السارق، وضوب القاذف، وجلد البكر إذا زنى وإن كان من المهاجرين أو الأنصار. ألا ترى أنه قال: لو سوقت فاطمة لقطعته، فهذه ابنته الجليلة محوى نفسه لم يحابها في دين الله ولا راقبها في حدود الله. وقد جلد أصحاب الإفك، ومنهم مسطح بن أثاثة وكان من أهل بدر.

قال: وبعد، فلو كان محل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محل من لا يعادى إذا عصى الله سبحانه ولا يذكر بالقبيح، بل يجب أن واقب لأجل اسم الصحبة ويغضى عن عيوبه وذنوبه، لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثنؤه في القرآن لما اتبع هواه، فانسلخ مما أوتي من الآيات وغوى، قال سبحانه: "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغالوين" ولكان ينبغي أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحل، لأن هؤلاء كلهم قد صحوا رسولا جليلا من رسل الله سبحانه.

قال: ولو كانت الصحابة عند أنفسها بهذه المثولة لعلمت ذلك من حال أنفسها، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا، وإذا قبرت أفعال بعضهم

الصفحة 263

ببعض دلتك على أن القصة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم.

هذا علي وعمار وأبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت وجميع من كان مع علي عليه السلام من المهاجرين والأنصار لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير حتى فعلوا بهما وبمن معهم ما يفعل بالشاة في عصورنا، وهذا طلحة والزبير وعائشة، ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي حتى قصوا له كما يقصد للمتغلبين في زماننا.

وهذا معاوية وعمرو لم يروا عليا بالعين التي رى بها العامي صديقه أو جلّه، ولم يقصوا نون ضربه وجهه بالسيف ولعنه ولعن ولأده وكل من كان حيا من أهله وقتل أصحابه. وقد لعنهما هو أيضا في الصلوات المفروضة، ولعن معهما أبا الأعرور السلمي وأبا موسى الأشعري وكلاهما من الصحابة.

وهذا سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل وعبد الله بن عمر وحسان بن ثابت وأنس بن مالك، لم يروا أن يغلوا عليا في حرب طلحة، ولا طلحة في حرب علي، وطلحة والزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين، لأنهم زعموا أنهم قد خافوا أن يكون علي قد غلط وزل في حربهما، وخافوا أن يكونا قد غلطا وزلا في حرب علي.

وهذا عثمان قد نفى أبا ذر إلى الربرة كما يفعل بأهل الخنا والريب، وهذا عمار وابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقياه به لما ظهر لهما - زعمهما - منه ما وعظاه لأجله، ثم فعل بهما عثمان ما تناهى إليكم، ثم فعل القوم بعثمان ما قد علمهم وعلم الناس كلهم.

وهذا عمر يقول في قصة الزبير بن العوام لما استأذنه في الغزو: ها أي ممسك بباب هذا الشعب أن يتفوق أصحاب محمد في الناس فيضلوهم، وزعم أنه وأبو بكر كانا يولان: إن عليا والعباس في قصة الموات زعماهما كاذبين

الصفحة 264

ظالمين فاجرين، ومارأينا عليا والعباس اعتزوا ولا تتصلا، ولا نقل أحد من أصحاب الحديث ذلك، ولا رأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما ونسبه إليهما. ولا أنكروا أيضا على عمر قوله في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: إنهم يريدون إضلال الناس ويهمون به. ولا أنكروا على عثمان بن مولى بطن عمار، ولا كسر ضلع ابن مسعود، ولا على عمار وابن مسعود ما تلقيا به عثمان، كإنكار العامة اليوم الخوض في حديث الصحابة، ولا اعتقدت الصحابة في أنفسها ما يعتقده العامة فيها. اللهم إلا أن زعموا أنهم أعرف بحق القوم منهم!

وهذا علي وفاطمة والعباس مازالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية:

"نحن معاشر الأنبياء لا نورث" ويقولون: إنها مختلفة.

قالوا: وكيف كان النبي صلى الله عليه وآله يعرف هذا الحكم غونا ويكتمه عنا ونحن الورثة؟ ونحن أولى الناس بأن يؤدي

هذا الحكم إليه.

وهذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راض، ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخرجوا فصل حال الإمامة، هذا بعد أن تلبهم وقال في حقهم ما لو سمعته العامة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحباً إلى السلطان، ثم شهدت عليه بالفرض واستحلت دمه. فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضاً، فعمر بن الخطاب لرفض الناس وإمام الروافض كلهم.

ثم ما شاع واشتهر من قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شوها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. وهذا طعن في العقد وقح في البيعة الأصلية.

ثم ما نقل عنه: من ذكر أبي بكر في صلاته وقوله عن عبد الرحمن ابنه: دويبة سوء، ولهو خير من أبيه.

الصفحة 265

ثم عمر القائل في سعد بن عباد وهو رئيس الأنصار وسيدها: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، اقتلوه فإنه منافق! وقد شتم أبا هريرة وطعن في روايته، وشم خالد بن الوليد وطعن في دينه، وحكم بفسقه وبوجوب قتله، وخون عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ونسبهما إلى سرقه مال الفئ واقطاعه. وكان سريعاً إلى المساءة، كثير الجبه والشم والسب لكل أحد، وقل أن يكون في الصحابة من سلم من موعة لسانه أو يده، ولذلك أبغضوه وملوا أيامه مع كثرة الفوح فيها.

فهلا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامة؟ إما أن يكون عمر مخطئاً وإما أن تكون العامة على الخطأ. فإن قالوا: عمر ما شتم ولا ضرب ولا أساء إلا إلى عاص مستحق لذلك.

قيل لهم: فكأننا نحن نقول: إنا نريد أن نؤا ونعادي من لا يستحق الواءة والمعادة، كلا! ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل.

وإنما غرضنا الذي إليه نحري بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم، من أساء منهم ذمناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غوهم من المسلمين كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصوته لا غير، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غوهم، لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات فقربت اعتقاداتهم من الضرورة، ونحن لم نشاهد ذلك فكانت عقائدنا محض النظر والفكر وبعرضية الشبه والشكوك فمعاصينا أخف لأننا أعذر. ثم نعود إلى ما كنا فيه فنقول:

وهذه عائشة أم المؤمنين خرجت بقميص رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت للناس: هذا قميص رسول الله لم يبل وعثمان قد أبلى سنته! ثم تقول:

الصفحة 266

اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً! ثم لم ترض بذلك حتى قالت: أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غدا. فمن الناس من يقول: روت في ذلك خوا، ومن الناس من يقول: هو موقوف عليها، وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديقا.

ثم قد حصر عثمان، حصوته أعيان الصحابة، فما كان أحد ينكر ذلك ولا يعظمه ولا يسعى في رآيته، وإنما أنكروا على من أنكر على المحاصرين له، وهو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم من أشوافهم، ثم هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر، وهو مع ذلك إمام المسلمين والمختار منهم للخلافة، وللإمام حق على رعيته عظيم. فإن كان القوم قد أصابوا، فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامة، وإن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول من أن الخطأ جائز على آحاد الصحابة، كما يجوز على آحادنا اليوم ولسنا نقدح في الإجماع، ولا ندعي إجماعاً حقيقياً على قتل عثمان، وإنما نقول: إن كثراً من المسلمين فعلوا ذلك، والخصم يسلم أن ذلك كان خطأ ومعصية، فقد سلم أن الصحابي يجوز أن يخطئ ويعصي وهو المطلوب.

وهذا المغوة بن شعبة وهو من الصحابة ادعى عليه إثمنا وشهد عليه قوم بذلك، فلم ينكر ذلك عمر، ولا قال: هذا محال باطل لأن هذا صحابي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجوز عليه إثمنا، وهلا أنكر عمر على الشهود وقال لهم: ويحكم! هلا تغافلتم عنه لما رأيتموه يفعل ذلك، فإن الله تعالى قد أوجب الامساك عن مسوئ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأوجب الستر عليهم!! وهلا تركتموه لرسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: "دعوا لي أصحابي"؟ ما رأينا عمر إلا قد انتصب لسماع الدعوى وإقامة الشهادة وأقبل يقول للمغوة: يا مغوة ذهب ربعك! يا مغوة ذهب نصفك! يا مغوة ذهب ثلاثة أرباعك! حتى اضطرب الرابع، فجلد الثلاثة. وهلا قال

الصفحة 267

المغوة لعمر: كيف تسمع في قول هؤلاء وليسوا من الصحابة وأنا من الصحابة ورسول الله صلى الله عليه وآله قد قال: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"؟ ما رأينا عمر بذلك بل استسلم لحكم الله تعالى. وهاهنا من هو أمثل من المغوة وأفضل، قدامة بن مظعون، لما شرب الخمر في أيام عمر فأقام عليه الحد، وهو رجل من عليّة الصحابة ومن أهل بدر والمشهود لهم بالجنة فلم يرد عمر الشهادة ولا هوأ عنه الحد لعله أنه بئوي ولا قال: قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله من ذكر مسوئ الصحابة. وقد ضوب عمر أيضاً ابنه حدا فمات، وكان ممن عاصر رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم تمنعه معاصيته له من إقامة الحد عليه.

وهذا علي عليه السلام يقول: ما حدثني أحد بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلا استحلفته عليه، أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب؟ وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر - على ما ورد في الخبر - وقد صوح غير مرة بتكذيب أبي هريرة، وقال: لا أحد أكذب من هذا النوسي على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه: وددت أني لم أكشف بيت فاطمة ولو كان أغلق على حرب، فندم، والندم لا يكون إلا عن ذنب.

ثم ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر علي عليه السلام عنبيعة أبي بكر ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمة، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة، وإن كان أبو بكر مصيباً فعلي على الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد.

ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضا للصحابه: فلما استخلفت عليكم خيروكم في نفسي - يعني عمر - فكلكم ورم لذلك أنفه، يريد أن يكون الأمر له لمارأيتم الدنيا قد جاءت، أما والله! لتتخذن ستائر الديباج ونضائد الحرير. أليس هذا طعنا في الصحابة وتصويحا بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر لما نص

الصفحة 268

عليه بالعهد؟

ولقد قال له طلحة لما ذكر عمر للأمر: ماذا تقول لوبك إذا سألك عن عبادته وقد وليت عليهم فظا غليظا؟ فقال أبو بكر: أجلسوني أجلسوني بالله تخوفني! إذا سألتني قلت: وليت عليهم خير أهلك، ثم شتمه بكلام كثير منقول. فهل قول طلحة إلا طعن في عمر؟ وهل قول أبي بكر إلا طعن في طلحة؟ ثم الذي كان بين أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود من السباب، حتى نفى كل واحد منهما الآخر عن أبيه، وكلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة: مازالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقتوا نبيهم. وقوله: ألا هلك أهل العقيدة، والله ما آسى عليهم إنما على من يضلون من الناس.

ثم قول عبد الرحمن بن عوف: ما كنت رى أن أعيش حتى يقول لي عثمان: يا منافق. وقوله: لو استقبلت من أمري ما استدرت ما وليت عثمان شمع نعلي. وقوله: اللهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعل به وافعل. وقال عثمان لعلي عليه السلام في كلام دار بينهما: أبو بكر وعمر خير منك، فقال علي: كذبت أنا خير منك ومنهما، عبدت الله قبلهما وعبدته بعدهما.

وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، قال: كنت عند عروة بن الزبير، فتذاكرنا كم أقام النبي بمكة بعد الوحي؟ فقال عروة: أقام عشوا.

فقلت: كان ابن عباس يقول: ثلاث عشوة. فقال: كذب ابن عباس.

وقال ابن عباس: المتعة حلال. فقال له جببر بن مطعم: كان عمر ينهى عنها. فقال: يا عدي نفسه من هاهنا ضللتم، أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وتحدثني عن عمر!

وجاء في الخبر عن علي عليه السلام: لولا ما فعل عمر بن الخطاب في المتعة مازنى إلا شقي. وقيل: مازنى إلا شفا، أي قليلا.

الصفحة 269

فأما سب بعضهم بعضا وقدح بعضهم في بعض في المسائل الفقهية فأكثر من أن يحصى، مثل قول ابن عباس وهو يرد على زيد مذهبه القول في الفوائض: إن شاء - أو قال: من شاع - باهلتة، إن الذي أحصى رمل عالج عددا أعدل من أن يجعل في مال نصفا ونصفا وثلاثا، هذان النصفان قد ذهبا بالمال، فأين موضع الثلث؟

ومثل قول أبي بن كعب في القآن: لقد قرأت القآن وزيد هذا غلام ذو نوابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب.

وقال علي عليه السلام في أمهات الأولاد وهو على المنبر: كان رأيي ورأي عمر ألا يبعن، وأنا رى الآن يبعهن. فقام إليه عبيدة السلماني فقال:

رأيك في الجماعة أحب إلينا من رأيك في الفقة.

وكان أبو بكر روى التسوية في قسم الغنائم، وخالفه عمر وأنكر فعله.

وأنكرت عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلفه على ابن عباس في عدة المتوفى عنها زوجها وهي حامل، وقالت: فروج يصقع مع الديكة.

وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصوف، وسفهورأيه حتى قيل: إنه تاب من ذلك عند موته.

واختلفوا في حد شرب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضا.

وروى بعض الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: الشؤم في ثلاثة: المرأة والدار والفوس. فأنكرت عائشة ذلك وكذبت الولوي، وقالت:

إنه إنما قال عليه السلام ذلك حكاية عن غوه.

وروى بعض الصحابة عنه عليه السلام أنه قال: التاجر فاجر. فأنكرت عائشة ذلك وكذبت الولوي، وقالت: إنما قال عليه السلام في تاجر دلس.

وأنكر قوم من الأنصار رواية أبي بكر: "الأئمة من قريش" ونسوه إلى افتعال هذه الكلمة.

الصفحة 270

وكان أبو بكر يقضي بالقضاء فينقضه عليه أصاغر الصحابة، كبلال وصهيب ونوهما، قد روي ذلك في عدة قضايا.

وقيل لابن عباس: إن عبد الله بن الزبير زعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بني إسرائيل. فقال: كذب عدو الله! أخبرني أبي بن كعب قال:

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر كذا بكلام يدل على أن موسى صاحب الخضر هو موسى بني إسرائيل.

وباع معاوية وأواني ذهب وفضة بأكثر من وزنها، فقال له أبو الرداء:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن ذلك. فقال معاوية: أما أنا فلا رى به بأسا. فقال أبو الرداء: من عدوي من معاوية! أخوه عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو يخبرني عن رأيه، والله لا أساكنك بلرض أبدا.

وطعن ابن عباس في أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخلن يده في الإناء حتى يتوضأ" وقال: "فما نصنع بالمهواس".

وقال علي عليه السلام لعمر - وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها -:

إن كانوا راقبوك فقد غشوك، وإن كان هذا جهدرأيهم فقد أخطؤا.

وقال ابن عباس: ألا يتقي الله زيد بن ثابت يجعل ابن الابن ابنا ولا يجعل أب الأب أبا!

وقالت عائشة: أخبروا زيد بن رُقْم أنه قد أحبط جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأنكوت الصحابة على أبي موسى قوله: " إن النوم لا ينقض الوضوء " ونسبته إلى الغفلة وقلة التحصيل. وكذلك أنكوت على أبي طلحة الأنصلي قوله: " إن أكل الورد لا يفطر الصائم " وهزئت به ونسبته إلى الجهل.

وسمع عمر عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في

الصفحة 271

الثوب الواحد فصعد المنبر وقال: إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فعن أي فتياكم يصدر المسلمون؟ لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا إلا فعلت وصنعت.

وقال جرير بن كليب: رأيت عمر ينهى عن المتعة، وعلي عليه السلام يأمر بها، فقلت: إن بينكما لشوا. فقال علي عليه السلام: ليس بيننا إلا الخير ولكن خونا أتبعنا لهذا الدين.

قال هذا المتكلم: وكيف يصح أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ؟ " لا شبهة أن هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدى، وأن يكون أهل العراق أيضا على هدى، وأن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتديا! وقد صح الخبر الصحيح أنه قال له:

" تقتلك الفئة الباغية " وقال في القَوَان: " فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله " فدل على أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي مفرقة لأمر الله، ومن يفرق أمر الله لا يكون مهتديا.

وكان يجب أن يكون بسر بن رطاة الذي ذبح ولدي عبيد الله بن عباس الصغيرين مهتديا، لأن بسوا من الصحابة أيضا.

وكان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاوية اللذان كانا يلعبان عليا أدبار الصلاة وولديه مهتدين.

وقد كان في الصحابة من يزني ومن يشرب الخمر - كأبي محجن الثقفي - ومن يرتد عن الإسلام - كطليحة بن خويلد - فيجب أن يكون كل من اقتدى هؤلاء في أفعالهم مهتديا!

قال: وإنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية، فإن لهم من ينصوهم بلسانه وبوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصوهم بالسيف.

وكذا القول في الحديث الآخر، وهو قوله: " القون الذي أنا فيه " ومما يدل

الصفحة 272

على بطلانه: أن القون الذي جاء بعده بخمسين سنة شر قرون الدنيا، وهو أحد القرون التي ذكرها في النص، وكان ذلك

القون هو القون الذي قتل فيه الحسين، وأوقع بالمدينة، وحوصت مكة، ونقضت الكعبة، وشربت خلفؤه والقائمون مقامه

والمنتصيون في منصب النوة الخمر، ولتكنوا الفجور كما جرى ليزيد بن معاوية، وليزيد بن عاتكة، وللوليد بن يزيد،

ورأيت الدماء الحرام، وقتل المسلمون، وسبي الحريم، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار، ونقش على أيديهم كما ينقش على

أيدي الروم، وذلك في خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج.

وإذا تأملت كتب التورايخ وجدت الخمسين الثانية شوا كلها لا خير فيها، ولا في رؤسائها وأمرائها، والناس برؤوسائهم وأمرائهم، والقرن خمسون سنة فكيف يصح هذا الخبر؟

قال: فأما ما ورد في القرآن من قوله تعالى: "لقد رضي الله عن المؤمنين" وقوله: "محمداً رسول الله والذين معه". وقول النبي صلى الله عليه وآله: "إن الله اطلع على أهل بدر" إن كان الخبر صحيحاً فكله مشروط بسلامة العاقبة، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلفاً غير معصوم بأنه لا عقاب عليه، فليفعل ما شاء.

قال هذا المتكلم: ومن أنصف وتأمل أحوال الصحابة وجدهم مثلنا يجوز عليهم ما يجوز علينا، ولا فوق بيننا وبينهم إلا بالصحة لا غير، فإن لها مقولة وشوفاً، ولكن لا إلى حد يمتنع على كل من رأى الرسول أو صحبه يوماً أو شهواً أو أكثر من ذلك أن يخطأ ويؤل. ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشة إلى نزول واءتها من السماء، بل كان رسول الله صلى الله عليه وآله من أول يوم يعلم كذب أهل الإفك، لأنها زوجته وصحبته له أكد من صحة غوها، وصفوان بن المعطل أيضاً كان من الصحابة، فكان ينبغي ألا يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يحمل ذلك الهم والغم الشديدين اللذين

الصفحة 273

حملهما، ويقول: صفوان من الصحابة وعائشة من الصحابة والمعصية عليهما ممتنعة. وأمثال هذا كثير وأكثر من الكثير لمن أراد أن يستقوى أحوال القوم. وقد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك، ويقولون في العصاة منهم مثل هذا القول، وإنما اتخذهم العامة أباباً بعد ذلك. قال: ومن الذي يجتوي على القول بأن أصحاب محمد لا تجوز الواءة من أحد منهم وإن أساء وعصى بعد قول الله تعالى للذي شرفوا برويته: "لئن أشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين" بعد قوله: "قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم" وبعد قوله: "فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد"؟ إلا من لا فهم له ولا نظر معه ولا تمييز عنده.

قال: ومن أحب أن ينظر إلى اختلاف الصحابة وطعن بعضهم في بعض ورد بعضهم على بعض، وما رد به التابعون عليهم واعترضوا به أحوالهم واختلاف التابعين أيضاً فيما بينهم وقدح بعضهم في بعض، فلينظر في كتاب النظام. قال الجاحظ: كان النظام أشد الناس إنكراً على الوافضة، لطعنهم على الصحابة حتى إذا ذكر الفتيا وتنقل الصحابة فيها وقضاياهم بالأمور المختلفة وقول من استعمل الوأي في دين الله انتظم مطاعن الوافضة وغوها وزاد عليها، وقال في الصحابة أضعاف قولها.

قال: وقال بعض رؤساء المعتولة: غلط أبي حنيفة في الأحكام عظيم، لأنه أضل خلقاً. وغلط حماد أعظم من غلط أبي حنيفة، لأن حماداً أصل أبي حنيفة الذي منه نوع. وغلط إواهيم أغلظ وأعظم من غلط حماد، لأنه أصل حماد. وغلط علقمة والأسود أعظم من غلط إواهيم، لأنهما أصله الذي عليه اعتمد. وغلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعاً، لأنه أول من بدر إلى وضع

الأديان وأيه، وهو الذي قال: أقول فيها وأيي، فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني.

قال: واستأذن أصحاب الحديث على ثمانية بخواسان - حيث كان مع الوشيد بن المهدي - فسأله كتابه الذي صنفه على أبي حنيفة في اجتهاد الرأي، فقال: لست على أبي حنيفة كتبت ذلك الكتاب، وإنما كتبت على علقمة والأسود وعبد الله بن مسعود، لأنهم الذين قالوا بالرأي قبل أبي حنيفة.

قال: وكان بعض المعتزلة أيضا إذا ذكر ابن عباس استصوه وقال: صاحب النبوة يقول في دين الله وأيه.

وذكر الجاحظ في كتاب المعروف بـ " كتاب التوحيد " : أن أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ولم يكن علي عليه السلام يوثقه في الرواية، بل يتهمه ويقدر فيه، وكذلك عمر وعائشة. وكان الجاحظ يفسق عمر بن عبد العزيز ويستغفر به ويكفوه، وعمر بن عبد العزيز وإن لم يكن من الصحابة، فأكثر العامة يرى له من الفضل ما واه لواحد من الصحابة.

وكيف يجوز أن نحكم حكما جازما أن كل واحد من الصحابة عدل؟ ومن جملة الصحابة: الحكم بن أبي العاص وكفاك به عوا ومبغضا لرسول الله صلى الله عليه وآله. ومن الصحابة الوليد بن عقبة الفاسق بنص الكتاب. ومنهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية. وبسر بن رطاة عدو الله وعدو رسوله. وفي الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس.

وقال كثير من المسلمين: مات رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعرفه الله سبحانه كل المنافقين بأعيانهم، وإنما كان يعرف قوما منهم ولم يعلم بهم أحدا إلا حذيفة فيماز عموا، فكيف يجوز أن نحكم حكما جازما أن كل واحد ممن صحب رسول الله أو رآه أو عاصوه عدل مأمون لا يقع منه خطأ ولا

معصية؟ ومن الذي يمكنه أن يتحجر واسعا كهذا التحجر أو يحكم هذا الحكم؟

قال: والعجب من الحشوية وأصحاب الحديث! إذ يجادلون على معاصي الأنبياء ويثبتون أنهم عصوا الله تعالى، وينكرون على من ينكر ذلك ويطعنون فيه ويقولون: قولي معقولي، وربما قالوا: ملحد مخالف لنص الكتاب، وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يجادل في هذا الباب، فتزلة يقولون: إن يوسف قعد من امرأة الغريز مقعد الرجل من المرأة، وتزلة يقولون: إن داود قتل أوريا لينكح امرأته، وتزلة يقولون: إن رسول الله كان كافرا ضالا قبل النبوة، وربما ذكروا زينب بنت جحش وقصة الفداء يوم بدر.

فأما قدحهم في آدم عليه السلام وإثباتهم معصيته ومناظرتهم من يذكر ذلك فهو دأبهم ودينهم، فإذا تكلم واحد في عمرو بن العاص أو في معاوية وأمثالهما ونسبهم إلى المعصية وفعل القبيح احمرت وجوههم وطالت أعناقهم وتخزرت أعينهم وقالوا:

مبتدع رافضي يسب الصحابة ويشتم السلف!

فإن قالوا: إنما اتبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب، قيل لهم:

فاتبعوا في الواءة من جميع العصاة نصوص الكتاب، فإنه تعالى قال: " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من

حاد الله ورسوله " وقال: " فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله " وقال: " أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " .

ثم يسألون عن بيعة علي عليه السلام هل هي صحيحة لازمة لكل الناس؟ فلا بد من بلى، فيقال لهم: فإذا خرج على الإمام الحق خرج أليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة؟ فهل يكون هذا القتال إلا الواءة التي نذكرها، لأنه لا فرق بين الأمرين، وإنما برئنا منهم لأننا لسنا في زمانهم فيمكننا أن نقاتل بأيدينا، ففصلى أمرنا الآن أن نوأ منهم ونلعنهم، وليكون ذلك عوضاً عن القتال الذي لا سبيل لنا إليه.

الصفحة 276

قال هذا المتكلم: على أن النظام وأصحابه ذهبوا أنه لا حجة في الإجماع وأنه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ والمعصية وعلى الفسق بل على الردة. وله كتاب موضوع في الإجماع يطعن فيه أدلة الفقهاء، ويقول: إنها ألفاظ غير صريحة في كون الإجماع حجة، نحو قوله: " جعلناكم أمة وسطا " وقوله: " كنتم خير أمة " وقوله: " ويتبع غير سبيل المؤمنين " .
وأما الخبر الذي صورته: " لا تجتمع أمتي على الخطأ " فخير واحد. وأمثلة دليل للفقهاء قولهم: إن الهمم المختلفة والآراء المتباينة إذا كان ربابها كثرة عظيمة، فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطأ، وهذا باطل باليهود والنصرى وغورهم من فوق الضلال⁽¹⁾ .

هذه خلاصة ما كتبه النقيب أبو جعفر علقه بخطه على الجزء الذي أقرأه.

(459)

الأحنف ومعاوية

سأل معاوية الأحنف عن أشعر الشواء؟ فقال: زهير. قال: وكيف ذاك؟

قال: ألقى على المادحين فضول الكلام وأخذ خالصه وصفوته. قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قوله:

وما يك من خير أتوه فإنما * قولته آباء آبائهم قبل

(2) وهل ينبت الخطي إلا وشيجه * وتغوس إلا في منابتها النخل

(460)

محمد بن الحنفية وعبد الله بن الزبير

قال: ونظر عبد الله بن الزبير أنه قد صفت له العواقب جميعاً والبصيرة

والكوفة بقتل المختار بن أبي عبيد وعبيد الله بن الحر، فُرسل إلى محمد بن الحنفية بأخيه عروة بن الزبير: أن هلم فبايع، فقد قتل الله الكذاب وابن الحر المرتاب، والأمة قد استوسقت، والبلاد قد افتتحت، فادخل فيما دخل فيه الناس من أمر البيعة، وإلا فإننا منابذوك.

قال: فغضب محمد بن الحنفية من ذلك، ثم أقبل على عروة بن الزبير، فقال: يؤسا لأخيك! ما ألجه في إسقاط الله وأغفله عن طاعة الله! أنا أبايع أخاك وعبد الملك بن مروان بالشام وعد وبيقوق؟ قال: ثم وثب رجل من أصحابه، فقال: جعلت فداك! يا ابن أمير المؤمنين علي الرضي وابن عم النبي، والله ما الوأي عندنا إلا أن توثق هذا الساعة في الحديد وتحبسه عندك، فإن أمسك عنك أخاه وبعث بالرضا، وإلا قدمت هذا فضربت عنقه. فقال محمد بن الحنفية: سبحان الله! أو يكون هذا الذي ذكرت من أعمال الجباوة وأهل الغدر؟ معاذ الله أن نقتل من لم يقتلنا أو نبداً بقتال من لم يقاتلنا.

قال: ثم أقبل ابن الحنفية على عروة بن الزبير، فقال له: انطلق إلى أخيك هذا فقل له عني: إنك ذكرت أنه قد استوسق لك الناس وفتحت لك البلاد، وهذا عبد الملك بن مروان حي قائم يدعى له بالشامات كلها ولرض مصر، وفي يده مفاتيح الخلافة، ولست أوري ما يكون من الحدثان، فإذا علمت أنه ليس أحد ينلويك في سلطانك بايعتك ودخلت في طاعتك والسلام. قال: فوجع عروة إلى أخيه عبد الله، فأخوه بذلك.

قال: ثم قام محمد بن الحنفية في أصحابه خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس! إن هذه الأمة قد ضلت عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ربها وتاهت عن معالم دينها، إلا قليلاً منها، فهم يرتعون في هذه الدنيا حتى

كأنهم لها خلقوا، وقد نسوا الآخرة حتى كأنهم بها لم يؤمروا، فهم يضلون على الدنيا أنفسهم، ويقطعون فيها رُحامهم، ويفرطون لها عن سنة نبيهم، ولا يبالون ما أتوه فيها من نقص دينهم إذا سلمت لهم دنياهم. اللهم فلا تتسنا ذكرك، ولا تؤمنا مكرك، ولا تجعل الدنيا لنا هما، ولا تحرمنا صحبة الصالحين في دار السلام. قال: ثم أقبل على أصحابه، فقال:

إني رُي ما بكم من الجهد، ولو كان عندي فضل لم أدخوه عنكم، وقد تعلمون ما ألقى من هذا الرجل الذي قرب دمه وساء جواره، وظهرت عدوته واشتدت ظغينته، يريد أن يثور بنا في مكاننا هذا، وقد أذنت لمن أحب منكم أن ينصرف إلى بلاده، فإنه لا لوم عليه مني، وأنا مقيم في هذا الحرم أبداً حتى يفتح الله لي، وهو خير الفاتحين. قال: فقام إليه أبو عبد الله الجدلي - وكان من خيار أصحابه - فقال:

سبحان الله! يا أبا القاسم، نحن نفرقك على هذه الحالة وننصوف عنك!

لا والله! ما سمعنا إذا ولا أبصرونا ما نقلنا أقدامنا وثبتت هرائم سيوفنا في أكفنا، وعقلنا عن الله أمرنا ونهينا.

قال: ثم وثب عبد الله بن سلع الهمداني، فقال:

تكلنتي أُمي وعدمتني إن أنا فرقتك وانصوفت عنك إلى أحد من الناس هو خير منك أو شبيه بك، والله ما نعلم مكان أحد

هو أصلح منك في وقتنا هذا، ولكن نصير معك، فإن نمت فمجدا، وإن نقتل فشهداء، ولا والله لئن أقتل معك على بصوة محتسبا
لنفسي أحب إلي من أن أوتى أجر عشرين شهيدا معك.

قال: ثم وثب محمد بن بشر الشاكوي، فقال:

يا ابن خير الأخيار وابن أبر الأوار ما خلا النبيين والموسلين، والله لئن



آكل الأطعمة المحرمة والحلوى البالية والميتة والدم على حال الضرورة أحب إلي من البقاء مع القوم الظالمين، لأنه قد ابتلي الصالحون من قبلنا، فكانت تقطع أيديهم ولجلهم وتسمل أعينهم ويصلبون على جفوع النخل أحياء، كما فعل ابن سمية زياد بن أبيه وابن مرجانة عبيد الله بن زياد الفاجر الفاسق بشيعتكم، فكانوا يقتلون صوا، كما قتل حجر بن عدي وأصحابه، وكل ذلك كانوا يقتلون، وعلى ذلك كانوا يصبرون.

قال: فقال لهم محمد بن الحنفية: حاكم الله من صحابة خير ما حذى الصالحين الصابرين.

قال: وجد عبد الله بن الزبير في عدوة محمد بن الحنفية، كل ذلك ليبيع ابن الحنفية، وهو يأبى ذلك.

قال: وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكتب إلى محمد بن الحنفية:

أما بعد، فقد بلغني ما به ابن الزبير مما لست له أهل، وأنا عن قليل سائر إليه إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فانظر إذا قأت كتابي هذا، فسر إلى ما قبلي أنت ومن معك من شيعتك، وأقول حيث شئت من أرض الشام آمنا مطمئنا إلى أن يستقيم أمر الناس فنختار أي الخصال أحببت، والسلام.

قال: فعندها غرم محمد بن الحنفية على المسير إلى الشام، وكتب عبد الله بن عباس إلى عبد الملك بن مروان:

أما بعد، فإنه قد توجه إلى بلادك رجل منا: لا يبدأ بالسوء، ولا يكافئ على الظلم، لا بعجول ولا بجهول، سارع إلى الحق، أصم عن الباطل، يفي العدل، ويعاف الحيف، ومعه نفر من أهل بيته وعدة من رجال شيعته، لا يدخلون درا إلا بإذن، ولا يأكلون إلا بثمن، رهبان بالليل ليوث بالنهار، فاحفظنا فيهم رحمك الله! فإن ابن الزبير قد نابذنا ونابذناه بالعدوة، والسلام.

قال: فكتب إليه عبد الملك بن مروان:

أما بعد، فقد أتاني كتابك توصيني فيه بمن توجه إلى ما قبلي من أهل بيتك، فما أسروني بصلة رحمك وحفظ وصيتك! وكل ما هويت من ذلك فمفعول متبع، فأقول بي حوائجك رحمك الله! إن أحببت، فلن أعوج عن حاجة لك قبلي، فإنك أصبحت عظيم الحق علي مكينا لدي، وفقنا الله وإياك لأفضل الأمور، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فعندنا تجهز محمد بن الحنفية وخروج من مكة فيمن معه من أهل بيته وأصحابه، وبين يديه رجل من شيعته يرتجز

ويقول أبياتا مطلعها

هديت يا مهدي وابن المهدي * أنت الذي نرضى به ونقتدي

إلى آخرها.

قال: ثم جعل أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني يرتجز أيضا بين يدي محمد ابن الحنفية، وهو يقول أبياتا مطلعها:

يا إختي يا شيعتي لا تبعوا * إني زعيم لكم أن توشوا

إلى آخرها.

قال: ثم سار محمد بن الحنفية حتى صار إلى مدينة مدين وبها يومئذ عامل من قبل عبد الملك بن مروان يقال له: " مطهر بن يحيى العنكي " فلما نظر هؤلاء القوم أمر بباب المدينة فأغلق ولقي من ناحيتهم، فناداهم أصحاب محمد: يا أهل مدين لا تخافوا فإنكم آمنون، إنما نريد منكم أن تقيموا لنا السوق حتى نتسوق منه ما نريد، نحن أصحاب محمد بن علي بن أبي طالب، لسنا نرأى أحدا شيئا ولا نأكل شيئا إلا بثمن.

قال: ففتح أهل مدين باب مدينتهم وأخرجوا لهم الأزال.

فقال محمد بن الحنفية لأصحابه: أيها الناس إني قد وطئت بكم آثار الأولين ورأيتم ما فيه معتبر وتبصروا لكم إن كنتم تعقلون، ألم تروا إلى ديار عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين! كانوا عمار الأرض من قبلكم وسكانها،

الصفحة 281

اعطوا من الأموال ما لم تعطوا، وأوتوا من الأعمار ما لم توتوا، فأصبحوا في القبور رميما، كأنهم لم يعمروا الأرض طرفة عين ولم تكن لهم الدنيا بدار.

قال: ثم سار محمد بن الحنفية وأصحابه حتى تروا مدينة إيلة، فجعلوا يصومون النهار ويقومون الليل، وجعل كل من مر بهم وقدم إلى دمشق يحدث عنهم، ويقول: ما رأينا قوما قط خروا من هؤلاء القوم الذين قد دخلوا أرض الشام، إنما هم صيام وقيام لا يظلمون أحدا ولا يؤذون مسلما ولا معاهدا، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر.

قال: وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فقدم على كتابه إلى ابن الحنفية وسأله إياه أن يقدم إلى بلاد الشام لما شاع في الناس من خوه وحسن الثناء عليه.

ذكر كتاب عبد الملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية من دمشق وجوابه إياه:

أما بعد، فإنك قدمت إلى بلادنا بإذن منا، وقد رأيت أن لا يكون في سلطاني رجل لم يبايعني، فإن أنت بايعتني فهذه مواكب قد أقبلت من أرض مصر إلى إيلة، فيها من الأطعمة والأمتعة والأشياء كذا وكذا، فخذ ما فيها لك، ومع ذلك ألف ألف درهم أعجل لك منها مائتي ألف درهم، وتؤخري بقيتها إلى أن أفرغ من أمر ابن الزبير ويجتمع الناس إلى إمام واحد، وإن أنت أبيت أن تباع فانصرف إلى بلد لا سلطان لنا بها، والسلام.

قال: فكتب إليه محمد بن الحنفية:

أما بعد، فإننا قدمنا هذه البلاد بإذنك إذ كان موافقا لك، ونحن راحلون عنها بأمرك إذ كنت كلها لجولنا، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: ثم خرج محمد بن الحنفية من إيلة راجعا إلى مكة ومعه أهل بيته وأصحابه، وهو يتلو هذه الآية: " قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا

الصفحة 282

كلهين قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا

وسعربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين " .

قال: ثم سار ابن الحنفية حتى صار إلى مدين أقبل على أصحابه فقال: يا هؤلاء! أنتم نعم الإخوان والأنصار ما علمتم، ولو كان عندي ما يسعكم لأحببت أن لا تفرقوني أبدا حتى تتجلي هذه الغمة، فإن أحببتم فانصرفوا إلى مصركم محمودين، فإنكم تقدمون إلى الناس وبهم إليكم حاجة، وأنا سأقدم إلى مكة إلى معاندة ابن الزبير، ولا أحب أن تكونوا مجهودين.

قال: فعندها ودع أصحابه وانصرفوا إلى الكوفة، وبها يومئذ مصعب بن الزبير.

فُرسل إليهم فدعاهم، وقال: من أنتم؟ وما أقدمكم إلى مصونا هذا ذنبكم⁽²⁾ ؟ فقالوا: نحن أصحاب محمد بن الحنفية ولم نقدم لسوء، إنما قدمنا إلى بلادنا، فاجعل لنا رزاقنا واصطنعنا، وإن دخلت⁽³⁾ ذلك دخلنا في بيعتك وأقررنا في بلدك وعشائونا.

قال: فأمرهم مصعب بن الزبير فبايعوه وأقاموا عنده.

ومضى ابن الحنفية بمن معه من أهل بيته ومواليه حتى قول بشعب أبي طالب بمكة، وبلغ عبد الله بن الزبير، فُرسل إليه: أن ارتحل عن هذا الشعب أنت وأصحابك هؤلاء الذين معك، وإلا هلم فبايع.

فقال ابن الحنفية لرسوله: لرجع إليه وقل له: إن الله تعالى قد جعل هذا البلد آمنا وأنت تخيفني فيه! ولست بشاخص عن

مكاني هذا أبدا إلى أن يأذن

(1) الأعراف: 88 - 89.

(2) كذا في الأصل.

(3) " فعلت " ظ

الصفحة 283

الله لي في ذلك، فاصنع ما أنت صانع!!

وحوى بينهم اختلاف شديد، وبلغ ذلك من كان بالكوفة من أصحابه الذين فرّقوه، فوجوا إليه في جمعهم حتى تولوا في

الشعب، قالوا: والله لا نفرّك أبدا أو لنموتن بين يديك! قال: وأمسك ابن الزبير عن ابن الحنفية وكف عنه إلى أن حجت

الناس.

فلما كان يوم النفر أرسل بأخيه عروة بن الزبير وعبد الله بن مطيع العنوي في رجال من قویش إليه، فأقبل القوم حتى

دخلوا الشعب إلى ابن الحنفية، فقالوا: إن أمير المؤمنين يأمرک أن تتنحى عن هذا الشعب الذي أنت نزل فيه، فإنه قد عزم إن

لم تفعل ولم تنتقل إلى موضع غره أن يسير إليك حتى يناجزك، فإن أردت الشخص فهدا يوم الجمعة قم فانفر مع الناس

وامضي إلى حيث شئت من البلاد.

قال: فسكت ابن الحنفية وقام رجل من أصحابه يقال له: معاذ بن هاني، فقال: أيها المهدي! إن هذا البلد قد جعل الله عز

وجل الناس فيه سواء العاكف فيه والباد، وليس أحد أحق به من أحد، وهذا الرجل قد ألد في الحرم وسفك فيه الدم، وقد بعث

إليك مرة بعد أخرى يأمرک بالتنحي عنه، فإن هو أبى إلا إشخاصك تركا لأمر الله وحرأة عليه، فقد بدأك بالظلم وبما لم تكن

تستحله، وقد اضطرك وإيانا إلى ما لا صبر لك عليه، فخل بيننا وبينه، فوالله إني لأرجو أن آتيك به سلماً أو يقتل هؤلاء أصحابه
الفساق الجبارون وأعداء الصالحين، فإنما هم أعراب أهل اليمامة وجهال أهل مكة، ولقد قاتلهم قوم ينوون رضوان الله وثواب
الآخرة، ولما ثبتوا للطعان والضواب ولا تذعروا بدعرة ولاد الحجل.

قال: فغضب عبد الله بن مطيع من ذلك، ثم أقبل على ابن الحنفية فقال:

يا أبا القاسم! لا يغونك عن نفسك حائك أهل اليمن هذا وأشباهه، فإني أعلم

الصفحة 284

أنهم إن أوردوك لم يصدروك، أفليس هم قتلة أبيك وابن عمك وأخيك؟

فقال ابن الحنفية: لا بل هم أنصاري وشيعتي الذين عليهم أعتمد بعد الله.

فقال عبد الله بن مطيع: اقبل مني، إما أن تباع هذا الرجل وإلا فانج بنفسك من قبل التورط، ومن قبل أن تتمنى النجاة

ولات حين نجاة.

قال: فقال معاذ بن هانئ لعبد الله بن مطيع: يا ابن نساجة العبا! نحن نسلم لك ولصاحبك هذا ولما نقتل بين يديه أو نبيدكم

عن آخركم؟

قال: ولتفعت أصوات القوم فسكتهم ابن الحنفية عن آخرهم، ثم أقبل على أصحابه، فقال: أخبروني عنكم ماذا عندكم من

الوأي فإني أكره سفك الدماء في حرم الله وحرم رسوله محمد صلى الله عليه وآله؟

قال أصحابه: الوأي رأيك، فانظر ما هو الصواب فالقه إلينا فإننا لن نعنوه، إن أمرتنا بقتال القوم قاتلناهم، وإن أمرتنا بالكف

عنهم كففنا، وحمدنا الله على ذلك، ورجونا الخوة فيما قضى الله عز وجل من ذلك وقدر.

قال: فأطرق ابن الحنفية ساعة، وقال: اللهم إن هذا الرجل قد ظلمني وتعدى علي في إخواجه إياي من حرمك وحرم

رسولك محمد صلى الله عليه وآله، اللهم فألبسه لباس الذل والخوف وسلط عليه وعلى أشياعه وناصريه من يسومهم سوء

العذاب، اللهم عاقبه بخطيئته، واجعل دأؤه السوء عليه بسوء نيته وجريوته، وخذه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله،

وأقول به بأسك وغضبك الذي لا توده عن القوم المجرمين.

قال: ثم عزم ابن الحنفية على المسير إلى الطائف هو وأصحابه ⁽¹⁾.

* * *

(1) الفتوح لابن أعثم: ج 6 ص 237

الصفحة 285

(461)

ابن عباس وابن الزبير

قال: وبلغ ذلك عبد الله بن عباس أن ابن الحنفية يريد أن يمضي إلى الطائف فأقبل مغضبا حتى دخل على عبد الله بن الزبير فقال: يا هذا! والله ما ينفعني تعجبي منك ومن أثرك (1) وحرأتك على بني عبد المطلب، تخرجهم من حرم الله وحرم رسوله محمد صلى الله عليه وآله وهم بالحرم وأعظم فيه نصيبا منك، أما والله! إن عواقب الظلم لتورد إلى مساءة وندامة. فقال له ابن الزبير: يا ابن عباس، إنه قد قتل الله المختار الكذاب الذي كنتم تمدون أعينكم إلى نصوته لكم. فقال ابن عباس: يا ابن الزبير! دع عنك المختار، فإنه قد بقيت لك عقبة تأتيتك من رُض الشام، فإذا قطعها فأنت أنت قال: فغضب ابن الزبير، ثم قال: والله يا ابن عباس ما منك أعجب بل أعجب من نفسي! كيف أدعك تتطرق بين يدي بملء فيك؟ قال: فتبسم ابن عباس، ثم قال: والله ما نطقك بين يدي أحد من الولاة كما نطقك بين يديك، ولقد نطقك وأنا غلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر الصديق، فعجبوا لتوفيق الله إياي، ولقد نطقك وأنا رجل بين يدي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وكانوا يروني أحق من نطق، يستمع رأيي ويقبل مشورتي، وهؤلاء الذين ذكوتهم من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خير منك ومن أبيك. قال: فزاد غضب ابن الزبير، ثم قال: لقد علمت أنك ما زلت لي ولأهل بيتي مبغضا منذ كنت، ولقد كتمتم (كتمت خ ل) بغضكم يا

(1) أزر: أي ماج، والانتزاز: الهجوم والازدحام

الصفحة 286

بني هاشم أربعين سنة. فقال ابن عباس: فزدد إذا بي غضبا، فوالله لا نبالي أحببتنا أم أبغضتنا. قال له ابن الزبير: اخراج عني لا أراك تقربني. قال ابن عباس: أنا أُرهد فيك من أن تاني عندك. قال ابن الزبير: دع عنك هذا! واذهب إلى ابن عمك هذا قل: ليخرج عن جوري ولا يتوبص، فإني ما أظنه سالما مني أو يصيبه مني ظفر. قال ابن عباس: ما ولوعك بابن عمي وما تريد منه؟ قال: أريد منه أن يبايع كما بايع غره، قال: مهلا يا ابن الزبير! احذر، فإن مع اليوم غدا. قال ابن الزبير: صدقت مع اليوم غد، وليس يجب عليك أن تكلمني في رجل ضعيف سخي ليس له قدم ولا أثر محمود. قال: فتتمر ابن عباس غضبا، ثم قال له: إنه ليس على هذا صبر يا ابن الزبير، والله إن أباه لأفضل من أبيك، أسوته خير من أسوتك، وإنه لفي نفسه خير منك، وبعد فوماه الله بك إن كان شوا منك في الدين والدنيا. قال: ثم خرج ابن عباس من عند ابن الزبير مغضبا، وأقبل حتى جلس في الحجر، واجتمع إليه قوم من أهل بيته ومواليه، فقالوا: ما شأنك يا ابن عباس؟ فقال: ما شأني؟! أیظن ابن الزبير أنني مساعده على بني عبد المطلب! والله إن الموت معهم لأحب إلي من الحياة معه، أما والله! إن كان ابن الحنفية سخيلا ضعيفا كما يقول لكنت أنملته أحب إلي

من ابن الزبير وآله الزبير، فإنه والله عندي لأوفر عقلا من ابن الزبير وأفضل منه ديناً وأصدق منه حياءً وورعاً.

قال: فقال له رجل من جلسائه: يا ابن عباس إنه قد ندم على ما كان من كلامه وهو الذي بعثنا اعتزلنا.

قال ابن عباس: فليكنف عن أهل بيته، فقد قال القائل: " غثك خير من

الصفحة 287

(1) (2)

سمين غورك " أما والله لو فتح لي من بصوي لكان لي ولابن الزبير ولبنو أبيه يوم أرونان .

(462)

ابن عباس وابن الزبير

قال: وبلغ ابن الزبير أن ابن عباس يقول فيه ما يقول، فخرج من منزله في عدة من أصحابه حتى وقف في الناس خطيباً،

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس! إن فيكم رجلاً أعمى الله قلبه كما أعصى الله بصره، يزي على عائشة أم المؤمنين ويعيب طلحة والزبير

حولي رسول الله صلى الله عليه وآله ويحل المتعة، فاجتنبوه، جنبه الله السداد.

قال: وكان ابن عباس يومئذ حاضوا، فلما سمع ذلك وثب قائماً على قدميه، ثم قال: يا ابن الزبير! أما ما ذكرت من أم

المؤمنين عائشة، فإن أول من هتك عنها الحجاب أنت وأبوك وخالك، وقد أمرها الله عز وجل أن تقرأ في بيتها، فلم تفعل،

فتجاوز الله عنها ورحمها. وأما أبوك وأنت وخالك طلحة وأشياعكم، فلقد لقيناكم يوم الجمل فقاتلناكم، فإن كنا مؤمنين فقد

كفوتكم بقتالكم المؤمنين، وإن كنا كفرا فقد كفوتكم بولركم من الزحف. وأما ذكرك للمتعة، إني أحلها، فإني إنما كنت أفتيت فيها

في خلافة عثمان بن عفان.

وقلت: إنما هي كالميتة والدم ولحم الخنزير لمن اضطر إليها حتى نهاني عنها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقال: أي

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله حين رخص فيها على حد الضرورة، وسمعتة حين حرمها ونهى عنها بعد ذلك، وإن الله

تبارك وتعالى قد حرمها ونهى أن يرخص فيها، فمارخصت فيها

(1) الأرونان: الصوت والصعب من الأيام، ويوم أرونان مضاف ومنعوتاً: صعب وسهل ضد (قاموس) وراجع لسان العرب.

(2) الفوح لابن أعثم: ج 6 ص 248 - 251 وراجع نور القبس: ص 68

الصفحة 288

لأحد بعد ذلك إلى يومي هذا. فإنه قد كان يجب عليك أن لا تذكر المتعة، فإنك إنما ولدت من متعة، فإذا تولت عن منورك

هذا فصر إلى أمك فسلها عن يودي عوسجة.

قال: فقال له ابن الزبير: أخرج عني لا تجلوني، فقال: نعم والله لأخرجن خروج من يقلوك ويذمك. ثم قال ابن عباس:

اللهم إنك قادر على خلقك وقائم على كل نفس بما كسبت، اللهم وإن هذا الرجل فقد أبدى لنا العدو والبغضاء، فلمه منك

قال: ثم خرج ابن عباس من مكة إلى الطائف ومحمد بن الحنفية في أصحابه⁽¹⁾.

(463)

محمد بن الحنفية وعبد الملك

قال (بعد ذكر مقتل عبد الله بن الزبير) وإذا كتاب عبد الملك بن مروان قد ورد على محمد بن الحنفية: أما بعد، فإذا أتاك كتابي وبلغك رسولي فاخرج إلى عاملي الحجاج بن يوسف فبايعه واستقم، فإن الناس قد بايعوا واستقاموا، فإن فعلت ذلك منعت مني مالك وأهلك وولدك، وإلا فالذي لا إله إلا هو لئن أبيت وتربصت ولرتبت وقدمت رجلا وأخرت أخرى لا سقيتك بكأس ابن الزبير ولأتولنك بالمتولة التي أتولت بها نفسك، والسلام.

قال [فكتب] إليه ابن الحنفية: أما بعد، فقد أتاني كتابك وعد لي وتوق، وتذكر أن الناس قد بايعوا واستقاموا، وأنه لم يكن من شأني أن أباع أحدا حتى يجتمع الناس على رجل واحد كنت أنت أم غيرك، وأيما واحد من الناس رضوا به بايعته، وإلا فهذا مكاني حتى يحكم الله بيني وبين من أرادني

(1) فتوح ابن أعثم: ج 6 ص 251 - 252، وراجع ج 5 ص 451

الصفحة 289

بسوء وهو أحكم الحاكمين. وأما ما ذكرت أنك تسقيني بكأس ابن الزبير إن أنا لم أستقم ولم أباع، فإن ذلك ليس إليك ولا بيدك، إن الله تعالى في كل يوم ثلاثمائة لمحة يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويرفع ويضع، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقد رجوت أن يلحقك بعض لمحاته فيرد عني كيدك وبغيك وظلمك، والسلام.

قال: فلما ورد كتاب محمد بن الحنفية على عبد الملك بن مروان غضب لذلك ثم استشار أهل الشام في قتله فكل أشار عليه بذلك، قال: واتقى ابن الحنفية وخشي أن يكتب إلى الحجاج فيأمره فيه بأمر ولم يجد من البيعة لعبد الملك بن مروان بدا فغرم على الكتاب إليه في ذلك.

قال: فدعا ابن الحنفية رجل من شيعته يكنى أبا عبد الله ويعرف بالجدلي، وكان من خيار شيعته، فكتب معه كتابا إلى عبد الملك بن مروان:

أما بعد، فإنني لما رأيت هذه الأمة قد اختلفت نيتها وضيعت دينها وسفقت أحلامها ونبذت علم كتاب الله ربها وسفقت دماءها بغير حق، اعتزلتهم إلى البيت الحرام الذي من دخله كان آمنا لأمنع بذلك دمي من الجاهل والضلال والظالمين وكل جبار عنيد لا يؤمن بيوم الحساب، وتوكت الناس أشياعا وأحزابا، كل يعمل على شاكلته، والله يقضي بالحق، ويحكم يوم القيامة بين الخلق، فيخزي الذين أسعوا بما عملوا ويخزي الذين أحسنوا بالحسنى. وقد كان من رأيي ورأي من اتبعني واقتدى وأبي: أن لا نجتمع بأحد اختلف الناس عليه ولا نخالف أحدا اجتمع الناس له، قدرأينا أن قد اجتمع الناس لك، ونحن عصابة قليلون،

وقد بعثنا إليك رسولا ليأخذ منك أمانا وعلى الوفاء لنا بذلك عهدا وثيقا، فإن أجبت إلى ذلك كنا إليك سواعا، وإن أبيت فلرض الله واسعة ولمن أنقى تكون العاقبة، وقد أردت بهذا الكتاب اتخاذ الحجة عليك، وفقنا الله وإياك لمراشد الأمور، والسلام.

الصفحة 290

قال: فمضى رسول ابن الحنفية إلى عبد الملك بن مروان، وإذا رسول الحجاج قد أقبل إلى ابن الحنفية أن هلم فبايع! وإلا ألحقك بمن قد علمت، والسلام.

قال: فُرسل إليه ابن الحنفية: إني كتبت إلى عبد الملك بن مروان كتابا ورُسِلت إليه رسولا ليأخذ لي منه أمانا، وإنما انتظري لجواب الكتاب، ثم البيعة إذا أعطاني ما سألت، والسلام.

قال: فُرسل إليه الحجاج: يا ابن الحنفية وتشقوت على أمير المؤمنين الشروط! والله لتبايعن طائعا أو كرها، وإلا ألحقك بابن الزبير! قال: فكوه ابن الحنفية أن يبايع الحجاج من قبل أن يقدم إليه رسوله بالأمان من عند عبد الملك بن مروان. قال: ولج الحجاج في أمره حتى اتقاه ابن الحنفية على نفسه، وأقبل عبد الله ابن عمر بن الخطاب حتى دخل على الحجاج، فقال: أيها الأمير ما تريد من هذا الرجل؟ فوالله إنه لخير فاضل، وما أعلم في زمانه رجلا مثله ولا زكى على الله أحدا، فكف عنه أيها الأمير، فإنه قد كتب إلى ابن عمه كتابا وإنما ينتظر الجواب، ثم يبايع.

قال: فكف عنه الحجاج، وإذا بأبي عبد الله الجدلي قد أقبل بالجواب من عبد الملك بن مروان:

أما بعد، فقد قدم رسولك بكتابك قوّاته، وفهمت ما ذكرت فيه وما نويت بذلك، وأنت لعمرى عندنا البر المحمود، فأقبل إلينا آمنا مطمئنا مأمونا حبيبا قريبا، ولك بذلك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وآله، وأشد ما أخذ الله على أنبيائه ورسله من العهود والمواثيق المؤكدة الغليظة، إنك لا تهاج ولا تؤذى في سلطاننا أبدا ما بقيت أنت ولا أهلك ولا ولدك ولا أحد من أصحابك شاهدا ولا غائبا، ولا يبدو لك منا شيء من المكروه،

الصفحة 291

ولعمرى! لئن نحن ألجأناك إلى الذهاب في الأرض الواسعة فقد ظلمناك وجفوناك وقطعنا رحمك، وما أنت لذلك بأهل لفضلك وإسلامك وحقك وقابلك، فهلم إلي حين تَوَأ كتابي إن شئت ذلك إلى الرحب والسعة والأثرة وحسن المقتلة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: وجعل عبد الملك بن مروان يقول لمن عنده: وما سبيلنا على ابن الحنفية! فقد والله سلم وغنم، ودلت لنا راحاها، واضطرب بنا أمواجها.

قال: فلما ورد كتاب عبد الملك بن مروان على ابن الحنفية وقّاه أقبل إلى الحجاج فبايع لعبد الملك ⁽¹⁾.

(464)

أشعب ورجل من ولد الزبير

روى الأغاني عن الهيثم بن عدي، قال: دخل أشعب مسجد النبي صلى الله عليه وآله فجعل يطوف الحلق، فقيل له: ما تريد؟ فقال: استفتي في مسألة، فبينما هو كذلك إذ مر رجل من ولد الزبير وهو مسند إلى سارية وبين يديه رجل علوي، فخرج أشعب مبادراً! فقيل له: لوجدت من أفتاك في مسألتك؟ قال:

لا، ولكني علمت ما هو خير لي منها، قيل: وما ذاك؟ قال: وجدت المدينة قد صلت كما قال الحرث بن خالد:

قد بدلت أعلى مساكنها سفلاً * وأصبح سفلاً يعلو

رأيت رجلاً من ولد الزبير جالساً في الصدر ورجلاً من ولد علي بن أبي طالب عليه السلام جالساً بين يديه، فكفى هذا عجباً! فانصرفت ⁽²⁾.

(1) فتوح ابن أعثم: ج 6 ص 283 - 286، والعقد الفريد ج 4 ص 400.

(2) قاموس الرجال: ج 2 ص 96 في ترجمة أشعب

الصفحة 292

(465)

برير ويؤيد بن معقل

عن عفيف بن زهير وكان قد شهد مقتل الحسين عليه السلام: أن يؤيد بن معقل خرج يوم الطف وقال لبرير بن خضير:

كيف ترى الله صنع بك؟

قال: صنع الله والله بي خوا، وصنع الله بك شراً.

قال: كذبت وقبل اليوم ما كنت كذاباً، هل تذكر وأنا أماشيئك في بني لؤذان وأنت تقول: إن عثمان كان على نفسه مسرفاً، وإن

معلوية ضال مضل، وإن إمام الحق والهدى علي؟

فقال برير: أشهد أن هذا رأيي وقولي.

فقال يؤيد: فإني أشهد أنك من الظالين.

فقال له برير: هل لك أباهلك؟ ولندع الله أن يلعن الكاذب ويقتل المبطل، ثم اخرج لأبلازك، فخرجاً فرفعا أيديهما إلى الله

يدعوانه أن يلعن الكاذب وأن يقتل المحق المبطل.

ثم برز كل واحد منهما لصاحبه، فضوب يؤيد برراً ضوبة خفيفة لم تضوه شيئاً وضوبه برير ضوبة قدت المغفر وبلغت

الدماغ، فخر كأنما هو من حائق الخ ⁽¹⁾.

(466)

بهلول وأبو حنيفة

عن مجالس المؤمنين: أنه - يعني بهلول المعروف بالمجنون - سمع أبا حنيفة يقول: إن جعفر بن محمد يقول بثلاثة أشياء لا تُتضيهما، يقول: الشيطان يعذب

(1) قاموس الرجال: ج 2 ص 177، و ج 6 ص 275 عن الطبري. وبهج الصبغة: ج 6 ص 42، و ج 3 ص 245، و ج 4 ص 630

الصفحة 293

بالنار كيف وهو من النار؟ ويقول: إن الله لا يرى ولا تصح عليه الرؤية، وكيف لا تصح الرؤية على موجود؟ ويقول: إن العبد هو الفاعل لفعله، والنصوص بخلافه.

فأخذ بهلول حراً وضربه به، فوجعه! فذهب أبو حنيفة إلى هارون واستحضره البهلول ووبخه على ذلك. فقال لأبي حنيفة: لني الوجع الذي تدعيه أو لا فأنت كاذب. وأيضاً فأنت من زاب كيف تألمت من زاب؟ ثم ما الذي أدنبتك إليك؟ والفاعل ليس هو العبد، بل الله! فسكت أبو حنيفة وقام خجلاً. وقال: ينبغي أن يكون أبو حنيفة ذهب إلى المنصور، لأنه مات قبل خلافة هارون⁽¹⁾.

(467)

بهلول وعمر بن عطاء

عن إيضاح محمد بن جرير بن رستم الطوي: أن البهلول قال لعمر بن عطاء العنوي (في مجلس محمد بن سليمان العباسي، ابن عم الرشيد): لم سمي جدك عمر أبا بكر صديقاً؟ ألم يكن في زمانه سواه صديق؟ قال: لا. قال: كذبت وخالفت قوله تعالى: "والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون"، وحديث رسوله صلى الله عليه وآله: "إذا فعلت الخير كنت صديقاً".

فقال العنوي: سموه صديقاً، لأنه أول من صدق النبي صلى الله عليه وآله، قال: مع أن ذلك تخصيص خطأ في اللغة، ومخالفة للآية.

فغالطه العنوي وقال: من إمامك يا بهلول؟

(1) قاموس الرجال: ج 3 ص 252، وروضة المؤمنين: ص 6 عن محجة الاعتقاد

الصفحة 294

قال: إمامي من سبى في كفه الحصى، وكلمه الذئب إذ عوى، وردت له الشمس بين الملاء، وأوجب الرسول صلى الله عليه وآله عليه وآله على الخلق له الولاء، فتكاملت فيه الخوات، وتزه عن الخلق الدنيات، فذلك إمامي وإمام البريات.

فقال العنوي: ويلك! أليس هارون إمامك؟

قال: بل الويل لك! حيث لم تر أمير المؤمنين لهذه المحامد أهلاً، وما أخالك إلا عوا له تظهر طاعته وتضممر مخالفته، ولئن بلغه مقالك ليؤدبناك.

فضحك العباسي وأمر بإخراج العدوي، وقال لبهلول: ما الفضل إلا فيك، وما العقل إلا من عندك، والمجنون من سماك
مجنونا، أخبرني علي أفضل أو أبو بكر؟

قال: أصلح الله الأمير! إن عليا - عليه السلام - من النبي صلى الله عليه وآله كالشئ من الشئ والصنو من الصنو
وكالمفصل من الفواع، وأبو بكر ليس فيه ولا يورثه في فضله إلا مثله، ولكل فاضل فضله.
قال: أخبرني بنو علي أحق بالخلافة أم بنو العباس؟ فسكت البهلول، قال:
لم سكت؟

قال: ما للمجانين وهذا التحقيق والتمييز! ثم خرج وهو يقول:
إن كنت تهوهم حقا بلا كذب * فإثم حياتك في جد وفي لعب
إياك من أن يقولوا: عاقل فطن * فتبتلي بطويل الكد والنصب
هولك يعلم ما تطويه من خلق * فما يضرك إن سموك بالكذب
فقال العباسي: لا إله إلا الله! لقد رزق الله علي بن أبي طالب لب كل ذي لب ⁽¹⁾.

(1) قاموس الرجال: ج 2 ص 253

الصفحة 295

(468)

بهلول وإسحاق

قال الجاحظ في بيانه: ومن مجانين الكوفة بهلول، وكان يتشيع، قال له إسحاق بن صباح: أكثر الله في الشيعة مثلك! قال:
بل أكثر الله في الموجئة مثلي وأكثر في الشيعة مثلك! ⁽¹⁾.

(469)

الكميت والكلبي

روى الأغاني عن المستهل بن الكميت، قال: قلت لأبي: إنك هجوت الكلبي ففخرت ببني أمية وأنت تشهد عليهم بالكفر،
فهلا فخرت بعلي عليه السلام وبني هاشم الذين نقولاهم؟
فقال: يا بني أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بني أمية، فلو ذكرت عليا عليه السلام لتوك ذكري وأقبل على هجائه، فأكون قد
عرضت عليا عليه السلام له، ولا أجد له ناصرا من بني أمية، ففخرت عليه ببني أمية، وقلت: إن نقضها علي قتلوه، وإن أمسك
عن ذكركم قتلته غما وغلبته، فكان كما قال ⁽²⁾.

(470)

النوبختي مع الحلاج

عن هبة الله بن أبي جعفر العمري، قال: لما رآه الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له: أن أبا سهل بن إسماعيل النوبختي ممن تجوز عليه مخرقته وتتم عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه وظن أن أبا سهل كغره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله، وقدر أن يستجوه إليه فيتمخرق به

(1) قاموس الرجال: ج 2 ص 253.

(2) قاموس الرجال: ج 3 ص 389

الصفحة 296

ويتصوف بانقياده على غره، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهجة على الضعفة، لقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحلّه من العلم والأدب أيضا عندهم، و يقول له في مراسلته إياه: إني وكيل صاحب الزمان (وبهذا كان ولا يستجر الجهال، ثم يعلو منه إلى غره) وقد أموت بمراسلتك وإظهار ما تريد من النصرة لك لتقوى نفسك ولا ترتاب بهذا الأمر.

فُرسل إليه أبو سهل - رضي الله عنه - يقول له: إني أسألك أمرا يسيرا يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والواهين، وهو أنني رجل أحب الجولي وأصعب إليهن، ولي منهن عدة أتظاهرن والشيب يبعدي عنهن، وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة وأتحمل منه مشقة شديده لأستر عنهن ذلك، وإلا انكشف أمري عندهن فصار القرب بعدا والوصال هجوا، ولريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنثته وتجعل لحيتي سوداء، فإني طوع يديك وصائر إليك، وقائل بقولك وداع إلى مذهبك، مع مالي في ذلك من البصوة ولك من المعونة.

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يرد إليه جوابا ولم يرسل إليه رسولا، وصوه أبو سهل - رضي الله عنه - أحوثة وضحكة ويطنز به عند كل أحد. وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سببا لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه ⁽¹⁾.

(471)

الحر مع أهل الكوفة

فاستقدم - الحر بن يزيد - أمام أصحابه، ثم قال:

(1) قاموس الرجال: ج 3 ص 332



أيها القوم! ألا تقبلون من الحسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافيكُم الله من حربه وقتاله؟
قالوا: هذا الأمير عمر بن سعد فكلمه، فكلمه بمثل ما كلمه قبل وبمثل ما كلم به أصحابه. قال عمر: قد حرصت لو وجدت
إلى ذلك سبيلا فعلت.

فقال: يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر! إذ دعوتوه حتى إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم بونه، ثم دعوتكم
لتقتلوه، أمسكتكم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل
بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع ضراً، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأصحابه عن ماء الفوات
الجلري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصواني وتوغل فيه خنزير السواد وكلابه، وها هم قد صوعهم العطش، بنسما
خلفتم محمداً في نريته! لا أسقاكم الله إن لم تتوبوا وتتوعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا من ساعتكم هذه⁽¹⁾.

(472)

سلمان وعمر

جلس عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ينتسبون، وفيهم سلمان الفارسي، وإن عمر سأله عن نسبه وأصله،
فقال: أنا سلمان بن عبد الله كنت ضالاً فهداني الله بمحمد صلى الله عليه وآله، وكنت عائلاً فأغنانني الله بمحمد صلى الله عليه وآله
وآله، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد صلى الله عليه وآله، وهذا حسبي ونسبي.
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله، فحدثه سلمان وشكا إليه ما لقي من القوم وما قال لهم.

(1) قاموس الرجال: ج 3 ص 101

فقال النبي صلى الله عليه وآله يا معشر قريش! إن حسب الرجل دينه ومروته وأصله عقله، قال الله تعالى: "إنا خلقناكم من
ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعرفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" يا سلمان ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى
الله، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل⁽¹⁾.

(473)

الإمام الصادق عليه السلام مع جماعة

قال الأحمدي: حديث أحببت إواده هنا وإن كان خلجا عن موضوع الكتاب وهو:
عن ميمون بن عبد الله قال: أتى قوم أبا عبد الله عليه السلام يسألونه الحديث من الأمصار، وأنا عنده، فقال لي: أتعرف
أحداً من القوم؟

قال: قلت: لا. قال: كيف دخلوا علي؟ قلت: هؤلاء قوم يطلبون الحديث من كل وجه، لا يباليون ممن أخذوا الحديث.

فقال لرجل منهم: هل سمعت من غوي من الحديث؟ قال: نعم. قال:

فحدثني ببعض ما سمعت.

قال: إنما جئت لأسمع منك، لم أجيء أحدثك. وقال للآخر: ذلك ما يمنعه أن يحدثني بما سمع؟ قال: تتفضل أن تحدثني بما سمعت، أجعل الذي حدثك حديثه أمانة لا تحدث به أحدا؟ قال: لا. قال: فأسمعنا بعض ما اقتبست من العلم حتى نقتدي بك إن شاء الله تعالى.

قال: حدثني سفيان الثوري عن جعفر بن محمد، قال: " النبيذ كله حلال إلا الخمر " ثم سكت.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

(1) قاموس الرجال: ج 4 ص 416. وبهج الصباغة: ج 11 ص 134

الصفحة 299

قال: حدثني سفيان عن حدثه عن محمد بن علي أنه قال: من لا يمسح على خفيه فهو صاحب بدعة، ومن لم يشرب النبيذ فهو مبتدع، ومن لم يأكل الجريث وطعام أهل الذمة وذبائحهم فهو ضال، أما النبيذ فقد شربه عمر نبيذ زبيب فوشحه بالماء، وأما المسح على الخفين فقد مسح عمر على الخفين ثلاثا في السفر ويوما وليلة في الحضر، وأما الذبائح فقد أكلها علي وقال: كوها، فإن الله تعالى يقول: " اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم "، ثم سكت. فقال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

فقال: قد حدثتك بما سمعت. فقال: أكل الذي سمعت هذا؟ قال: لا قال: زدنا.

قال: حدثني عمرو بن عبيد، عن الحسن، قال: أشياء صدق الناس بها وأخذوا بها وليس في الكتاب لها أصل، منها عذاب القبر، ومنها المزان، ومنها الحوض، ومنها الشفاعة، ومنها النية يفوي الرجل من الخير والشر فلا يعملها فيثاب عليه، ولا يثاب الرجل إلا بما عمل إن خوا فخير وإن شوا فشر.

فقال: فضحكت من حديثه، فغمزني أبو عبد الله عليه السلام أن كف حتى نسمع. قال: فوعد رأسه إلي فقال: وما يضحكك؟ أمن الحق أم من الباطل؟ قلت: أصلحك الله وأبكي! وإنما يضحكني منك تعجبا كيف حفظت هذه الأحاديث؟ فسكت.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

قال: حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكر، أنه رأى عليا على منبر بالكوفة، وهو يقول: لئن أتيت رجل يفضلني على أبي بكر وعمر لأجلدنه حد المقوي.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

الصفحة 300

قال: حدثنا سفيان عن جعفر أنه قال: حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما كفر.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

فقال: حدثنا يونس بن عبيد، عن الحسن: أن علياً أبطأ على بيعة أبي بكر، فقال له عتيق: ما خلفك يا علي عن البيعة، والله لقد هممت أن أضرب عنقك، فقال له: يا خليفة رسول الله لا تؤيب، فقال: لا تؤيب.

قال له أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

قال: حدثنا سفيان الثوري، عن الحسن: أن أبا بكر أمر خالد بن الوليد أن يضرب عنق علي إذا سلم من صلاة الصبح، وأن أبا بكر سلم بينه وبين نفسه، ثم قال: يا خالد لا تفعل ما أمرك.

فقال: أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

فقال: حدثني نعيم بن عبد الله عن جعفر بن محمد أنه قال: ود علي بن أبي طالب أنه بنخيلات ينبع يستظل بظلهن ويأكل من حشفهن ولم يشهد يوم الجمل ولا النهروان. وحدثني به سفيان عن الحسن.

قال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

قال: حدثنا عباد، عن جعفر بن محمد، أنه قال: لمارأى علي بن أبي طالب يوم الجمل كثرة الدماء، قال لابنه الحسن: يا بني هلكت! قال له يا أبة ألسنت قد نهيتك عن هذا الخروج؟ فقال علي: يا بني لم أدر أن الأمر يبلغ هذا المبلغ.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: زدنا.

قال: حدثنا سفيان الثوري عن جعفر بن محمد: أن علياً لما قتل أهل صفين بكى عليهم، فقال: جمع الله بيني وبينهم في الجنة.

قال: فضاق بي البيت وعرفت، وكدت أن أخرج من مسكي، فرددت أن

الصفحة 301

أقوم إليه فأتوطأه، ثم ذكرت غمز أبي عبد الله عليه السلام فكففت.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: من أي البلاد أنت؟ قال: من أهل البصرة قال: هذا الذي تحدث عنه وتذكر اسمه جعفر بن محمد هل تعرفه؟ قال: لا قال: فهل سمعت منه شيئاً قط؟ قال: لا. قال: فهذه الأحاديث عندك حق؟

قال: نعم، قال: فمتى سمعها؟ قال: لا أحفظ، إلا أنها أحاديث أهل مصرونا منذ دهننا لا يمترون فيها. قال له أبو عبد الله عليه السلام: لورأيت هذا الرجل الذي تحدث عنه فقال لك: هذه التي ترويه عني كذب وقال: لا أعرفها ولم أحدث بها، هل كنت تصدقه؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأنه شهد على قوله رجال لو شهد أحدهم على عتق رجل لجاز قوله.

فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، حدثني أبي، عن جدي - قال: ما اسمك؟ قال: ما تسأل عن اسمي؟ - إن رسول الله

صلى الله عليه وآله قال:

خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم أسكنها الهواء، فما تعرف منها ائتلف هاهنا وما تتاكر منها ثمة اختلف هاهنا، ومن كذب علينا أهل البيت حشه الله يوم القيامة أعمى يهودياً، وإن أترك الدجال آمن به، وإن لم يترك آمن به في قوه، الحديث (1).

سعيد بن جبير والحجاج

في حديث... فلما قدم سعيد (بن جبير) على الحجاج، قال له: ما اسمك؟ قال: سعيد. قال: ابن من؟ قال: ابن جبير. قال: بل أنت شقي بن كسير! قال سعيد: أمي أعلم باسمي واسم أبي. قال الحجاج: شقيت وشقيت أمك، قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك. قال الحجاج: لأوردنك حياض

(1) قاموس الرجال: ج 4 ص 392 - 394

الصفحة 302

الموت، قال سعيد: أصابت إذا أمي اسمي! فقال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا نرا تلطي، قال سعيد: لو أني أعلم ذلك بيدك لاتخذتك إلها...

قال الحجاج: فما قولك في محمد؟ قال سعيد: نبي الرحمة ورسول رب العالمين إلى الناس كافة بالموعظة الحسنة. فقال الحجاج: فما قولك في الخفاء؟

قال سعيد: لست عليهم بوكيل، كل امرئ بما كسب رهين. قال الحجاج أشتمهم أم أمدحهم؟ قال سعيد: لا أقول ما لا أعلم، إنما استحفظت أمر نفسي.

وقال الحجاج: أيهم أعجب إليك؟ قال: حالاتهم يفضل بعضهم على بعض. قال الحجاج: صف لي قولك في علي أفي الجنة هو أم في النار؟ قال سعيد: لو دخلت الجنة فأيت أهلها علمت ولورأيت من في النار علمت، فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب؟

قال الحجاج: فأيرجل أنا يوم القيامة؟ فقال سعيد: أنا أهون على الله من أن يطلعني على الغيب. قال الحجاج: أبيت أن تصدقني؟ قال سعيد: بل لم رد أن أكذبك.

فقال الحجاج: فدع عنك هذا كله، أخونني ما لك لم تضحك قط؟ قال: لم أر شيئا يضحكني، وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه إلى الخواء، واليوم يصبح ويمسي في الابتلاء. قال الحجاج: فأنا أضحك، فقال سعيد: كذلك خلقنا الله أطورا.

قال الحجاج: هل رأيت شيئا من الله؟ قال: لا أعلمه، فدعا الحجاج بالعود والناي. قال: فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى سعيد! قال الحجاج: ما يبكيك؟ قال: يا حجاج، ذكرتني أورا عظيما، والله لا شبعن ولا رويت ولا اكتسيت ولا زلت حزينا لمارأيت؟ قال: الحجاج: وما كنت رأيت هذا الله؟ فقال سعيد: بل هذا والله الحزن يا حجاج! أما هذه النفخة

الصفحة 303

فذكرتني يوم النفخ في الصور، وأما هذا المصوان فمن نفس ستحشر معك إلى الحساب، وأما هذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق.

فقال الحجاج: أنا قاتلك! قال سعيد: قد فُغ من تسبب في موتي!

قال الحجاج: أنا أحب إلى الله منك، قال سعيد: لا يقدم أحد على ربه حتى يعرف مقتله منه والله بالغيب أعلم. قال

الحجاج: كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا وأنا مع إمام الجماعة وأنت مع إمام الفقة والفتنة؟ قال سعيد: ما أنا بخارج

عن الجماعة ولا أنا راضي عن الفتنة، ولكن قضاء الرب نافذ لا مود له.

قال الحجاج: كيف ترى ما نجمع لأمر المؤمنين؟ قال سعيد: لم أر.

فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه، قال سعيد: هذا حسن إن قمت بشروطه. قال الحجاج: وما

شروطه؟ قال: أن تشقّي له بما تجمع الأمن من الوُوع الأكبر يوم القيامة، وإلا فإن كل موضعة تذهل عما لُضعت ويضع كل

ذي حمل حملة ولا ينفعه إلا ما طاب منه.

قال الحجاج: قوى طيبا؟ قال: وأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه.

قال الحجاج: أتحب أن لك شيئا منه؟

قال: لا أحب ما لا يحب الله.

قال الحجاج: ويلك!

قال سعيد: الويل لمن زوخ عن الجنة فأدخل النار!

قال الحجاج: اذهوا فاقتوه.

قال: إني أشهدك يا حجاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، استحفظكن يا حجاج حتى ألقاك.

فلما أدبر ضحك؟

قال الحجاج: ما يضحكك يا سعيد؟

الصفحة 304

قال: عجبت من حوائك على الله وحلم الله عليك.

قال الحجاج: إنما أقتل من شق عصا الجماعة، ومال إلى الفقة التي نهى الله عنها، اضربوا عنقه.

قال سعيد: حتى أصلي ركعتين، فاستقبل القبلة وهو يقول: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا مسلما وما أنا

من المشركين.

قال الحجاج: اصرفه عن القبلة إلى قبلة النصرى الذين تفرقوا واختلوا بغيا بينهم، فإنه من حزبهم، فصرف عن القبلة.

فقال سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله الكافي بالسوائر.

قال الحجاج: لم نوكل بالسوائر وإنما وكلنا بالظواهر.

قال سعيد: اللهم لا تترك له ظلمي، واطلبه بدمي، واجعلني آخر قتيل يقتل من أمة محمد، فضربت عنقه...⁽¹⁾

أبو بكر الحضرمي مع زيد

عن بكار بن أبي بكر الحضرمي:

قال: دخل أبو بكر وعلقمة على زيد بن علي، وكان علقمة أكبر من أبي، فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وكان بلغهما أنه قال: ليس الإمام منا من رُخى عليه ستّوه، إنما الإمام من شهر سيفه. فقال له أبو بكر - وكان أحوأهما - : يا أبا الحسين أخونني عن علي بن أبي طالب عليه السلام كان إماما وهو موخ عليه ستّوه أو لم يكن إماما حتى خرج وشهر سيفه؟ وكان زيد يبصر الكلام، فسكت فلم يجبه، فود عليه الكلام ثلاث مرات

(1) الإمامة والسياسة: ج 2 ص 43 - 44. وراجع قاموس الرجال: ج 4 ص 356. وقد مر ج 1 ص 357

الصفحة 305

كل ذلك لا يجيبه بشئ، فقال له أبو بكر: إن كان علي بن أبي طالب عليه السلام [إماما] فقد يجوز أن يكون بعده إمام موخى عليه ستّوه، وإن كان علي ابن أبي طالب عليه السلام لم يكن إماما وهو موخ عليه ستّوه فأنت ما جاء بك هاهنا؟ قال: فطلب إلى علقمة أن يكف عنه، فكف⁽¹⁾.

(476)

محمد بن علي الأحول مع زيد

عن محمد بن علي الأحول، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل زيد بن علي، فقال لي: أنت الذي رّعم أن في آل محمد عليهم السلام إماما مفترض الطاعة معروفا بعينه؟ قال: قلت: نعم أبوك أحدهم. قال: ويحك! وما يمنعه أن يقول؟ فوالله لقد كان يؤتى بالطعام الحار فيقعدي على فخذيه ويتناول البضعة فيردها ثم يلقيها، أفترّاه يشفق علي من حر الطعام ولا يشفق علي من حر النار؟ قال: قلت: كره أن يقول لك فيجب عليك من الله الوعيد ولا يكون له فيك شفاعة، فتركك موجئا لله فيك المسألة وله فيك الشفاعة⁽²⁾.

(477)

أبو الصباح مع زيد

عن أبي الصباح الكناني، قال: جاءني سدير، فقال لي: إن زيدا توأ منك. قال: فأخذت علي ثيابي - قال: وكان أبو الصباح رجلا ضلّيا - قال:

فأتيت به فدخلت عليه فسلمت عليه، فقلت له: يا أبا الحسين بلغني أنك زعمت أن الأئمة أربعة: ثلاثا مضوا، والرابع هو القائم. قال زيد: هكذا قلت.

قال: فقلت لزيد: هل تذكر قولك لي بالمدينة في حياة أبي جعفر عليه السلام وأنت تقول: إن الله تعالى قضى في كتابه أن " من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا " وإنما الأئمة ولادة الدم وأهل الباب، وهذا أبو جعفر الإمام، فإن حدث به حدث، فإن فينا خلفا.

فقال لي: ما أتذكر هذا القول.

فقلت: بلى، فإن منكم من هو كذلك... الخ ⁽¹⁾.

(478)

سورة مع زيد

عن سورة بن كليب، قال: قال لي زيد: كيف علمتم أن صاحبكم على ما تذكرونه؟ فقلت له: على الخبر سقطت. فقال: هات، فقلت له: كنا نأتي أخاك محمد بن علي عليهما السلام نسأله فيقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقال الله عز وجل في كتابه، حتى مضى أخوك، فأتيناكم آل محمد، وأنت في من أتينا، فتخبرونا ببعض ولا تخبرونا بكل الذي نسألكم عنه حتى أتينا ابن أخيك جعفر عليه السلام فقال لنا كما قال أبوه عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقال تعالى، فتبسم وقال: أما والله! إن قلت هذا، فإن كتب علي عنده.

* * *

(479)

زيد وهشام

كان سبب خروج أبي الحسين زيد - رضي الله عنه - أنه دخل على هشام ابن عبد الملك وقد جمع له هشام أهل الشام، وأمر أن يتضايقوا في المجلس حتى لا يتمكن من الوصول إلى قومه.

فقال له زيد: إنه ليس من عباد الله أحد فوق أن يوصي بتقوى الله، ولا من عباده أحد دون أن يوصى بتقوى الله، وأنا

أوصيك بتقوى الله فاتقه!

فقال له هشام: أنت المؤهل نفسك للخلافة الراجي لها، وما أنت وذاك؟

لا أم لك! وإنما أنت ابن أمة.

فقال له زيد: إني لا أعلم أحدا أعظم مقولة عند الله من نبيه وهو ابن أمة، فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعث،

وهو إسماعيل بن إراهيم، فالنوة أعظم مقولة عند الله أم الخلافة يا هشام؟ وبعد فما يقصر رجل أو رسول الله وهو ابن

علي بن أبي طالب أن يكون ابن أمة.

فوثب هشام عن مجلسه ودعا قهرمانه وقال: لا يبيتن هذا في عسكوي.

(1)

فخرج زيد، وهو يقول: إنه لم يكوه قوم قط حر السيوف إلا ذلوا .

(480)

زهير مع أهل الكوفة

عن كثير بن عبد الله الشعبي، قال: لما زحفنا نحو الحسين خرج إلينا زهير على فارس له ذنوب شاك في السلاح، فقال:

يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار! إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين

واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا

(1) قاموس الرجال: ج 4 ص 260. ومر ج 1 ص 122 برواية أخرى

الصفحة 308

وبينكم السيف وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بزية

نبيه محمد صلى الله عليه وآله لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصوهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم

لا تتركون منهما بسوء عمر سلطانهما إلا ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم ولجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جفوع

النخل، ويقتلون أمثالكم وقواءكم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهاني بن عروة وأشباهه.

فسوه وأثوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له، وقالوا: والله لا نوح حتى نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وبأصحابه

إلى الأمير عبيد الله سلما.

فقال لهم زهير:

عباد الله! إن ولد فاطمة - رضوان الله عليها - أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيزكم بالله أن

تقتلوه! فخلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية، فلعبوي! إن يزيد ليرضى من طاعتكم بنون قتل الحسين عليه

السلام.

فرماه شمر بسهم، وقال: اسكت أسكت الله نامتك! أومتنا بكثرة كلامك.

فقال له زهير: يا ابن البوال على عقبه! ما إياك أخاطب إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

فقال زهير: أقبال الموت تخوفني؟ فوالله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم.

ثم أقبل على الناس رافعا صوته، فقال:

الصفحة 309

عباد الله! لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي، فوالله لا تتال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله قوما هواقوا دماء نريته وأهل بيته، وقتلوا من نصوصهم وذبح عن حريمهم.

قال: فناداه رجل، فقال له: إن أبا عبد الله عليه السلام يقول لك: أقبل فلعمري! لئن كان مؤمن آل فوعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والابلاغ⁽¹⁾.

(481)

دلف مع أبيه

روي أن دلفا كان ينتقص عليا عليه السلام، ويضع منه ومن شيعته وينسبهم إلى الجهل، وأنه قال يوما - وهو في مجلس أبيه ولم يكن أبوه حاضرا -:

زعمون أن لا ينتقص عليا أحد إلا لغير رشده، وأنتم تعلمون غرة الأمير وأنا أبغض عليا.

قال: فما كان بأوشك من أن خرج أبو دلف، فلما رأينا قمنا له. فقال: قد سمعت ما قاله دلف، والحديث لا يكذب والخبر الورود في هذا المعنى لا يختلق، هو والله ثونية! وذلك أنني كنت عليلا فبعثت أختي إلي جارية كنت معجبا بها، فلم أتمالك أن وقعت عليها، وكانت حائضا، فعلقت به، فلما ظهر حملها وهبتها لي⁽²⁾.

(482)

المفيد مع شيخ من العامة

نقل الطوائف عن عيون المفيد: أن شيخا من العامة قال له: لو كان النص

(1) قاموس الرجال: ج 4 ص 206 - 207، وبهج الصباغة: ج 5 ص 352.

(2) قاموس الرجال: ج 4 ص 85 - 86

على علي ظاهرا لذكوه السيد.

فقال المفيد: - رحمه الله -: قد ذكوه في قصيدته الرائية يقول فيها:

الحمد لله حمدا كثوا * ولي الحمدربا غفرا

حتى انتهى إلى قوله:

وفيههم علي وصي النبي * بمحضورهم قد دعاه أموا⁽¹⁾

(483)

شريح بن هاني وعمر

الطوي عن شريح بن هاني الحرثي: أن عليا عليه السلام أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص - إلى أن قال: - فبلغ

عمروا شريح ذلك فتمعر وجه عمرو بن العاص، ثم قال: متى كنت أقبل مشورة علي وأنتهي إلى أمره أو أعتد وأيه؟

فقال له شريح: وما يمنعك يا ابن النابغة! أن تقبل من هولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم مشورته؟ فقد كان من هو خير منك

أبو بكر وعمر يستشوانه ويعملان وأيه.

فقال عمرو: إن مثلي لا يكلم مثلك.

فقال له شريح: وبأي أبويك وغب عني؟ أبأيك الوشيظ؟ أم بأملك النابغة؟⁽²⁾ شريك ومعاوية عن أبان بن الأحمر: أن

شريك بن الأعور دخل على معاوية، فقال له:

والله إنك لشريك وليس لله شريك، وإنك لابن الأعور والبصير خير من الأعور، وإنك لدميم والجيد خير من الدميم، فكيف

سدت قومك؟

(1) قاموس الرجال: ج 5 ص 46.

(2) قاموس الرجال: ج 5 ص 70، ويأتي عن نصر ص 434

الصفحة 311

فقال له شريك: إنك لمعاوية وما معاوية إلا كلبة عوت واستعوت، وإنك لابن صخر والسهل خير من الصخر، وإنك لابن

حرب والسلم خير من الحرب، وإنك لابن أمية وما أمية إلا أمة صغوت فاستصغوت، فكيف صوت أمير المؤمنين؟ فغضب

معاوية، فخرج شريك وهو يقول:

أيشتمني معاوية بن صخر * وسيفي صلرم ومعني لساني

وحولي من نوي يمن ليوث * ضواغمة تهش إلى الصعان

فلا تبسط علينا يا ابن هند * لسانك إن بلغت نوى الأماني

وإن تك للشقاء لنا أموا * فإننا لا نقر على الهوان

(1)

وإن تك من أمية في نواها * فإننا في نوي عبد المدان

(484)

محمد بن الحنفية وابن الزبير

خطب ابن الزبير، فقال: قد بايعني الناس ولم يتخلف إلا هذا الغلام - يعني محمد بن الحنفية - والموعِد بيني وبينه أن تغرب الشمس، ثم أضرم دله عليه نرا، فدخل عليه ابن العباس، فقال: يا ابن عم إني لا آمنه عليك فبايعه! فقال: سيمنعني حجاب قري، فجعل ابن عباس ينظر إلى الشمس ويفكر في كلام ابن الحنفية، وقد كادت الشمس أن تغرب فوافاهم أبو عبد الله الجدلي في ما ذكرنا من الخيل⁽²⁾.

(485)

شباب من أهل الكوفة مع أبي هرة

عن عمر بن عبد الغفار: أن أبا هرة لما قدم الكوفة مع معاوية - وكان

(1) قاموس الرجال: ج 5 ص 72 عن ابن شهر آشوب.

(2) قاموس الرجال: ج 5 ص 451

الصفحة 312

يجلس بالعشيات بباب كندة يجلس الناس إليه - فجاء شباب من أهل الكوفة فجلس إليه فقال:

يا أبا هرة أنشدك بالله! هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: " من كنت مولاه فعلي مولاه

اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ؟"

قال: نعم.

قال: فإن رأيتك واليت أعداءه وعاديت أولياءه.

فقال أبو هرة: إنا لله وإنا إليه راجعون!⁽¹⁾

(486)

عبد الرحمن بن حنبل مع عثمان

وفي تزيخ اليعقوبي: سير عثمان عبد الرحمن بن حنبل إلى القموص من خيبر. وعن تقريب أبي الصلاح الحلبي: ومن

بدع عثمان ضوب عبد الرحمن بن حنبل وكان بئريا مائة سوط، وحمله على جمل يطاف به في المدينة لإنكلره عليه إحداثة

وأظهره عيوبه في الشعر، وحبسه بعد ذلك موثقا بالحديد حتى كتب إلى علي عليه السلام وعمار من الحبس - إلى أن قال: -

فلم يزل علي عليه السلام بعثمان يكلمه حتى خلى سبيله على أن لا يساكنه بالمدينة، فسوه إلى خير، فأقرله قلعته القمص، فلم يزل بها حتى ناهض المسلمون عثمان و ساروا إليه من كل بلد.
فقال عبد الرحمن:

لولا علي فإن الله أنقذني * على يديه من الأغلال والصفد
لمارجوت الذي شد بجامعة * يمني يدي غياث الفوت من أحد

(1) قاموس الرجال: ج 5 ص 376، و ج 6 ص 376

الصفحة 313

(1) نفسي فداء علي إذ يخلصني * من كافر بعد ما أغضى على ضمد

(487)

عبد الرحمن والحجاج

روي عن الأعمش، قال: لما ظفر الحجاج بعبد الرحمن أقامه على المصطبة، فقال له: اشتم عليا، فجعل يذكر مناقب علي عليه السلام ويقول: كان والله راكعا في الصف، بارزا بالسيف، صائما في الصيف. فأمر أن يضرب بالسياط، فقال: يا صفور يا منقوص عشر أمالك بعينك الكثكث ولك الأثلث، ويلك! واحمني ببالك فأمر بقتله.
عن الأعمش، قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى، وضربه الحجاج حتى اسود كتفاه، ثم أقامه للناس على سب علي عليه السلام، والجلالة معه يقولون: سب الكذابين، فجعل يقول: العن الكذابين علي وابن الزبير والمختار.
رواية: فقال: اللهم الكذابين آه - ثم يسكت - علي و عبد الله بن الزبير والمختار (2).

(488)

أبو الطفيل وعمر بن عبد العزيز

وفي تلخيص اليعقوبي: أتى أبو الطفيل عمر بن عبد العزيز، وقال له: منعنتني عطائي. قال: بلغني أنك صقلت سيفك وشحذت سنانك ونصلت سهمك وعلقت قوسك تنتظر الإمام القائم، فإذا خرج وفاك عطاءك.
فقال: إن الله تعالى سائلك عن هذا، فاستحيي عمر وأعطاه (3).

(1) قاموس الرجال: ج 5 ص 291، ويأتي تفصيله ص 416.

(2) قاموس الرجال: ج 5 ص 277 وشطرا منه في العقد الفريد: ج 5 ص 32.

(3) قاموس الرجال: ج 5 ص 203

الصفحة 314

أبو الطفيل ومعوية

وعن المناقب: وقال معوية له وقد أحضر جماعة ليستفتوا منه - يعني أبا الطفيل بن واثلة -: هذا عمرو بن العاص السهمي وهذا مروان بن الحكم الأموي، وهذا عبد الرحمن بن أم الحكم السفياني، وهذا عتبة بن أبي سفيان الأموي. فقال: نعم يا معوية نطقوا بغير أسنتهم فتكلموا على غير ذلك. فقال معوية: وكيف ذلك؟

فقال: أما عمرو الأبتري الشامي لنبي الله ولولي الله فأنطقته مصر، وأنطقته الحجاز مروان الزغب طويدر رسول الله صلى الله عليه وآله، وعبد الرحمن أنطقته أم الحكم، ولا جواب لمن لا حياء له دينا ولا دنيا وقد وهبناه لها. وأما أخوك عتبة، فإنه لمن لا يوحى ولا يخشى ولا يضر ولا ينفع. وابن أبي سوح لقد طالما كاد الله ورسوله ووليه وكتابه وصد عن سبيله وبغاه عوجا، فويل للقاسية قلوبهم! وأنطقته سعيدا مكة. ثم قال لعمرو: أكفوا بعد إيمان ونقضا بعد توكيد؟ وأنا من الحكمين وئ ومنكم واء، وقال الله تعالى: "ومن لم يحكم بما أقر الله فأولئك هم الكافرون" وقال لمروان: "ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نورا خالدا فيها وله عذاب مهين" وقال لابن أبي سوح: "وإذ رأيت الذين يخوضون في آياتنا، فزهم حتى يخوضوا في حديث غيره" وقال لسعيد: "فزهم في غمرتهم حتى حين" (1).

* * *



(490)

صيفي بن فسيل وزيا

قال الجزري: إن زيدا بعث في طلبه - يعني صيفي بن فسيل الشيباني - فأوتي به. فقال: يا عدو الله! ما تقول في أبي زاب؟ فقال: لا أعرفه.

فقال: ما أعرفك به! أتعرف علي بن أبي طالب؟ قال: نعم. قال: فذاك أبو زاب. قال: كلا، ذاك أبو الحسن والحسين. فقال له صاحب الشرطة: يقول الأمير هو أبو زاب وتقول لا؟ قال: فإن كذب الأمير أكذب أنا وأشهد على باطل كما شهد. فقال له زياد: وهذا أيضا مع ذنبك، علي بالعصا، فأوتي بها، فقال: ما تقول في علي؟ قال: أحسن قول! قال: اضربه، فضربه حتى لصق بالأرض، ثم قال: اقلعوا عنه ما قولك في علي؟ قال: والله لو شرحنتي بالمواسي ما قلت فيه إلا ما سمعت منه! قال: لتلعننه أو لأضربن عنقك، قال: لا أفعل، فأوثقه حديدا.

قلت: ورواه الطوي وزاد في أوله: " أنه جاء قيس بن عباد الشيباني إلى زياد، فقال: إن امرأ منا من بني همام يقال له: صيفي بن فسيل من رؤساء أصحاب حجر، وهو أشد الناس عليك، فبعث إليه زياد فأوتي به " وفيه بعد قوله: " لأضربن عنقك " قال: إذن تضوبها والله قبل ذلك، فإن أبيت إلا أن تضوبها رضيت بالله وشقيت أنت قال: ادفعوا في رقبتنه. ثم قال: أوقروه حديدا وألقوه في السجن ⁽¹⁾.

(1) قاموس الرجال: ج 5 ص 138 - 139 . وبهج الصباغة ج 5 ص 255 عن الطبري، والغدير: ج 10 ص 262 عن الطبري: ج 6 ص 149، والأغاني: ج 16 ص 7. وكامل ابن الأثير: ج 3 ص 204، وتاريخ ابن عساكر: ج 6 ص 459 والغدير ج 11 عن مصادر جملة

(491)

صعصعة ومعاوية

دخل صعصعة على معاوية وعمرو بن العاص جالس معه على سروه، فقال معاوية لعمرو: وسع له على زابيته. فقال صعصعة: إني والله لواني منه خلقت وإليه أعود ومنه ابعث وإنك لم تج من مرج من نار ⁽¹⁾.

(492)

صعصعة ومعاوية

في ديوان معاني العسكري: تكلم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه، فحسده عمرو بن العاص فقال: هذا بالتمر أبصر منه بالكلام، قال صعصعة:

أجل أجوده ما دق نواه ورق سحاه وعظم لحاه والريح تنفجه والشمس تتضجه والورد يدمجه، ولكنك يا ابن العاص لا تتوا
تصف ولا الخير تعرف، بل تحسد فتتوقف.

(2) فقال معاوية لعمر: رغما لك! فقال له عمرو: أضعاف الـغم لك وما بي إلا بعض ما بك .

(493)

صعصعة والمغرة

روى سبط ابن الجوزي مسندا عن عمرو بن يحيى، قال: مر صعصعة على المغرة، فقال له: من أين أقبلت؟ فقال: من
عند الولي التقي الجواد الحي، الحلیم الوفي، الكريم الحفي، المانع بسيفه الجواد بكفه، الوری زنده الكثير رفته، الذي هو من
ضئضئ أشرف أمجد أمجاد ليوث أنجاد، ليس بأقعد ولا أنكاد،

(1) قاموس الرجال: ج 5 ص 123 عن العقد الفريد: ج 4 ص 366.

(2) قاموس الرجال: ج 5 ص 123، وبهج الصباغة: ج 11 ص 270 (.)

الصفحة 317

ليس في أمره يوعد ولا في قوله فند، ليس بالطائش التوق ولا بالرائث المذق، كريم الآباء شريف الأبناء، حسن البلاء ثاقب
السناء، مجرب مشهور وشجاع مذكور، زاهد في الدنيا راغب في الأخرى.
(1) فقال المغرة: هذه صفات أمير المؤمنين علي .

(494)

صعصعة وعمر

وفي أسد الغابة: صعصعة هو القائل لعمر حين قسم المال الذي بعث إليه أبو موسى، وكان ألف ألف وهم وفضلت فضلة،
فاختلفوا: أين نضعها؟

فخطب عمر وقال: بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس.

فقام صعصعة وهو غلام شاب، وقال:

إنما يشلور الناس في ما لم يتول فيه قآن، فأما ما تول به القآن فضعه مواضعه التي وضعها الله عز وجل فيها، فقال:
(2) صدقت أنت مني وأنا منك فقسمه بين المسلمين .

(495)

شعبة بن غريض ومعاوية

عن الهيثم بن عدي قال: حج معاوية - وكان حج في خلافته حجتين - فأى شخصا يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال: من هذا؟ قالوا:
شعبة بن غريص، فُرسل إليه يدعوه، فقل له: أجب أمير المؤمنين. قال:
أو ليس قد مات أمير المؤمنين؟ قيل: فأجب معاوية، فأتاه فلم يسلم عليه بالخلافة. قال له معاوية: فأنشدني شعر أبيك يرثي نفسه، فقال: قال أبي:

(1) قاموس الرجال: ج 5 ص 122.

(2) قاموس الرجال: ج 5 ص 121

الصفحة 318

يا ليت شعري حين اندب هالكا * ماذا تؤبني به الفواحي
أيقن لا تبعد فوب كريمة * فجتها ببشرة وسماح
ولقد ضربت بفضل مالي حقه * عند الشتاء وهبة الأرياح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم * ولقد رددت الحق غير ملاح
وإذا دعيت لصعبة سهلتها * ادعى بأفح موة ونجاح
فقال معاوية: أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك، فقال شعبة: كذبت ولؤمت، قال: أما كذبت فنعم، وأما لؤمت فلم؟ قال:
لأنك كنت ميت الحق في الجاهلية وميت الحق في الإسلام. أما في الجاهلية: فقاتلت النبي صلى الله عليه وآله والوحي حتى
جعل الله كيدك المودود. وأما في الإسلام: فمنعت ودرسول الله صلى الله عليه وآله الخلافة، وما أنت وهي وأنت طليق ابن
طليق!
فقال معاوية: قد خرف الشيخ، فأقيموه ⁽¹⁾.

(496)

شريك والمهدي

إن المهدي رأى في منامه شريكا القاضي مصروفا وجهه عنه، فلما انتبه قص رؤياه على الوبيع. فقال: إن شريكا مخالف
لك، فإنه فاطمي محضا، فقال المهدي: علي بشريك فأوتي به، فلما دخل عليه قال:
بلغني أنك فاطمي؟
قال: أعيذك بالله أن تكون غير فاطمي! إلا أن تعني فاطمة بنت كسوى.
قال: لا، ولكن أعني فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله.
قال شريك: فتلعنها؟ قال: لا معاذ الله!

قال: فما تقول فيمن يلعنها؟

قال: عليه لعنة الله.

قال: فالعن هذا، يعني الربيع.

فقال الربيع: لا والله ما ألعنها.

فقال له شريك: يا ماجن! فما ذكرك لسيدة نساء العالمين وابنة سيد المرسلين في مجالس الرجال؟

قال المهدي: فما وجه المنام؟

قال: إن رؤياك ليست رؤيا يوسف، وإن الدماء لا تستحل بالأحلام⁽¹⁾.

(497)

شريك والمهدي

دخل شريك على المهدي، فقال له: ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين قال: ولم؟ قال: لخلافك على الجماعة وقولك

بالإمامة. قال: أما قولك:

" بخلافك على الجماعة " فعن الجماعة أخذت ديني، فكيف أخالفهم وهم أصل ديني؟ وأما قولك: " وقولك بالإمامة " فما

أعرف إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وأما قولك: " مثلك ما يقلد الحكم بين المسلمين " فهذا شيء أنتم فعلتموه،

فإن كان خطأ فاستغفروا الله منه، وإن كان صوابا فأمسكوا عليه.

قال: ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: ما قال جدك العباس وعبد الله، قال: وما قالوا فيه؟ قال: فأما العباس: فمات

وعلي عنده أفضل الصحابة، وقد كان روى كواء المهاجرين يسألونه عما يقول من النورل، وما

احتاج هو إلى أحد حتى لحق بالله. وأما عبد الله: فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين وكان في حروبه رأسا متبعا وقائدا

مطاعا، فلو كانت إمامته على جور كان أول من يقعد عنها أبوك لعلمه بدين الله وفقهه في أحكام الله.

فسكت المهدي وأطرق، ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليل حتى عزل شريك⁽¹⁾.

(498)

علي بن جعفر ورجل

عن علي بن جعفر بن محمد، قال: قال رجل - أحسبه من الواقفة - : ما فعل أخوك أبو الحسن؟ قلت: قد مات. قال: وما يريك بذلك؟ قال: قلت:

اقتسمت أمواله وأنكحت نسؤه ونطق الناطق من بعده. قال: ومن الناطق بعده؟ قلت: ابنه علي. قال: فما فعل؟ قلت له: مات. قال: وما يريك أنه مات؟ قلت: قسمت أمواله ونكحت نسؤه ونطق الناطق من بعده. قال: ومن الناطق من بعده؟ قلت: أبو جعفر ابنه.

قال: فقال لي أنت في سنك وقرك وابن جعفر بن محمد تقول هذا القول في هذا الغلام؟! قلت: ما رأيك إلا شيطاناً! قال: ثم أخذ بلحيته فرفعها إلى السماء، ثم قال: فما حيلتي إن كان الله أراه أهلاً لهذا ولم ير هذه الشيبة لهذا أهلاً! ⁽²⁾.

(499)

الهيثم بن حبيب وأبو حنيفة

روى الجعابي مسنداً عن محمد بن نوفل الصيرفي، قال: كنت عند الهيثم بن

(1) تاريخ بغداد للخطيب: ج 9 ص 292، وبهج الصباغة: ج 1 ص 393.

(2) قاموس الرجال: ج 6 ص 436

الصفحة 321

حبيب الصيرفي، فدخل علينا أبو حنيفة النعمان بن ثابت، فذكرنا أمير المؤمنين عليه السلام ودار كلام بيننا في غدير خم. فقال أبو حنيفة: قلت لأصحابنا: لا تقولوا لهم بحديث غدير خم فيخصموكم. فتغير وجه الهيثم وقال له: لم لا يقولون به وقد حدثنا به حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن رُقم: " أن علياً - عليه السلام - نشد الله في الوحبة من سمعه؟ "

فقال أبو حنيفة: أفلا ترون أنه قد جرى في ذلك حتى نشد على الناس لذلك.

فقال الهيثم: فنحن نكذب علياً عليه السلام، أو نود قوله؟

فقال أبو حنيفة: لا نكذب علياً ولا نود قولاً قاله، ولكنك تعلم أن الناس قد غلامهم قوم. فقال الهيثم: يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله ويخطب به ونشفق نحن منه بغلو غال أو قلّي قال " وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم " " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون " ⁽¹⁾.

(500)

أبو ذر وبعض من يعوده

في الطوائف عن ابن مرويّه في مناقبه، بإسناده إلى داود بن أبي عوف قال:

قال معاوية بن أبي ثعلبة الخشني: ألا أحدثكم بحديث لم يخط؟ قلت: بلى.

قال: مرض أبو ذر فأوصى إلى علي عليه السلام، فقال بعض من يعبده: لو أوصيت إلى أمير المؤمنين عمر كان أجمل لو صيئك.

(1) قاموس الرجال: ج 6 ص 392 - 393، وقد مر في ج 1 ص 333 بلفظ آخر، و ج 9 ص 374

الصفحة 322

فقال: والله! لقد أوصيت إلى أمير المؤمنين حقا، والله البديع الذي يسكن إليه! ولو قد فرقكم لقد أنكروتم الناس وأنكروتم الأرض.

قلت: يا أبا ذر إنا نعلم أن أحبهم إلى رسول الله أحبهم إليك.

قال: أجل.

قلنا: فأحبهم إليك من؟

قال: هذا الشيخ المضطهد المظلوم، يعني علي بن أبي طالب عليه السلام (1).

(501)

الأصبع بن نباتة ومعاوية

في تذكرة السبط: لما عسكر علي عليه السلام بالنخيلة وبعث الأصبع ابن نباتة بكتابه إلى معاوية، دخل عليه وعمرو بن العاص عن يمينه وذو الكلاع وحوشب عن يساره - إلى أن قال: - وأبو هرة بين يديه، فقال أصبع لأبي هرة: أنت صاحب رسول الله أقسم عليك بالله الذي لا إله إلا هو وبحق رسوله هل سمعته يقول يوم غدیر خم في حق أمير المؤمنين عليه السلام: " من كنت هولاء فعلي هولاء "؟ فتتفس أبو هرة وقال: " إنا لله وإنا إليه راجعون " فتغير وجه معاوية، وقال: يا هذا كف عن كلامك، فلا تستطيع أن تخدع أهل الشام عن الطلب بدم عثمان (2).

(502)

عقيل ومعاوية

دخل عقيل على معاوية وقد كف بصوه، فقال له: أنتم معشر بني هاشم

(1) قاموس الرجال: ج 6 ص 379.

(2) قاموس الرجال: ج 6 ص 378 و ج 10 ص 215

الصفحة 323

(1) تصابون في أبصاركم! فقال عقيل: وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائرهم.

(503)

عقيل ومعاوية

في بيان الجاحظ: قال معاوية: يا أهل الشام هل سمعتم قول الله في كتابه " تبت يدا أبي لهب وتب "؟
قالوا: نعم.

قال: فإن أبا لهب عم عقيل.

فقال عقيل: فهل سمعتم قول الله عز وجل: " وامراته حمالة الحطب "؟
قالوا: نعم.

قال: فإنها عمته.

وزاد العقد: ثم قال يا معاوية: إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار، فإنك ستجد عمي أبا لهب مفتوشا عمتك حمالة الحطب،
فانظر أيهما خير الفاعل أو المفعول بها؟⁽²⁾

(504)

عقيل ومعاوية

أذن معاوية لعقيل فدخل عليه، فقال عقيل: يا معاوية من هذا معك؟

قال: الضحاك بن قيس. فقال: الحمد لله الذي رفع الخسيصة وتمم النقيصة، هذا الذي كان أبوه يخصي بهمنا بالأبطح، لقد
كان بخصائها رفيقا.

فقال الضحاك: إني لعالم بمحاسن قویش، وإن عقيلًا عالم بمساوئها⁽³⁾.

(1) قاموس الرجال: ج 6 ص 320 عن العقد الفريد.

(2) قاموس الرجال: ج 6 ص 320 وقد مر بالفاظ آخر.

(3) قاموس الرجال: ج 6 ص 319

(505)

أبو ذر ومعاوية

في شوح ابن أبي الحديد في رواية الواقدي: أن أبا ذر لما دخل على عثمان بعد بعث معاوية له من الشام قال عثمان له: يا
جنيد لا أنعم الله بك عينا!

فقال أبو ذر: أنا جندب وسماني النبي صلى الله عليه وآله عبد الله، واخترت اسم النبي صلى الله عليه وآله الذي سمانني

على اسمي.

فقال له عثمان: أنت الذي رَعم إنا نقول: يد الله مغلولة، وأن الله فقير ونحن أغنياء؟ فقال أبو ذر: لو كنتم ما تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده، ولكني أشهد لقد سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله لولا وعباده خولا.

فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها؟ قالوا: لا. قال عثمان: ويلك يا أبا ذر! تكذب على رسول الله؟ فقال أبو ذر لمن حضر: أما تترون أنني صدقت؟ قالوا: لا والله ما نوري.

فقال عثمان: ادعوا لي علياً، فلما جاء قال عثمان لأبي ذر: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص، فأعاده. فقال عثمان لعلي عليه السلام: سمعت هذا من رسول الله؟ قال: لا وصدق أبو ذر، فقال: كيف عرفت صدقه؟ قال: لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر " فقال من حضر: أما هذا فسمعناه كلنا من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال أبو ذر: أحدثكم أنني سمعت هذا من النبي صلى الله عليه وآله فتهمونني، ما كنت أظن أنني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد ⁽¹⁾.

(1) قاموس الرجال: ج 6 ص 262 - 263، وقد مر ص 14 وما بعدها بلفظ آخر

الصفحة 325

(506)

عمار والمقداد في يوم الشورى

في مروج المسعودي: وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان، ودخل دراه ومعه بنو أمية، فقال أبو سفيان: أفيكم أحد من غيركم - وقد كان عمي - قالوا: لا، قال: يا بني أمية تلقوها تلقف الكوة! فالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصبرون إلى صبيانكم وراثته، إلى أن قال: فقام عمار في المسجد فقال: يا معشر قريش! أما إذ صوفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم هاهنا مرة وهاهنا مرة فما أنا بآمن أن يزعه الله فيضعه في غيركم كما زعمتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله.

وقام المقداد فقال: ما رأيت مثل ما أؤدي به أهل هذا البيت بعد نبيهم.

فقال له عبد الرحمن بن عوف: وما أنت وذاك يا مقداد؟

فقال: والله إني لأحبهم بحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن الحق معهم وفيهم يا عبد الرحمن - إلى أن قال: - وأيم

(1)

الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصلاً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر .

(507)

عبد الرحمن بن حسان ومعلوية

قال معلوية لعبد الرحمن بن حسان من أصحاب حجر بن عدي: ما تقول في علي؟
قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثوا، ومن الآمرين بالحق

(1) قاموس الرجال: ج 6 ص 259، ومر ص 17 بلفظ آخر، وراجع شرح ابن أبي الحديد ط مصر: ج 2 ص 412 و ج 3 ص 172

الصفحة 326

والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس.

قال: فما قولك في عثمان؟

قال: هو أول من فتح أبواب الظلم وأغلق أبواب الحق.

فوده معلوية إلى زياد، فدفنه زياد حيا⁽¹⁾.

(508)

عبيد الله الليثي مع عائشة

إن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة أقبلت مسوعة وهي تقول: "إيه ذا الإصبع لله أبوك! أما إنهم وجنوا طلحة لها كفوا"، فلما انتهت إلى شواف استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي، فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان!
قالت: ثم ماذا؟ قال: جرّت بهم الأمور إلى خير مجاز، بايعوا عليا عليه السلام، فقالت: لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا، ويحك!

انظر ماذا تقول؟ قال: هو ما قلت لك، فولوت. فقال لها: ما شأنك؟ والله ما أعرف بين لابتيها أحدا أولى بها منه ولا أحق، ولا رى له نظوا في جميع حالاته، فلماذا تكوهين ولايته؟
قال: فماردت عليه جوابا⁽²⁾.

(509)

عبد الله بن عباس ومعلوية

فلما كانت سنة إحدى وخمسين مرض الحسن بن علي مرضه الذي مات فيه، فكتب عامل المدينة إلى معلوية يخبره بشكاية الحسن، فكتب إليه معلوية:

(1) قاموس الرجال: ج 6 ص 256 عن الجزري، وبهج الصباغة: ج 6 ص 40 عن الطبري، و ج 5 ص 260، وسيأتي مفصلا ص 419.

إن استطعت ألا يمضي يوم يمر بي إلا أن يأتيني فيه خوه فافعل، فلم يزل يكتب إليه بحاله حتى توفي.
فكتب إليه بذلك، فلما أتاه الخبر أظهر فوحا وسورا حتى سجد وسجد من كان معه، فبلغ ذلك عبد الله بن عباس - وكان بالشام يومئذ - فدخل على معاوية، فلما جلس قال معاوية: يا ابن عباس هلك الحسن بن علي! فقال ابن عباس: نعم هلك إنا لله وإنا إليه راجعون! توجيعا مكررا، وقد بلغني الذي أظهرت من الفوح والسرور لوفاته، أما والله! ما سد جسده حfortك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك، ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خرا منه، جده رسول الله صلى الله عليه وآله فجبر الله مصيبتة وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة.

ثم شهق ابن عباس وبكى، وبكى من حضر في المجلس، وبكى معاوية!

فما رأيت أكثر باكيا من ذلك اليوم.

فقال معاوية: بلغني أنه ترك بنين صغوا، فقال ابن عباس: كلنا كان صغوا فكبر.

فقال معاوية: كم أتى له من العمر؟ فقال ابن عباس: أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده.

قال: فسكت معاوية يسوا، ثم قال: يا ابن العباس أصبحت سيد قومك من بعده.

فقال ابن عباس: أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين فلا.

قال معاوية: لله أبوك يا بن عباس! ما استنبأتك إلا وجدتك معدا ⁽¹⁾.

(1) الإمامة والسياسة: ج 1 ص 150 - 151، وقاموس الرجال: ج 6 ص 53 عنه. وقد مضى لفظان من هذه القصة، وإنما كررناه لما فيه من الفائدة، فراجع

عبد الله بن عباس وعمر قال اليعقوبي: روى ابن عباس، قال: طرقتني عمر بعد هدأة من الليل، فقال: اخرج بنا نحرس نواحي المدينة، فخرج وعلى عنقه نرته حافيا حتى أتى بقيع الغرقد، فاستلقى على ظهره وجعل يضرب أخمص قدميه بيده، وتلوه صعداء! فقلت له يا أمير المؤمنين: ما أخرجك إلى هذا الأمر؟ قال: أمر الله يا ابن عباس! قلت: إن شئت أخوتك بما في نفسك، قال: غص يا غواص إن كنت فتقول فتحسن.

قلت: ذكرت هذا الأمر بعينه وإلى من تصوره، قال: صدقت! قال: قلت له: أين أنت عن عبد الوحمان بن عوف؟ إلى أن

قال: فقلت: عثمان بن عفان؟ قال:

إن ولي حمل بني أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس وأعطاهم مال الله، ولئن ولي ليفعلن والله ولئن فعل لتسيرن العرب إليه حتى تقتله في بيته.

ثم سكت (قال:) فقال: امضها يا ابن عباس! أقوى صاحبكم لها موضعاً؟

قال فقلت له: وأين يتبع من ذلك مع فضله وسابقته وقابته وعلمه؟ قال: هو والله كما ذكرت ولو وليهم لحملهم على منهج الطريق فأخذ المحجة الواضحة، إلا أن فيه خصالاً: الدعابة في المجلس، واستبداد الرأي، والتبكيك للناس، مع حداثة السن. قلت: يا أمير المؤمنين، هلا استحدثتم سنه يوم الخندق إذ خرج عمرو بن عبد ود وقد كعم عنه الأبطال وتأخرت عنه الأشياخ، ويوم بدر إذ كان يقط الأقوان قطا وهلا سبقتموه بالإسلام إذ كان جعلته السعب ⁽¹⁾ وقويش فقال: إليك يا ابن عباس! أتريد أن تفعل بي كما فعل أبوك وعلي بأبي بكر يوم دخلا عليه؟ قال: فكهت أن أغضبه، فسكت.

(1) كذا في المصدر

الصفحة 329

فقال: والله يا ابن عباس إن عليا ابن عمك لا حق الناس بها، ولكن قويشا لا تحتلمه، ولئن وليهم ليأخذهم بمر الحق لا يجنون عنده رخصة، ولئن فعل لينكثن بيعته ثم ليحربن ⁽¹⁾.

(510)

ابن عباس ورجل من الخوارج

قال: إن رجلاً من الخوارج سأل ابن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام، فأعرض عنه، ثم سأله، فقال: والله لكان علي أمير المؤمنين عليه السلام يشبه القمر الواهر، والأسد الخادر، والفات الواهر، والربيع الباكر، فأشبهه من القمر ضوءه وبهائه، ومن الأسد شجاعته ومضاءه، ومن الفات جوده وسخاءه، ومن الربيع خصبه وحباءه، عقت النساء أن يأتين بمثل علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، تالله ما رأيت ولا سمعت إنساناً مثله، وقد رأيت يوم صفين وعليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سواجان، وهو يقف على شؤمة شؤمة يحثهم ويحضهم إلى أن انتهى إلي وأنا في كنف من المسلمين، فقال: معاشر الناس! استشعروا الخشية وأميئوا الأصوات، الخبر ⁽²⁾.

(511)

الناشي مع الراضي

قال علي بن عبد الله بن وصيف الناشي: دخلت على الراضي، فقال لي: أنت الناشي الرافضي؟ فقلت: خادم أمير المؤمنين الشيعي، فقال: من أي الشيعة؟ قلت: شيعة بني هاشم، فقال: هذا خبث حيلة، قلت: مع طهارة مولد ⁽³⁾.

(1) تاريخ يعقوبي: ج 2 ص 158 وفي ط 148.

(2) قاموس الرجال: ج 6 ص 29 وبهج الصباغة: ج 10 ص 171 كلاهما عن تفسير فوات.

(512)

الناشي مع الأشعري

ناظر (الناشي) أشعريا فصفعه، فقال: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: هذا فعل الله بك، فلم تغضب مني؟ فقال: ما فعله غيرك، وهذا سوء أدب وخرج عن المناظرة! فقال: ناقضت، إن أقمت على مذهبك: أن كل فعل من الله، وإن انتقلت فخذ العوض. فانقطع المجلس بالضحك وصلت ناورة⁽¹⁾.

(513)

الناشي مع بعض المجرة

الناشي ناظر بعض المجرة، فحرك الجوي يده، فقال للناشي: من حركها؟ فقال: من أمه زانية! فغضب الرجل، فقال: ناقضت! إذا كان المحرك غيرك فلم تغضب؟⁽²⁾.

(514)

ابن دكين مع رجل

روي عن الفضل بن دكين: أنه نصب له كرسي عظيم ببغداد ليحدث، فقام إليه رجل وقال: أنتشيع؟ فكه مقالته وصرف وجهه وتمثل بقول مطيع ابن أياس:

وما زال بي حبيك حتى كأنني * وجع جواب السائل عني أعجم

لأسلم من قول الوشاة وتسلمي * سلمت وهل حي على الناس يسلم

فلم يفقه وعاد سائلا: أنتشيع؟ فقال: يا هذا كيف بليت! وأي ريح هبت إلي بك؟ سمعت الحسن بن صالح عن جعفر بن محمد يقول: حب علي عبادة،

(1) قاموس الرجال: ج 7 ص 76.

(2) المصدر نفسه

(1) وأفضل العبادة ما كتم .

(515)

قنبر مع الحجاج

عن إواهيم بن الحسين الحسيني العقيقي - رفعه - قال: سأل الحجاج قنبراً مولى علي عليه السلام: مولى من أنت؟ فقال: أنا مولى من ضوب بسيفين، وطعن بومحين، وصلى القبلتين، وبايع البيعتين، وهاجر الهجرتين، ولم يكفر بالله طرفة عين. أنا مولى صالح المؤمنين، وورث النبيين، وخير الوصيين، وأكبر المسلمين، ويعسوب المؤمنين، ونور المجاهدين، ورئيس البكائين، وزين العابدين، وسواج الماضين، وضوء القائمين، وأفضل القانتين، ولسان رسول الله رب العالمين، وأول المؤمنين من آل يس. المؤيد بجبرئيل الأمين، والمنصور بميكال المتين، المحمود عند أهل السموات أجمعين. سيد المسلمين والسابقين، وقاتل الناكثين والقاسطين والملقرين، والمحامي عن حرم المسلمين، ومجاهد أعدائه الناصبين، ومطفئ نار الموقدين، وأفخر من مشى من قویش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله. أمير المؤمنين، ووصي نبيه في العالمين، وأمينه على المخلوقين، وخليفة من بعث إليهم أجمعين. سيد المسلمين والسابقين، ومبيد المشركين، وسهم من هرامي الله على المنافقين، ولسان كلمة العابدين، ناصر دين الله وولي الله، ولسان كلمة الله، وناصره في أرضه، وعيبة علمه، وكهف دينه. إمام الأوار من رضي عنه العلي الجبار، سمح سخي، بهلول سنحني (2)، ذكي مطهر

(1) قاموس الرجال: ج 7 ص 319.

(2) (في الكشي: " سنحني " بالسين المهملة ثم النون المفتوحة ثم الحاء المهملة ثم النون المفتوحة، قال في اللسان " وفي حديث على سنحني الليل كاني جني " أي لا أنام الليل أبداً، وأما ما في قاموس الرجال: " سنخنخ " فالظاهر أنه سهو: ولم أجده في اللغة

الصفحة 332

أبطحي، باذل جري، همام (1) صابر صوام، مهدي مقدام، قاطع الأصلاب، مفوق الأخواب، عالي الوقاب. لربطهم عنانا، وأثبتهم جنانا، وأشدّهم شكيمة. باذل باسل، صنديد هوبر ضوغام، حرّم غوام (2)، حصيف (3) خطيب، محجاج (4) كريم الأصل، شريف الفضل، فاضل القبيلة، نقي العشوة. زكي الوكّانة (5)، مؤدي الأمانة. من بني هاشم، وابن عم النبي والإمام، مهدي الوشاد، مجانب الفساد، الأشعث الحاتم (6)، البطل الحمام (7)، والليث الزواحم، بوي، مكّي، حنفي، روحاني، شعشعاني، من الجبال شواهقها، ومن ذي الهضبات رؤوسها، ومن العرب سيدها، ومن الوغى ليثها. البطل الهمام، والليث المقدام، والبدر التمام. محك المؤمنين، وورث المشعرين، وأبو السبطين: الحسن والحسين، والله أمير المؤمنين حقا حقا علي بن أبي طالب، عليه من الله الصلوات والبركات السنية (8).

(516)

قيس بن مسهر مع ابن زياد

أقبل قيس بن مسهر الصيدلوي إلى الكوفة بكتاب الحسين عليه السلام،

(1) همام كما في الكشي، وما في القاموس الرجال: " دهمام " فهو سهو، والمعنى واضح.

(2) (" غوام " بالعين المهملة والراء المعجمة كما في الكشي، أي صاحب عزم وصبر، وفي هامشه: " غوام " بالغين المعجمة والراء المهملة فالظاهر أنه مبالغة في الغريم بمعنى الكفيل والضامن، بمعنى أنه عليه السلام يتكفل ويؤدي الديون، ولعله إشارة: إلى تكفله عليه السلام أداء ديون رسول الله صلى الله عليه وآله وما وعده للناس.

(3) (الحصيف: أي جيد الوأي ومحكم العقل كما في أقرب المولد.

(4) (المجاج: المسبار، وهو ميل يسبر في الحوح لغرض معالجته. وهي كناية، والمعنى واضح.

(5) (يقال: رجل ركين: وقور، رزين. (لسان العرب).

(6) (الحاتم: الحاكم الموجب للحكم. (لسان العرب).

(7) (كذا في القاموس، وفي بعض نسخ الكشي: " الجماجم " وهم: السادات والعظماء.

(8) (قاموس الرجال: ج 7 ص 391. والكشي: ص 72 الرقم 129



حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله، فقال له: اصعد إلى القصر فسب الكذاب ابن الكذاب، فصعد ثم قال:

أيها الناس إن هذا الحسين خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسوله، وأنا رسوله إليكم، وقد فرقتاه بالحاجر ⁽¹⁾ فأجيبوه. ثم لعن عبيد الله وأباه، واستغفر لعلي عليه السلام.
فأمر به عبيد الله أن يرمى به من فوق القصر، فرمى به فتقطع فمات رحمه الله ⁽²⁾.

(517)

كريم بن عفيف وعبد الرحمان ومعاوية

(لما أخذ حجر وأصحابه وقتل هو وجمع معه) قال كريم بن عفيف الخثعمي وعبد الرحمن بن حسان العنزي من أصحاب حجر: ابعثوا بنا إلى معاوية نقول في هذا الرجل مثل مقالته، ولما أرادوا الشخص قالوا لحجر: لا تبعد يا حجر ولا يبعد مثواك، فنعم أخو الإسلام كنت.

فلما دخل كريم على معاوية قال له: الله الله يا معاوية! إنك منقول من هذه الدار الوائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عما أردت بقتلنا وفيم سفكت دماءنا!
فقال له: ما تقول في علي؟
قال: أقول فيه قولك: أنتوا من دين علي الذي كان يدين الله به؟ ⁽³⁾.

(518)

الشيخ الطوسي والخليفة العباسي

حكى جماعة: أنه وشي بالشيخ - أي الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى - إلى

(1) الحاجر: موضع بطريق مكة " الأساس ".

(2) قاموس الرجال: ج 7 ص 405.

(3) قاموس الرجال: ج 7 ص 420 . وسيأتي تفصيله في باب عبد الرحمان بن حسان العنزي ومعاوية

الخليفة العباسي بأنه وأصحابه يسبون الصحابة، وكتابه " المصباح " يشهد بذلك، فإنه ذكر: أن من دعاء يوم عاشوراء: " اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني... إلى أخوه ".

فأجاب: بأن العواد بالأول: قابيل قاتل هابيل وهو أول من سن القتل والظلم، وبالتالي: عاقر ناقة صالح، وبالتالي: قاتل

يحيى، وبالوابع:

عبد الرحمان بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب عليه السلام.
فرفع الخليفة شأنه، وانتقم من الساعي وأهانته⁽¹⁾.

(519)

محمد بن الحنفية والسائل

قيل لمحمد - أي ابن الحنفية - : لم يغرر بك أبوك في الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين عليهما السلام؟ فقال: إنهما عيناها، وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينه بيمينه⁽²⁾.

(520)

الزهي والوليد

وفي العقد: إن الوليد بن عبد الملك قال له - أي لمحمد بن شهاب الزهي - :
حدثنا أهل الشام: " إن الله إذا استوعى عبادارعيته كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات ".
فقال الزهي: حديث باطل، أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟
قال: بل خليفة نبي، قال: فإن الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام: " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين
الناس بالحق ولا تتبع الهوى

(1) قاموس الرجال: 8 / 135.

(2) قاموس الرجال: 8 / 159

الصفحة 335

فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " فهذا وعيد لنبي خليفة فما
ظنك بخليفة غير نبي؟
فقال: إن الناس ليغروننا عن ديننا⁽¹⁾.

(521)

جهني مع محمد بن طلحة

في الطوي: أقبل - يوم الجمل - غلام من جهينة على محمد بن طلحة - وكان محمدرجلا عابدا - فقال: أخبرني عن
قتلة عثمان؟ فقال: نعم، دم عثمان ثلاثة أثلاث: ثلث على صاحبة اليهودج - يعني: عائشة - وثلث على صاحب الجمل الأحمر

- يعني: طلحة - وثلاث على علي بن أبي طالب.

فضحك الغلام وقال: " ألا رأني على ضلال " ولحق بعلي عليه السلام وقال في ذلك شوا:

سألت ابن طلحة عن هالك * بجوف المدينة لم يقبر

فقال: ثلاثة رهط هم * أماتوا ابن عفان واستعبر

فثلاث على تلك في خورها * وثلاث على راكب الأحمر

وثلاث على ابن أبي طالب * ونحن بدوية قوقر

(2) فقلت: صدقت على الأولين * وأخطأت في الثالث الأهر

(522)

أبو العيناء وموسى بن عبد الملك

لما وكل موسى بن عبد الملك الاصبهاني بنجاح بن سلمة ليستأديه ما عليه من الأموال عاقبه موسى فهلك.

(1) قاموس الرجال: 8 / 215.

(2) قاموس الرجال: 8 / 223، وبهج الصباغة 6: 122 و 4: 689 عن الطوي أيضا، والإمامة والسياسة:

61 / 1

الصفحة 336

فقال أبو العيناء: " فوكره موسى فقضى عليه " فبلغت كلمته موسى، فلقيه وقال له: أبي تولع؟ والله لأقومنك، فقال: " أتريد

أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس " (1)

(523)

أبو العيناء والمتوكل

قال الخطيب: روي أن المتوكل قال: أشتهي أن أنادم أبا العيناء ولا أنه ضویر، فقال: إن أعفاني من رؤية الأهله ونقش

الخواتيم فإني أصلح. وقال له المنتصر: ما أحسن الجواب! فقال: ما أسكت المبطل وحير المحق! فقال:

(2) أحسنت والله .

(524)

أبو العيناء والمتوكل

المتوكل: هل رأيت طاليبا حسن الوجه؟ قال: نعم، رأيت ببغداد منذ ثلاثين واحدا، فقال المتوكل: نجده كان

(3) قاله له

مؤاحوا وكنت أنت تقود عليه فقال: يا أمير المؤمنين، أو يبلغ هذا من فواغي أدع مواليي مع كثرتهم وأقود على الغباء؟ فقال المتوكل للفتح: أردت أن أشتقي منهم، فاشتقي لهم مني ⁽⁴⁾.

(525)

أبو العيناء ورجل من بني العباس

قال له: بلغني أنك بغاء، فقال: وما أنكرت مع ذلك مع قول النبي

(1) قاموس الرجال: 8 / 344.

(2) المصدر نفسه.

(3) أي: لأبي العيناء مولى العباسيين.

(4) قاموس الرجال: 8 / 345 عن الكتاب الأدباء.

(5) أي: قال لأبي العيناء رجل من بني هاشم، أي من العباسيين

الصفحة 337

صلى الله عليه وآله: "مولى القوم منهم"، فقال: إنك دعي فينا، فقال: بغائي صحح نسبي فيكم ⁽¹⁾.

(526)

ابن السكيت والمتوكل

في طبقات السيوطي: قال: وبيننا هو ⁽²⁾ مع المتوكل في بعض الأيام إذ مر به ولداه المعتز والمؤيد، فقال له: يا يعقوب، من أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين عليهما السلام؟ فغض من ابنيه وقال: "قنبر خير منهما"، وأثنى على الحسن والحسين عليهما السلام بما هما أهله.

وقيل: قال: "والله إن قنوا خادم علي عليه السلام خير منك ومن ابنك، فأمر الأتراك فداسوا بطنه، فحمل فعاش يوما وبعض يوم. وقيل:

حمل ميتا في بساط، وقيل: قال: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا به ذلك فمات ⁽³⁾.

(527)

ابن السكيت والليثاني

في تاريخ بغداد: قال المبرد: مارأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتابه ⁽⁴⁾ في المنطق، وكان الليثاني عرّما على أن يملئ نواذر له ضعف ما أملئ، فقال يوما: تقول العرب: "مثل استعان بذقنه"، فقام إليه ابن السكيت - وهو حدث - فقال: إنما

تقول: " مثقل استعان بدفيه " ، يريدون: أن الجمل إذا نهض بالحمل استعان بجنبه. فقطع الإملاء.

(1) قاموس الرجال: 8 / 346.

(2) أي: ابن السكيت يعقوب بن إسحاق.

(3) قاموس الرجال: 9 / 460، وبهج الصباغة: 3 / 338 و 9 / 383 عن المعجم، وتاريخ الخلفاء:

ص 348.

(4) أي: كتاب ابن السكيت

الصفحة 338

فلما كان في المجلس الثاني أملى، فقال: تقول العرب: " هو جري مكاشوي "، فقام إليه ابن السكيت، فقال: وما معنى "

مكاشوي "؟ إنما هو:

" مكاسوي " يعني: كسر بيتي إلى كسر بيته.

فقطع اللحياني الإملاء فما أملى بعد ذلك شيئاً. وكان من أهل الفضل والدين موثقاً بروايته.

(1)

وسأل الفراء السكيت أباه عن نسبه؟ فقال: خوزي من قى ورق من كور الأهواز .

(528)

ابنا عباس وابن الزبير

مر عبد الله بن صفوان بن أمية يوماً بدار عبد الله بن عباس بمكة، فأى فيها جماعة من طالبي الفقه. ومر بدار عبيد الله

بن عباس فأى فيها جماعة ينتابونها للطعام، فدخل على ابن الزبير فقال له: أصبحت والله كما قال الشاعر:

فإن تصبك من الأيام قرعة * لم نبك منك على دنيا ولا دين

قال: وما ذاك يا أعوج؟ قال: هذان ابنا عباس أحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس فما بقيا لك مكومة.

فدعا عبد الله بن مطيع وقال: انطلق إلى ابني عباس فقل لهما: يقول لكما أمير المؤمنين: اخرجنا عني أنتما ومن أصغى

إليكما من أهل العواق، وإلا فعلت وفعلت.

فقال عبد الله: والله ما يأتينا إلا رجلاً: رجل يطلب فقها ورجل يطلب فضلاً، فأى هذين تمنع؟ وكان بالحضرة أبو الطفيل،

فجعل يقول:

لا در در الليالي كيف تضحكنا * منها خطوب أعاجيب وتبكينا

(1) قاموس الرجال: 9 / 459

الصفحة 339

ومثل ما تحدث الأيام من عبر * في ابن الزبير عن الدنيا تسلينا

كنا نجئ ابن عباس فيسمعنا * فقها ويكسبنا أحرا ويهدينا
ولا زال عبيد الله مَرَّة * جفانه مطعما ضيفا ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بدل هما * نزال منها الذي نبغي إذا شينا
إن النبي هو النور الذي كشتت * به عمايات ماضينا وباقينا
وربطه عصبه في دينه لهم * فضل علينا وحق واجب فينا⁽¹⁾

(529)

محمد بن وهيب ويؤيد بن هارون

في أغاني أبي الفوج: قال أبو هفان: كان محمد بن وهيب يتوَدد إلى مجلس يؤيد بن هارون، فلزمه عدة مجالس يملئ فيها
كلها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ولم يذكر شيئا من فضائل علي عليه السلام. فقال ابن وهيب:
أتي يؤيد بن هارون ادالجه⁽²⁾ * في كل يوم ومالي وابن هارون
فليت لي يؤيد حين أشهده * راحا وقصفا وندمانا تسليني
أغدو إلى عصبه صمت مسامعهم * عن الهدى بين زنديق ومأفون
لا يذكرون عليا في مشاهدهم * ولا بنيه بني البيض الميامين
إني لأعلم أني لا أحبهم * كما هم بيقين لا يحبوني
لو يستطيعون من ذكوى أبا حسن⁽³⁾ * وفضله قطعوني بالسكاكين
ولست أتوك تفضيلي له أبدا * حتى الممات على رغم الملاعين⁽⁴⁾

(1) قاموس الرجال: 6 / 62 عن الإستيعاب.

(2) أدالجه: يقال أدلج بالتخفيف إذا سار من أول الليل، وبالتشديد إذا سار من آخوه. مجمع البحرين:

مادة دلج.

(3) هكذا في الأصل والصحيح: "أبي الحسن".

(4) قاموس الرجال: 8 / 423، و 9 / 451 باستثناء البيت الأخير

وقال إسحاق بن محمد بن القاسم بن يوسف: كان محمد بن وهيب يأتي أبي، فقال له أبي يوما: إنك تأتينا وقد عرفت
مذهبنا، فنحب أن تعرفنا مذهبك فوافقك أو نخالفك، فقال: في غد أبين أمري، فلما كان من غد كتب إليه:
أيها السائل قد بينت إن كنت ذكيا * أحمد الله كثرا بأياديهِ عليا
شاهدا ألا إله غره من دمت حيا * وعلى أحمد بالصدق رسولا ونبيا

ومنحت الود قوباه وواليت الوصيا * وأتاني خبر مطرح لم يك شيا
إن على غير اجتماع عقنوا الأمر بديا * فوفقت ⁽¹⁾ القوم تيما وعديا وأميا
غير شتام، ولكني توليت عليا ⁽²⁾

(530)

هشام والجاثليق

عن هشام بن الحكم، عن جاثليق من جنائفة النصارى يقال له: بويهة، قد مكث جاثليق النصارى سبعين سنة ⁽³⁾، وكان يطلب الإسلام، ويطلب من يحتج عليه ممن يؤا كتبه ويعرف المسيح بصفاته ودلائله وآياته، قال: وعوف بذلك حتى اشتهر في النصارى والمسلمين واليهود والمجوس، حتى افتخرت به النصارى، وقالت: لو لم يكن في دين النصارى إلا بويهة لأخوانا، وكان طالبا للحق والإسلام مع ذلك.

وكانت معه امرأة تخدمه طال مكثها معه، وكان يسر إليها ضعف النصارى وضعف حجتها، قال: فعرفت ذلك منه، فضوب بويهة الأمر ظهوا لبطن، وأقبل

(1) وفق الشئ: ما لاءمه، وقد وافقه موافقة (لسان العرب). (2) قاموس الرجال: ج 8 / 424.

(3) (الجاثليق: صاحب مرتبة من العراتب الدينية النصارى، وقوله: جاثليق النصارى بالنصب حال من فاعل مكث، أي مكث بويهة سبعين سنة حال كونه صاحب هذه المرتبة في النصارى

الصفحة 341

يسأل فوق المسلمين والمختلفين في الإسلام من أعلمكم؟ وأقبل يسأل عن أئمة المسلمين وعن صلحائهم وعلمائهم وأهل الحجة منهم، كان يستقوى فرقة فرقة لا يجد عند القوم شيئا، وقال: لو كانت أئمتكم أئمة على الحق لكان عندكم بعض الحق، فوصفت له الشيعة ووصف له هشام بن الحكم.

فقال يونس بن عبد الرحمان: فقال لي هشام: بينما أنا على دكاني على باب الكوخ جالس وعندي قوم يقولون علي القوان، فإذا أنا بفوج النصارى معه ما بين القسيسين إلى غوهم نحو من مائة رجل عليهم السواد والوانس، والجاثليق الأكبر فيهم بويهة حتى تولوا حول دكاني، وجعل لبويهة كوسي يجلس عليه، فقامت الأساقفة والراهبنة على عصيهم وعلى رؤوسهم وانسهم.

فقال بويهة: ما بقي من المسلمين أحد ممن يذكر بالعلم بالكلام إلا وقد ناظوته في النصارى فما عندهم شئ، وقد جئت أناظرك في الإسلام.

قال: فضحك هشام فقال: يا بويهة إن كنت تريد مني آيات كآيات المسيح فليس أنا بالمسيح ولا مثله ولا أدانيه، ذاك روح طيبة خميسة ⁽¹⁾ مرتفعة، آياته ظاهرة، وعلاماته قائمة.

قال براهيمة: فأعجبني الكلام والوصف.

قال هشام: إن أردت الحجاج فها هنا.

قال براهيمة: نعم فإني أسألك ما نسبة نبيكم هذا من المسيح نسبة الأبدان؟

قال هشام: ابن عم جده [لأمه] لأنه من ولد إسحاق ومحمد من ولد إسماعيل.

قال براهيمة: وكيف تنسبه إلى أبيه؟

قال هشام: إن أردت نسبه عندكم أخوتك، وإن أردت نسبه عندنا

(1) أي خالية منزهة من الرذائل النفسية والكدورات المادية

الصفحة 342

أخوتك.

قال براهيمة: أريد نسبه عندنا، وظننت أنه إذا نسبه نسبتنا أغلبه، قلت: فانسبه بالنسبة التي ننسبه بها.

قال هشام: نعم تقولون: أنه قديم من قديم، فأيهما الأب وأيهما الابن؟

قال براهيمة: الذي قول إلى الأرض الابن.

قال هشام: الذي قول إلى الأرض الأب.

قال براهيمة: الابن رسول الأب.

قال هشام: إن الأب أحكم من الابن، لأن الخلق خلق الأب.

قال براهيمة: إن الخلق خلق الأب وخلق الابن.

قال هشام: ما منعهما أن يذلا جميعا كما خلقا إذا اشتركا؟

قال براهيمة: كيف يشتركان وهما شيء واحد؟ إنما يفترقان بالاسم.

قال هشام: إنما يجتمعان بالاسم.

قال براهيمة: جهل هذا الكلام.

قال هشام: عرف هذا الكلام.

قال براهيمة: إن الابن متصل بالأب.

قال هشام: إن الابن منفصل من الأب.

قال براهيمة: هذا خلاف ما يعقله الناس.

قال هشام: إن كان ما يعقله الناس شاهدا لنا وعلينا فقد غلبتك، لأن الأب كان ولم يكن الابن، فتقول هكذا يا براهيمة؟

قال: ما أقول هكذا.

قال: فلم استشهدت قوما لا تقبل شهادتهم لنفسك؟

قال براهيمة: إن الأب اسم والابن اسم يقدر به القديم.

قال هشام: الاسمان قديمان كقدم الأب والابن؟

الصفحة 343

قال براهيمة: لا، ولكن الأسماء محدثة.

قال: فقد جعلت الأب ابنا والابن أبا إن كان الابن أحدث هذه الأسماء نون الأب فهو الأب، وإن كان الأب أحدث هذه الأسماء

نون الابن فهو الأب، والابن أب وليس هاهنا ابن.

قال براهيمة: إن الابن اسم للروح حين تولت إلى الأرض.

قال هشام: فحين لم تقول إلى الأرض فاسمها ما هو؟

قال براهيمة: فاسمها ابن تولت أو لم تقول.

قال هشام: فقبل النزول هذه الروح كلها واحدة واسمها اثنان.

قال براهيمة: هي كلها واحدة، روح واحدة.

قال: قدرضيت أن تجعل بعضها ابنا وبعضها أبا.

قال براهيمة: لا، لأن اسم الأب واسم الابن واحد.

قال هشام: فالابن أبو الأب، والأب أبو الابن، والابن واحد.

قالت الأساقفة بلسانها لبراهيمة: ما مر بك مثل ذا قط تقوم، فتحير براهيمة وذهب ليقوم فتعلق به هشام، قال: ما يمنعك من

الإسلام أفي قلبك خولة؟

فقلها، وإلا سألتك عن النصرانية مسألة واحدة تبيت عليها ليلك هذا فتصبح وليس لك همة غوي. قالت الأساقفة: لا ترد

هذه المسألة لعلها تشكك.

قال براهيمة: قلها يا أبا الحكم.

قال هشام: أوأيتك الابن يعلم ما عند الأب؟

قال: نعم.

قال: أوأيتك الأب يعلم كل ما عند الابن؟

قال: نعم.

قال: أوأيتك تخبر عن الابن، أيقدر على حمل كل ما يقدر عليه الأب؟

قال: نعم.

الصفحة 344

قال: أوأيتك تخبر عن الأب أيقدر على كل ما يقدر عليه الابن؟

قال: نعم.

قال هشام: فكيف يكون واحد منهما ابن صاحبه وهما متساويان؟

وكيف يظلم كل واحد منهما صاحبه؟

قال بريدة: ليس منهما ظلم.

قال هشام: من الحق بينهما أن يكون الابن أب الأب، والأب ابن الابن، بت عليها يا بريدة.

وافترق النصارى وهم يتمنون أن لا يكونوا رؤا هشام ولا أصحابه.

قال: فوجع بريدة مغتما مهتما حتى صار إلى موته، فقالت امرأته التي تخدمه: ما لي أراك مهتما مغتما؟ فحكى لها الكلام

الذي كان بينه وبين هشام، فقالت لبريدة: ويحك أتريد أن تكون على حق أو على باطل؟ فقال بريدة: بل على الحق، فقالت له:

أيما وجدت الحق فمل إليه، وإياك واللجاجة فإن اللجاجة شك، والشك شؤم، وأهله في النار، قال: فصوب قولها، وعزم على

الغدو على هشام.

قال: فغدا عليه وليس معه أحد من أصحابه، فقال: يا هشام ألك من تصدر عن رأيه، وتوجع إلى قوله، وتدين بطاعته؟

قال هشام: نعم يا بريدة.

قال: وما صفته؟

قال هشام: في نسبه، أو في دينه؟

قال: فيهما جميعا صفة نسبه، وصفة دينه.

قال هشام: أما النسب خير الأنساب، رأس العرب، وصفوة قريش، وفاضل بني هشام، كل من نزع في نسبه وجده أفضل

منه، لأن قريشا أفضل العرب، وبني هاشم أفضل قريش، وأفضل بني هاشم خاصهم ودينهم وسيدهم،

الصفحة 345

وكذلك ولد السيد أفضل من ولد غوه وهذا من ولد السيد.

قال: فصف دينه.

قال هشام: شوائعه أو صفة بدنه وطهرته؟

قال: صفة بدنه وطهرته.

قال هشام: معصوم فلا يعصي، وسخي فلا يبخل، شجاع فلا يجبن، وما استودع من العلم فلا يجهل، حافظ للدين، قائم بما

فرض عليه، من عزة الأنبياء، وجامع علم الأنبياء، يحلم عند الغضب، وينصف عند الظلم، ويعين عند الرضا، وينصف من

الولي والعدو، ولا يسأل شططا في عهده، ولا يمنع إفادة وليه، يعمل بالكتاب، ويحدث بالأعجوبات، من أهل الطهلات، يحكي

قول الأئمة الأصفياء، لم تنقض له حجة، ولم يجهل مسألة، يفتي في كل سنة، ويجلو كل مدلهمة.

قال بريدة: وصفت المسيح في صفاته، وأثبتته بحججه وآياته، إلا أن الشخص بائن عن شخصه، والوصف قائم بوصفه، فإن

يصدق الوصف نؤمن بالشخص.

قال هشام: إن تؤمن ترشد، وإن تتبع الحق لا تؤنب.

ثم قال هشام: يا بريهة ما من حجة أقامها الله على أول خلقه إلا أقامها على وسط خلقه وآخر خلقه، فلا تبطل الحجج، ولا تذهب الملل، ولا تذهب السنن.

قال بريهة: ما أشبه هذا بالحق، وأقر به من الصدق، وهذه صفة الحكماء، يقيمون من الحجة ما ينفون به الشبهة.

قال هشام: نعم.

فلتحلا حتى أتيا المدينة والوأة معهما وهما يريدان أبا عبد الله عليه السلام فلقيا موسى بن جعفر عليهما السلام، فحكى له هشام الحكاية فلما فوغ قال موسى بن جعفر عليهما السلام: يا بريهة كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم، قال: كيف تفتك بتأويله؟ قال: ما أوثقني بعلمي فيه.

الصفحة 346

قال: فابتدأ موسى بن جعفر عليهما السلام بقراءة الإنجيل.

قال بريهة: والمسيح لقد كان يقوأ هكذا، وما قوأ هذه القوأة إلا المسيح. ثم قال بريهة: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة، أو مثلك.

قال: فأمن وحسن إيمانه، وآمنت المرأة وحسن إيمانها.

قال: فدخل هشام وبريهة والوأة على أبي عبد الله عليه السلام، وحكى هشام الحكاية والكلام الذي جرى بين موسى عليه السلام وبريهة.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: " نرية بعضها من بعض والله سميع عليم " (1).

فقال بريهة: جعلت فداك أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟

قال: هي عندنا وراثثة من عندهم، نقرؤها كما قرؤوها، ونقولها كما قالوها، إن الله لا يجعل حجة في لرضه يسأل عن شيء فيقول: لا أوي... (2).

(531)

هشام والمتكلمون

في الاكمال صحيحا عن محمد بن أبي عمير قال: أخبرني علي الأسوري قال: كان ليحيى بن خالد مجلس بديره يحضوه المتكلمون من كل فرقة يوم الأحد، فيتناظرون في أديانهم، يحتج بعض على بعض، فبلغ ذلك الرشيد، فقال ليحيى: يا عباسي ما هذا المجلس الذي بلغني في مؤلك يحضوه المتكلمون؟ قال: ما شيء رفعتني به الخليفة وبلغ بي من الكرامة والرفعة أحسن موقعا عندي من هذا المجلس، يحضوه كل قوم مع اختلاف مذاهبهم، فيحتج بعضهم على بعض، ويعرف المحق من بينهم،

(1) آل عمران: 34.

(2) توحيد الصدوق: ص 270 ، راجع قاموس الرجال: ج 9 / 348

الصفحة 347

مذاهبهم.

فقال له الوشيد: أنا أحب أن أحضر هذا المجلس وأسمع كلامهم، على أن لا يعلموا بحضوري فيحتشمون ولا يظهرون مذاهبهم، قال: ذلك إلى الخليفة إن شاء ومتى شاء، قال: فضع يدك على رأسي أن لا تعلمهم بحضوري ففعل ذلك، وبلغ الخبر المعترلة فتشاوروا بينهم، وعزموا أن لا يتكلموا⁽¹⁾ هشاما إلا في الإمامة، لعلمهم بمذهب الوشيد وإنكره على من قال بالإمامة. فحضرُوا وحضر هشام وعبد الله بن يزيد الأباظي، وكان من أصدق الناس لهشام وكان يشركه في المحورة. فلما دخل هشام، وسلم على عبد الله من بينهم، فقال يحيى لعبد الله: كلم هشاما في ما اختلفتم فيه من الإمامة. فقال هشام: أيها الوزير ليس لهُ لاء علينا مسألة ولا جواب.

فقال بنان - وكان من الحرورية -: أنا أسألك يا هشام، أخبرني عن أصحاب علي يوم حكموا الحكمين، كانوا مؤمنين أم

كافرين؟

قال هشام: كانوا ثلاثة أصناف: صنف مؤمنون، وصنف مشركون وصنف ضالون، فأما المؤمنون فمن قال مثل قلبي: إن عليا عليه السلام إمام من عند الله عز وجل ومعوية لا يصلح لها، فأمنوا بما قال الله عز وجل في علي عليه السلام وأقروا به. وأما المشركون فقوم قالوا: علي إمام ومعوية يصلح لها فأشكروا إذ أدخلوا معوية مع علي عليه السلام. وأما الضالون فقوم خرجوا بالحمية والعصبية للقبائل والعشائر، فلم يعرفوا شيئا من هذا وهم جهال. قال: فأصحاب معوية؟

قال: كانوا ثلاثة أصناف: صنف كافرون، وصنف مشركون، وصنف

(1) هكذا في الأصل والظاهر أنه " لا يكلموا "

الصفحة 348

ضالون. أما الكافرون فالذين قالوا: إن معوية إمام وعلي لا يصلح لها فكفروا من جهتين، إذ جحدوا إماما من الله عز وجل ونصوا إماما ليس من الله. وأما المشركون فقوم قالوا: معوية إمام وعلي يصلح لها فأشكروا معوية مع علي عليه السلام. وأما الضالون فعلى سبيل أولئك خرجوا بالحمية والعصبية للقبائل والعشائر. فانقطع بنان عند ذلك.

فقال ضوار: وأنا أسألك يا هشام. قال: أخطأت. قال: ولم؟ قال: لأنكم كلكم مجتمعون على رفع إمامة صاحبي، وقد سألتني

هذا عن مسألة، وليس لكم أن تثنوا علي بالمسألة حتى أسألك يا ضوار عن مذهبك في هذا الباب، فقال ضوار: فسل.

قال: أتقول: إن الله تعالى عدل لا يجور؟

قال: نعم.

قال: فلو كلف الله المقعد المشي إلى المساجد والجهاد في سبيله وكلف الأعمى قاءة المصاحف والكتب أراه كان عادلا؟

قال ضوار: ما كان الله ليفعل ذلك.

قال هشام: قد علمت أن الله لا يفعل ذلك، ولكن ذلك على سبيل الجدل والخصومة.

قال ضوار: لو فعل كان جائرا، قال: فأخبرني عن الله تعالى كلف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه، لا يقبل منهم إلا أن

يأتوا به كما كلفهم، قال: بلى.

قال: فجعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدين، أو كلفهم ما لا دليل لهم على وجوده، فيكون بمقولة من كلف الأعمى قاءة

الكتب والمقعد المشي إلى الجهاد والمساجد، فسكت ضوار ساعة ثم قال: لا بد من دليل وليس كصاحبك.

فتبسم هشام وقال: تشيع شطوك، وصوت إلى الحق ضرورة ولا خلاف

الصفحة 349

بيني وبينك إلا في التسمية.

قال ضوار: فإني أرجع القول عليك في هذا.

قال: هات.

قال: كيف تعتقد الإمامة؟ قال: كما عقد الله النوبة.

قال: فهو إذن نبي؟

قال هشام: لا، لأن النوبة تعتقدها أهل السماء والإمامة تعتقدها أهل الأرض، فعقد النوبة بالملائكة وعقد الإمامة بالنبي صلى

الله عليه وآله والعقدان جميعاً بأمر الله جل جلاله.

قال: فما الدليل على ذلك؟

قال هشام: الاضطراب في هذا.

قال ضوار: وكيف ذلك؟

قال هشام: لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه: إما أن يكون الله عز وجل رفع التكليف عن الخلق بعد الرسول

صلى الله عليه وآله ولم يكلفهم لا يأمرهم ولا ينههم، فصاروا بمقولة السباع والبهائم التي لا تكليف عليها، أفقول هذا يا

ضوار؟

قال: لا.

قال هشام: فالوجه الثاني: ينبغي أن الناس المكلفين استحلوا بعد الرسول صلى الله عليه وآله، علماً في مثل علم الرسول

صلى الله عليه وآله حتى لا يحتاج أحد إلى أحد؟

قال ضوار: لا أقول هذا أيضا.

قال: فبقي الوجه الثالث: وهو أنه لا بد لهم من عالم يقيمه الرسول لهم لا يسهو ولا يغفل ولا يحيف، معصوم من الذنوب،

موا من الخطايا، يحتاج الناس إليه ولا يحتاج إلى أحد.

الصفحة 350

قال ضوار: فما الدليل عليه؟

قال هشام: ثمان دلالات: أربع في نعت نسبه وأربع في نعت نفسه، فأما الأربع التي وقعت في نعت نسبه: فإنه يكون معروف الجنس، معروف القبيلة، معروف البيت، وأن يكون من صاحب الملة والدعوة إشلة إليه، فلم تر جنسا من هذا الخلق أشهر من جنس العرب الذي منهم صاحب الملة والدعوة الذي ينادى باسمه كل يوم خمس مرات على الصوامع " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله " تصل دعوته إلى كل بر وفاجر وعالم وجاهل مقرر منك في شوق الأرض وغوبها، ولو جاز أن يكون الحجة من الله تعالى على هذا الخلق في غير هذا الجنس لأتى على الطالب الموتاد دهر من عصوه لا يجده، ولجاز أن يطلبه في أجناس من هذا الخلق، ولكان من حيث أراد تعالى أن يكون صلاح يكون فساد، ولا يجوز هذا في حكمته تعالى وعدله أن يفض على الناس فريضة لا توجد، فلما لم يجز ذلك لم يجز أن يكون من غير هذا الجنس لاتصاله بصاحب الملة، ولم يجز من ذلك أن يكون هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لقوب نسبها من صاحب الملة وهو قوبش.

ولما لم يجز أن يكون هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لم يجز أن يكون من هذه القبيلة إلا في هذا البيت لقوب نسبه من صاحب الملة والدعوة، ولما أكثر أهل البيت التشاجر في الإمامة لعوها وشرفها ادعاها كل واحد، فلم يجز إلا أن يكون إليه إشلة من صاحب الملة والدعوة بعينه واسمه ونسبه، لئلا يطمع فيها غيره.

وأما الأربع التي في نعت نفسه: فأن يكون أعلم الناس كلهم بفوائض الله وسنته وأحكامه حتى لا يخفى عليه منها دقيق ولا

جليل، وأن يكون معصوما من الذنوب، كلها وأن يكون أشجع الناس، وأسخى الناس.

فقال عبد الله بن يزيد الأباضي: من أين قلت: إنه أعلم الناس؟



قال: لأنه لو لم يكن عالما بجميع حدود الله وأحكامه وشوايعه وسننه لم يؤمن عليه أن يقلب الحدود، فمن وجب عليه القطع حده ومن وجب عليه الحد قطعه فلا يقيم الله تعالى حداً على أمره، ومن حيث أراد تعالى صلاحاً يقع فساداً.

قال: فمن أين قلت: إنه معصوم من الذنوب؟

قال: لأنه لو لم يكن معصوماً من الذنوب دخل في الخطأ، فلا يؤمن أن يكتم على نفسه ويكتم على حميمه وقريبه، ولا يحتج تعالى بمثله على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنه أشجع الخلق؟

قال: لأنه فئة المسلمين الذين يرجعون إليه في الحرب، وقد قال تعالى:

"ومن يولهم يومئذ دونه إلا متحرفاً لقتال أو متحزواً إلى فئة فقد باء بغضب من الله" فإن لم يكن شجاعاً يوء بغضب من الله، ولا يجوز أن يكون من يوء بغضبه حخته على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنه أسخى الناس؟

قال: لأنه خلن المسلمين، فإن لم يكن سخياً فقد تافت إلى أموالهم فأخذها فكان خائناً، ولا يجوز أن يحتج الله على خلقه بخائن.

فعند ذلك قال ضوار: فمن بهذه الصفة في هذا الوقت؟ قال: صاحب القصر أمير المؤمنين.

وكان هارون قد سمع الكلام كله، فقال عند ذلك: أعطانا والله من حواب النورة، ويحك يا جعفر - وكان جعفر بن يحيى جالساً معه في الستر - من يعني بهذا قال: يعني به موسى بن جعفر، قال: ما عني به غره، ثم عض على شفتيه، وقال: مثل هذا حي ويبقى لي ملكي ولا ساعة فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من لف سيف، وعلم يحيى أن هشاماً قد أتى فدخل الستر، فقال: يا عباسي ويحك من هذا الرجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين حسبك يكفي يكفي.

ثم خرج إلى هشام فغضه، فعلم هشام أنه قد أتى، فقام يوههم أنه يبول

ويقضي حاجة، فلبس نعله وانسل ومر من وقته نحو الكوفة وتول على بشير النبال - وكان من حملة الحديث من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام - فأخوه الخبر، ثم اعتل علة شديدة، فقال له بشير: آتيك بطبيب؟ قال: لا أنا ميت...⁽¹⁾

(532)

مؤمن الطاق وأبو حنيفة

عن محمد بن جعفر الأسامي: كان أبو حنيفة يتهم شيطان الطاق بالوجعة، وكان شيطان الطاق يتهم أبا حنيفة بالتناسخ، فخرج أبو حنيفة يوماً إلى السوق فاستقبله شيطان الطاق ومعه ثوب يريد بيعه، فقال له أبو حنيفة: أتبيع هذا الثوب إلى رجع

علي، فقال: إن أعطيتني كفيلا أن لا تمسخ قودا بعثك، فبهت أبو حنيفة .

(533)

المقطع العامري ومعلوية

لما كان عام الجماعة [و] بايع الناس معلوية، سأل عن المقطع العامري حتى قول عليه فدخل عليه، فإذا هو شيخ كبير، فلما رآه قال: لوه لولا أنك في هذا الحال، ما أفلتني، قال: نشدتك الله إلا قتلتنني ورحتني من بؤس الحياة، وأدنيتهني إلى لقاء الله. قال: أني لا أقتلك، وإن لي إليك حاجة. قال: فما حاجتك؟ قال: جئت لأؤاخيكم، قال: إنا وإياكم قد افترقنا في الله، أما أنا فأكون على حالي حتى يجمع الله بيننا في الآخرة. قال: فزوجني ابنتك. قال: قد منعك ما هو أهون علي من ذلك. قال: فاقبل مني صلة. قال: فلا حاجة لي في ما قبلك، فتركه فلم يقبل منه شيئا⁽³⁾.

(1) قاموس الرجال: ج 9 / 337، وقد مر قريب منه.

(2) قاموس الرجال: ج 9 / 215، وقد مر بلفظ آخر.

(3) وقعة صفين لنصر: ص 278 ، ط مصر الثانية وقاموس الرجال: ج 9 / 117 عنه

(534)

المقداد بن عمرو ومنلوي علي عليه السلام

روى بعضهم قال: دخلت مسجد رسول الله فأيت رجلا جاثيا على ركبتيه يتلهف تلهف من كأن الدنيا كانت له فسلبته، وهو يقول: واعجبا لقويش ودفعهم هذا الأمر على أهل بيت نبيهم وفيهم أول المؤمنين وابن عم رسول الله أعلم الناس وأفقههم في دين الله وأعظمهم عناء في الإسلام وأبصوهم بالطريق وأهداهم للصراط المستقيم، والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقي، وما رأوا إصلاحا للأمة ولا صوابا في المذهب، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة فبعدا وسحقا للقوم الظالمين. فدنوت منه فقلت: من أنت يرحمك الله، ومن هذا الرجل؟ فقال: أنا المقداد ابن عمرو وهذا الرجل علي بن أبي طالب. قال: فقلت: ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه؟ فقال: يا ابن أخي إن هذا الأمر لا يجزي فيه الرجل ولا الرجلان، ثم خرجت فلقيت أبا ذر فذكوت له ذلك، فقال: صدق أخي المقداد...⁽¹⁾.

(535)

صعصة والمغرة

في الطوي: إن صعصة لما قال للمغرة: إبعثني إلى المستورد الخرجي قال له: اجلس فإنما أنت خطيب، فكان أحفظه

ذلك، وإنما قال له ذلك، لأنه بلغه أنه يعيب عثمان، ويكثر ذكر علي عليه السلام ويفضله، وقد كان دعاه فقال: إياك أن يبلغني عنك أنك تظهر من فضل علي شيئاً علانية، فإنك

(1) تاريخ اليعقوبي: ج 2 / 153 ، وقاموس الرجال: ج 9 / 113 عنه ولعله رواية أخرى مما مر ج 1 ص 62 و ج 2 ص 17، فراجع أيضا قاموس: ج 9 / 53، والغدير: ج 9 / 115

الصفحة 354

لست بذاكر من فضل علي شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس فنحن ندع كثراً مما أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد بداً منه، ندافع به هـؤلاء القوم عن أنفسنا، فإن كنت ذاكراً فضله فاذكروه بينك وبين أصحابك وفي منزلكم سوا.... الخ (1).

(536)

المأمون وإبراهيم بن المهدي.

في مروج المسعودي: كان المأمون يظهر التشيع وإبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة التسنن فقال المأمون:

إذا العرجي سوك أن تراه * يموت لحينه من قبل موته

فجدد عنده ذكوى علي * وصل على النبي وآل بيته

فأجابه ابن شكلة راداً عليه.

إذا الشيعي جمجم في مقال * فسوك أن يوح بذات نفسه

فصل على النبي وصاحبيه * وزويه وجليه بـرمسه (2)

(537)

سليمان بن محمد والمأمون

في شرح النهج: أمر المأمون بإشخاص سليمان بن محمد الخطابي من البصرة، فلما مثل بين يديه قال له: " أنت القائل:

الواق عين الدنيا، والبصرة عين الواق، والمريد عين البصرة، ومسجدي عين المريد، وأنا عين مسجدي، وأنت أعور فإن

عين الدنيا عراء ؟" قال: لم أقل ذلك ولا أظن أنك أحضوتني لذلك قال: بلغني أنك أصبحت هوجدت على سارية من سوري

مسجدك:

(1) قاموس الرجال: ج 9 / 88، وبهج الصباغة: ج 11 / 269، و ج 4 / 685 عن الطبري.

(2) قاموس الرجال: ج 10 / 350

الصفحة 355

"رحم الله عليا إنه كان تقيا " فأموت بمحوه، قال: كان " لقد كان نبيا " فأموت بـإلته، فقال له المأمون، كذبت كانت القاف أصح من عينك الصحيحة، والله لو لا أن أقيم لك عند العامة سوفا لأحسننت تأديبك ⁽¹⁾ .

(538)

ابن أم كلاب وعائشة

في الطوي: أن عائشة لما أخبرت بقتل عثمان وبيعة الناس مع أمير المؤمنين عليه السلام انصرفت من سوف إلى مكة وهي تقول: قتل عثمان والله مظلوما والله لأطلبن بدمه.

فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟! فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر.

قالت: إنهم استنابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول.

فقال لها ابن أم كلاب:

منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أموت بقتل الإمام * وقلت لنا: إنه قد كفر

فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر

ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم تتكسف شمسنا والقمر

وقد بايع الناس ذا ثور * يزيل الشبا ويقيم الصعر

ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفي مثل من قد غدر

فقالت له: والله ليت أن هذه - أي السماء - انطبقت على هذه - أي الأرض إن تم الأمر لصاحبك ⁽²⁾ .

(1) قاموس الرجال: ج 10 / 350.

(2) (قاموس الرجال: ج 10 / 237، وبهج الصباغة: ج 6 / 410 عن الطوي و ج 6 / 121، والإمامة والسياسة: ج 1 /

49 و 50

الصفحة 356

(539)

أبو قتادة وعائشة

روى الخطيب: أن أبا قتادة نقل لعائشة قتل أمير المؤمنين عليه السلام الخورج والمحزج - إلى أن قال: - فقالت عائشة:

ما يمنعني ما بيني وبين علي أن أقول الحق، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: " تفرق أمتي على فترتين تحرق بينهما

فوقة مخلوق رؤوسهم، محفون شول بهم، أرهم إلى أنصاف ساقهم، يؤلون القآن لا يتجاوزوا قايهم، يقتلهم أحبهم إلي

وأحبهم إلى الله تعالى .

قال أبو قتادة: فقلت: يا أم المؤمنين فأنت تعلمين هذا فلم كان الذي منك.
قالت: يا أبا قتادة وكان أمر الله قروا مقبورا ⁽¹⁾ .

(540)

الرقبي وأبو غيث

وجدت في كتاب للسيد الخوازي ما لفظه: أبو عبد الله الرقي قال: لقيت أبا غيث الاصبهاني - وكان من أصحاب ضوار - فقلت له: ما حجتك على من خالفك؟

فقال: الإجماع.

فقلت، لم يفهم المسألة، فأعدتها عليه ثلاث موات كل ذلك يقول: الإجماع، فقلت له: لم تفهم.
قال: وكيف؟ قلت: إنني سألتك الحجة على من خالفك ولو كان الإجماع لم يخالفك أحد.
فقال: ردها عليك فقال: ما حجتك على من خالفك؟

(1) قاموس الرجال: ج 10 / 165، وبهج الصباغة: ج 6 / 414 و ج 4 / 679 عن تاريخ بغداد

الصفحة 357

قلت: رجل مأمون معصوم مطهر عالم، لا يضل ولا يضل، ولا يخطئ ولا يجهل، الناس محتاجون إليه وهو غني عنهم،
لما جعل الله عنده من العلم والفضل.
فقال: هذا لا يوجد في الأمة.
فقلت: أليس إذا كان مثل هذا في الأمة فهو أصلح لها؟
فقال: بلى ولكنه لا يوجد.

فقلت: وما يترك أنه لا يوجد وفيه صلاح الخلق، وأنت لم تمتحن الخلق جميعا، ولم تطف واو لا بواو لا سهلا ولا جبلا
ولا عرفت الخيار من الشوار، فمن أين دفعته وأنت جاهل بالخلق؟ ⁽¹⁾

(541)

أبو عدي وبنو أمية

روى الأغاني ⁽²⁾ عن ابن عائشة قال: كان أبو عدي يكره ما يجري عليه بنو أمية من ذكر علي صلوات الله عليه وسبه
على المنابر، ويظهر الإنكار لذلك، فشهد عليه قوم من بني أمية بمكة بذلك، ونهوه عنه، فانتقل إلى المدينة وقال:
شربوا بي عند امتداحي عليا * ورأوا ذاك في داء دوبا

فوري ما أروح الدهر حتى * تختلي مهجتي بحبي عليا
وبنيه لحب أحمد أني * كنت أحببتهم بحبي النبيا
(3) حب دين لا حب دنيا وشر * الحب حب يكون دنيا

(1) قاموس الرجال: ج 10 / 155.

(2) هكذا في المصدر والصحيح: روي في الأغاني.

(3) قاموس الرجال: ج 10 / 131

الصفحة 358

(542)

ثمامة وأبو العتاهية

روي: أن ثمامة كان في مجلس بعض الخلفاء، والتمس أبو العتاهية مناظرته فأذن له، فحرك أبو العتاهية يده وقال: من

حرك هذه؟

فقال ثمامة: حركها من أمه زانية. فقال أبو العتاهية: شتمني في مجلسك.

(1)

فقال ثمامة: ترك مذهبه، زعم أن الله حركها فلأي شيء غضب؟

(543)

رجل من أصحاب علي ومعوية

أسر معاوية يوم صفين رجلا من أصحاب علي عليه السلام، فلما أقيم بين يديه قال: الحمد لله الذي أمكن منك.

قال: لا تقل ذلك فإنها مصيبة.

قال: وأية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفوني ورجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي، اضربا عنقه.

فقال: اللهم إشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأنك ترضى قتلي، ولكن قتلني في الغلبة على حطام الدنيا، فإن فعل فافعل به

ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله.

(2)

فقال له معاوية: قاتلك الله لقد سببت فلو جعت في السب، ودعوت فأبلغت في الدعاء، خليا سبيله .

(544)

صعصعة ورجل

في البيان: خرج صعصعة إلى مكة، فلقيه رجل، فقال: يا عبد الله كيف

(1) قاموس الرجال: ج 10 / 129 وسيأتي في ج 3 ص 232. وقد مر ص 330 عن الناشي.

(2) بهج الصباغة: ج 11 / 304 عن العيون

الصفحة 359

توكت الأرض؟ قال: عريضة رِيضة.

قال: إنما عنيت السماء. قال: فوق البشر ومد البصر..

قال: سبحان الله، إنما رُدت السحاب، قال: تحت الخضواء وفوق الغواء.

قال: إنما أعني المطر، قال: قد عفى الأثر، وملاً القتر، وبل الوبر، ومطوا حي المطر.

قال: إنسي أنت أم جني؟ قال: بل إنسي من أمة رجل مهدي⁽¹⁾.

(545)

أبو ذر وموليا عثمان

رُسل عثمان إلى أبي ذر موليين له، ومعهما مائتي دينار وقال لهما: قولا له:

عثمان يقروك السلام ويقول لك: هذه مائتا دينار، فاستعن بهما على ما نابك.

فقال لهما أبو ذر: هل أعطى أحدا من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالوا: لا.

قال: فإنما أنا رجل من المسلمين يسعني ما يسعهم.

قالوا: إنه يقول: هذا من صلب مالي، والله الذي لا إله إلا هو ما خالطهما حرام.

فقال لهما: لا حاجة لي فيها، وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس فقالا له: ما زى في بيتك قليلا ولا كثيرا.

فقال: بلى تحت هذا الإكاف الذي ترون رغيفا شعير قد أتى عليهما أيام، فما أصنع بهذه الدنانير، لا والله حتى يعلم أني لا

أقدر على قليل ولا كثير، وقد أصبحت غنيا، ولأية علي بن أبي طالب وعترته الهادين المهديين الراضين الموضيين الذين

يهنون بالحق وبه يعدلون، كذلك سمعت النبي صلى الله

(1) بهج الصباغة: ج 11 / 301

الصفحة 360

عليه وآله يقول: وإنه لقبيح بالشيخ أن يكون كذابا. ثم قال لهما: فوداها عليه وأعلماه أنه لا حاجة لي فيها حتى ألقى الله ربي

(1)

فيكون هو الحاكم بيني وبينه.

(546)

إبراهيم بن العباس وإسحاق بن إبراهيم

في المروج: ذكر رجل من الكتاب أن إسحاق بن إواهيم - أخازيد بن إواهيم - حدثه أنه كان يتقلد الصيورة والسيروان، وأن إواهيم بن العباس اجتاز به يريد خراسان والمأمون بها وقد بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضا عليه السلام، وقد امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل علي عليهم السلام، وأنهم أحق بالخلافة من غوهم، فاستحسن القصيدة وسأله أن ينسخها لي ففعل، ووهبت له ألف درهم وحملته على دابة، وضرب الدهر من ضربه إلى أن ولي إواهيم ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك - وكنت أحد عمال موسى - وكان يحب أن يكشف أسباب موسى، فغولني وأمرني أن تعمل مؤامرة، فعملت وكثر علي فيها فحضرت للمناظرة عنها، فجعلت أحتج بما لا يدفع فلا يقبله ويحكم لي الكتاب فلا يلتفت إلى حكمهم، ويسمعني في خلال ذلك بدعا من الكلام، إلى أن أوجب علي الكتاب اليمين على باب من الأبواب فحلفت عليه فقال:

ليست يمين السلطان عندك يمينا لأنك رافضي.

فقلت له: أتأذن لي في الدنو منك؟ فأذن لي، فقلت: ليس مع تعريضك بمهجتي للقتل صبر وها هو المتوكل إن كتبت إليه بما أسمع منك لم آمنه على نفسي، وقد احتملت كل ما جرى سوى الوفض، والوافضي من زعم أن عليا - عليه السلام - أفضل من العباس، وأن ولده - عليه السلام - أحق بالخلافة من ولد العباس.

(1) بهج الصباغة: ج 11 / 35 عن رجال الكشي

الصفحة 361

قال: ومن ذلك؟ قلت: أنت، وخطك عندي به، وأخبرته بالشعر، فوالله ما هو إلا أن قلت ذلك له حتى سقط في يده، ثم قال: أحضر الدفتر الذي بخطي:

فقلت له: هيهات لا والله أو توثق لي بما أسكن إليه إنك لا تطالبني بشئ مما جرى على يدي، وتخرق هذه المؤامرة، ولا تنظر لي في حساب. فحلف لي على ذلك، وخرق العمل المعمول وأحضرت الدفتر، فوضعه في خفه وانصرفت، وقدرالت عني المطالبة⁽¹⁾.

(547)

ابن عباس ومعلوية

حكى أن معلوية سألت ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام، فقال:

هيهات عقم النساء أن يأتين بمثله، والله ما رأيت رئيسا مجربا يوزن به، لقد رأيت في بعض أيام صفين وعلى رأسه عمامة بيضاء تروق وقد رُخى طرفيها على صدره وظهره، وكأن عينيه سواجا وهاجا من سليط، وهو يقف على كتيبة حتى انتهى إلي وأنا في كثف من القوم وهو يقول: " معاشر المسلمين استشعروا الخشية - إلى أن قال: - ولن يتوكم أعمالكم، وزاد وأنشأ يقول:

إذ المشكلات تصدين لي * كشفت غوامضها بالنظر

وإن برقت في مخيل الظنون * عمياء لا تجليها الفكر
مقنعة بغيوب الأمور * وضعت عليها حسام العبر
معي أصمعي كظبي الوهفات * أؤي به عن بنات السرر
لسان كشقشة الأرحبي * أو كالحسام اليماني الذكر
ولست بأمعة في الرجال * السائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مودة الاصغرين * أقيس بما قد مضى ما غير

(1) بهج الصباغة: ج 10 / 74

الصفحة 362

(1) ثم غاب عني ثم رأيتَه قد أقبل وسيفه ينطف دما وهو يوقأ " قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلمهم ينتهون " .

(548)

كميل والحجاج

روي أنه جاء كميل إلى الحجاج يأخذ عطاءه، فقال له: أنت الذي فعلت بعثمان - وكلمه بشئ - فقال له كميل: لا تكثر علي اللوم، ولا تهل علي الكتيب وما ذاك رجل لطمني فأصوني فعفوت عنه فأينا كان المسيء؟ فأمر بضرب عنقه (2) .

(549)

عمار ومحمد بن أبي بكر وأبو موسى

(لما بعث علي عليه السلام في مسوّه إلى الجمل عمرا ومحمد بن أبي بكر إلى أهل الكوفة) وكان أبو موسى عاملا لعثمان على الكوفة، فبعثهما علي إليه وإلى أهل الكوفة يستنفوهم، فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر، فدعوا الناس إلى النصوة لعلي، فلما أمسوا دخل رجال من أهل الكوفة على أبي موسى، فقالوا: ما ترى؟ أتخرج مع هذين الرجلين إلى صاحبهما، أم لا؟

فقال أبو موسى: أما سبيل الآخرة ففي أن تؤموا بيوكم، وأما سبيل الدنيا فالخروج مع من أتاكم، فأطاعوه، فتباطأ الناس على علي، وبلغ عمرا ومحمدا ما أشار به أبو موسى على أولئك الوهط، فأتياه فأغلظا له في القول.
قال أبو موسى: إن بيعة عثمان في عنقي وعنق صاحبكم، ولئن أردنا القتال ما لنا إلى قتال أحد من سبيل حتى نؤغ من قتلة عثمان.

(1) بهج الصباغة: ج 10 / 170 - 171 عن خصائص السيد الرضي (ره).

(2) بهج الصباغة: ج 10 / 214

ثم خرج أبو موسى، فصعد المنبر، ثم قال: أيها الناس: إن أصحاب رسول الله الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه، وإن لكم حقا علي أؤديه إليكم، إن هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان، والقاعد خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي، والساعي خير من الراكب، فاغموا سيوفكم حتى تتجلي هذه الفتنة.

فقام عمار بن ياسر: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس: إن أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين، ولعمري ما صدق فيما قال وما رضي الله من عبادته بما ذكر، قال عز وجل: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا" وقال: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" فلم يرض من عبادته بما ذكر أبو موسى من أن يجلسوا في بيوتهم ويخلوا بين الناس فيسفك بعضهم دماء بعض.

فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين واسمعا من حججهم، وانظروا من أولى بالنصوة فاتبعوه، فإن أصلح الله أمرهم رجعتهم مأجورين وقد قضيتهم حق الله، وإن بغى بعضهم على بعض نظرتهم إلى الفئة الباغية فقاتلتوها حتى تفيئ إلى أمر الله، كما أمركم الله، وافترض عليكم، ثم قعد ⁽¹⁾.

(550)

ابن عباس وعمر

عن ابن عباس قال: خرجت مع عمر في بعض أسفله، فإنا لنسير ليلة وقد دنوت منه، إذ ضوب مقدم رحله بسوطه، وقال:

(1) الإمامة والسياسة: ج 1 / 65 - 66. وبهج الصباغة: ج 10 / 242، وقد مر بلفظ آخر ص 238 و ج 6 / 365 - 370

كذبتهم وبيت الله يقتل أحمد * ولما نطاعن دونه ونفاضل
ونسلمه حتى نصوع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال: استغفر الله، ثم سار فلم يتكلم قليلا، ثم قال:

وما حملت من ناقة فوق رحلها * أبر وأوفى ذمة من محمد
وأكسى لورد الخال قبل ابتذاله * وأعطى لرأس السابق المتجرد

ثم قال: استغفر الله، يا ابن عباس ما منع عليا من الخروج معنا؟ قلت:

لا أوي.

قال: يا ابن عباس أبوك عم النبي وأنت ابن عمه، فما منع قومكم منكم؟
قلت: لا أوي.

قال: لكني أوري، يكوون ولايتكم لهم. قلت: لم؟ ونحن لهم كل الخير.

قال: اللهم غوا، يكوون أن تجتمع فيكم النوة والخلافة فيكون بجحا بجحا، لعلكم تقولون: إن أبا بكر فعل ذلك، لا والله ولكن أبا بكر أتى أحرم ما حضوه ولو جعلها لكم ما نفعمكم مع قربكم، أنشدني لشاعر الشواء زهير قوله:

إذا ابتورت قيس عيلان غاية * من المجد من يسبق إليها يسود

(1) فأنشدته وطلع الفجر - الخبر .

(551)

الفزدق وهشام

عن الشعبي، قال: حج الفزدق بعد ما كبر وقد أنت له سبعون سنة، وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام، فأى علي بن الحسين عليه السلام في غمار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي توق أسوة وجهه كأنه مرآة صينية تتأوى فيها عذرى الحي ووجهها؟ فقالوا: هذا علي بن الحسين بن

(1) بهج الصباغة: ج 10 / 299 عن الطبري

الصفحة 365

علي بن أبي طالب - عليهم السلام - فقال الفزدق:

يا سائلي حل الجود والكرم * عندي بيان إذا طلبه قدموا

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم

هذا الذي أحمد المختار والده * صلى عليه إلهي ما حوى القلم

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه * لخر يلثم منه ما وطى القدم

هذا علي رسول الله والده * أمست بنور هداه تهتدي الأمم

هذا الذي عمه الطيار جعفر * والمقتول حزة ليث حبه قسم

هذا ابن سيدة النسوان فاطمة * وابن الوصي الذي في سيفه نغم

إذا رأته قريش قال قائلها * إلى مكرم هذا ينتهي الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

وليس قولك: من هذا؟ بضائه * العرب تعرف من أنكوت والعجم

ينمي إلى نروة العز الذي قصوت * عن نيلها عوب الإسلام والعجم

يغضي حياء ويغضي من مهابته * فما يكلم إلا حين يبتسم

ينجذب نور الدجى عن نور غوته * كالشمس ينجذب عن إشراقها الظلم

بكفه خبيران ريحه عبق * من كف أروع في عونينه شمم

ما قال: " لا " قط إلا في تشهده * ولا التشهد كانت لأوه نعم

مشتقة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشيم

حمال أثقال أقوام إذا فدحوا * حلو الشمائل تحلو عنده نعم

إن قال قال بما يهوى جميعهم * وإن تكلم يومازانه الكلم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا

الله فضله قدما وشرفه * جرى بذاك له في لوحه القلم

من جده دان فضل الأنبياء له * وفضل أمته دانته لها الأمم

الصفحة 366

عم الهوىة بالإحسان وانقشعت * عنها العماية والاملاق والظلم

كلتا يديه غياث عم نفعهما * يستوكفان ولا يعرفهما عدم

سهل الخليفة لا تخشى بواوه * يزينه خصلتان: الحلم والكرم

لا يخلف الوعد ميمونا نقييته * رحب الفناء لرب حين يعترم

من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم

يستدفع السوء والبلوى بحبهم * ويسود به الإحسان والنعم

مقدم بعد ذكر الله ذكهم * في كل فوض ومختوم به الكلم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل: من خير أهل الأرض قيل: هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

هم الغيوث إذا ما رمة رُمت * والأسد أسد الشوى والبأس محتدم

يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم * خيم كريم وأيد بالندى هضم

لا يقبض العسر بسطا من أكفهم * سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا

أي القبائل ليست في رقابهم * لأولية هذا أو له نعم؟

من يعرف الله يعرف أولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الأمم

بيوتهم في قريش يستضاء بها * في النائبات وعند الحكم إن حكموا

فجده من قريش في أرومتها * محمد وعلي بعده علم

بدر له شاهد والشعب من أحد * والخندقان ويوم الفتح قد علموا

وخيبر وحنين يشهدان له * وفي قريضة يوم صيلم قتم
مواطن قد علت في كل نائبة * على الصحابة لم أكرم كما كنتموا
فغضب هشام ومنع جأوته وقال: ألا قلت فينا مثلاً؟

قال: هات جدا كجده وأبا كأبيه وأما كأمه حتى أقول فيكم مثلاً، فحبسوه بعسفان بين مكة والمدينة، فبلغ ذلك علي بن
الحسين عليهما السلام فبعث إليه باثني عشر ألف درهم وقال: إعرنا يا أبا فاس، فلو كان عندنا أكثر
الصفحة 367

من هذا لوصلناك به، فودها وقال: يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت إلا غضبا لله ولرسوله، ما كنت لأزراً عليه شيئاً،
فودها إليه وقال: بحقي عليك لما قبلتها، فقد رأى الله مكانك وعلم نيتك، فقبلها، فجعل الفزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس
فكان مما هجاه به قوله:

أحبسني بين المدينة والتي * إليها قلوب الناس يهوى منيها
يقرب رأساً لم يكن رأس سيد * وعينا له هواء باد عيوبها
(1) فأخبر هشام بذلك فأطلقه .

(552)

أبو ذر وعثمان

روى الثقيفي في تربيته عن ابن عباس قال: استأذن أبو ذر على عثمان فأبى

(1) أقول، نقل هذه القصة صاحب البحار: ج 46 / 124 - 128 عن المناقب: ج 3 / 306 وعن حلية الأولياء: ج 3 / 139، والأغانى: ج 14 / 75
و ج 19 / 40 ط الساسي بمصر وفي تعليقه على الاختصاص للمفيد (ره): 191، وكشف الغمة: ج 2 / 267، وعيون المعجزات: ص 63،
وصفة الصفوة: ج 2 / 54 وطبقات الشافعية للسبكي: ج 1 / 153، وشذرات الذهب: ج 1 / 142، ومروءة الجنان للياضي:

ج 1 / 239 ، وابن عساكر في ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام، وابن خلكان في ترجمة الفزدق ومطالب السؤل:
ص 79 ط اوان، والفصول المهمة: ص 193 ط نجف، وتذكرة الخواص: ص 185 ط اوان، وحياة الحيوان للدموي: كلمة
" أسد "، وشوح شواهد المغني: ص 249، وكفاية الطالب:

ص 303 ، وشوح ديوان الحماسة للتبرزي: ج 2 / 28 ، والعيني في شوح الشواهد الكوى بهامش حزانة الأدب للبغدادي:
ج 2 / 513 ، وزهر الآداب للقيرواني: ج 1 / 65 ، وشوح رسالة ابن زيدون بهامش الغيث المسج للصفي: ج 2 / 163،
والبداية والنهاية: ج 9 / 108 ، والصواعق: ص 198 ، ونور الأبصار:

ص 129 ، وديوان الفزدق للصولي: ج 2 / 848 ، ونفس الديوان: ج 1 / 51 (إلى هنا لخصناه من تعليقه البحار).
مراجع بهج الصباغة: ج 9 / 408 ، والروايات مختلفة في عدد الأبيات وألفاظها فراجع، وحقق كي لا تقع في الخطأ كما
وقع بعض الكتاب، ومراجع أيضاً مجمع الزوائد: ج 9 / 200 ، والعقد الفريد:

أي يأذن له، فقال لي: استأذن لي عليه، فوجعت فاستأذنت له قال: إنه يؤذيني، فقلت: عسى أن لا يفعل، فأذن له من أجلي، فلما دخل عليه قال: اتق الله يا عثمان، وجعل يقول: اتق الله، وعثمان يقوده.

فقال أبو ذر: حدثني النبي صلى الله عليه وآله: " أنه يجاء بك وبأصحابك يوم القيامة فتبطحون على وجوهكم، فتمر عليكم البهائم فتطأكم، كلما موت أخاها ردت وألاها، حتى يفصل بين الناس " (1).

(553)

الأشتر وجير

لما رجع جرير - من الشام حين أرسله إلى معاوية لأخذ البيعة منه - إلى علي، كثر قول الناس في التهمة لجرير في أمر معاوية، فاجتمع جرير والأشتر عند علي.

فقال الأشتر: أما والله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خرا لك من هذا الذي رُحى من خناقه، وأقام [عنده] حتى لم يدع بابا يروح روحه (2) إلا فتحه أو يخاف غمه إلا سده فقال جرير: والله لو أتيتهم لقتلوك - وخوفه بعمرو، وذي الكلاع، وحوشب ذي ظليم - (3) وقدزعموا أنك من قتلة عثمان.

فقال الأشتر: لو أتيتهم والله يا جرير لم يعينني جوابها، ولم يثقل علي حملها، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر.

قال: فائتهم إذا.

قال: الآن وقد أفسدتهم ووقع بينهم الشر!

(1) بهج الصبغة: ج 6 / 61.

(2) روحه: أي ما فيه من روح. والروح - بالفتح -: الراحة.

(3) ظليم: بهيئة التصغير، كما في القاموس. وهو حوشب بن طخمة



قال نصر: عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة، عن عامر الشعبي قال: اجتمع جرير والأشتر عند علي، فقال الأشتر:

أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً، وأخوتك بعدلته وغشه؟

وأقبل الأشتر يشتمه ويقول: يا أبا بجيلة، إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان، والله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حياً إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يداً بمسورك إليهم، ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم. وأنت والله منهم، ولا رى سعيك إلا لهم، ولئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه، حتى تستبين هذه الأمور، ويهلك الله الظالمين. قال جرير: وددت والله أنك كنت مكاني بعثت إذا والله لم توجع.

قال: فلما سمع جرير ذلك لحق بققيسيا...

وقال الأشتر فيما كان من تخويف جرير إياه بعمره وحوشب ذي ظليم وذو الكلاع:

لعمرك يا جرير لقول عمرو * وصاحبه معاوية الشامي
وذو كلع وحوشب ذي ظليم * أخف علي من زف النعام
إذا اجتمعوا علي فخلي عنهم * وعن باز مخالبه نوام
فلست بخائف ما خوفوني * وكيف أخاف أحلام النيام
وهمهم الذين حاموا عليه * من الدنيا وهمي ما أمامي
فإن أسلم أعمهم بحرب * يشيب لهولها رأس الغلام
وإن أهلك فقد قدمت أمرا * أفوز بفلجه يوم الخصام
(1) وقد زلوا إلي ولوعوني * ومن ذا مات من خوف الكلام

(1) وقعة صفين لنصر: ص 59 - 61، وراجع بهج الصباغة: ج 6 / 20 عن الطبري

(554)

عمار وعثمان

ذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف عثمان من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسنة صاحبيه، وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم نوا القوي واليتامي والمساكين، وما كان من تطوله في البنيان حتى عوا سبع دور بناها بالمدينة: درا لنائلة، ودرا لعائشة - ابنته - وغوها من أهله وبناته، وبناء مروان القصور بذي خشب وعملة الأموال بها من الخمس الواجب لله ورسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية أحداث وغلبة لا صحبة لهم من الرسول، ولا تجربة لهم بالأمور، وما كان

من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح - وهو أمير عليها سكون - أربع ركعات ثم قال لهم: إن شئتم أن أريكم الصلاة زدكم، وتعطيله إقامة الحد عليه، وتأخيره ذلك عنه، وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشبههم، واستغنى وأبى عن رأيهم، وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة، وما كان من إوله القطائع والأزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه الصلاة والسلام ثم لا يغزون ولا يذبون، وما كان من مجلوزته الخيزران إلى السوط، وأنه أول من ضوب بالسياط ظهور الناس، وإنما كان ضوب الخليفين قبله بالوة والخيزران.

ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشوة، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار، حتى بقي وحده فمضى حتى جاء دار عثمان، فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات، فدخل عليه

الصفحة 371

وعنده مروان بن الحكم وأهله من بني أمية، فدفع إليه الكتاب فؤاه، فقال له:

أنت كتبت هذا الكتاب؟

قال: نعم.

قال: ومن كان معك؟

قال: معي نفر تغفروا فؤا منك.

قال: من هم؟

قال: لا أخبرك بهم.

قال: فلم اجترأت علي من بينهم؟

فقال مروان: يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود - يعني عمرا - قد حوأ عليك الناس، وأنت إن قتلتته نكلت به من وراءه.

قال عثمان: اضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه، فغشي عليه فجروه حتى طحروه على باب الدار،

فأموت به أم سلمة - زوج النبي عليه الصلاة والسلام - فأدخل مقر لها ⁽¹⁾.

(555)

ابن عباس وعثمان

ذكروا أن ابن عباس قال: خرجت إلى المسجد فإني لجالس فيه مع علي حين صليت العصر إذ جاء رسول عثمان يدعو

عليًا، فقال علي: نعم، فلما أن ولى الرسول أقبل علي فقال: لم تراه دعاني؟ قلت له: دعاك ليكلمك، فقال: انطلق معي، فأقبلت

فإذا طلحة والزبير وسعد وأناس من المهاجرين، فجلسنا فإذا عثمان عليه ثوبان أبيضان، فسكت القوم، ونظر بعضهم إلى

بعض، فحمد الله عثمان، ثم قال:

أما بعد فإن ابن عمي معاوية هذا قد كان غائبا عنكم وعما نلتُم مني، وما عاتبتكم عليه وعاتبتُموني، وقد سألتني أن يكلمكم وأن يكلمه من أراد.

فقال سعد بن أبي وقاص: وما عسى أن يقال لمعاوية أو يقول إلا ما قلت أو قيل لك؟!

فقال: على ذلكم تكلم يا معاوية، فحمد الله وأثنى عليه - إلى أن قال: - قال:

ثم خرج القوم وأمسك عثمان ابن عباس، فقال له عثمان: يا ابن عمي ويا ابن خالتي، فإنه لم يبلغني عنك في أهوي شيء أحبه ولا أكرهه علي ولا لي، وقد علمت أنك رأيت بعض ما رأى الناس، فمنعك عقلك وحلمك من أن تظهر ما أظهرُوا، وقد أحببت أن تعلمني رأيك فيما بيني وبينك فأعتر.

قال ابن عباس: فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك قد ابتليتني بعد العافية، وأدخلتني في الضيق بعد السعة، ووالله إن رأيي لك أن يجلسنك ويعرف قورك وسابقتك، والله لو ددت أنك لم تفعل ما فعلت مما ترك الخليفان قبلك، فإن كان شيئا تركاه لمارأيا أنه ليس لهما علمت أنه ليس لك، كما لم يكن لهما، وإن كان ذلك لهما، فتركاه خيفة أن ينال منهما مثل الذي ينل منك، تركته لما تركاه له، ولم يكونا أحق بإكرام أنفسهما منك بإكرام نفسك.

قال: فما منعك أن تشير علي بهذا قبل أن أفعل ما فعلت؟

قال: وما علمي أنك تفعل ذلك قبل أن تفعل؟

(1)

قال: فهب لي صمتا حتى ترى رأيي .

* * *

(556)

ابن عباس وطلحة

في جمل المفيد: لما أرسل عليه السلام - يعني عليا عليه السلام - ابن عباس مع مصحف إلى طلحة والزبير وعائشة

يدعوهم إلى ما فيه، نادى طلحة: ناجزوا القوم فإنكم لا تقولون لحجاج ابن أبي طالب.

(1)

قال ابن عباس: فقلت يا أبا محمد أبالسيف تخوف ابن أبي طالب، أما والله ليعاجلنك السيف .

الأحنف والزبير

قال الزبير لعبد الله بن عامر: من رجال البصوة؟ قال: ثلاثة كلهم سيد مطاع: كعب بن سور في اليمن، والمنذر بن ربيعة في ربيعة، والأحنف بن قيس في مضر، فكتب طلحة والزبير إلى... الأحنف بن قيس: أما بعد فإنك وافد عمر وسيد مضر وحليم أهل العواق، وقد بلغك مصاب عثمان، ونحن قادمون عليك والعيان أشفى لك من الخبر، والسلام.

... وكتب الأحنف إليهما: أما بعد، فإنه لم يأتنا من قبلكم أمر لا نشك فيه إلا قتل عثمان، وأنتم قادمون علينا، فإن يكن في العيان فضل نظرنا فيه ونظرتهم، وإلا يكن فيه فضل فليس في أيدينا ولا في أيديكم ثقة، والسلام⁽²⁾.

عمران وأبو الأسود مع طلحة والزبير وعائشة

ذكروا أن طلحة والزبير لما زلا البصوة، قال عثمان بن حنيف: نعذر

(1) راجع بهج الصباغة: ج 6 / 132.

(2) الإمامة والسياسة: ج 1 / 58 وبهج الصباغة ج 6 / 137

الصفحة 374

إليهما وجلين، فدعا عمران بن الحصين - صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله - وأبا الأسود النؤلي فرسلهما إلى طلحة والزبير، فذهبا إليهما، فناديا: يا طلحة، فأجابهما، فتكلم أبو الأسود النؤلي فقال:

يا أبا محمد: إنكم قتلتم عثمان غير مؤمرين لنا في قتله، وبايعتم عليا غير مؤمرين في بيعته، فلم نغضب لعثمان إذ قتل، ولم نغضب لعلي إذ بويع، ثم بدا لكم، فرددتم خلع علي، ونحن على الأمر الأول، فعليكم المخرج مما دخلتم فيه.

ثم تكلم عمران فقال: يا طلحة: إنكم قتلتم عثمان، ولم نغضب له إذ لم تغضوا، ثم بايعتم عليا، وبايعنا من بايعتم، فإن كان قتل عثمان صوابا فمسيروكم لماذا؟ وإن كان خطأ فحظكم منه الأوفر، ونصيبيكم منه الأوفى.

فقال طلحة: يا هذان إن صاحبكما لا يرى أن معه في هذا الأمر غوه، وليس على هذا بايعناه، وأيم الله ليسفكن دمه.

فقال أبو الأسود: يا عمران: أما هذا فقد صوح أنه إنما غضب للملك.

ثم أتيا الزبير فقالا: يا أبا عبد الله. إنا أتينا طلحة.

قال الزبير: إن طلحة وإياي كروح في جسدين، وإنه والله يا هذان، قد كانت منا في عثمان فلتات، احتجنا فيها إلى المعاذير، ولو استقبلنا من أمونا ما استدبرنا نصرناه.

ثم أتيا فدخلوا على عائشة، فقالا: يا أم المؤمنين، ما هذا المسير؟ أمعك من رسول الله به عهد؟

قالت: قتل عثمان مظلوما، غضبنا لكم من السوط والعصا، ولا نغضب لعثمان من القتل!.

فقال أبو الأسود: وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا؟
فقالت: يا أبا الأسود بلغني أن عثمان بن حنيف يريد قتالي.

الصفحة 375

(1)
فقال أبو الأسود: نعم والله قتالا أهونه تنذر منه الرؤوس .

(559)

ابن عياش وعبد الله الزبوي

في تزيخ بغداد: دخل أبو بكر بن عياش على موسى بن عيسى وهو على الكوفة، وعنده عبد الله بن مصعب الزبوي، فأدناه، ودعا له بتكاء فاتكأ وبسط رجله.

فقال عبد الله بن مصعب لموسى: من هذا الذي دخل ولم نستأذن له ثم اتكأته وبسطته؟

قال: هذا فقيه الفقهاء، والرأس عند أهل البصرة، أبو بكر بن عياش.

فقال: فلا كثير ولا طيب ولا مستحق لكل ما فعلته به.

فقال ابن عياش: أيها الأمير من هذا الذي سأل عني بجهل ثم تتابع في جهله بسوء قول وفعل - فنسبه له - فقال له ابن

عياش: اسكت مسكتا فبأبيك غدر ببيعتنا، وبقول الزور خرجت أمانا، وبابنه هدمت كعبتنا، وبك أهرى أن يخرج الدجال فينا.

فضحك موسى حتى فحص برجله، وقال للزبوي: أنا والله أعلم أنه يحوط أهلك وأباك ويؤلاه ولكنك مشؤوم على آبائك

(2)

(560)

جلية بن قدامة مع عائشة

أقبل جليلة بن قدامة السعدي إلى عائشة يوم الجمل فقال لها: لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل

الملعون عرضة للسلاح، أنه

(1) الإمامة والسياسة: ج 1 / 61، وقد مر ص 34 بنحو آخر، وراجع الغدير ج 9 / 107 عنه.

(2) بهج الصباغة: ج 6 / 359

الصفحة 376

قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت ستوك وأبحت حرمتك، أنه من رأى قتالك يرى قتلك، إن كنت أتيتنا طائعة فلرجعي

(1)
إلى متولك، وإن كنت أتيتنا مستكوهة فاستعني بالناس .

(561)

أم أوفى مع عائشة

دخلت أم أوفى العبدية - بعد الجمل - على عائشة، فقالت: يا أم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابنا لها صغوا؟ قالت: وجبت لها النار.

قالت فما تقولين في امرأة قتلت من ولادها الأكابر عشرين ألفا في صعيد واحد؟ قالت: خنوا بيد عنوة الله (2).

(562)

ابن عباس وعائشة

وفي أمالي الشيخ الحديث بأسانيد عن ابن عباس في وصية الحسن عليه السلام ودفنه - إلى أن قال: - قال: ابن عباس فإذا أنا بعائشة في أربعين راكبا على بغل موحل تقدمهم، وتأمرهم بالقتال، فلما رأتني قالت: إلي إلي يا ابن عباس لقد اجتأتم علي في الدنيا تؤنوني مرة بعد أخرى، تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب.

فقلت: واسوأته يوم على بغل ويوم على جمل تريدان أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله، وتحولي بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين حبيبه أن يدفن معه، رجعي فقد كفى الله المؤونة، ودفن الحسن عليه السلام إلى جنب أمه، فلم يزد من الله إلا قوبا وما لددتم منه والله إلا بعدا، يا سوأته انصوفي

(1) بهج الصباغة: ج 6 / 359 - 360، وروضة المؤمنين / 135 عن الإمام علي صوت العدالة الإنسانية.

(2) بهج الصباغة: ج 6 / 387 عن العقد وروضة المؤمنين / 137 برواية أخرى عن زهر الوبيع

الصفحة 377

فقد رأيت ما سرك.

فقطبت في وجهي ونادت بأعلى صوتها: ما نسيتم الجمل يا ابن عباس، إنكم لنوي أحقاد.

فقلت: أم والله ما نسيه أهل السماء فكيف ينسأه أهل الأرض، فانصرفت وهي تقول:

(1) فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

(563)

امراة وابن الجوزي

قال ابن الجوزي يوما على المنبر: سلوني قبل أن تفقوني، فسألته امرأة عمار:

روي أن عليا - عليه السلام - سار في ليلة إلى سلمان، فجذوه ورجع.

فقال: روي ذلك.

فقال: فعثمان طرح ثلاثة أيام منبوزا على الزوايل وعلي حاضر.

قال: نعم.

فقالت: قد أئرم الخطأ لأحدهما.

فقال لها: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنة الله، وإلا فعليه.

فقالت له: فعائشة خرجت إلى حرب علي بإذن النبي أو بغير إذنه؟ فانقطع ولم يحر جوابا⁽²⁾.

(564)

زينب وعائشة

قال أبو الفوج في مقاتله: إن عائشة لما جاءها قتل أمير المؤمنين علي عليه

(1) راجع بهج الصباغة: ج 6 / 390.

(2) بهج الصباغة: ج 6 / 395 و ج 5 / 88 ، وروضة المؤمنين / 131

الصفحة 378

السلام سجدت وتمثلت:

فألقت عصاها واستقر بها الفؤى * كما قر عينا بالإياب المسافر

ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من مراد فقالت:

فإن يك نائيا فلقد بغاه * غلام ليس في فيه الزاب

فقالت لها زينب بنت أم سلمة: العلي عليه السلام تقولين هذا؟ فقالت:

إذا نسيت فذكروني، ثم تمثلت:

ما زالت إهداء القصائد بيننا * شتم الصديق وكثرة الألقاب

حتى تركت كأن قولك فيهم * في كل مجتمع طنين ذباب⁽¹⁾

(565)

أم سلمة ومعاوية

كتب معاوية إلى عماله أن يلعنوه - يعني عليا عليه السلام - على المنابر، ففعلوا، فكتبت أم سلمة زوج النبي صلى الله

عليه وآله إلى معاوية:

" إنكم تلعنون الله ورسوله على مناوكم، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله "

فلم يلتفت إلى كلامها⁽²⁾.

قيس بن سعد ومعاوية

أخرج الحافظ عبد الزاق عن ابن عيينة قال: قدم قيس بن سعد على معاوية، فقال له معاوية: وأنت يا قيس تلجم علي مع من أجم؟ أما والله لقد كنت أحب أن لا تأتيني هذا اليوم إلا وقد ظفر بك ظفر من أظافري موجه.

(1) بهج الصباغة: ج 6 / 419. (2) الغدير: ج 2 / 102 عن العقد

الصفحة 379

فقال له قيس: وأنا والله قد كنت كلها أن أقوم في هذا المقام، فأحييك بهذه التحية.

فقال له معاوية: ولم؟ وهل أنت حبر من أحبار اليهود؟

فقال له قيس: وأنت يا معاوية كنت صنما من أصنام الجاهلية، دخلت في الإسلام كلها، وخرجت منه طائعا، فقال معاوية:

اللهم غوا مد يدك.

فقال له قيس: إن شئت زدت وزدت (1).

قيس ومعاوية

كان قيصر بعث إلى معاوية بعلاج من عوج الروم طويل جسيم، معجبا بكمال خلقتة وامتداد قامته، فعلم معاوية أنه ليس بمطولته ومقاومته إلا قيس بن سعد بن عبادة فإنه كان أجسم الناس وأطولهم، فقال له يوما وعنده العلاج:

إذا أتيت رحلك فابعث إلي بسواويلك.

فعلم قيس مواده فزوعها ورمى بها إلى العلاج، والناس ينظرون، فلبسها العلاج فطالت إلى صوره، فعجب الناس وأطرق

الرومي مغلوبا، ولیم قيس على ما فعل بحضرة معاوية فأنشد يقول:

أردت لكيما يعلم الناس أنها * سواويل قيس والوفود شهود

وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه * سواويل عاد قد نمته ثمود

وإني من القوم اليمانين سيد * وما الناس إلا سيد ومسود

(2) وبز جميع الناس أصلي ومنصبي * وجسم به أعلو الرجال مديد

(1) الغدير: ج 2 / 105 عن تاريخ ابن كثير: ج 8 / 99، وقد مر بنحو آخر في ج 1 ص 100 فراجع.

(2) الغدير: ج 2 / 109 عن ثمار القلوب للثعالبي / 480 والبداية والنهاية: ج 8 / 103

الصفحة 380

عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص

روى الحافظ ابن عساكر في تليخ الشام 7 / 330 : أن عمرو بن العاص قال لعبد الله بن جعفر الطيار ذي الجناحين في مجلس معاوية: يا ابن جعفر؟

يريد تصغره، فقال له: لئن نسبتي إلى جعفر فلست بدعي ولا أبتر، ثم ولى وهو يقول:
تعرضت قن الشمس وقت ظهيرة * لتستر منه ضوءه بظلامكا
كفوت اختيلا ثم آمنت خيفة * وبغضك إيانا شهيد بذلك⁽¹⁾

عبد الله بن أبي سفيان وعمرو

أخرج الحافظ ابن عساكر في تليخه ج 7 / 438 : أن عبد الله بن أبي سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي قدم معاوية وعنده عمرو، فجاء الأذن فقال: هذا عبد الله وهو الباب. فقال: إئذن له، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين لقد أذنت لرجل كثير الخلوات للتلهي، والطربات للتغني، صدوف عن السنان محب للقيان، كثير مزاحه، شديد طماحه، ظاهر الطيش، لين العيش، أخذ للسلف، صفاق للشرف.

فقال عبد الله: كذبت يا عمرو وأنت أهله، ليس كما وصفت ولكنه لله ذكور، ولبلائه شكور، وعن الخنازجور، سيد كويم، ماجد صميم، جواد حلیم، إن ابتداء أصاب، وإن سئل أجاب، غير حصرو ولا هيا ب، ولا فاحش عياب، كذلك قضى الله في الكتاب، فهو كالليث الضوغام، الجري المقدام، في الحسب القمقام، ليس بدعي ولا دني، كمن اختصم فيه من قريش شولها

فغلب عليه جزلها، فأصبح يفوء بالدليل ويؤي فيها إلى القليل، قد بدت بين حيين، كالساقط بين المهدين، لا المعوي إليهم قبلوه ولا الظاعن عنهم فقوه، فليت شعري بأي حسب تنزل للنضال؟ أم بأي قديم تعرض للرجال؟
أبنفسك؟ فأنت الخوار الوغد الونيم. أم بمن تنتمي إليه؟ فأنت أهل السفه والطيش والدناءة في قريش، لا بشوف في الجاهلية شهر، ولا بقديم في الإسلام ذكر، غير أنك تنطق بغير لسانك، وتنهض بغير ركانك، وأيم الله إن كان لأسهل للوعث⁽¹⁾ وألم للشعث أن يكعمك⁽²⁾ معاوية على ولوعك بإعواض قريش كعام الضبع في وجله فأنت لست لها بكفي، ولا لإعواضها يوفي.
قال: فتهياً عمرو للجواب، فقال له معاوية: نشدتك الله إلا ما كفتت فقال عمرو: يا أمير المؤمنين دعني أنتصر فإنه لم يدع شيئاً.

أبو الأسود وعمرو بن العاص

قدم أبو الأسود الدؤلي على معاوية بعد مقتل علي - رضي الله عنه - وقد استقامت لمعاوية البلاد، فأدنى مجلسه، وأعظم جأوته، فحسده عمرو بن العاص، فقدم على معاوية فاستأذن عليه في غير وقت الإذن، فأذن له، فقال له معاوية: يا أبا عبد الله ما أعجلك قبل وقت الإذن، فقال: يا أمير المؤمنين أتيتك لأمر قد لوجعني ولرقتني وغازطني، وهو من بعد ذلك نصيحة لأمير المؤمنين قال:

وما ذاك يا عمرو؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن أبا الأسود رجل مفوه له عقل وأدب من مثله للكلام يذكر؟ وقد أذاع بمصوك من الذكر لعلي، والبغض

(1) الوعث: العسر الغليظ.

(2) كعم البعير: شد فمه لئلا يعض أو يأكل.

(3) الغدير: ج 2 / 125 وقد تقدم بنحو آخر

الصفحة 382

لعنوه، وقد خشيت عليك أن يوى⁽¹⁾ في ذلك حتى يؤخذ لعنك، وقد رأيت أن ترسل إليه، وتهبه، وتعبه، وتسوه، وتخوه، فإنك من مسألته على إحدى خورتين، إما أن يبدي لك صفحته فتعرف مقالته، وإما أن يستقبلك فيقول ما ليس من رأيه، فيحتمل ذلك عنه فيكون لك في ذلك عاقبة صلاح إن شاء الله تعالى.

فقال له معاوية: إني امرؤ والله لقل ما توكت رأياً لوأي امرؤ قط إلا كنت فيه بين أن رى ما أكره وبين بين، ولكن إن أرسلت إليه فسألته فخرج من مسألتني بأمر لا أجد عليه مقدماً ويملاًني غيظاً لمعفتي بما يريد، وإن الأمر فيه أن يقبل ما أبدى من لفظه فليس لنا أن نشوح عن صوره، وندع ما وراء ذلك يذهب جانباً.

فقال عمرو: أنا صاحبك يوم رفع المصاحف بصفين، وقد عرفت رأيي ولست رى خلافي وما آلوك خوا، فُرسل إليه ولا نفوش مهاده العجز فتتخذ طيباً.

فُرسل معاوية إلى أبي الأسود، فجاء حتى دخل عليه فكان ثالثاً، فوحب به معاوية وقال: يا أبا الأسود خلوت أنا وعمرو فتناجزنا في أصحاب محمد - صلى الله عليه وآله - وقد أحببت أن أكون من رأيك على يقين.

قال: سل يا أمير المؤمنين عما بدا لك.

فقال يا أبا الأسود: أيهم كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال أشدهم حباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وأوقاهم له بنفسه.

فنظر معاوية إلى عمرو وحوك رأسه، ثم تمادى في مسألته.

فقال: يا أبا الأسود فأيهم كان أفضلهم عندك؟ قال: أتقاهم لربه

(1) ترى تربا في الأمر: تراخى فيه

الصفحة 383

وأشدهم خوفا لدينه.

فاغتاز معاوية على عمرو.

ثم قال: يا أبا الأسود فأيهم كان أعلم؟ قال: أقولهم للصواب وأفضلهم للخطاب.

قال: يا أبا الأسود، فأيهم كان أشجع؟ قال: أعظمهم بلاء وأحسنهم عناء وأصوهم على اللقاء.

قال: فأيهم كان أوثق عنده؟ قال: من أوصى إليه فيما بعده.

قال: فأيهم كان للنبي - صلى الله عليه وآله - صديقا؟ قال: أولهم به تصديقا.

قال: فأقبل معاوية على عمرو وقال: لا حراك الله خوا، هل تستطيع أن تود مما قال شيئا؟

فقال أبو الأسود: إني قد عرفت من أين أتيت، فهل تأذن لي فيه؟ فقال: نعم فقل ما بدا لك.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الذي ترى هجار رسول الله صلى الله عليه وآله بأبيات من الشعر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم إني لا أحسن أن أقول الشعر فالعن عوا بكل بيت لعنة، أفترأه بعد هذا نائلا فلاحا، أو موكرا رباحا؟ وأيم الله إن امرء لم يعرف إلا بسهم أجيل عليه فجال لحقيق أن يكون كليل اللسان ضعيف الجنان، مستشعوا للاستكانة، مقلنا للذل والمهانة، غير ولوج فيما بين الرجال، ولا ناظر في تسطير المقال، إن قالت الرجال أصغى، وإن قامت الكوام أقعى، متعيص لدينه لعظيم دينه، غير ناظر في أبهة الكوام ولا منزع لهم، ثم لم يزل في دجة ظلماء مع قلة حياء، يعامل الناس بالمكر والخداع، والمكر والخداع في النار.

فقال عمرو: يا أبا بني النول، والله إنك لأنت الذليل القليل ولولا ما

الصفحة 384

تمت به من حسب كنانة لا تختطفك من حولك اختطاف الأجل الحدية (1) غير أنك بهم تطول، وبهم تصول، فلقد استطببت مع هذا لسانا قوالا، سيصير عليك وبالا، وأيم الله إنك لأعدى الناس لأمر المؤمنين قديما وحديثا، وما كنت قط بأشد عدوة له منك الساعة، وأنت لتوالي عوه، وتعادي وليه، وتبغيه الغوائل، ولئن أطاعني ليقطعن عنه لسانك، وليخرجن من رأسك شيطانك، فأنت العدو المطوق له إطراق الأفعان في أصل الشجرة.

فتكلم معاوية فقال: يا أبا الأسود، أغرقت في الزوع ولم تدع رجعة لصلحك. وقال لعمرو: فلم تغرق كما أغرقت ولم تبلغ ما

بلغت، غير أنه كان منه الابتداء والاعتداء، والباغي أظلم، والثالث أحلم، فانصوبا عن هذا القول إلى غوه، وقوما غير

مطرودين. فقام عمرو وهو يقول:

لعمري لقد أعى القرون التي مضت * لغشوى بين الفؤاد كمين

(2) ألا إن عمارام ليث خفية * وكيف ينال الذئب ليث عرين

(571)

ابن عم لعمر وعمر

كان مع عمرو بن العاص ابن عم له فتى شاب وكان داهيا حليما، فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورا، عجب الفتى وقال: ألا تخبرني يا عمرو بأي رأي تعيش في قريش وأعطيت دينك، وتمنيت دنيا غيرك، أتوى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية وعلي حي؟ وزاها إن صلت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدمه بالكتاب، يعني كتاب معاوية إلى عمرو؟

فقال

(1) الأجدل: الصقر. والحدأة: طائر من الجوارح، والعامة تسميه الحدية.

(2) الغدير: ج 2 / 146 - 148

الصفحة 385

عمرو: يا ابن الأخ: إن الأمر لله دون علي ومعاوية. فقال الفتى في ذلك شوا:
ألا يا هند أخت بني زياد * دهى عمرو بداهية البلاد
رمي عمرو بأعور عبشمي * بعيد القعر محشي الكباد
له خدع يحار العقل فيها * مخوفة صوائد للفؤاد
فشوط في الكتاب عليه حرفا * يناديه بخدعته المنادي
وأثبت مثله عمرو عليه * كلا الوائين حية بطن وادي
ألا يا عمرو: ما أحرزت مصوا * وما ملت الغداة إلى الوشاد
وبعت الدين بالدنيا خسرا * فأنت بذاك من شر العباد
فلو كنت الغداة أخذت مصوا * ولكن دونها خوط القتاد
وفدت إلى معاوية بن حرب * فكنت بها كوافد قوم عاد
وأعطيت الذي أعطيت منها * بطوس فيه نضح من مداد
ألم تعرف أبا حسن عليا * وما نالت يداه من الأعادي
عدلت به معاوية بن حرب * فيا بعد البياض من السواد
ويا بعد الأصابع من سهيل * ويا بعد الصلاح من الفساد
(1) أتأمن أن تراه على خدب * يحث الخيل بالاسل الحداد

ينادى بالزوال وأنت منه * بعيد فانظرون من ذا تعادي

فقال عمرو: يا ابن أخي لو كنت مع علي وسعني بيتي، ولكن الآن مع معاوية.

فقال الفتى: إنك إن لم تود معاوية لم يردك، ولكنك تريد دنياه وهو يريد دينك. وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه، فهرب فلحق

بعلي فحدثه بأمر عمرو

(1) خذب بالكسر وتشديد الموحدة: سنام البعير الضخم. الأسفل: الرماح

الصفحة 386

(1) ومعاوية. قال: فسر ذلك عليا وقربه .

(572)

ابن عباس وعمرو

قال ابن عبد البر في الاستيعاب ج 2 / 436 دخل عبد الله بن عباس على عمرو بن العاص في موضعه فسلم عليه وقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟

قال: أصبحت وقد أصلحت من دنيائي قليلا، وأفسدت من ديني كثوا، فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت والذي أفسدت هو الذي أصلحت لقت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمخنق بين السماء والأرض، لا رقي بيدين، ولا أهبط ورجلين فعظني بعظة أنتفع بها يا ابن أخي.

فقال له ابن عباس: هيهات يا أبا عبد الله، صار ابن أخيك أخاك ولا تشاء أن تبكي إلا بكيت، كيف يؤمن ورحيل من هو

مقيم؟

فقال عمرو: وعلى حينها حين ابن بضع وثمانين سنة تقطنني من رحمة ربي اللهم إن ابن عباس يقطنني من رحمتك فخذ

مني حتى ترضى.

قال ابن عباس: هيهات يا أبا عبد الله، أخذت جديدا وتعطي خلقا.

(2) فقال عمرو: ما لي ولك يا ابن عباس؟ ما أرسلت كلمة إلا أرسلت نقيضها .

(573)

السيد الحموي ووالداه

كتب السيد الحموي إلى والديه يدعوهما إلى التشيع وولاء أمير المؤمنين

(1) وقعة صفين لنصر: 41 - 42 وراجع الإمامة والسياسة: ج 1 / 88 والغدير ج 2 / 149 عن ابن أبي الحديد: ج 1 / 138.

(2) راجع الغدير: ج 2 / 175، والاستيعاب المطوع بهامش الإصابة: ج 2 / 513



عليه السلام، وينهاهما عن سبه وكانا أباضيين:

خف يا محمد فائق الإصباح * وُلّ فساد الدين بالإصلاح
 أتسب صنو محمد ووصيه؟! * تَجو بذاك الفوز بالإنجاح
 هيهات قد بعدا عليك وقوبا * منك العذاب وقابض الأرواح
 أوصى النبي له بخير وصية * يوم الغدير بأبين الإفصاح
 من كنت مولاه فهذا واعلموا * مولاه قول إشاعة وصواح
 قاضي الديون وموحد لكم كما * قد كنت لُشد في هدى وفلاح
 أغويت أُمي وهي جد ضعيفة * فحرت بقاع الغي هوي جماح
 بالشمم للعلم الإمام ومن له * لث النبي بأؤكد الايضاح
 إني أخاف عليكما سخط الذي * لُسى الجبال بسبب صحاح
 أوي فاتقيا الإله وأذعنا * للحق.....⁽¹⁾

(574)

السيد الحموي وأبو الخلال

روى أبو الفوج في الأغاني ج 7 / 262 : إن أبا الخلال العنكي دخل على عقبة بن سلم - والسيد الحموي عنده - وقد أمر له بجائزة، وكان أبو الخلال شيخ العشوة وكبوها، فقال له: أيها الأمير أتعطي هذه العطايا رجلا ما يفتر عن سب أبي بكر وعمر؟ فقال له عقبة: ما علمت ذلك ولا أعطيته إلا على العشوة والمودة القديمة، وما يوجب حقه وجوره، مع ما هو عليه من موالاة قوم يؤمننا حقهم ورعايتهم. فقال له أبو الخلال: فوه إن كان صادقا أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعوف واءته مما ينسب إليه من الوفض، فقال: قد سمعك، فإن شاء فعل فقال السيد:

(1) الغدير: ج 2 / 214 عن المرزباني والبيت الأخير وجدناه بياضا في المصدر

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد * ولا عهده يوم الغدير مؤكدا
 فإني كمن يشوي الضلالة بالهدي * تنصر من بعد الهدى أو تهودا
 وما لي وتيما أو عديا وإنما * أولو نعمتي في الله من آل أحمدا
 تتم صلاتي بالصلاة عليهم * وأدعو لهم ربا كريما ممجدا
 بذلت لهم ودي ونصحي ونصوتي * مدى الدهر ما سميت يا صاح سيدي

وإن امرءا يلحى على صدق ودهم * أحق وأولى فيهم أن يفندا
(1) فإن شئت فاختر عاجل الغم ظلة * وإلا فأمسك كي تصان وتحمدا

(575)

السيد الحموي وسوار القاضي

بلغ سوار بن عبد الله العنوي قاضي البصرة قول شاعرنا السيد الحموي في حديث الطائر المشوي المتفق عليه:

لما أتى بالخبر الأنبل * في طائر أهدي إلى المرسل
في خبر جاء أبان به * عن أنس في الزمن الأول
هذا وقيس الخبر يرويه عن * سفينة ذي القلب الخول
سفينة يمكن من رشده * وأنس خان ولم يعدل
في رده سيد كل الورى * هولا هم في المحكم المقول
فصده ذو العرش عن رشده * وشأنه بالبرص الأنكل

فقال سوار: ما يدع هذا أحدا من الصحابة إلا رماه بشعر يظهر عوره، وأمر بحبسه، فاجتمع بنو هاشم والشيعه وقالوا له:
والله لئن لم تخرجه وإلا كسونا الحبس وأخرجناه، أيمتدحك شاعر فتثيبه، ويمتدح أهل البيت شاعر فتحبسه؟!
فأطلقه على مضض، فقال يهجو:

(1) الغدير: ج 2 / 215

الصفحة 389

قولا لسوار أبي شملة * يا واحدا في النوك والعار
ما قلت في الطير خلاف الذي * رويته أنت بآثار
وخبر المسجد إذ خصه * محلا من عوصة الدار
إن جنبا كأن وإن طاهوا * في كل إعلان وإسوار
وأخرج الباقيين منه معا * بالوحي من إزال جبار
حبا عليا وحسينا معا * والحسن الطهر لأطهار
وفاطما أهل الكساء الأولى * خصوا بإكرام وإيثار
فمبغض الله وى بغضهم * يصير للخرى وللنار
عليه من ذي العرش في فعله * وسم واه العائب الوري
وأنت يا سوار رأس لهم * في كل حوي طالب النار

تعيب من آخاه خير الورى * من بين أطهار وأخيار

وقال في " خم " له معلنا * ما لم يلقوه بإنكار:

من كنت هولاه فهذا له * مولى فكونوا غير كفار

(1) فعولوا بعدي عليه ولا * تبغوا سواب المهمة الجري

(576)

السيد الحموي والباهلي

عن محمد بن سهل الحموي عن أبيه قال: إنحدر السيد الحموي في سفينة إلى الأهواز، فمارآه رجل في تفضيل علي

عليه السلام وباهله على ذلك، فلما كان الليل قام الرجل ليبول على حرف السفينة، فدفعه السيد فغرقه، فصاح الملاحون: غرق

والله الرجل، فقال السيد: دعوه فإنه باهلي (باهلني).

(1) الغدير: ج 2 / 217 - 218.

(2) الغدير: ج 2 / 254

الصفحة 390

(577)

السيد الحموي ورجل

عن سويد بن حمدان بن الحصين قال: كان السيد يختلف إلينا ويغشانا، فقام من عندنا ذات يوم فخلفه رجل وقال: لكم شوف

وقدر عند السلطان فلا تجالسوا هذا فإنه مشهور بشوب الخمر وشم السلف، فبلغ ذلك السيد فكتب إليه:

وصفت لك الحوض يا بن الحصين * على صفة الحلث الأعور

فإن تسق منه غدا شربة * تفز من نصيبك بالأوفر

فما لي ذنب سوى أنني * ذكرت الذي فر عن خيبر

ذكرت امءا فر عن موحب * فار الحمار من القصور

فأنكر ذاك جليس لكم * زنيم أخو خلق أعور

لحاني بحب إمام الهدى * وفاروق أمتنا الأكبر

سأخلق لحيته إنها * شهود على الزور والمنكر

(1)

قال: فهجر والله مشايخنا جميعا ذلك، ولزموا محبة السيد ومجالسته .

السيد الحموي والمهدي

حدثني أبو سليمان الناجي قال: جلس المهدي يوما يعطي قريشا صلات لهم وهو ولي عهد، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قريش، فجاء السيد فوقع إلى الوبيع - حاجب المنصور - رقعة مختومة وقال: إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه. فأوصلها، فإذا فيها:

قل لابن عباس سمي محمد * لا تعطين بني عدي وهما

(1) الغدير: ج 2 / 255 عن الأغاني: ج 7 / 250 - 254

الصفحة 391

أحرم بني تميم بن مرة إنهم * شر الوية آخرا ومقدما
 إن تعطهم لا يشكروا لك نعمة * ويكافئوك بأن تدم وتشتما
 وإن اتئمتهم أو استعملتهم * خانوك واتخذوا خراجك مغنما
 ولئن منعتم لقد بدؤكم * بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلما
 منعوا ذات محمد أعمامه * وابنيه وابنته عديلة مريما
 وتأمروا من غير أن يستخفوا * وكفى بما فعلوا هنالك مأثما
 لم يشكروا لمحمد أنعامه * أفيشكرون لغره إن أنعماء؟!
 والله من عليهم بمحمد * وهداهم وكسا الجنوب وأطعما
 ثم انبروا لوصيه ووليه * بالمنكرات فحروه العلقما
 قال: فومى بها إلى أبي عبيد الله معاوية بن يسار الكاتب للمهدي ثم قال:

إقطع العطاء، فقطعه، وانصرف الناس، ودخل السيد إليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل، ولم يعطهم

(1) شيئا

السيد الحموي وسوار

عن معاذ بن سعيد الحموي قال: شهد السيد إسماعيل بن محمد الحموي - رحمه الله - عند سوار القاضي بشهادة، فقال له: أأنت إسماعيل بن محمد الذي يعرف بالسيد؟ فقال: نعم. فقال له: كيف أقدمت على الشهادة عندي وأنا أعرف عدولتك للسلف؟ فقال السيد: قد أعاذني الله من عدوة أولياء الله وإنما هو شئ لؤمني. ثم نهض، فقال له: قم يارافضي، فوالله ما شهدت بحق.

فخوج السيد - رحمه الله - وهو يقول:

أبوك ابن سارق عنز النبي * وأنت ابن بنت أبي جحدر

(1) الغدير: ج 2 / 254 - 255، وراجع بهج الصبغة: ج 4 / 515 عن الأغاني

الصفحة 392

ونحن على رغمك الوافضون * لأهل الضلالة والمنكر

ثم عمل شوا وكتبه في رقعة وأمر من ألفاها في الوقاع بين يدي سوار. قال:

فأخذ الرقعة سوار، فلما وقف عليها خرج إلى أبي جعفر المنصور، وكان قد قل الجسر الأكبر ليستعدي على السيد، فسبقه السيد إلى المنصور فأنشأ قصيدته التي يقول فيها:

يا أمين الله يا منصور * يا خير الولاة

إن سوار بن عبد الله * من شر القضاة

نعتلي جملي * لكم غير مواتي

جده سارق عنز * فحوة من فحوات

لرسول الله والفا * ذفة بالمنكوات

والذي كان ينادي * من وراء الحوات

يا هنات اخرج إلينا * إننا أهل هنات

فاكفنيه لا كفاه الله * شر الطلقات

سن فينا سننا كانت * موريث الطغاة

(1) فهجونه ومن يهجو * يصب بالفاقات

قال: فضحك أبو جعفر المنصور وقال: نصبتك قاضيا، فامدحه كما هجوته فأنشد - رحمه الله - يقول:

إني أمرؤ من حمير أسوتي * بحيث تحوي سروها حمير

آليت لا أمدح ذا نائل * له سناء وله مفخر

إلا من الغر بني هاشم * إن لهم عندي يدا تشكر

(1) الفاقة: الداهية الشديدة

الصفحة 393

إن لهم عندي يدا شكوها * حق وإن أنكوها منكر

يا أحمد الخير الذي إنما * كان علينا رحمة تتشر

حزوة والطيار في جنة * فحيث ما شاء دعا جعفر
منهم وهاديننا الذي نحن من * بعد عمانا فيه نستبصر
لما دجا الدين ورق الهدى * وجار أهل الأرض واستكبروا
ذاك علي بن أبي طالب * ذاك الذي دانت له خبير
دانت وما دانت له عنوة * حتى تدهدا عرشه الأكبر
ويوم سلع إذ أتى عاتبا * عمرو بن عبد مصلتا يخطر
يخطر بالسيف مدلا كما * يخطر فحل الصومة الوسر
إذ جلل السيف على رأسه * أبيض عضبا حده مبتز
فخر كالجدع ولؤداجه * ينصب منها حلب أحمر⁽¹⁾

(580)

السيد الحموي وسوار

روى أبو الفوج للسيد مما أنشده المنصور في سوار القاضي قوله:

قل للإمام الذي ينجي بطاعته * يوم القيامة من بحوحة النار
لا تستعينن جزاك الله صالحه * يا خير من دب في حكم بسوار
لا تستعن بخبيث الوأي ذي صلف * جم العيوب عظيم الكبر جبار
تضحى الخصوم لديه من تجوه * لا يرفعون إليه لحظ أبصار
تيها وكروا ولولا ما رفعت له * من ضبعه كان عين الجائع العري

فدخل سوار، فلما رآه المنصور تبسم وقال: أما بلغك خبر أياس بن معاوية حيث قبل شهادة الغزدق واستود في الشهود،

فما أخرجك للتعريض للسيد

(1) الفصول المختارة: 59، الغدير: ج 2 / 256

ولسانه ثم أمر السيد بمصالحته، وأمره بأن يصير إليه معتزوا ففعل فلم يعرفه، فقال:
أتيت دعي بني العنبر * أروم اعتزرا فلم أعذر
فقلت لنفسي وعاتبته * على اللؤم في فعلها: أقصوي
أيعتذر الحر مما أتى * إلى رجل من بني العنبر
أبوك ابن سرق عنز النبي * وأمك بنت أبي جحدر

ونحن على رغمك الوافضون * لأهل الضلالة والمنكر

قال: وبلغ السيد أن سورا قد أعد جماعة يشهدون عليه بسوقة ليقطعه، فشكاه إلى أبي جعفر، فدعا بسوار وقال له: قد عزلتك عن الحكم للسيد عليه، فما تعرض له بسوء حتى مات⁽¹⁾.

(581)

السيد الحموي ورجلان يتفاخران

عن إسماعيل بن الساحر قال: تلاهى رجلان من بني عبد الله بن درم في المفاضلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فوضيا بحكم أول من يطلع، فطلع السيد، فقاما إليه وهما لا يعرفانه، فقال له مفضل علي بن أبي طالب عليه السلام منهما: إني وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله: فقلت علي بن أبي طالب. فقطع السيد كلامه ثم قال: وأي شيء قال هذا الآخر ابن الوانية؟! فضحك من حضر ووجم الرجل ولم يحر جوابا⁽²⁾.

* * *

(1) الغدير: ج 2 / 260.

(2) الغدير: ج 2 / 260، عن الأغاني: ج 7 / 241، وطبقات الشواء لابن المعتز / 7

الصفحة 395

(582)

السيد الحموي مع إباضية

اجتمع السيد في طريقه بامرأة تميمية إباضية، فأعجبها وقالت: لريد أن أتود بك ونحن على ظهر طريق. قال: يكون كنعكاح أم خلة قبل حضور ولي وشهود. فاستضحكت وقالت: ننظر في هذا، وعلى ذلك فمن أنت؟ فقال:

إن تسأليني بقومي تسألني رجلا * في نروة العز من أحياء ذي يمن

حولي بها ذو كلاع في منزلها * وذورعين وهمدان وذو وزن

والأرد أرد عمان الأكمون إذا * عدت مأوهم في سالف الزمن

بانث كويمتهم عني فنلهم * دلري وفي الوحب من أوطانهم وطني

لي مزلان بلحج متول وسط * منها ولي متول للعز في عدن

ثم الولاء الذي لرجو النجاة به * من كبة النار للهادي أبي حسن

فقلت: قد عرفناك ولا شيء أعجب من هذا، يمان وتميمية، ورافضي وإباضية فكيف يجتمعان؟

فقال: بحسن رأيك في، تخسو نفسك، ولا يذكر أحدنا سلفا ولا مذهباً.

قالت: أفليس الترويح إذا علم انكشف معه المستور، وظهرت خفيات الأمور؟!

قال: أعرض عليك أخرى. قالت: ما هي؟ قال: المتعة التي لا يعلم بها أحد. قالت: تلك أخت الزنا.

قال: أعيدك بالله أن تكفوي بالقآن بعد الإيمان. قالت: فكيف؟ قال:

قال الله تعالى: " فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة ".

فقالت: ألا تستخير الله وأقلدك إن كنت صاحب قياس؟! قال: قد

الصفحة 396

فعلت.

فانصرفت معه وبات معرسا بها، وبلغ أهلها من الخورج أمرها، فتوعدوها بالقتل وقالوا: تزوجت بكافر. فجحدت ذلك ولم

يعلما بالمتعة. فكانت مدة تختلف إليه على هذه السبيل من المتعة وتواصله حتى افترقا ⁽¹⁾.

(583)

السيد الحموي مع ابن سليمان

قال علي بن المغيرة: كنت مع السيد على باب عقبة بن سلم ومعنا ابن لسليمان بن علي ننتظره وقد أسوج له ليركب، إذ قال

ابن سليمان بن علي يعرض بالسيد: أشعر الناس والله الذي يقول:

محمد خير من يمشي على قدم * وصاحباه وعثمان بن عفان

فوثب السيد وقال: أشعر والله منه الذي يقول:

سائل قريشا إذا ما كنت ذا عمه * من كان أثبتها في الدين أوتادا؟

من كان أعلمها علما وأحلمها * حلما وأصدقها قولا وميعادا؟

إن يصدقك فلن يعنوا أبا حسن * إن أنت لم تلق للأوار حسادا؟

ثم أقبل على الهاشمي فقال: يا فتى، نعم الخلف أنت لشوف سلفك، أراك تهدم شرفك و تتلب سلفك، وتسعى بالعدوة على

أهلك، وتفضل من ليس أصلك من أصله على من فضلك من فضله، وسأخبر أمير المؤمنين عنك بذا حتى يضعك. فوثب الفتى

خجلا، ولم ينتظر عقبة بن سلم. وكتب إليه صاحب خوه بما جرى عند الكوبة، حتى خرجت الجاوة للسيد ⁽²⁾.

* * *

(1) الغدير: ج 2 / 261.

(2) الغدير: ج 2 / 262، وأشار إليه في نور القبس: ص 122

الصفحة 397

السيد الحموي والقاص

عن سليمان بن رُقم قال: كنت مع السيد فمر بقاص على باب أبي سفيان ابن العلاء وهو يقول: يوزن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة في كفة بأمتة أجمع فوجح بهم، ثم يؤتى بفلان فيوزن بهم فوجح، ثم يؤتى بفلان فيوزن بهم فوجح، فأقبل على أبي سفيان فقال: لعوي إن رسول الله صلى الله عليه وآله لوجح على أمتة في الفضل والحديث حق، وإنمارجح الآخوان الناس في سيئاتهم، لأن من سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها، قال: فما أجابه أحد، فمضى فلم يبق أحد من القوم إلا سبه ⁽¹⁾.

جعفر بن حسين ومروان بن أبي حفصة

حكى القاضي أبو المكرم محمد بن عبد الملك بن أحمد بن هبة الله بن أبي حراة الحلبي المتوفى سنة 565 في شوح قصيدة أبي فاس الميمية المعروفة بالشافية عن مروان بن أبي حفصة أنه قال: أنشدت المتوكل شوا ذكوت فيه الرافضة، فعقد لي على البحرين واليمامة، وخلع لي رُبع خلع في دار العامة، والشعر هو هذا:

لكم تراث محمد * وبعد لكم تنفى الظلامه
وجو التوات بنو البنات * وما لهم فيه قلامه
والصهر ليس بولث * والبنات لا توث الامامه
ما للذين تمخلوا * موائكم إلا الندامة
أخذ التراثة أهلها * فعلام لومكم علامه؟!

(1) الغدير: ج 2 / 266 عن الأغاني: ج 7 / 271

لو كان حقكم لها * قامت على الناس القيامة
ليس التراث لغوكم * لا وإله ولا كوامه
أصبحت بين محبكم * و المبغضين لكم علامه
فود عليه رجل يقال له جعفر بن حسين بقوله:

قل للذي بفجوره * في شوه ظهرت علامه
ويبيع جهلا دينه * لمضلل وجو حطامه
من أين أنت لعنت؟ أو * من أين أسرار الامامه؟!

أظننتها لث النبي * فما أصبت ولا كرامه
 إن الإمامة بالنصوص * لمن يقوم بها مقامه
 كمقالة في يوم " خم " * لحيدر لما أقامه
 من كنت مولاه فذا * مولاه يسمعهم كلامه
 سل عنه ذا خبر به * فلتذهبن إذا نداه
 فهو الذي بحسامه * للنقع قد جلى قتامه
 في يوم بدر إذ شكا * سادات مالكم صدامه
 وأنين والدهم وقد * منع النبي به منامه
 إن الإمام لديننا * من شاده وبني دعامه
 في كل معترك إذا * شب الوغى أطفى ضوامه
 فتاح خبير بعد ما * فر الذي طلب السلامه
 تالله لو وزن الجميع * لما وفوا منه القلامه (1)

(586)

فاطمة ونساء النبي صلى الله عليه وآله

في تلخيص يعقوبي ج 2 / 105 : وكان بعض نساء رسول الله أتيتها، أي فاطمة

(1) الغدير: ج 4، وأعيان الشيعة: ج 4 ص 93

الصفحة 399

عليها السلام في مرضها، فقلن، يا بنت رسول الله، صوري لنا في حضور غسلك حظا. قالت: أؤدن ثقلن في كما قلتن في أمي، لا حاجة لي في حضوركن، ودخلن إليها في مرضها نساء رسول الله وغوهن من نساء قريش فقلن، كيف أنت؟ قالت: أجدني كل رهة لديناكن، مسرورة لواقكن، ألقى الله ورسوله بحسوات منكن، فما حفظ لي الحق، ولا رعيت مني الذمة، ولا قبلت الوصية، ولا عرفت الحمة (1).

(587)

علي ابن الفرقلي وابن أبي الحديد

قال ابن أبي الحديد ج 16 / 284 طبع دار إحياء الكتب العربية: سألت علي ابن الفرقلي مدرس المدرسة الغريبة ببغداد

فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم. قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فذك وهي عنده صادقة؟

فتبسم ثم قال: كلما لطيفا مستحسنا مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته.

قال: لو أعطاه اليوم فذك بمجرد دعواها لجاءت إليه غدا وادعت لزوجها الخلافة وزححته عن مقامه، ولم يمكنه الاعتذار والموافقة بشئ، لأنه يكون قد سجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود.

وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل ⁽²⁾.

(588)

رجل و مقاتل بن سليمان

قال مقاتل بن سليمان - وقد دخلته أبهة العلم -: سلوني عما تحت العرش إلى أسفل الثوى، فقام إليه رجل فقال: ما نسألك

عما تحت العرش ولا أسفل

(1) راجع بهج الصباغة: ج 5 / 17.

(2) راجع بهج الصباغة: ج 5 / 27

الصفحة 400

الثوى، ولكن أسألك عما كان في الأرض، وذكره الله في كتابه، أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه؟ فأفحمه ⁽¹⁾.

(589)

قصة لأحد الوعاظ ببغداد

قال ابن أبي الحديد ج 13 / 107 - 109: وعلى ذكر قوله عليه السلام:

" سلوني " حدثني من أثق به من أهل العلم حديثا، وإن كان فيه بعض الكلمات العامية، إلا أنه يتضمن ظرفا ولطفا، ويتضمن أيضا أدبا.

قال: كان ببغداد في صدر أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضى بالله واعظ مشهور بالحقق ومعرفة الحديث والرجال، وكان يجتمع إليه تحت منوره خلق عظيم من عوام بغداد ومن فضلائها أيضا، وكان مشتهرا بزم أهل الكلام وخصوصا المعقولة وأهل النظر، على قاعدة الحشوية، ومبغضي لأرباب العلوم العقلية، وكان أيضا منحرفا عن الشيعة يرضى العامة بالميل عليهم، فانفق قوم من رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من ييكته ويسأله تحت منوره، ويخلجه ويفضحه بين الناس في المجلس، وهذه عادة الوعاظ، يقوم إليهم قوم فيسألونهم مسائل يتكلفون الجواب عنها، وسألوا عمن ينتدب لهذا، فأشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبد العزيز الكوي، كان له لسن، ويشغل بشئ يسير من كلام المعقولة، ويتشيع، وعنده قحة، وقد شدا أطافا من الأدب، وقد رأيت أنا هذا الشخص في آخر عمره، وهو يومئذ شيخ، والناس يختلفون إليه في

فأحضره وطلبوا إليه أن يعتمد ذلك، فأجابهم، وجلس ذلك الواعظ في يومه الذي جرت عادته بالجلوس فيه، واجتمع الناس عنده على طبقاتهم، حتى

(1) بهج الصبغة: ج 5 / 88، وراجع الغدير: ج 9 / 195

الصفحة 401

امتألت الدنيا بهم، وتكلم على عادته فأطال، فلما مر ذكر صفات البري سبحانه في أثناء الوعظ، قام إليه الكوي، فسأله أسئلة عقلية، على منهاج المتكلمين من المعتولة، فلم يكن للواعظ عنها جواب نظري، وإنما دفعه بالخطابة والجدل، وسجع الألفاظ، وتردد الكلام بينهما طويلا.

وقال الواعظ في آخر الكلام: أعين المعتولة حول، وأصواتي في مسامعهم طبول، وكلامي في أفئدتهم نصول، يا من بالاعتوال يصول، ويحك كم تحوم وتجول حول من لا تتركه العقول! كم أقول كم أقول، خلو هذا الفضول! فارتج المجلس، وصوخ الناس، وعلت الأصوات، وطاب الواعظ وطرب، وخج من هذا الفصل إلى غوه فشطح شطح الصوفية، وقال: سلوني قبل أن تفقوني، وكررها.

فقام إليه الكوي، فقال: يا سيدي ما سمعنا أنه قال هذه الكلمة إلا علي ابن أبي طالب عليه السلام، وتمام الخبر معلوم. ورأد الكوي بتمام الخبر قوله عليه السلام: " لا يقولها بعدي إلا مدع ".

فقال الواعظ وهو في نشوة طربه، ورأد إظهار فضله ومعرفته رجال الحديث والرواة: من علي بن أبي طالب؟ أهو علي بن أبي طالب بن المبارك النيسابوري؟ أم علي بن أبي طالب بن إسحاق الموزي؟ أم علي بن أبي طالب بن عثمان القيرواني؟ أم علي بن أبي طالب بن سليمان الوري؟ وعد سبعة أو ثمانية من أصحاب الحديث كلهم علي بن أبي طالب.

فقام الكوي، وقام من يمين المجلس آخر ومن يسار المجلس ثالث، انتدبوا له، وبذلوا أنفسهم للحمية ووطنوها على القتل. فقال الكوي: أشا يا سيدي فلان الدين، أشا! صاحب هذا القول هو علي بن أبي طالب زوج فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام، وإن كنت ما عرفته بعد بعينه فهو الشخص الذي لما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين

الصفحة 402

الأتباع والأذناب آخى بينه وبين نفسه وأسجل على أنه نظوه ومماثله، فهل نقل في جهلكم أنتم من هذا شيء؟ أو نبت تحت خبكم من هذا شيء؟

فرأد الواعظ أن يكلمه، فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن وقال: يا سيدي فلان الدين، محمد بن عبد الله كثير في الأسماء، ولكن ليس فيهم من قال له رب الغوة: " ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " وكذلك علي بن أبي طالب كثير في الأسماء، ولكن ليس فيهم من قال له صاحب الشريعة: " أنت مني بمقالة هارون من موسى

إلا أنه لا نبي بعدي " .

وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى * كثرا ولكن ميزوا في الخلائق

فالتفت إليه الواعظ ليكلمه، فصاح عليه القائم من الجانب الأيسر، وقال:

يا سيدي فلان الدين، حقك تجهله، أنت معذور في كونك لا تعرفه:

وإذا خفيت عل الغبي فعاذر * ألا واني مقلة عمياء

فاضطرب المجلس وماج كما يوج البحر، وافتنن الناس، وتواثبت العامة بعضهم إلى بعض، وتكشفت الرؤوس، ومزقت

الثياب، وتول الواعظ، واحتمل حتى أدخل درا أغلق عليه بابها، وحضر أعوان السلطان فسكنوا الفتنة، وصرفوا الناس إلى

منزلهم وأشغالهم، وأنفذ الناصر لدين الله في آخر نهار ذلك اليوم فأخذ أحمد بن عبد العزيز الكوي والرجلين الذين قاما معه

فحبسهم أياما لتطفأ نائرة الفتنة، ثم أطلقهم⁽¹⁾ .

(590)

أبو العيناء وعلي بن الجهم

في الأغاني: سمع أبو العيناء علي بن الجهم يوما يطعن على أمير المؤمنين عليه

(1) راجع بهج الصباغة: ج 5 / 109 ونقل في الغدير نظائر لمن قال: (سلوني) بعد أمير المؤمنين وافترض راجع ج 6 / 195 - 198

الصفحة 403

السلام، فقال له: أنا أوري لم تطعن عليه. فقال له: أتعني قصة بيعة أهلي من مصقلة، قال: لا أنت أوضع من ذلك، ولكن

لأنه قتل الفاعل فعل قوم لوط والمفعول به وأنت أسفلهما. وفيه يقول البحتري:

إذا ما حصلت عليا قريش * فلا في العير أنت ولا النفير

ولو أعطاك ربك ما تمنى * لواد الخلق في عظم الايور

علام هجوت مجتهدا عليا * بما لفقت من كذب وزور

أما لك في استك الوجعاء شغل * يكفك عن آذى أهل القبور⁽¹⁾

(591)

نعيم بن هبيرة ومصقلة

كتب نعيم بن هبيرة وهو شيعي إلى مصقلة في جواب كتابه:

لا تومين هداك الله معترضا * بالظن منك فما بالي وحلوانا

ذاك الحريص على نال من طمع * وهو البعيد فلا يحزنك إذ خانا

ماذا أردت إلى رساله سفها * توجو سقاط امرئ لم يلق وسنانا
عرضته لعلي أنه أسد * يمشي العرنضى من آساد خفانا
قد كنت في منظر عن ذا ومستمع * تحمي العواق وتدعى خير شيبانا
حتى تقحمت أمرا كنت تكوهه * للراكبين له سوا وإعلانا
لو كنت أديت ما للقوم مصطوا * للحق أحييت أحيانا وموتانا
لكن لحقت بأهل الشام ملتصا * فضل ابن هند وذاك الرأي أشجانا
فاليوم توقع سن الغرم من ندم * ماذا تقول وقد كان الذي كانا
أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة * لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا⁽²⁾

(1) بهج الصباغة: ج 5 ص 180 وممر ص 4.

(2) بهج الصباغة: ج 5 / 182 - 183

الصفحة 404

(592)

عمار وعمر

إن رجلا أتى عمر فقال: إني أجنبت فلم أجد ماء، فقال عمر: لا تصل.
فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين، إذ أنا وأنت في سوية فأجنبتا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكت في
التراب وصليت، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنما كان يكفيك أن تضوب ببيدك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك
وكفيك.
فقال عمر: إني أتق الله يا عمار! قال: إن شئت لم أحدث به⁽¹⁾.

(593)

صورة أخرى

كنا عند عمر فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنما نمكث الشهر والشهرين ولا نجد الماء؟ فقال عمر: أما أنا فلم أكن
لأصلي حتى أجد الماء. فقال عمار:
يا أمير المؤمنين تذكر حيث كنا بمكان كذا ونحن زعي الإبل فتعلم أنا أجنبتنا؟
قال: نعم قال: إني توغت في التراب، فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فحدثته فضحك، وقال: كان الطيب كافيك، وضرب
بكفيه الأرض، ثم نفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وبعض فواحه؟!

قال: إتق الله يا عمار! قال: يا أمير المؤمنين: إن شئت لم أذكوه ما عشت أو ما حييت؟ قال: كلا والله، ولكن نوليك من ذلك ما توليت ⁽²⁾.

(594)

ابن عباس وعمر

أخرج ابن عساكر بإسناده من طريق الحافظ عبد الزاق عن ابن عباس

(1) الغدير: ج 6 / 83 عن سنن أبي داود وسنن ابن ماجه ومسنند أحمد وسنن النسائي وسنن البيهقي.

(2) الغدير: ج 6 / 83 عن صحيح مسلم ومسنند أحمد وسنن أبي داود والنسائي



قال: مشيت وعمر بن الخطاب في بعض رُقة المدينة، فقال: يا ابن عباس أظن القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولوه أمورك. فقلت: والله ما استصغره رسول الله صلى الله عليه وآله إذ اختلّه لسورة واءة يقرأها على أهل مكة. فقال لي: الصواب تقول والله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: من أحبك أحبني، ومن أحبني أحب الله، ومن أحب الله أدخله الجنة مدلاً⁽¹⁾.

(595)

المأمون وعلماء السنة في فدك

في الطوائف: ذكر صاحب التريخ المعروف بالعباسي: أن جماعة من ولد الحسن والحسين عليهما السلام رفعوا قصة إلى المأمون يذكرون أن فدك والعوالي كانت لأُمهم فاطمة عليها السلام، وأن أبا بكر أخرج يدها عنها بغير حق، وسألوا المأمون إنصافهم وكشف ظلامتهم، فأحضر المأمون مائتي رجل من علماء الحجاز والواق وغورهما، وهو يؤكد في أداء الأمانة وانتباع الصدق، وعرفهم ما ذكره ورثة فاطمة عليها السلام، وسألهم عما عندهم من الحديث الصحيح في ذلك، فووى غير واحد من بشر بن الوليد وبشر بن غياث والواقدي في أحاديث يرفعونها إلى نبيهم صلى الله عليه وآله: أنه لما فتح خيبر اصطفى لنفسه قوى من قوى اليهود. فتول جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: "فأت ذا القربى حقه" قال: من ذو القربى؟ فقال: فاطمة، فدفع إليها فدك، ثم أعطاها العوالي بعد ذلك، فاستغلثها حتى توفي أباها.

فلما بويع أبو بكر قال: لا أمنعك ما رفع إليك أبوك، فزاد أن يكتب لها كتاباً، فاستوقفه عمر، وقال: إنها امرأة فادعها بينة على ما ادعت، فأمرها

(1) الغدير: ج 6 / 344 عن كنز العمال: ج 6 / 391 وشرح ابن أبي الحديد: ج 3 / 105

أبو بكر أن تفعل، فجاءت بأم أيمن وأسماء بنت عميس مع علي بن أبي طالب عليه السلام، فشهبوا لها جميعاً بذلك، فكتب لها أبو بكر فبلغ ذلك عمر، فأتاه فأخذ الصحيفة وقال: إن فاطمة امرأة، وعلي زوجها هو جار إلى نفسه، ولا تكون شهادة امرأتين دون رجل، فُرسل أبو بكر إلى فاطمة فأعلمها ذلك، فحلف بالله الذي لا إله إلا هو أنهم ما شهبوا إلا بالحق. فقال أبو بكر: فلعلك أنت تكوني صادقة، ولكن أحضري شاهداً لا يجر إلى نفسه. فقالت: ألم تسمعا من أبي يقول: أسماء بنت عميس وأم أيمن من أهل الجنة؟ فقالا: بلى، فقالت: امرأتان من أهل الجنة تشهدان بباطل، فانصرفت صرخة تنادي أباها وتقول: قد أخونني أني أول من ألحق به، فوالله لأشكونهما إليه. فلم تلبث أن مرضت، فأوصت علياً عليه السلام ألا يصليا عليها، وهجرتها فلم تكلمهما حتى ماتت، فدفنها علي عليه السلام والعباس ليلاً.

ثم أحضر المأمون في اليوم الآخر ألف رجل من أهل العلم والفقه، وشرح لهم الحال، وأمرهم بتقوى الله ومراقبته، فتناظروا، فقالت فرقة منهم: الزوج جار إلى نفسه فلا شهادة له، ولكننا نرى أن يمين فاطمة قد أوجب لها ما ادعت مع شهادة الرأتين، وقالت طائفة: نرى اليمين مع الشهادة لا يوجب حكما ولكن شهادة الزوج جائزة ولا زاه جازا إلى نفسه، وقد وجبت بشهادته مع شهادة الرأتين لفاطمة ما ادعت، فكان اختلاف الطائفتين إجماعا منهما على استحقاق فاطمة فدكا والعوالي. فسألهم المأمون بعد ذلك عن فضائل لعلها وفاطمة عليهما السلام، فذكروا طوفا جليلا. وسألهم عن أم أيمن و أسماء، فرووا عن نبيهم صلى الله عليه وآله أنها من أهل الجنة.

الصفحة 407

فقال المأمون: أيجوز أن يقال: إن عليا مع موعده يزهد يشهد لفاطمة عليها السلام بغير حق، وقد شهد له الله ورسوله بهذه الفضائل، أو يجوز مع علمه وفضله أن يقال: إنه يمشي في شهادة، وهو يجهل الحكم فيها؟ وهل يجوز أن يقال: إن فاطمة مع طهرتها وعصمتها وأنها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة، كما رويتم تطلب شيئا ليس لها، وتظلم فيه جميع المسلمين، وتقسم عليه بالله؟ أو يجوز أن يقال عن أم أيمن وأسماء: إنهما تشهدان بالزور وهما من أهل الجنة؟ إن الطعن على فاطمة عليها السلام وشهودها طعن على كتاب الله والحاد في دين الله. ثم عرضهم المأمون بحديث روه: أن عليا عليه السلام أقام مناديا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ينادي: من كان له على النبي صلى الله عليه وآله دين أو عدة فليحضر، فحضر جماعة، فأعطاهم بغير بينة، وأن أبا بكر أمر مناديا ينادي بمثل ذلك، فحضر جرير بن عبد الله، وجابر بن عبد الله فأعطاهما بغير بينة. فقال المأمون: أما كانت فاطمة عليها السلام وشهودها يجرون مجرى جرير وجابر؟⁽¹⁾

(596)

علي بن ميثم وملحد

دخل أبو الحسن علي بن ميثم - رحمه الله - على الحسن بن سهل وإلى جانبه ملحد قد عظمه الناس حوله، فقال له: لقد رأيت عجبا، قال: وما هو قال: رأيت سفينة تعبر بالناس من جانب إلى جانب بلا ملاح ولا ماصر. فقال له صاحبه الملحد: إن هذا أصلحك الله لمجنون، قال: فقلت:

(1) بهج الصباغة: ج 5 / 36 - 38

الصفحة 408

وكيف؟ قال: لأنه يذكر عن خشب جماد لا حيلة له ولا قوة ولا حياة فيه ولا عقل: إنه يعبر بالناس ويفعل فعل الإنسان،

كيف يصح هذا؟

فقال له أبو الحسن: فأیما أعجب هذا أو هذا الماء الذي یجوي على وجه الأرض یمنة ویسوة بلا روح ولا حيلة ولا قوة، وهذا النبات الذي یخرج من الأرض والمطر الذي یترل من السماء؟ كيف یصح ما رَعه من أنه لا مدبر له كله، وأنت تتكر أن تكون سفينة تتحرك بلا مدبر، وتعبر بالناس بلا ملاح.
(1)
قال: فیهت الملحد .

(597)

عمار و عثمان

أخرج البلاوي في الأنساب ج 5 / 48 بالإسناد من طریق أبي مخنف قال:
كان في بیت المال بالمدينة سبط فيه حلي وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلی به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن علیه في ذلك، وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبه، فخطب فقال: لنأخذن حاجتنا من هذا الفئ وإن رغمت أنوف أهوام، فقال له علي: إذا تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه، وقال عمار بن یاسر: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك، فقال عثمان: أعلي يا ابن المتكاء تجتري؟ خنوه، فأخذ، ودخل عثمان ودعا به فضربه حتى غشي علیه، ثم أخرج فحمل حتى أوتي به مقتول أم سلمة - زوج رسول الله صلى الله علیه وآله - فلم یصل الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلى وقال: الحمد لله ليس هذا أول یوم أودینا فيه في الله ...
(2)

* * *

(1) روضة المؤمنین: ص 8، عن الكراچكي في الكنز.

(2) الغدير: ج 9 / 15 ، وراجع أيضا بهج الصباغة: ج 4 / 653

الصفحة 409

(598)

عمار و عثمان

قال البلاوي في الأنساب ج 5 / 54 : وقد روي أيضا أنه لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالوبذة قال: رحمه الله، فقال عمار بن یاسر: نعم فوحمة الله من كل أنفسنا، فقال عثمان: يا عاض أیر أیبه أواني ندمت على تسبیوه، وأمر فدفن في قفاه وقال: إلیق بمكانه، فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى علي فسألوه أن یکلم عثمان فيه، فقال له علي: يا عثمان، إلیق الله فإنك سیرت رجلا صالحا من المسلمین فهلك في تسبیرك، ثم أنت الآن تريد أن تنفی نظره، وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه، فقال علي: رم ذلك إن شئت، واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلما كلمك رجل سیرته ونفیته فإن هذا شئ لا یسوق، فكف عن عمار .
(1)

(599)

أبو الأسود وزباد

كان علي استعمل أبا الأسود على البصوة، وزبادا على الديوان والخواج فبلغ أن زيادا يطعن عليه عند علي فقال (من

الطويل):

رأيت زيادا ينتميني بشوه * وأعرض عنه وهو باد مقاتله
وكل امرئ والله بالناس عالم * له عادة قامت عليه شمائله
تعودها فيما مضى من شبابه * كذلك يدعو كل أمر وأائله
ويعجبه صفحي له وتحلمي * وذو الجهل يخزي الفحش من لا يعادله (2)

(1) الغدير: ج 9 / 19 وراجع بهج الصباغة: ج 4 / 653.

(2) نور القبس: ص 8

الصفحة 410

(600)

أبو الأسود ومعلوية

رُسل معلوية إلى زياد رسولا فهما في أمر أراد، فقال: سقى عنده أبا الأسود الدؤلي شيئا عليه عمامة سوداء يجلس عن يمينه، لا يتقدمه عنده أحد في الكلام، فقل له: أمير المؤمنين يوقاً عليك السلام، ويقول لك: خوني عن قولك (من الوافر):

يقول الأزدلون بني قشير (1) * طوال الدهر لا تنسى عليا
أحب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحقوة والوصيا
أحبهم لحب الله حتى * أجيء إذا بعثت على هويا
هوى أعطيته منذ استدلت * رحي الإسلام لم يعدل سويا
وما أنسى الذي لاقى حسين * ولا حسن بأهونهم عليا
بنو عم النبي وأقربوه * أحب الناس كلهم إليا
فإن يك حبهم رشداً رشداً * ولست بمخطئ إن كان غيا
أشككت في حبهم لشد هو أم غي؟

فلما حضر عند زياد، قال لأبي الأسود ذلك، فقال أبو الأسود: قل له: ما كنت أحب ألا تعلم أنني متحقق متيقن في حبهم إنه
رشد، فإن الله عز وجل قال: "وإننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين" أفوى الله عز وجل شك في ضلالتهم؟ ولكنه حققه
بهذا عليهم (2).

(601)

أبو الأسود وبنو قشير

لما وقعت الفتنة بالبصرة في أيام ابن الزبير مر أبو الأسود على مجلس

(1) " بنو قشير " صحناه من قاموس الرجال: ج 5 / 173.

(2) نور القبس: ص 9

الصفحة 411

بني قشير فقال: يا بني قشير على ماذا اجتمع في هذه الفتنة؟ قالوا: ولم تسألنا؟ قال: لأخالفه، فإن الله لا يجمعكم على هدى، وأنشد عمر في هذا المعنى (من الطويل):

إذا اشتبه الأثران يوما وأشكلا * علي ولم أعرف صوابا ولم أدر
سألت أبا بكر خليلي محمدا * فقلت له ما تستحب من الأمر
فإن قال قولا قلت شيئا خلافه * لأن خلاف الحق قول أبي بكر⁽¹⁾.

(602)

أبو الأسود ومعاوية

قال زياد لأبي الأسود: كيف حبك لعلي؟

قال حبي يزيد له شدة، كما يزداد بغضك له شدة، ويزداد لمعاوية حبا، وأيم الله، إنني لأريد بما أنا فيه الآخرة وما عند الله، وإنك لتريد بما أنت فيه الدنيا وزخرفها، وذلك زائل بعد قليل.

فقال له زياد: إنك شيخ قد خرفت، ولولا أنني أتقدم إليك لأنكرتني.

فقال أبو الأسود (من الكامل):

غضب الأمير بأن صدقت وربما * غضب الأمير على الوئ المسلم⁽²⁾

(603)

أبو الأسود ومعاوية

دخل أبو الأسود على معاوية، فقال له: أصبحت جميلا يا أبا الأسود، فلو علقت تميمة تدفع عنك العين، فقال أبو الأسود

وعرف أنه يهوأ به (من البسيط):

أفنى الشباب الذي فرقت بهجته * كر الجديدين من آت ومنطلق

لم يترك لي في طول اختلافهما * شيئاً أخاف عليه لذعة الحدق
قد كنت لرتاع للبيضاء أنظرها * في شعر رأسي وقد أيقنت بالبلق
والآن حين خضبت الرأس فلرقي * ما كنت التذ من عيش ومن خلق⁽¹⁾

(604)

أبو الأسود وزباد

قال زياد لأبي الأسود: لولا أنك قد كبرت لاستعنا بك في بعض أمورنا، فقال: إن كنت تريدني للصواع فليس عندي، وإن كنت تريد رأيي وعقلي فهو أوفر مما كان، وأنشأ يقول (من الكامل):
زعم الأمير بأن كبرت وإنما * نال المكرم من يدب على العصا
أبالمغرة رب أمر مبهم * فوجته بالمكر مني والدها⁽²⁾

(605)

ابن عباس وابن الزبير

عن الخليل أنه قال: كلم ابن عباس عبد الله بن الزبير في محمد بن الحنفية وقال: ما تريد من رجل كف لسانه ويده عنك؟ اتق الله، فإنك قادم على ربك، فقال له ابن الزبير: تكلمني في رجل سخيף الرأي ضعيف العقل، ليس له بدم ولا دين، فقال ابن عباس: رماه الله بداء لا شفاء له إن كان شوا منك في الدين والدنيا، فغضب ابن الزبير، وقال: أنت أيضا تتكلم عندي؟! فقام ابن عباس، وندم ابن الزبير على ما قال، وخرج من عند ابن الزبير من وجهه إلى الطائف، وقال: العجب من حنيكل يتعجب من كلامي عنده، وقد تكلمت غلاما عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وعند أبي بكر وعمر وعثمان

وعلي - رضي الله عنهم - يروني أحق من نطق، يستمع قلبي، وتقبل مشورتني، ليحك حنيكل جوبه، ولا ينقص علي انقياص الكتيب، أظن ابن الزبير أني مساعده على بني عبد المطلب؟! والله لأنملة من أنامل ابن الحنفية أحب إلي من ابن الزبير والله، إنه لأوفر منه عقلا، وأوفى منه عهدا، وأكمل منه رأيا، وأفضل ديناً وأصدق ورعا⁽¹⁾.

الشيعية مع معاوية

كتب معاوية إلى عثمان - بعد ما جرى بين الأشر وأصحابه وبينه وقد مر سابقا⁽¹⁾ - : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عثمان - أمير المؤمنين - من معاوية بن أبي سفيان، أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك بعثت إلي أقواما يتكلمون بالسنّة الشياطين، وما يملون عليهم، ويأتون الناس، زعموا من قبل القرآن فيشبهون على الناس، وليس كل الناس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فرقة، ويقربون فتنة، قد أثقلهم الإسلام وأضعوهم، وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيرا من الناس ممن كانوا بين ظهورانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسوهم وفجورهم، فلردهم إلى مصوهم، فلنكن لدهم في مصوهم الذي نجم فيه نفاقهم، والسلام.

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فودهم إليه، فلم يكونوا إلا أطلق السنّة منهم حين رجوا، وكتب سعيد إلى عثمان يضح منهم، فكتب عثمان إلى سعيد أن سوهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن

(1) نور القبس: ص 68 وقد مر عن الفتوح راجع: ص 285.

(2) وهم: مالك بن الحارث وزيد وصعصة ابنا صوحان، وعائد بن حملة الطهوي - من بني تميم - وكميل بن زياد النخعي وجندب بن زهير الأردني والحارث بن عبد الله الأعر الهمداني وزيد بن المكفف النخعي وثابت بن قيس بن المنقع النخعي وأصغر بن قيس بن الحارث الحارثي

الصفحة 414

الوليد وكان أموا على حمص، وهم الأشر وثابت بن قيس الهمداني وكميل بن زياد النخعي وزيد بن صوحان وأخوه صعصة وجندب بن زهير الغامدي وحبيب بن كعب الأردني وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخواصي.

وكتب عثمان إلى الأشر وأصحابه: أما بعد فإني قد سرتكم إلى حمص، فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها، فإنكم لستم تألون الإسلام وأهله شوا، والسلام.

فلما قرأ الأشر الكتاب قال: اللهم أسوءنا نظرا للرعية، وأعملنا فيهم بالمعصية فعجل له النقمة، فكتب بذلك سعيد إلى عثمان، وسار الأشر وأصحابه إلى حمص، فأقولهم عبد الرحمان بن خالد الساحل وأهوى عليهم رزقا.

وروى الواقدي: إن عبد الرحمان بن خالد جمعهم بعد أن أؤلهم أياما وفوض لهم طعاما، ثم قال لهم: يا بني الشيطان، لا مرحبا بكم ولا أهلا، قدرجع الشيطان محسورا و أنتم بعد في بساط ضلالكم وغيككم، جرى الله عبد الرحمان إن لم يؤذكم، يا معشر من لا أوي أعوب هم أم عجم، أواكم تقولون لي ما قلتم لمعاوية؟ أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ عين الودة، والله يا ابن صوحان، لأطيرن بك طوة بعيدة المهوى إن بلغني أن أحدا ممن معي دق أنفك فاقتتعت رأسك.

قال: فأقاموا عنده شهوا كلما ركب أمشاهم معه ويقول لصعصة: يا ابن الخطية، إن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، ما

لك لا تقول كما كنت تقول لسعيد ومعاوية؟ فيقولون: نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله، فما زال ذاك دأبه ودأبهم حتى قال: تاب الله عليكم. فكتب إلى عثمان يستوضيه عنهم و يسأله فيهم، فردهم إلى الكوفة⁽¹⁾.

(1) الغدير: ج 9 / 36 - 37، عن الطبري: ج 5 / 88 - 90، والكامل لابن الأثير: ج 3 / 57 - 60 وشرح ابن أبي الحديد: ج 1 / 158 - 160، وتاريخ ابن خلدون: ج 2 / 387 - 389، و تاريخ أبي الفداء: ج 1 / 168

الصفحة 415

(607)

عامر بن عبد قيس التميمي مع عثمان

أخرج الطوي من طويق العلاء بن عبد الله بن زيد العنوي أنه قال:
اجتمع ناس من المسلمين فتذكروا أعمال عثمان وما صنع، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلا يكلمه ويخبره بأحداثه،
فُرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العنوي وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس، فأتاه فدخل عليه، فقال له:
إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أمورا عظاما، فاتق الله عز وجل وتب إليه، واوَع عنها.

قال له عثمان: إنظر إلى هذا فإن الناس زعمون أنه قرئ ثم هو يجئ فيكلمني في المحقات، فوالله ما يوري أين الله.
قال عامر: أنا لا أوري أين الله؟
قال: نعم، والله ما تتوي أين الله.
قال عامر: بلى والله إنني لأوري إن الله بالموصاد لك...⁽¹⁾

(608)

عامر بن عبد قيس ومعاوية

روى ابن المبارك في الزهد من طويق بلال بن سعد: أن عامر بن عبد قيس وشي به إلى عثمان، فأمر أن ينفى إلى الشام
على قتب، فأقوله معاوية الخضواء، وبعث إليه بجلية وأمرها أن تعلمه ما حاله، فكان يقوم الليل كله ويخرج من السحر فلا
يعود إلا بعد العتمة، ولا يتناول من طعام معاوية شيئا، كان يجئ

(1) الغدير: ج 9 / 52، عن أنساب البلاذري: ج 5 / 43، وتاريخ الطبري: ج 5 / 94، والكامل لابن الأثير:
ج 3 / 62، وتاريخ ابن خلدون: ج 2 / 390

الصفحة 416

معه بكسر فيجعلها في ماء فيأكلها ويشرب من ذلك الماء.

(1)

فكتب معلوية إلى عثمان بحاله، فأمره أن يصله ويدنيه، فقال: لا رب لي في ذلك .

(609)

عبد الرحمن بن حنبل مع عثمان

قال اليعقوبي: سير عبد الرحمن صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى القموص من خيبر، وكان سبب تسييره أنه بلغه كرهه مسلوي ابنه وخاله وأنه هجاه.

وقال العلاني عن مصعب وأبي عمر في الاستيعاب: إنه لما أعطى عثمان مروان خمسمائة ألف من خمس أفريقية قال عبد الرحمن:

وأحلف بالله جهد اليمين * ما ترك الله أمرا سدى
ولكن جعلت لنا فتنة * لكي نبتلي بك أو نبتلى
دعوت الطريد فأدنيته * خلافا لما سنه المصطفى
ووليت قوباك أمر العباد * خلافا لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيمة * أثوته وحميت الحمى
ومالا أذاك به الأشوي * من الفئ أعطيته من دنا
فإن الأمينين قد بينا * منار الطريق عليه الهدى
فما أخذنا رهما غيلة * ولا قسما رهما في هوى
فأمر به فحبس بخيبر. وأنشد له المرباني في معجم الشعراء أنه قال وهو في السجن:

(1) الغدير: ج 9 / 54

الصفحة 417

إلى الله أشكو لا إلى الناس ما عدا * أبا حسن غلا شديدا أكابده
بخيبر في قعر الغموص كأنها * جوانب قبر أعماق اللحد لاحده
أإن قلت حقا أو نشدت أمانة * قتلت فمن للحق إن مات ناشده
وكتب إلى علي وعمار من الحبس:

أبلغ عليا وعمرأ فإنهما * بمقتل الرشدين الرشدين مبتدر
لا تتوكأ جاها حتى يوقه * دين الإله وإن هاجت به مرر
لم يبق لي منه إلا السيف إذ علقت * حبال الموت فينا الصادق البرر
يعلم بأنني مظلوم إذا ذكرت * وسط الندي حجاج القوم والعذر

فلم يزل علي يكلم عثمان حتى خلى سبيله على أنه لا يساكنه بالمدينة، فسوه إلى خيبر، فأقرله قلعة بها تسمى القموص، فلم يزل بها حتى ناهض المسلمون عثمان وصاروا إليه من كل بلد، فقال عبد الرحمان:

لولا علي فإن الله أنقذني * على يديه من الأغلال والصفد
لما رجوت لدى شد بجامعة * يمنى يدي غياث الفوت من أحد
نفسى فداء علي إذ يخلصني * من كافر بعد ما أغضى على صمد⁽¹⁾
فكان عبد الرحمن مع علي في صفين .

(610)

عبد الله بن حكيم مع طلحة

قال: وأتاهما عبد الله بن حكيم التميمي (يعني طلحة والزبير بعد أن زلا البصرة) لما زلا السبخة بكتب كانا كتبها إليه، فقال لطلحة: يا أبا محمد،

(1) الغدير: ج 9 / 59، عن الطبري: ج 6 / 25، وتاريخ يعقوبي: ج 2 / 150، والاستيعاب: ج 2 / 410، وشرح ابن أبي الحديد: ج 1 / 66، والإصابة ج 2 / 395 ويوجد في شرح ابن أبي الحديد طباعة بيروت:

ج 1 / 198

الصفحة 418

أما هذا كتبك إلينا؟ قال: بلى.

قال: فكُتبت: أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله، حتى إذا قتلته، أتيتنا ثأراً بدمه! فلعمري ما هذارأيك، لا تريد إلا هذه الدنيا. مهلاً! إذا كان هذارأيك، فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعاراضيا، ثم نكثت بيعته، ثم جئتنا لتدخلنا في فتنك؟

فقال: إن عليا دعاني إلى بيعته بعد ما بايع الناس، فعلمت لو لم أقبل ما عرضه علي لم يتم لي، ثم يغوي بي من معه⁽¹⁾.

(611)

عمار ومقداد مع بني أمية وعبد الرحمان بن عوف

ذكر ابن عبدربه في بيعة عثمان وما جرى في الشورى وما فعل عبد الرحمان بن عوف، فقال: قال عمار بن ياسر: إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليا، فقال المقداد بن الأسود: صدق عمار، وإن بايعت عليا قلنا: سمعنا وأطعنا.
قال ابن أبي سوح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان، إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا.
فشتم عمار ابن أبي سوح، وقال: متى كنت تتصح المسلمين؟ فتكلم بنو هاشم وبنو أمية.
فقال عمار: أيها الناس إن الله أكرمنا بنبينا وأغرنا بدينه، فإلى متى تصوفون هذا الأمر عن بيت نبيكم؟

فقال له رجل من بني مخزوم: لقد عدت طورك يا بن سمية، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها!

(1) الغدير: ج 9 / 99 عن ابن أبي الحديد: ج 9 / 318

الصفحة 419

فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمان افغ قبل أن يفتتن الناس [فقال عبد الرحمان: إني قد نظرت وشلورت] فلا تجعلن أيها الوهط على أنفسكم سبيلا - ودعا عليا - فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعلمن بكتاب الله وسنة نبيه وسورة الخليفين من بعده؟ قال: أعمل بمبلغ علمي وطاقتي، ثم دعا عثمان فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعلمن بكتاب الله وسنة نبيه، وسورة الخليفين من بعده؟ فقال: نعم، فبايعه، فقال علي: حبوته محابة ليس ذا بأول يوم تظاهرت فيه علينا، أما والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو في شأن، فقال عبد الرحمان: يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا، فإني قد نظرت وشلورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان أحدا، فخرج علي وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

فقال المقداد: يا عبد الرحمان أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

فقال: يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين.

قال: لئن كنت ردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين، ثم قال: مارأيت مثل ما أوتي أهل هذا البيت بعد نبيهم [إني لأعجب من قريش إنهم توكروا رجلا ما أقول إن أحدا أعلم منه] ولا أقضى بالعدل ولا أعرف بالحق، أما والله لو أجد أعوانا!! قال له عبد الرحمان: يا مقداد إتق الله فإني أخشى عليك الفتنة ⁽¹⁾.

(612)

عبد الرحمان بن حسان العزي ومعاوية

لما قتل حجر بن عدي - سلام الله عليه - وخمسة من أصحابه - رضوان الله

(1) العقد الفريد: ج 4 / 279، والغدير: ج 9 / 115 عنه، وقال: أخرج الطبري نحوه: ج 5 / 37 وابن الأثير في الكامل: ج 3 / 29، وابن أبي الحديد في الشرح: ج 1 / 193

الصفحة 420

عليهم - قال عبد الرحمان بن حسان وكريم بن عفيف الخثعمي (وكانا من أصحاب حجر): إبعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته، فبعثوا إلى معاوية، فأخبروه، فبعث: إئتوني بهما، فالتفتا إلى حجر، فقال له العزي: لا تبعد يا حجر، ولا يبعد مثواك، فنعم أخو ⁽¹⁾ الإسلام كنت، وقال الخثعمي نحو ذلك، ثم مضى بهما، فالتفت العزي فقال متمثلا:

كفى بشفاة القبر بعدا لهالك * وبالموت قطاعا لحبل القوائن

فلما دخل عليه الخثعمي قال له: الله الله يا معاوية، إنك منقول من هذه الدار الوائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عم

لُدت بقتلنا وفيهم سفكت دماءنا، فقال: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك: أتوأ من دين علي الذي كان يدين الله به؟
وقام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه، فقال: هو لك غير أنني حابسه شهرا فحبسه، ثم أطلقه على أن لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان، فقول الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر.
وأقبل على عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا أخاربيعة، ما تقول في علي؟ قال: أشهد أنه من الذاكرين الله كثيرا، والأمينين بالمعروف، والناهيين عن المنكر، والعافين عن الناس.

قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، ولرتج أبواب الحق.
قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت لأربيعة بالوادي (يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه).
فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه: إن هذا شر من بعثت به فعاقبه

(1) هكذا في المصدر الصحيح "أخا"

الصفحة 421

(1) بالعقوبة التي هو أهلها، واقتله شر قتلة، فلما قدم به على زياد بعث به إلى قيس الناطف فدفنه حيا .

(613)

أبو الطفيل ومعاوية

قدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية، فأخبر معاوية بقومته، فُرسل إليه، فأثاه وهو شيخ كبير، فلما دخل عليه، قال له معاوية:

أنت أبو الطفيل عامر بن واثلة؟ قال: نعم.

قال معاوية: أكنت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن ممن شهد فلم ينصوه.

قال: ولم؟ قال: لم ينصوه المهاجرون والأنصار.

فقال معاوية: أما والله إن نصوته كانت عليهم وعليك حقا واجبا وفرضا لازما، فإذا ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهلُه، وأصلركم إلى ما رأيتم.

فقال أبو الطفيل: فما منعك يا أمير المؤمنين، إذ توبصت به ريب المنون، أن تنصوه ومعك أهل الشام؟ فقال معاوية: أو ما ترى طلبي لدمه [نصوة له].

فضحك أبو الطفيل وقال: بلى ولكني وإياك، كما قال عبيد بن الأبرص:

لا أعرفك بعد الموت تتدبني * وفي حياتي ما زودتني زادي

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحكم فلما جلسوا نظر إليهم معاوية، ثم قال: أتعرفون هذا

الشيخ؟ قالوا: لا، فقال معاوية:

هذا خليل علي بن أبي طالب، وفارس صفين، وشاعر أهل العواق، هذا أبو الطفيل، قال سعيد بن العاص: قد عرفناه يا

أمير المؤمنين، فما يمنعك منه؟

(1) الغدير: ج 9 / 120، عن الأغاني: ج 16 / 10، والطبري: ج 6 / 115، وتاريخ ابن عساكر: ج 2 / 379، والكمال لابن الأثير: ج 3 / 209

الصفحة 422

وشتمه القوم، فوجهم معاوية، وقال: مهلا فوب يوم لرتفع عن الأسباب قد ضقت به رعا، ثم قال: أتوف هؤلاء يا أبا

الطفيل؟ قال: ما أنكرهم من سوء، ولا أعرفهم بخير، وأنشد شوا:

فإن تكن العدوة قد أكنت * فشر عدوة المراء السباب

فقال معاوية: يا أبا الطفيل ما أبقي لك الدهر من حب علي؟ قال: حب أم موسى، وأشكو إلى الله التقصير.

فضحك معاوية وقال: ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عني ما قالوا هذا، فقال مروان: أجل والله، لا نقول الباطل

(1)

(1) راجع الإمامة والسياسة: ج 1 / 165، والغدير: ج 9 / 139 عنه، وعن المروج، وتاريخ ابن عساكر:

ج 7 / 201، والاستيعاب في الكنى، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص 133 أقول: قد مر ج 1 ص 248 عن العقد والمروج

وغورهما، وتوجد في صفين لنصر: ص 554 على اختلاف ألفاظ الروايات وزاد نصر في آخرها: ثم قال معاوية: هو الذي

يقول - يعني أبا لطفيل -: (إلى رجب السبعين تعرفوني مع السيف في خيل وأحامي عديدها) وقال معاوية: يا أبا الطفيل،

أجرها، فقال أبو الطفيل:

زحوف كركن الطود كل كتيبة * إذا استمكنك منها يفل شديدها

كأن شعاع الشمس تحت لوائها * بها ينصر الرحمان ممن يكيدها

لها سوعان من رجال كأنها * نواهي السباع نوها وأسودها

يمورون مور العوج ثم ادعؤهم * إلى ذات أنداد كثير عديدها

إذا نهضت مدت جناحين منهم * على الخيل فوسان قليل صدودها

كهول وشبان يرون دماءكم * طهروا وثرات لها تستقيدها

كأنني أراكم حين تختلف القنا * وزالت بأكفال الرجال لبودها

ونحن نكر الخيل كوا عليكم * كخطف عتاق الطير طوا تصيدها

إذا نعت موتى عليكم كثرة * وعيت أمور غاب عنكم رشيدها

هنالك النفس تابعة الهدى * ونار إذا ولت وأز شديدها

فلا تجرعا إن أعقب الدهر دولة * وأصبح مناكم قريبا بعيدها

فقالوا: نعم، قد عرفناه، هذا أفحش شاعر، وألام جليس، فقال معاوية: يا أبا الطفيل، أنتعرف هؤلاء؟ قال: ما أعرفهم بخير ولا أبعدهم من شر. فأجابه أيمن بن خريم الأسدي:

<=



(614)

أم سلمة ومعاوية

كتب معاوية إلى عماله أن يلعنوه على المنابر - أي يلعنوا أمير المؤمنين عليا صلوات الله عليه - ففعلوا، فكتبت أم سلمة - زوج النبي صلى الله عليه وآله - إلى معاوية:

"إنكم تلعنون الله ورسوله على مناياكم، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله"

فلم يلتفت إلى كلامها ⁽¹⁾.

(615)

الأشتر وعثمان

إن عثمان كتب إلى الأشتر وأصحابه مع عبد الرحمن بن أبي بكر والمسور بن مخزومة يدعوهم إلى الطاعة، ويعلمهم أنهم أول من سن الفقة، ويأمرهم بتقوى الله ومراجعة الحق، والكتاب إليه بالذي يحبون.

فكتب إليه الأشتر: من مالك بن الحرث إلى الخليفة المبتلى الخاطئ الحائد عن سنة نبيه النابذ لحكم القوان وراء ظهره.

أما بعد فقد قرأنا كتابك، فإنه نفسك وعمالك عن الظلم والعوان وتسيير الصالحين نسمح لك بطاعتنا وزعمت أنا قد ظلمنا أنفسنا، وذلك ظنك الذي لرداك، فأراك الجور عدلا والباطل حقا، وأما محبتنا فإن توع وتنوب وتستغفر الله من تجنيك على خيلنا، وتسييرك صلحاءنا، وإخراجك إيانا من ديارنا،

=>

إلى رجب أو عوة الشهر بعده * يصبحكم حمر المنايا وسودها

ثمانين ألفا دين عثمان دينهم * كتائب فيها جرنيل يقودها

فمن عاش عبدا عاش فينا ومن يمت * ففي النار يسقى، مهلهلها وصديدها

(1) العقد الفريد: ج 4 / 366، والغدير: ج 2 / 102 عنه

وتولييتك الأحداث علينا، وأن تولي مصونا عبد الله بن قيس أبا موسى الأشعري وحذيفة فقد رضيتهما، واحبس عنا وليدك وسعيدك ومن يدعوك إليه الهوى من أهل بيتك إن شاء الله. والسلام ⁽¹⁾.

(616)

صعصعة وعثمان

قام صعصعة إلى عثمان بن عفان وهو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين ملت فمالت أمتك، اعتدل يا أمير المؤمنين تعتدل أمتك.

قال: وتكلم صعصعة يوماً فأكثر، فقال عثمان: يا أيها الناس إن هذا البجباغ النفاج ما يئوي من الله، ولا أين الله. فقال: أما قولك: ما أئوي من الله. فإن الله ربنا ورب آبائنا الأولين، وأما قولك: لا أئوي أين الله. فإن الله لبالموصاد، ثم قأ: " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصوهم لقدير " .

فقال عثمان: ما قلت هذه الآية إلا في وفي أصحابنا، أخرجنا من مكة بغير حق ⁽²⁾ .

(617)

ابن أخت شوحبيل وشوحبيل

لما خدع معاوية شوحبيل وصمم رأييه وشحذ عزمه، بلغ ذلك قومه فبعث ابن أخت له من برق - وكان يرى رأي علي بن أبي طالب، فبايعه بعد، وكان ممن لحق من أهل الشام وكان ناسكا - فقال:
لعمر أبي الأشقى ابن هند لقد رمى * شوحبيل بالسهم الذي هو قاتله

(1) الغدير: ج 9 / 142، عن أنساب الأشراف: ج 5 / 46.

(2) الغدير: ج 9 / 147 ، وقال: لوعز إليه في لسان العرب في (بجباغ). وابن عساكر في تزيخه:

ج 6 / 424 ، والزمخشري في الفائق: ج 1 / 35

الصفحة 425

ولف قومًا يسحبون ذبولهم * جميعاً وأولى الناس بالذنب فاعله
فألفى يمانياً ضعيفاً نخاعه * إلى كل ما يهجون تحدى رواحله
فطأطأ لها لمارموه بثقلها * ولا يبرزق التقوى من الله خاذله
ليأكل دنيا لابن هند بدينه * ألا وابن هند قبل ذلك آكله
وقالوا علي في ابن عفان خدعة * ودبت إليه بالشنان غوائله
ولا والذي رُسى ثبوا مكانه * لقد كف عنه كفه ووسائله
وما كان إلا من صحاب محمد * وكلهم تغلي عليه مواجله
فلما بلغ شوحبيل هذا القول قال: هذا بعيث الشيطان، الآن امتحن الله قلبي.

(1) والله لأسيرن صاحب هذا الشعر أو ليفوتنني. فهرب الفتى إلى الكوفة - وكان أصله منها - وكاد أهل الشام أن يوتلوا .

(618)

النجاشي بن الحرث وشوحبيل بن السمط

بعث النجاشي بن الحرث إلى شوحبيل وكان صديقا له:

شوحبيل ما للدين فرقت أمونا * ولكن لبغض المالكي حرير
وشحناء دبت بين سعد وبينه * فأصبحت كالحادي بغير بعير
وما أنت إذ كانت بجيلة عاتبت * قريشا فيا الله بعد نصير
أنفصل أمرا غبت عنه بشبهة * وقد حار فيها عقل كل بصير
بقول رجال لم يكونوا أئمة * ولا للتي لقوها بحضور
وما قول قوم غائبين تقاذفوا * من الغيب ما دلاهم بغرور
وتترك أن الناس أعطوا عهدهم * عليا على أنس به وسرور

(1) ورقة صفين لنصر: ص 49 - 50، والغدير: ج 10 / 297، عنه، والاستيعاب: ترجمة شرحبيل، وأسد الغابة: ج 2 / 392، والجزري في الكامل: ج 3 / 119، وشرح ابن أبي الحديد ج 1 / 139 و 249 و 250

الصفحة 426

إذا قيل هاتوا واحدا تقتونه * نظروا له لم يفصوا بنظير
(1) لعلك أن تشقى الغداة بحربه * شوحبيل، ما ما جئته بصغير

(619)

جمع من رسل علي عليه السلام عند معاوية

(بعد أن استرد أهل العواقر الماء من أهل الشام) قال: ثم إن عليا دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي، فقال: ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله عز وجل وإلى الطاعة والجماعة، وإلى اتباع أمر الله تعالى.

فقال له شبث: ألا نطمعه في سلطان توليه إياه، ومقولة تكون به له أوة عندك إن هو بايعك؟

قال علي: ائتوه الآن فألقوه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه - وهذا في شهر ربيع الآخر - فألقوه فدخلوا عليه، فحمد أبو

عمرة بن محصن الله وأثنى عليه وقال:

يا معاوية، إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله عز وجل مجزيك بعملك، ومحاسبك بما قدمت يداك، وإنني

أنشدك بالله أن تفوق جماعة هذه الأمة، وأن تسفك دماءها.

فقطع معاوية عليه الكلام، فقال: هلا أوصيت صاحبك؟

فقال: سبحان الله، إن صاحبي ليس مثلك، إن صاحبي أحق البرية في هذا الأمر في الفضل والدين والسابقة والإسلام،
والقوبة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
قال معاوية: فتقول ماذا؟ قال: أدعوك إلى تقوى ربك وإجابة ابن

(1) وقعة صفين لنصر: ص 51، والغدير: ج 10 / 297 عنه، وعن الاستيعاب: ترجمة شرحبيل وأسد الغابة:

ج 2 / 392، والكامل لابن الأثير: ج 3 / 119، وشوح ابن أبي الحديد: ج 1 / 139 و 249 و 250 وفي طبع بيروت:
ج 3 / 84

الصفحة 427

عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق، فإنه أسلم لك في دينك، وخير لك في عاقبة أمرك. قال: ويطل دم عثمان؟ لا والرحمان،
لا أفعل ذلك أبدا. قال: فذهب سعيد يتكلم فيه شبت فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:
يا معاوية قد فهمت ما رددت على ابن محصن، إنه لا يخفي علينا ما تقب وما تطلب، إنك لا تجد شيئا تستعوي به الناس
وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا أن قلت لهم: قتل إمامكم مظلوما فهلما نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام
رذال، وقد علمنا أنك قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل بهذه المقالة التي تطلب، ورب مبتغ أمرا وطالبه يحول الله
دونه، وربما أوتي المتمني أمنيته، وربما لم يؤتها. والله ما لك في واحدة منها خير، والله لئن أخطأك ما تجو إنك لشر
العرب حالا، ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق صلي النار، فائق الله يا معاوية، ودع ما أنت عليه، ولا تنزع الأمر
أهله.

قال: فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال:

" أما بعد فإن أول ما عرفت به سفهك وخفة حلمك: قطعك على هذا الحبيب الشريف سيد قومه منطقه، ثم عتبت بعد فيما لا
علم لك به. ولقد كذبت ولويت أيها الأعوابي الجلف الجافي في كل ما وصفت وذكوت.

انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف " قال: وغضب فخرج القوم وشبت يقول: أفعلىنا تهول بالسيف أما والله
لنعجلنه إليك، فأثروا عليا عليه السلام فأخبروه بالذي كان من قوله، وذلك في شهر ربيع الآخر (1).

(1) وقعة صفين لنصر: ص 187، والغدير: ج 9 / 150 عنه وعن الطبري والجزري وابن أبي الحديد:

ج 10 / 307

الصفحة 428

(620)

رسل أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية

عن المحل بن الخليفة قال: (بعد أن اقتتل الناس ذا الحجة كله تداعوا أن يكفوا عن القتال إلى أن ينقضي المحرم لعل الله أن

يجري صلحا) لما توادع علي عليه السلام ومعاوية بصفين اختلف الرسل فيما بينهما رجاء الصلح، فرسل علي بن أبي طالب إلى معاوية عدي بن حاتم، وشبث بن ربعي، ويؤيد بن قيس، وزباد بن خصفة، فدخلوا على معاوية، فحمد الله عدي بن حاتم وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإننا أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا، ويحقق الله به دماء المسلمين، وندعوك إلى أفصلها سابقة وأحسنها في الإسلام آثرا، وقد اجتمع له الناس، وقد أرشدهم الله بالذي رأوا فأتوا، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك، فأنته يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل.

فقال له معاوية: كأنك جئت متهددا ولم تأت مصلحا. هيهات يا عدي، كلا والله، إني لابن حرب ما يقعق لي بالشنان. أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان، وأنت لمن قتلته، وإني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله. هيهات يا عدي، قد حلبت بالساعد الأشد.

وقال له شبث بن ربعي وزباد بن خصفة - وتتلعا كلاما واحدا -: أتيناك فيما يصلحنا وإياك، فأقبلت تضرب الأمثال لنا. دع ما لا ينفع من القول والفعل، وأجبنا فيما يعمننا وإياك نفعه. وتكلم يزيد بن قيس الأرحبي فقال:

إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بعثنا به إليك، ولنؤدي عنك ما سمعنا منك، لن ندع أن ننصح لك، وأن نذكر ما ظننا أن لنا به عليك حجة، أو أنه راجع بك إلى الألفة والجماعة، إن صاحبنا لمن قد عرفت وعرف المسلمون فضله، ولا

الصفحة 429

أظنه يخفي عليك أن أهل الدين والفضل لن يعدلوك بعلي عليه السلام ولن يميلوا بينك وبينه فاتق الله يا معاوية، ولا تخالف عليا، فإننا والله مارأينا رجلا قط أعمل بالتقوى، ولا أهد في الدنيا، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه. فحمد الله معاوية وأثنى عليه وقال:

أما بعد فإنكم دعوتكم إلى الطاعة والجماعة، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فنعمنا هي، وأما الطاعة لصاحبكم فإننا لا زأها. إن صاحبكم قتل خليفتنا، وفوق جماعتنا، ولوى ثلرنا وقتلتنا، وصاحبكم زعم أنه لم يقتله، فنحن لا نرد ذلك عليه، رأيتم قتلة صاحبنا؟ ألسنتم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم؟!

فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال له شبث بن ربعي: أيسرك يا معاوية أن أمكنت من عمار بن ياسر فقتلته؟ قال: وما يمنعني من ذلك؟ والله لو أمكنني صاحبكم من ابن سمية⁽¹⁾ ما قتلته بعثمان، ولكن كنت أقتله بنائلا مولى عثمان بن عفان، فقال له شبث وإله السماء ما عدلت معدلا، لا والله الذي لا إله إلا هو لا تصل إلى قتل ابن ياسر حتى تنذر الهام عن كواهل الرجال، وتضيق الأرض الفضاء عليك روجها فقال له معاوية: إنه لو كان ذلك كانت عليك أضيق.

ورجع القوم عن معاوية، فلما رجعوا من عنده بعث إلى زياد بن خصفة التيمي فدخل عليه، فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم

قال:

أما بعد يا أخاربيعة فإن عليا قطع لرحامنا، وقتل إمامنا، ولوى قتلة صاحبنا، وإنني أسألك النصرة عليه بأسرتك وعشيرتك ولك علي عهد الله وميثاقه إذا ظهرت أن أوليك أي المصوين أحببت.

(1) سمية: هي أم عمار بن ياسر، وهي أول شهيدة استشهدت في الإسلام، وجأها أبو جهل بحربة فماتت

الصفحة 430

قال أبو المجاهد (سعد الطائي الكوفي): سمعت زياد بن خصفة يحدث بهذا الحديث قال: فلما قضى معاوية كلامه حمدت الله وأثنيته عليه ثم قلت له:

"أما بعد فإني لعلى بينة من ربي، وبما أنعم علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين".

قال: ثم قمت، فقال معاوية لعمر بن العاص - وكان إلى جانبه جالسا -:

ليس يكلم رجل منارجل منهم بكلمة فيجيب بخير، ما لهم غضبهم الله، ما قلوبهم إلا قلب رجل واحد (1).

(621)

عمار وعبيد الله بن عمرو بن العاص

قال: ثم مضى - يعني عمار بن ياسر - ومضى معه أصحابه، فلما دنا من عمرو بن العاص قال: يا عمرو بعث دينك بمصر! تبا لك، وطالما بغيت الإسلام عوجا! ثم حمل عمار، وهو يقول:

صدق الله وهو للصدق أهل * وتعالى ربي وكان جليلا

رب عجل شهادة لي بقتل * في الذي قد أحب قتلا جميلا

مقبلا غير مدبر إن للقتل * على كل ميتة تفضيلا

إنهم عند ربهم في جنان * يشربون الحقيق والسلسيلا

من شواب الأوار خالطه المسك * وكأسا مزاجها زنجبيلا

ثم نادى عمار عبيد الله بن عمر، وذلك قبل مقتله، فقال: يا ابن عمر صوعك الله! بعث دينك بالدنيا من عدو الله وعدو الإسلام. قال: كلا، ولكن أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم. قال: كلا أشهد على علمي فيك أنك

(1) وقعة صفين لنصر: ص 197 - 200، والغدير: ج 10 / 308 - 309، عن الطبري: 6 / 3 والجزري:

3 / 124، وابن كثير: 7 / 258، وفي بعضها: "حنظلة"

الصفحة 431

أصبحت لا تطلب بشئ من فعلك وجه الله، وإنك إن لم تقتل اليوم فستموت غدا. فانظر إذا أعطى الله العباد على نياتهم ما

نيتك؟

ثم قال عمار: اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت. اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك أن أضع ظبة سيفي في بطني ثم أنحني عليها حتى يخرج من ظهري لفعلت. اللهم وإنني أعلم مما أعلمتني أنني لا أعمل اليوم عملاً هو رضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ولو أعلم اليوم عملاً رضى لك منه لفعلته ⁽¹⁾.

(622)

أهل الواق مع خطيب أهل الشام

قال: (بعد قصة التحكيم وخلاف الخولج وراعتهم من علي عليه السلام) وقام خطيب أهل الشام حمل بن مالك بين الصفيين فقال:

أنشدكم الله يا أهل الواق إلا أخوتونا لم فلقتمونا؟

قالوا: فلقناكم لأن الله عز وجل أحل الواءة ممن حكم بغير ما أقر الله، فتوليتم الحاكم بغير ما أقر الله، وقد أحل عداوته وأحل دمه إن لم يرجع إلى التوبة ويوء بالدين. وزعمتم أنتم خلاف حكم الله فتوليتم الحاكم بغير ما أقر الله وقد أمر الله بعداوتيه، وحرمت دمه وقد أمر الله بسفكه، فعاديانكم لأنكم حرمت ما أحل الله، وحللت ما حرم الله، وعطلت أحكام الله، واتبعتم هواكم بغير هدى من الله.

قال الشامي حمل بن مالك: قتلتم أخانا وخليفتنا ونحن غيب عنه، بعد أن استتبتموه فتأب، فعجلتم عليه فقتلتموه، فنذكركم الله لما أنصفتكم الغائب المتهم لكم، فإن قتله لو كان عن ملاء من الناس ومشورة كما كانت إمرته، لم يحل لنا

(1) وقعة صفيين لنصر: ص 320

الصفحة 432

الطلب بدمه، وإن أطيب التوبة والخير في العاقبة أن يعرف من لا حجة له الحجة عليه وذلك أقطع للبغي، وأقرب للمناصحة. وقد رضينا أن تعوضوا ذنوبه على كتاب الله أولها وآخرها فإن أحل الكتاب دمه برئنا منه ومن قواه ومن يطلب دمه وكنتم قد أجزتم في أول يوم وأخوه، وإن كان كتاب الله يمنع دمه ويحرمه تبتم إلى الله ربكم، وأعطيتم الحق من أنفسكم في سفك دم بغير حله بعقل أو قود، أو واءة ممن فعل ذلك وهو ظالم. ونحن قوم نقو القوان وليس يخفى علينا منه شيء، فأفهمونا الأمر الذي استحللتم عليه دماءنا.

قالوا: نعم قد بعثنا منارجلًا ومنكم رجلًا يقو القوان كله ويتدل سان ما فيه، ويؤلان عند حكمه علينا وعليكم. وإننا قد بعثنا منا من هو عندنا مثل أنفسنا، وجعلنا لهما أن ينتهيا إليه، وأن يكون أوهما على تودة، ونسأل عما يجتمعان عليه وما يتوقان عنه، فإنما فلقناكم في تفسيره ولم نفرقكم في تنزيله. ونحن وأنتم نشهد أنه من عند الله، فإنما نريد أن نسأل عنه مما تفسرون، مما جهلنا نحن تفسيره، فنسأل عنه أهل العلم منا ومنكم، فأعطيناكم على هذا الأمر ما سألت من شأن الحكمين. وإنما بعثنا ليحكمنا بكتاب الله، يحييان ما أحيا الكتاب ويميتان ما أمات الكتاب، فأما ما لم يجدا في الكتاب فالسنة العادلة الجامعة غير المفوقة. ولم

يبعثا ليحكمما بغير الكتاب. ولو أرادا اللبس على أمة محمد لوثت منهما الذمة، وليس لهما على أمة محمد حكم. فلما سمع المسلمون قولهم علموا أن على كل مخاصم إنصاف خصيمه وقبول الحق منه وإن كان قد منعه فقاتل عليه، لأنهم إلى الحق دعوا أول يوم، وبه عملوا يقينا غير شك، ومن الباطل استعتوا، وعلى عماية قتلوا من قتلوا. ونظر القوم في أمرهم، وشلوروا قائدهم، وقالوا: قد قبلنا من عثمان بن عفان حين دعي إلى الله والتوبة من بغيه وظلمه، وقد كان منا عنه كف حين أعطانا أنه تائب حتى جرى علينا حكمه بعد تعريفه ذنوبه، فلما لم يتم التوبة وخالف

الصفحة 433

بفعله عن توبته قلنا: اعتزلنا ونولي أمر المؤمنين رجلا يكفيك ويكفيانا، فإنه لا يحل لنا أن نولي أمر المؤمنين رجلا ننتهمه في دماننا وأموالنا، فأبى ذلك وأصر، فلما أن رأينا ذلك منه قتلناه ومن قلاه بعد قتلنا إياه، وهم يعرضون كتاب الله بيننا وبينهم، ويسألونا حجتنا عليهم، وإنما هم صادقون أو كاذبون في نيتهم، وليس لنا عذر في إنصافهم والموادعة والكف عنهم حتى رجعوا بتوبة أو مناصحة بعد أن نقررهم ونعرفهم ظلهم وبغيهم، أو يصوروا فيغلبنا عليهم ما غلبنا على قائدهم فنقتلهم، فإنما نطلب الحجة بعد العذر، ولا عذر إلا ببينة، ولا بينة إلا بقرآن أو سنة.

وهم خطاء في الدين، ومقررون بالكتاب والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليسوا بمقتولة أحد ممن حارب المسلمين، أهل بغي ممن أمر الله أن يقاتلوا حتى يفيتوا من بغيهم إلى أمر الله، وورثوا، ببغيهم من الإيمان، قال الله عز وجل على لسان نبيه داود: " وإن كثروا من الخطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ". هؤلاء منافقون، لأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف وقتالهم عليه، ولا يتابعهم ما أسخط الله وكوهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، بذلك تفنى حسناتهم، وذلك أنه كانت لهم حسنات لم تنفعهم حين عاداهم، فقبل أمير المؤمنين مناصفتهم في المنزعة عند الحكمين بالدين بأن يحكم بكتاب الله، ويرد المحق والمبطل إلى أمره و [ما] يرضى به، وفيما قل بهم أمر ليس فيه قرآن يعرفونه فالسنة الجامعة العادلة غير المفوقة، فلم يكن يسع أحدا من الوقيين ترك كتاب الله والسنة بعد قول الله عز وجل في صفة عنوه ومن وغب عن كتابه وهو مقر بتقيله، حامل لميثاقه: " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون " وقال الله تعالى يعرفهم بذلك: " أفي قلوبهم مرض أم لتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون " وما أولئك بالمؤمنين، إنهم

الصفحة 434

لو كانوا مؤمنين رضوا بكتابي ورسولي. ثم أقول: " إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون " يعني أنهم أصابوا حقائق الإيمان والصلح فلم يسع عليا أمير المؤمنين إلا الكف بعد توكيدهم الميثاق، وضربهم الأجل، والوضا بأن يحكم بينهم رجالان بكتاب الله - فيما تتلوع فيه عباد الله - بما أقول الله وسنة رسوله، ليبلغ الشاهد الغائب منهم سبيل المحق من المبطل ألا يغير بمؤمن غائب مرضا غوي (1) أو عم غير مهتد، فيسمى أمير المؤمنين من كل باسمه حتى يؤه الكتاب على مقتله (2).

شريح بن هاني مع عمرو بن العاص

عن النضر بن صالح قال: كنت مع شريح بن هاني في غزوة سجستان، فحدثني: أن علياً أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص، قال له: قل لعمرو إن لقيته: إن علياً يقول لك: إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده. والله يا عمرو إنك لتعلم أين موضع الحق فلم تتجاهل؟ أبأن أوتيت طمعاً يسوا فكنتم لله ولأوليائه عدواً، فكأن والله ما أوتيت قد زال عنك، فلا تكن للخائنين خصيماً، ولا للظالمين ظهراً. أما إنني أعلم أن يومك الذي أنت فيه نادم هو يوم وفاتك، وسوف تتمنى أنك لم تظهر لمسلم عدوة، ولم تأخذ على حكم رشوة. قال شريح: فأبلغته ذلك فتمعر وجه عمرو وقال: متى كنت أقبل مشورة

(1) كذا وردت هذه العبارة.

(2) وقعة صفين لنصر: ص 514 - 517

الصفحة 435

علي أو أنيب إلى أمره وأعدت رأيته؟! فقلت: وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من هولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه وآله مشورته. لقد كان من هو خير منك، أبو بكر وعمر، يستشوانه ويعملان وأيه. فقال: إن مثلي لا يكلم مثلك. فقلت: بأي أبويك ترغب عن كلامي؟ بأبيك الوشيظ⁽¹⁾، أم بأملك النابغة؟ فقام من مكانه، وأقبلت رجال من قريش على معاوية فقالوا: إن عمراً قد أبطأ بهذه الحكومة وهو يريد أن يبعث إليه معاوية....⁽²⁾

شاعر الواق وشاعر الشام

بعد خدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري، قال كعب بن جعيل شاعر معاوية:

كأن أبا موسى عشية أفرح * يطوف بلقمان الحكيم يولبه
فلما تلاها في ذات محمد * نمت بآبن هند في قريش مضربه
سعى بآبن عفان ليبرك ثره * وأولى عباد الله بالتأثر طالبه
وقد غشيتنا في الزبير غضاضة * وطلحة إذ قامت عليه نوادبه
فرد ابن هند ملكه في نصابه * ومن غالب الأقدار فآله غالبه
وما لابن هند في لؤي بن غالب * نظير وإن جاشت عليه أقرابه
فهذا ملك الشام واف سنامه * وهذا ملك القوم قد جب غلبه
يحاول عبد الله عمراً⁽³⁾ وإنه * ليضوب في بحر عريض مذهبه

دحا دحوة في صوره فهوت به * إلى أسفل المهوى ظنون كواذبه

فود عليه رجل من أصحاب علي فقال:

(1) الوشيظ: الخسيس، والتابع، والحليف، والدخيل في القوم ليس من صميمهم.

(2) وقعة صفين لنصر: ص 542 وقد مر ص 310 فراجع.

(3) كذا في الأصل والصحيح عمروا

الصفحة 436

غترتم وكان الغدر منكم سجية * فما ضونا عذر اللئيم وصاحبه

وسميتم شر البرية مؤمنا * كذبتم فشر الناس للناس كاذبه

ولكم بن (1) حرب بصوة * بلعن رسول الله إذ كان كاتبه (2)

(625)

عمرو بن العاص وابن عباس

قال عمرو بن العاص حين خدع أبا موسى:

(3) خدعت أبا موسى خديعة شيطم * يخادع سقبا في فلاة من الأرض

(4) فقلت له إنا كرهنا كليهما * فنخلعهما قبل التلائل والدحض

(5) فإنهما لا يغضيان على قذى * من الدهر حتى يفصلان على أمض

فطلوعني حتى خلعت أخاهم * وصار أخونا مستقيما لدى القبض

وإن ابن حرب غير معطيهم إلا * ولا الهاشمي الدهر أو يربع الحمض

فود عليه ابن عباس فقال:

كذبت ولكن مثلك اليوم فاسق * على أموكم يبغي لنا الشر والغلا

ووعم أن الأمر منك خديعة * إليه وكل القول في شأنكم فضلا

فأنتم ورب البيت قد صار دينكم * خلافا لدين المصطفى الطيب العدلا

أعاديتم حب النبي ونفسه * فما لكم من سابقات ولا فضلا

وأنتم ورب البيت أخبت من مشى * على الأرض ذا نعلين أو حافيارجلا

(6) غترتم وكان الغدر منكم سجية * كأن لم يكن حرثا وأن لم يكن نسلا

(1) كذا في الأصل والصحيح " يابن ".

(2) وقعة صفين لنصر: ص 549.

(3) الشيزم: الطويل الجسيم الفتى من الناس والخيل والإبل. والسقب: ولد الناقة.

(4) التلاتل: الشدائد. والدحض: الثلق والزلل.

(5) الأمض: الباطل والشك.

(6) وقعة صفين لنصر: ص 550

الصفحة 437

(626)

ابن أبي الحديد مع متكلم إمامي

قال ابن أبي الحديد: وقلت لمتكلم من متكلمي الإمامية يعرف بعلي بن تقي من بلدة النيل⁽¹⁾: وهل كانت فدك إلا نخلا يسروا وعقرا ليس بذلك الخطير؟!

فقال لي: ليس الأمر كذلك. بل كانت جليلة جدا، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتقوى علي بحاصلها وغلتها على المنزعة في الخلافة، ولهذا اتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس، فإن الفقير الذي لا مال تضعف همته ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولا بالاحتراف والاكتماب عن طلب الملك والرياسة⁽²⁾.

(627)

علوي مع ابن أبي الحديد

قال: قال لي علوي من الحلة يعرف بعلي بن مهنا، ذكي ذو فضائل: ما تظن قصد أبي بكر وعمر بمنع فاطمة فدكا؟ قلت: ما قصدا؟ قال: أرادا ألا يظهرا علي - وقد اغتصباه الخلافة - رقة ولينا وخذلانا، ولا يرى عندهما خيرا فاتبعا القوح بالقوح

(3)

(628)

عبد الوحمان بن غنم مع أبي هروة وأبي الرداء

قال أبو عمر في الاستيعاب ج 2 / 424 هامش الإصابة: كان عبد الوحمان

(1) النيل هنا: بليدة في سواد الكوفة.

(2) شوح ابن أبي الحديد: ج 16 / 236.

(3) المصدر نفسه

ابن غنم - الصحابي - من أفعه أهل الشام، وهو الذي فقه عامة التابعين بالشام، كانت له جلاله وقدر، وهو الذي عاتب أبا هريرة وأبا الرداء بمحص إذ انصوفا من عند علي رضي الله عنه رسولين لمعاوية، وكان مما قال لهما: عجا منكما، كيف جاز عليكما ما جئتما به، تدعوان عليا إلى أن يجعلها شوري، وقد علمتما أنه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق، وأن من رضىه خير ممن كرهه، ومن بايعه خير ممن لم يبايعه؟ وأي مدخل لمعاوية في الشورى وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة، وهو وأبوه من رؤوس الأخاب؟
(1)
فندما على مسروهما وتابا منه بين يديه .

(629)

عبد الرحمن مع شوحيل

قال: فلما قدم كتاب معاوية على شوحيل وهو بحمص استشار أهل اليمن فاختلوا عليه، فقام إليه عبد الرحمن بن غنم الأودي وهو صاحب معاذ بن جبل وخنته، وكان أفعه أهل الشام، فقال:
يا شوحيل بن السمط، إن الله لم يزل يزيدك خوا مذ هاجرت إلى اليوم، وإنه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس، ولا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. إنه قد ألقى إلينا قتل عثمان، وأن عليا قتل عثمان (وأنه ألقى إلى معاوية أن عليا قتل عثمان ولهذا يريدك). فإن يك قتله فقد بايعه المهاجرون والأنصار، وهم الحكام على الناس، وإن لم يكن قتله فعلام تصدق معاوية عليه؟ لا تهلك نفسك وقومك. فإن كرهت أن يذهب بخطها جرير فسر إلى علي فبايعه على شامك وقومك.
فأبى شوحيل إلا أن يسير إلى معاوية، فبعث إليه عياض الشمالي وكان

(1) أسد الغابة: ج 10 / 318 في ترجمته، وراجع الغدير: ج 10 / 331، وقاموس الرجال: ج 5 / 308 عنه

ناسكا:

(1) يا شوح يا ابن السمط إنك بالغ * بود علي ما تريد من الأمر
ويا شوح إن الشام شامك ما بها * سواك فدع قول المضلل من فهر
فإن ابن حرب ناصب لك خدعة * تكون علينا مثل راغية البكر
فإن نال ما وجو بنا كان ملكنا * هنيئا له، والحرب قاصمة الظهر
فلا تبغين حرب العراق فإنها * تحرم أطهار النساء من الذعر
وإن عليا خير من وطأ الحصى * من الهاشميين المدليك للوتر
له في رقاب الناس عهد وذمة * كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر

فبايع ولا توجع على العقب كافوا * أعيذك بالله الغريز من الكفر
ولا تسمعن قول الطغام فإنما * يريدون أن يلقوك في لجة البحر
وماذا عليهم أن تطاعن دونهم * عليا بأطراف المنقفة السمر
فإن غلبوا كانوا عليك أئمة * وكنا بحمد الله من ولد الظهر
وإن غلبوا لم يصل بالحرب غيونا * وكان علي حربنا آخر الدهر
يهون على عليا لؤي بن غالب * دماء بني قحطان في ملكهم تحوي
فدع عنك عثمان بن عفان إننا * لك الخير، لا نوي وإنك لا تنوي
على أي حال كان مصوع جنبه * فلا تسمعن قول الأعبور أو عمرو⁽²⁾

(630)

عبد الله بن عباس ومعاوية

قال معروف بن خربوذ المكي: بينا عبد الله بن عباس جالس في المسجد ونحن بين يديه إذ أقبل معاوية فجلس إليه، فأعرض عنه ابن عباس، فقال له

(1) شرح: مرخم شرحبيل، وهذا بضم الشين وفتح الراء وسكون الحاء، ولكنه سكن الراء للشعر.

(2) وقعة صفين لنصر: ص 45 و 46، والغدير: ج 10 / 395 عنه وعن مصادر أخرى تقدمت عنه وابن أبي الحديد: ج

72 / 2

الصفحة 440

معاوية: ما لي رأك معرضاً؟ ألسنت تعلم أنني أحق بهذا الأمر من ابن عمك؟
قال: لم؟ لأنه كان مسلماً وكنت كافراً؟ قال: لا، ولكنني ابن عم عثمان.
قال: فابن عمي خير من ابن عمك. قال: إن عثمان قتل مظلوماً، قال:
وعندهما ابن عمر، فقال ابن عباس: فإن هذا والله أحق بالأمر منك. فقال معاوية: إن عمر قتلته كافراً وعثمان قتلته مسلماً،
فقال ابن عباس: ذاك والله أدحض لحجتك⁽¹⁾.

(631)

أبو أيوب ومعاوية

وفي رواية: إن أبا أيوب أتى معاوية فشكا إليه أن عليه ديناً فلم ير منه ما يحب، فأى أمراً كرهه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

إنكم سترون بعدي أثة قال: فأبي شئ قال لكم؟ قال: أمونا بالصبر، قال:
فاصبروا، قال: فوالله لا أسألك شيئاً أبداً⁽²⁾.

(632)

أبو قتادة ومعوية

قال عبد الله بن محمد بن عقيل: قدم معوية المدينة فلقاه أبو قتادة الأنصاري - الحارث بن ربيعي - فقال معوية: تلتقاني
الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار، قال: لم يكن لنا نواب. قال: فأين النواضح؟ قال: عقوناها في طلبك وطلب أبيك يوم
بدر.

ثم قال أبو قتادة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لنا: إنكم سترون بعدي أثة. قال معوية: فما أمركم؟ قال: أمونا أن
نصر. قال: فاصبروا، فبلغ

(1) الغدير: ج 10 / 326، عن المستدرک للحاكم: ج 3 / 467، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص 201.

(2) الغدير: ج 10 / 283، عن ابن عساكر: ج 5 / 41 - 42، والخصائص الكوى: ج 2 / 150 بألفاظ مختلفة، فاجع



ذلك عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال:

ألا أبلغ معاوية بن حرب * أمير المؤمنين نبأً كلامي
فإننا صابرون ومنظروكم * إلى يوم التغابن والخصام⁽¹⁾

(633)

صعصعة والمغرة

قدمت الخطاب إلى المغرة بن شعبة بالكوفة، فقام صعصعة بن صوحان فنكلم، فقال المغرة: أخرجوه فأقيموه على المصطبة فليلعن عليا، فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب. فأخبروه بذلك فقال: أقسم بالله لتقيدنه. فخرج فقال: إن هذا يأبى إلا علي بن أبي طالب، فالفنوه لعنه الله. فقال المغرة: أخرجوه أخرج الله نفسه⁽²⁾.

(634)

أنيس مع معاوية

روى ابن الأثير في أسد الغابة ج 1 / 134 - في ترجمة أنيس بن قتادة - عن شهر بن حوشب قال: أقام فلان⁽³⁾ خطباء يشتمون عليا - رضي الله عنه ولرضاه - ويقعون فيه حتى كان آخوهم رجل من الأنصار أو غوهم يقال له: أنيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم قد أكثرتم اليوم في سب هذا الرجل وشتمه، وإني أقسم بالله إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على الأرض من مدر وشجر، وأقسم بالله ما

(1) تاريخ الخلفاء: ص 201، والغدير: ج 10 / 282 عنه وعن الاستيعاب: ج 1 / 255 وتاريخ ابن عساكر: ج 7 / 213.

(2) الغدير: ج 10 / 263 عن الأذكياء لابن الجوزي وممر ص 258.

(3) يعني معاوية

أحد أوصل لرحمه منه، أفتررون شفاعته تصل إليكم وتعجز عن أهل بيته⁽¹⁾.

(635)

عقيل ومعاوية

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: إن عليا قد قطعك وأنا وصلتك، ولا يرضيني منك إلا أن تلغنه على المنبر، قال: أفعل. فصعد المنبر، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه صلى على نبيه صلى الله عليه وآله: أيها الناس إن معاوية ابن أبي سفيان قد أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب فالعنوه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ثم قول فقال له معاوية: إنك لم تبين من لعنت منهما، بينه. فقال: والله لازدت حرفا ولا نقصت حرفا، والكلام إلى نية المتكلم (2).

(636)

عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر مع معاوية

قال: قالوا: فاستخار الله معاوية وأعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة خمسين فتلقاء الناس، فلما استقر في منزله أرسل إلى عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وإلى عبد الله بن عمر، وإلى عبد الله بن الزبير، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر، فلما جلسوا تكلم معاوية: فقال: الحمد لله الذي أمرنا بحمده، ووعدنا عليه ثوابه، نحمده كثيرا كما أنعم علينا كثيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. أما بعد: فإني قد كبر سني، ووهن عظمي، وقرب أجلي، ولوشكت

(1) الغدير: ج 10 / 261 عنه وعن الإصابة: ج 1 / 77.

(2) الغدير: ج 10 / 260، عن العقد الفريد: ج 2 / 144، والمستطرف: ج 1 / 54

الصفحة 443

أن أدعى فأجيب، وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدي يزيد، ورأيت لكم رضى، وأنتم عبادلة قريش وخيلها و أبناء خيلها، ولم يمنعني أن أحضر حسنا وحسينا إلا أنهما ولاد أبيهما على حسن رأيي فيهما وشديد محبتي لهما، فدوا على أمير المؤمنين خرا ورحمكم الله.

قال: فتكلم عبد الله بن عباس فقال: الحمد لله الذي ألهمنا أن نحمده واستوجب علينا الشكر على آلائه وحسن بلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، صلى الله على محمد وآل محمد. أما بعد: فإنك قد تكلمت فأنصتنا، وقلت فسمعنا، وأن الله جل ثنؤه وتقديسه أسموه اختار محمدا صلى الله عليه وآله لوسالته، واختاره لوحيه، وشرفه على خلقه، فأشرف الناس من تشرف به، ولأهم بالأمر وأخصهم به، وإنما على الأمة التسليم لنبيه إذ اختاره الله لها فإنه إنما اختار محمدا بعلمه وهو العليم الخبير، وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فقام عبد الله بن جعفر فقال: الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه نحمده على إلهامنا حمده، وزغب إليه في تأدية حقه، وأشهد أن لا إله إلا الله واحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله أما بعد: فإن هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقول فاولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، وإن أخذ فيها بسنة رسول الله فاولوا

رسول الله، وإن أخذ فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأَي الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول؟ وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه وصدقه، ولأطيع الرحمان، وعصي الشيطان، وما اختلف في الأمة سيفان، فاتق الله يا معاوية، فإنك قد صوت راعيا ونحن رعية، فانظر لِعَيْتِكَ فإنك مسؤول عنها غدا وأما ما ذكرت من ابني عمي، وتركك أن تحضوهما، فوالله ما أصبت الحق ولا يجوز لك ذلك إلا بهما، وإنك لتعلم أنهما معدن العلم والكرم فقل أو دع، واستغفر الله لي

الصفحة 444

ولكم.

(ثم نقل كلام عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر فقال:) فتكلم معاوية فقال: قد قلت وقتلتم، وإنه ذهبت الآباء وبقيت الأبناء، فابني أحب إلي من أبنائهم، مع أن ابني إن قولتموه وجد مقالا، وإنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف، لأنهم أهل رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وآله ولي الناس أبو بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة غير أنهما سرا بسوة جميلة، ثم رجع الملك إلى بني عبد مناف، فلا زال فيهم إلى يوم القيامة وقد أخرجك الله يا ابن الزبير وأنت يا ابن عمر منها، فأما ابنا عمي هذان فليسا بخرجين من الوأي إن شاء الله ⁽¹⁾.

(637)

ابن عباس ومعاوية

كتب معاوية إلى جمع في البيعة ليزيد وكتب إلى ابن عباس:

أما بعد فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة ليزيد ابن - أمير المؤمنين - وإنني لو قتلتك بعثمان لكان ذلك إلي، لأنك ممن ألب عليه وأجلب، وما معك من أمان فتطمئن به، ولا عهد فتسكن إليه، فإذا أتاك كتابي هذا فاخرج إلى المسجد، والعن قتلة عثمان، وبايع عاملي، وقد أعذر من أنذر وأنت بنفسك أبصر والسلام.

فكتب إليه ابن عباس:

أما بعد، فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت وأن ليس معي منك أمان وأنه والله ما منك يطلب الأمان يا معاوية، وإنما يطلب الأمان من الله رب

(1) الخلفاء لابن قتيبة: ج 1 / 149 - 150، والغدير: ج 10 / 242 عنه، وعن جمهرة الخطب:

ج 2 / 233 - 236

الصفحة 445

العالمين. وأما قولك في قتلي فوالله لو فعلت للقيت الله ومحمدا صلى الله عليه وآله خصمك، فما أخاله أفلح ولا أنجح من كان رسول الله خصمه. وأما ما ذكرت من أني ممن ألب في عثمان وأجلب، فذلك أمر غبت عنه، ولو حضرته ما نسبت إلي

شيئا من التأليب عليه، وأيم الله ما رى أحدا غضب لعثمان غضبي ولا أعظم أحد قتله إعظامي، ولو شهدته لنصوته أو أموت بونه، ولقد قلت وتمنيت يوم قتل عثمان: ليت الذي قتل عثمان لقاني فقتلني معه ولا أبقى بعده. وأما قولك لي: العن قتلة عثمان، فلعثمان ولد وخاصة وقابة هم أحق بلعنهم مني، فإن شاعوا أن يلعنوا فليلعنوا، وإن شاعوا أن يمسكوا فليمسكوا، والسلام (1)

(638)

عبد الله بن جعفر ومعاوية

وكتب إلى عبد الله بن جعفر: أما بعد، فقد عرفت إثرتي إياك على من سواك وحسن رأي فيك وفي أهل بيتك، وقد أتاني عنك ما أكره، فإن بايعت تشكر وإن تأب تجبر، والسلام.
فكتب إليه عبد الله بن جعفر:

أما بعد، فقد جاءني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من إثرتك إياي على من سواي، فإن تفعل فبحظك أصبت، وإن تأب فبنفسك قصوت. وأما ما ذكرت من جورك إياي على البيعة ليزيد فلعنوي لئن أجبرتني عليها لقد أجبرناك وأباك على الإسلام حتى أدخلناكم كل هين غير طائعين. والسلام (2).

* * *

(1) الإمامة والسياسة: ج 1 / 154 - 155.

(2) الإمامة والسياسة: ج 1 / 154 - 155، والغدير: ج 10 / 241 عنه

(639)

الأحنف ومعاوية

لما اجتمع الوفود عند معاوية (حينما أراد البيعة ليزيد) فقال معاوية للضحاك بن قيس الفهري لما اجتمع الوفود عنده: إني متكلم فإذا سكت فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثني عليها. فلما جلس معاوية تكلم فعظم أمر الإسلام وحرمة الخلافة وحققها، وما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر، ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة، وعرض ببيعته، فعرضه الضحاك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: - إلى أن قال: - فقال معاوية للأحنف: ما تقول يا أبا بحر؟

فقال: نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا، وأنت أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهله وسره وعلا نيته ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه الله تعالى وللأمة رضى فلا تشلور فيه، وأن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، وإنما علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا.

وقام رجل من أهل الشام فقال: ما نوري ما تقول هذه المعديّة العواقية، وإنما عندنا سمع وطاعة وضوب ولذلاف. فتفوق الناس يحكون قول الأحنف، وكان معاوية يعطي المقرب، ويذري المبعاد ويلطف به...⁽¹⁾

(640)

المقدام بن معدي كرب ومعاوية

أخرج أبو داود من طريق خالد قال: وفد المقدام بن معدي كرب وعمرو

(1) الغدير: ج 1 / 237 عن العقد الفريد: ج 2 / 302 - 302 وفي نسخة أخرى: ج 4 / 370، والكامل لابن الأثير: ج 3 / 214 - 216 وقد مر ص 187 بنحو آخر وفي الإمامة والسياسة: ج 1 / 148 هكذا: يا أمير المؤمنين، أنت أعلمنا بليله ونهاره وبسرّه وعلايته، فإن كنت تعلم أنه خير لك قوله فاستخلفه، وإن كنت تعلم أنه شر لك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، فإنه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب، وأعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدمت يزيد على الحسن والحسين، وأنت تعلم من هما وإلى ما هما، وإنما علينا أن نقول: "سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"

الصفحة 447

ابن الأسود ورجل من بني أسد من أهل قنسرين إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية للمقدام: أعلمت أن الحسن بن علي توفي، فرجع المقدام فقال له رجل:

أزاها مصيبة؟ (فقال له معاوية: أزاها مصيبة. مسند أحمد) فقال: ولم لأزاها مصيبة، وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله في حوّه فقال: هذا مني وحسين من علي. فقال الأسدي: جرة أطفالها الله عز وجل.

قال: فقال المقدام: أما أنا فلا أوح اليوم حتى أغيطك وأسمعك ما تكوه ثم قال: يا معاوية، إن أنا صدقت فصدقني، وإن أنا كذبت فكذبني قال:

أفعل. قال: فأنتدك بالله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن لبس الحرير؟ قال: نعم. قال: فأنتدك بالله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن لبس الذهب؟ قال: نعم. قال: فأنتدك بالله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن لبس جلود السباع والوكوب عليها؟ قال: نعم.

قال: فوالله لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية، فقال معاوية: قد علمت أنني لن أنجو منك يا مقدام⁽¹⁾.

(641)

رجل كوفي مع معاوية

إن رجلا من أهل الكوفة دخل على بغير له إلى دمشق في حال منصوفهم عن صفين، فتعلق به رجل من دمشق، فقال: هذه ناقتي أخذت مني بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون أنها ناقتة فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه. فقال الكوفي: أصلحك الله

(1) الغدير: ج 10 / 215، عن سنن أبي داود: ج 2 / 186 ومسند أحمد: ج 4 / 130 وأشار إليه قاموس الرجال: ج 9 / 116

إنه جمل وليس بناقة. فقال معاوية: هذا حكم قد مضى. ودس إلى الكوفي بعد توقعهم، فأحضره وسأله عن ثمن بعوره، فدفع إليه ضعفه ووه وأحسن إليه، وقال له: أبلغ عليا أنني أقبله بمائة ألف ما فيهم من يفوق بين الناقة والجمل⁽¹⁾.

(642)

عبادة بن الصامت مع معاوية

كان عبادة بن الصامت بالشام فأى أنية من فضة، يباع الإثاء بمثلي ما فيه، أو نحو ذلك، فمشى إليهم عبادة فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عبادة بن الصامت، ألا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله في مجلس من مجالس الأنصار ليلة الخميس في رمضان ولم يصم رمضان بعده يقول: "الذهب بالذهب، مثلاً بمثل، سواء بسواء، وزنا بوزن، يدا بيد، فما زاد فهو ربا والحنطة بالحنطة، قفيز بقفيز، يد بيد، فما زاد فهو ربا، والتمر بالتمر، قفيز بقفيز، يد بيد، فما زاد فهو ربا".

قال: فتفرق الناس عنه. فأتى معاوية فأخبر بذلك، فُرسل إلى عبادة، فأتاه، فقال له معاوية: لئن كنت صحبت النبي صلى الله عليه وآله وسمعت منه لقد صحبتناه وسمعنا منه، فقال له عبادة: لقد صحبتته وسمعت منه. فقال له معاوية: فما هذا الحديث الذي تذكره؟ فأخوه به، فقال له معاوية: اسكت عن هذا الحديث ولا تذكره، فقال له: بلى وإن رغب أنف معاوية، ثم قام فقال له معاوية، ما نجد شيئاً أبلغ فيما بيني وبين أصحاب محمد صلى الله عليه وآله من الصفح عنهم.

(1) الغدير: ج 10 / 195 عن مروج الذهب: ج 2 / 72.

(2) الغدير: ج 10 / 185 عن ابن عساكر: ج 7 / 312، ومصادر جملة أخرى وُعز إليه في الإصابة:

ج 2 / 269، وأسد الغابة: ج 3 / 106

(643)

عبادة ومعاوية

لما استخلف (معاوية) قام على المنبر فخطب الناس فذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال: وليت فأخذت حتى خالط لحمي ودمي، فهو خير مني، وأنا خير ممن بعدي. يا أيها الناس، إنما أنا لكم جنة، فقام عبادة بن الصامت فقال: رأيت إن احترقت الجنة؟ قال: إذن تخلص إليك النار. قال: من ذلك أفر، فأمر به فأخذ. فأضوط بمعاوية، ثم قال: علمت كيف كانت البيعتان حين دعينا إليهما؟ دعينا على أن نبايع على أن لا توني ولا نسوق ولا نخاف في الله لومة لائم، فقلت: أما هذه فاعفني يا رسول الله، ومضيت أنا عليها، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأنت يا معاوية أصغر في عيني من أن أخاف في الله عز وجل

(1)

(644)

عبد الرحمان بن سهل مع معاوية

عقوا عبد الرحمان بن سهل الأنصاري في زمن عثمان، ومعاوية أمير على الشام، فموت به روايا خمر - لمعاوية - فقام إليها يومحه فبقر كل راوية منها فناوشه الغلمان حتى بلغ شأنه معاوية، فقال: دعوه فإنه شيخ قد ذهب عقله. فقال: كلا والله ما ذهب عقلي ولكن رسول الله - صلى الله عليه وآله نهانا أن ندخل بطوننا وأسقيتنا خمرًا، وأحلف بالله لئن بقيت حتى رُى في معاوية ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله لأبقر بطنه أو لأموتن بونه⁽²⁾.

(1) الغدير: ج 10 / 182 عن ابن عساکر: ج 7 / 213.

(2) الغدير: ج 10 / 181 عن الإصابة: ج 2 / 401، وتهذيب التهذيب ملخصا: ج 6 / 193، وأبو عمر مختصا في الاستيعاب: ج 2 / 401، وكذا أسد الغابة: ج 3 / 299، فقال أخرجه الثلاثة

الصفحة 450

(645)

عبادة ومعاوية

مر على عبادة بن الصامت وهو في الشام قطرة تحمل الخمر، فقال: ما هذه رُيت؟ قيل، لا، بل خمر تباع لفلان، فأخذ شوفة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلا بقوها، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام، فُرسل فلان إلى أبي هريرة يقول له: أما تمسك عنا أخاك عبادة؟ أما بالغوات فيغدو إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأما بالعشي فيقع في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعواننا أو عيينا، فأمسك عنا أخاك. فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة فقال: يا عبادة، ما لك ولمعاوية فوه وما حمل فإن الله يقول: " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ".

قال: يا أبا هريرة لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله، بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلى أن ننصوه إذا قدم علينا يثوب، فمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنة، فهذه بيعة رسول الله صلى الله عليه وآله التي بايعناه عليها فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما بايع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وفي الله له بما بايع عليه نبيه.

(1)

فلم يكلمه أبو هريرة بشئ .

(646)

عبادة ومعلوية

عن عمرو بن قيس قال: إن عبادة أتى حجرة معلوية وهو بأنطوطوس⁽¹⁾ فأؤم ظهره الحجرة وأقبل على الناس بوجهه وهو يقول: بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا أبالي في الله لومة لائم، ألا إن المقداد بن الأسود قد غل بالأمس حملاً، وأقبلت أوسق من مال، فأشلت الناس إليها فقال:

أيها الناس إنها تحمل الخمر، والله ما يحل لصاحب هذه الحجرة أن يعطيكم منها شيئاً ولا يحل لكم أن تسألوه، وإن كانت مقبلة - يعني سهما - في جنب أحدكم، فأتى رجل المقداد وفي يده قرصافة، فجعل يتل الحمار بها وهو يقول: معلوية هذا حملك شأنك به، حتى أورده الحجرة⁽²⁾.

(647)

صعصعة ومعلوية

أخرج الحافظ ابن عساكر في تربيته ج 6 / 425 من طريق الشعبي قال:

خطب الناس معلوية فقال: لو أن أبا سفيان ولد الناس كلهم كانوا أكياساً.

فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال له: قد ولد الناس كلهم من هو خير من أبي سفيان - آدم عليه السلام - فمنهم الأحمق والكيس. فقال معلوية: إن أرضنا قبيبة من المحشر. فقال له: إن المحشر لا يبعد على مؤمن، ولا يقرب من كافر.

فقال معلوية: إن أرضنا أرض مقدسة. فقال له صعصعة: إن الأرض لا يقدسها شيء ولا ينجسها، إنما تقدسها الأعمال.

(1) بلدة من سواحل بحر الشام، هي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص "معجم".

(2) الغدير: ج 10 / 180 عن ابن عساكر: ج 7 / 213

فقال معلوية: عباد الله اتخنوا الله وليا واتخنوا خلفاءه جنة تحترزوا بها.

فقال صعصعة: كيف وكيف، وقد عطلت السنة، واخفت الذمة، فصلت عشواء مطلخمة، في دهياء مدلهمة، قد استوعبتها الأحداث، وتمكنت منها الأنكاث؟

فقال له معلوية: يا صعصعة، لأن تقعي على ظلعك خير لك من استواء رأيك، وإبداء ضعفك، تعرض بالحسن بن علي

علي، ولقد هممت أن أبعث إليه.

فقال له صعصعة: أي والله وجدتهم أكرمهم جنودا، وأحياكم حنودا، وأوفاكم عهدا، ولو بعثت إليه لوجدته في الوأي لريبا، وفي الأمر صليبا، وفي الكرم نجيبا، يلذك بحورة لسانه، ويقوعك بما لا تستطيع إنكره.

فقال له معاوية: والله لأجفينك عن الوساد، ولأشودن بك في البلاد.

فقال له صعصعة: والله إن في الأرض لسعة، وإن في فواقك لدعة. فقال معاوية: والله لأحبسك عطاءك.

قال: إن كان ذلك بيدك فافعل، إن العطاء وفضائل النعماء في ملكوت من لا تنفذ خرائنه، ولا يبيد عطؤه، ولا يحيف في قضيته. فقال له معاوية: لقد استقتلت.

فقال له صعصعة: مهلا، لم أقل جهلا، ولم أستحل قتلا، لا تقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ومن قتل مظلوما كان الله لقاتله مقيما رهقه أليما، ويجوعه حميما، ويصليه جحيما⁽¹⁾.

(648)

أهل المدينة ومعاوية

لما كتب معاوية إلى أهل المدينة ومكة:

(1) الغدير: ج 10 / 173 - 174

الصفحة 453

أما بعد، فإنه مهما غاب عنا، فإنه لم يفت علينا أن عليا قتل عثمان، والدليل على ذلك أن قتلته عنده، وإنما نطلب بدمه حتى يدفع إلينا قتلته فنقتلهم بكتاب الله تعالى، فإن دفعهم إلينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين، على ما جعلها عمر بن الخطاب. فأما الخلافة فلسنا نطلبها، فأعينونا ورحمكم الله، وانهضوا من ناحيتكم.

قال: وذكروا أنه لما قرئ عليهم كتابه اجتمع رأيهم على أن يسنوا أمرهم إلى المسور بن مخرمة، فجلوب عنهم فكتب

إليه:

أما بعد: فإنك أخطأت خطأ عظيما وأخطأت مواضع النصوة، وتناولتها من مكان بعيد، وما أنت والخلافة يا معاوية؟ وأنت طليق وأبوك من الأخراب؟ فكف عنا فليس لك قبلنا ولي ولا نصير⁽¹⁾.

(649)

حجر بن عدي مع زياد، معاوية، المغيرة

إن معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين، فلما أمره عليها دعاه وقال له:

أما بعد: فإن لذي الحلم قبل اليوم ما توقع العصا. وقد قال المتلمس:

لذي الحلم قبل اليوم ما توقع العصا * وما علم الإنسان إلا ليعلمنا

وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطانني، ويصلح رعتي، ولست ترك إيصاءك بخصلة: لا تقهم عن شتم علي وذمه، والتوحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وبإطواء شيعة عثمان -رضوان الله عليه- والإدناء لهم، والاستماع منهم.

(1) الإمامة والسياسة: ج 1 / 88، والغدير: ج 10 / 31

الصفحة 454

فقال المغوة: قد جربت وجربت وعملت قبلك لغورك، فلم يذم بي رفع ولا وضع، فستبلو فتحمد أو تذم. ثم قال: بل نحمد إن شاء الله. فأقام المغوة عاملا على الكوفة سبع سنين وأشهرًا وهو من أحسن شئ سيرة وأشدّه حبا للعافية، غير أنه لا يدع شتم علي والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتوكية لأصحابه.

فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال: بل إياكم فذم الله ولعن، ثم قام وقال: إن الله عز وجل يقول: "كونوا قوامين بالقسط شهداء لله" وأنا أشهد أن من تدمون وتعيبون لاحق بالفضل، وأن من توكون وتطرون أولى بالذم. فيقول له المغوة: يا حجر، لقد رمي بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك يا حجر، ويحك اتق السلطان، اتق غضبه وسطوته، فإن غضب السلطان أحيانا مما يهلك أمثالك كثيرا. ثم يكف عنه ويصفح، فلم يزل حتى كان في آخر إملائته قام المغوة فقال في علي وعثمان كما كان يقول، وكانت مقالته: اللهم رحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه واخذه بأحسن عمله، فإنه عمل بكتابك واتبع سنة نبيك صلى الله عليه وآله، وجمع كلمتنا، وحقق دماءنا، وقتل مظلوما، اللهم فرحم أنصله وأولياءه ومحبيه والطالبيين بدمه، ونال من علي بن أبي طالب - عليه السلام - ولعنه ولعن شيعته.

فوثب حجر فنعر نوة أسمعت كل من كان في المسجد وخرجه وقال: إنك لا تتوي بمن تولع من هزمك أيها الإنسان، مر لنا بأزاقنا وأعطيائنا فإنك قد حبستها عنا ولم يكن ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعا بذم أمير المؤمنين وتقويض المجرمين. فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون: صدق والله حجر وبر، مر لنا بأزاقنا وأعطيائنا فإننا لا ننتفع بقولك هذا، ولا يجدي علينا شيئا. وأكثروا في

الصفحة 455

مثل هذا القول.

فقرل المغوة فدخل القصر فاستأذن عليه قومه فأذن لهم، فقالوا: علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة ويجزى عليك في سلطانك هذه المرأة، فيوهن سلطانك، ويسخط عليك أمير المؤمنين معاوية؟ وكان أشدهم له قولا في أمر حجر والتعظيم عليه

عبد الله بن أبي عقيل الثقفي، فقال لهم المغوة: إني قد قتلته إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيها بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة، إنه قد اقترب أجلي وضعف عملي، ولا أحب أن ابتدئ أهل هذا المصر بقتل خيلهم وسفك دماءهم، فيسعنوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية، ويذل يوم القيامة المغوة.

ثم هلك المغوة سنة 51 . فجمعت الكوفة والبصرة لزياد - ابن سمية - فأقبل زياد حتى دخل القصر بالكوفة، ووجه إلى حجر فجاءه وكان له قبل ذلك صديقا، فقال له: قد بلغني ما كنت تفعله بالمغوة فيحتمله منك، وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبدا، رأيت ما كنت تعرفني به من حب علي ووده فإن الله قد سلخه من صوري فصوه بغضا وعدوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته فإن الله قد سلخه من صوري وحوله حبا ومودة، وإني أخوك الذي تعهد، إذا أتيتني وأنا جالس للناس فاجلس معي على مجلسي، وإذا أتيت ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرج إليك، ولك عندي في كل يوم حاجتان: حاجة غوة، وحاجة عشية، إنك إن تستقم تسلم لك دنياك ودينك، وإن تأخذ يمينا وشمالا تهلك نفسك، وتشط عندي دمك، إني لا أحب التنكيل قبل التقدمة، ولا آخذ بغير حجة، اللهم اشهد.

فقال حجر: لن رى الأمير مني إلا ما يحب، وقد نصح وأنا قابل نصيحته.
ثم خرج من عنده.

ولما ولي زياد جمع أهل الكوفة فملا منهم المسجد والرحبة والقصر

الصفحة 456

ليعرضهم على الواءة من علي، فقام في الناس وخطبهم ثم راح على عثمان وأثنى على أصحابه ولعن قاتليه.
فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغوة، وكان زياد يقيم ستة أشهر في الكوفة وستة أشهر في البصرة، فوجع إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث، فبلغه أن حورا يجتمع إليه شيعة علي ويظهرون لعن معاوية والواءة منه، وأنهم حصوا عمرو بن حريث، فشحص إلى الكوفة حتى دخلها فأتى القصر فدخله، ثم خرج فصعد المنبر وعليه قباء سندس ومطرف خز أخضر، قد فوق شوه، وحجر جالس في المسجد حوله أصحابه أكثر ما كانوا، فصعد المنبر وخطب وحذر الناس وقال:

أما بعد فإن غب البغي والغي وخيم، إن هؤلاء جموا فأشروا، وأمنوني فاجترؤوا على الله، لئن لم تستقيموا لأدوينكم بنوائكم ولست بشئ إن لم أمنع باحة الكوفة من حجر، وأدعه نكالا لمن بعده، ويل أمك يا حجر سقط العشاء بك على سرحان.
ثم قال لشداد بن الهيثم الهلالي أمير الشوط: اذهب فأنتي بحجر فذهب إليه فدعاه، فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة، فسروا الشوط، فوجعوا إلى زياد فأخبروه، فقال: يا أشواف أهل الكوفة أتشجعون بيد وتأسون بأخرى، أبدانكم عندي وأهواؤكم مع هذه الهجاجة المذبوب (ابن عساكر: ج 1 / 42)، وفي الكامل: أبدانكم معي، وقلوبكم مع حجر الأحقق والله، ليظهرون لي وأتكم، أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم.

فقالوا: معاذ الله، أن يكون لنارأي إلا طاعتك وما فيه رضاك، قال:

فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله. ففعلوا وأقاموا أكثر أصحابه عنه، وقال زياد لصاحب شوطته: انطلق إلى حجر، فإن تبعك فانتني به وإلا فشنوا عليهم بالسيوف، حتى تأتوني به. فأتاه صاحب الشرطة

الصفحة 457

يدعوه، فمنعه أصحابه من إجابته، فحمل عليهم، فقال أبو عمرو الكندي لحجر: إنه ليس معك رجل معه سيف غوي، فما يغني سيفي، فالحق بأهلك يمنعك قومك، فقال: وزياد ينظر إليهم وهو على المنبر، وغشيه أصحاب زياد، فضوب رجل من الحواء يقال له: بكر بن عبيد رأس عمرو بن الحمق بعمود، فوقع وحمله رجلا من الأزد وأتيا به دار رجل يقال له: عبيد الله بن موعد الأزد...

فخرج حجر فأتى الأزد فاخفى عند ربيعة بن ناجذ...

فمكث حجر بن عدي في بيت ربيعة يوما وليلة، فرسل إلى محمد بن الأشعث يقول له: ليأخذ له من زياد أمانا حتى يبعث به إلى معاوية، فجمع محمد جماعة منهم جرير بن عبد الله، وحجر بن يزيد، وعبد الله بن الحرث أخو الأشتر، فدخلوا على زياد فاستأمنوا له على أن يرسله إلى معاوية فأجابهم فرسلوا إلى حجر بن عدي فحضر عند زياد، فلما رآه قال: مرحبا بك أبا عبد الرحمن، حرب في أيام الحرب، وحرب وقد سالم الناس. على أهلها تجني راقش. فقال حجر: ما خلعت طاعة ولا فرقت جماعة وإني لعلى بيعتي.

فقال: هيهات هيهات يا حجر، أنتشج بيد وتأسو بأخى؟ وتريد إذا أمكننا الله منك أن نوضي؟ كلا والله لأحرصن على قطع خيط رقبتك.

فقال: ألم تؤمنني حتى آتي معاوية فوى في رأيه.

قال: بلى، انطلقوا به إلى السجن، فلما مضى به قال: أما والله لولا أمانه ما رح حتى يلقط عصبه، فاخرج وعليه بونس في غداة بلردة، فحبس عشر ليال وزياد ما له غير الطلب لرؤوس أصحاب حجر.

كان أصحاب حجر عدة منهم عمرو بن الحمق الصحابي العظيم خرج إلى المدائن، ثم إلى الموصل فأخذه العامل وقتله وبعث رأسه إلى معاوية. ومنهم صيفي بن فسيل مر كلامه مع زياد حين أخذ ص 315، ومنهم قبيصة بن

الصفحة 458

ضبيعة، ومنهم عبد الله بن خليفة هرب من الكوفة ومات في الجبلين، ومنهم شريك بن شداد، ومحرز بن شهاب المنقوي، ومنهم كدام بن حيان العزي، ومنهم عبد الرحمن بن حسان العزي وقد مر كلامه مع معاوية ص 325، ومنهم كريمة بن عفيف وقد مر كلامه مع معاوية ص 333، ومنهم عبد الله بن حوية التميمي، ومنهم عاصم بن عوف البجلي، ومنهم رقاء بن سمي البجلي، ومنهم رقم بن عبد الله الكندي، ومنهم عتبة بن الأخنس السعدي، ومنهم سعد بن نوان الهمداني أخنوا مع حجر من هنا وهناك (1).

جمع زياد من أصحاب حجر بن عدي اثني عشر رجلا في السجن، ثم دعا رؤساء الأرباع، وهم: عمرو بن حريث على

ربع أهل المدينة، وخالد بن عوفطة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة، وأبو بودة ابن أبي موسى على ربع مذحج وأسد، فشهد هؤلاء أن حرا جمع إليه الجوع وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب، وأظهر عذر أبي قاب والتوحم عليه والواعة من عنوه وأهل حربه، وأن هؤلاء الذين معه هم رؤوس أصحابه وعلى مثل رأيه.

ونظر زياد في شهادة الشهود وقال: ما أظن هذه شهادة قاطعة، وأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة، فدعا الناس ليشهوا عليه وقال زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهوا، أما والله، لأجهدن على قطع خيط عنق الخائن الأحمق.

دفع زياد حجر بن عدي وأصحابه إلى وائل بن حجر الحضومي وكثير بن شهاب وأمرهما أن يسوا بهم إلى الشام، فخرجوا عشية، وسار معهم صاحب الشوطة حتى أخرجهم من الكوفة، فلما انتهوا إلى جبانة عزم نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي إلى دره وهي في جبانة عزم فإذا بناته مشوفات، فقال لوائل

(1) نقل أحوالهم في الغدير مفصلا، فراجع



وكثير: إئذنا لي فأوصي أهلي، فأذنا له، فلما دنا منهم وهن يبكين سكت عنهن ساعة ثم قال: اسكتن، فسكتن، فقال: اتقين الله عز وجل واصبرن فإنني أرجو من ربي في وجهي هذا إحدى الحسنين: إما الشهادة وهي السعادة، وإما الانصاف إليكن في عافية، وإن الذي يرزقن ويكفيني مؤونتنن هو الله تعالى وهو حي لا يموت، أرجو أن لا يضيعكن وأن يحفظني فيكن. ثم انصرف فمر بقومه فجعل القوم يدعون الله له بالعافية.

فساروا حتى انتهوا بهم إلى هرج عواء عند دمشق وهم اثنا عشر رجلاً:

حجر بن عدي، والأرقم بن عبد الله، وشريك بن عبد الله، وقبيصة بن ضبيعة، وكريم بن عفيف، وعاصم بن عوف، وورقاء بن سمي، وكدام بن حيان، وعبد الرحمن بن حسان، ومحرز بن شهاب، وعبد الله بن حوية.

فحبسوا بهرج عواء، فبعث معاوية إلى وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأدخلهما وأخذ كتابهما فقرأه على أهل الشام، فإذا

فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين من زياد ابن أبي سفيان أما بعد، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء، فأداله من عوه، وكفاه مؤونة من بغى عليه، إن طواغيت الترابية الصبائية رأسهم حجر بن عدي خالفوا أمير المؤمنين، وفرقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا الحرب، فأظهرنا الله عليهم وأمكننا منهم، وقد دعوت خيار أهل المصر وأشوافهم ونوي النهى والدين فشهنوا عليهم بمارأوا وعلموا، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيلهم في أسفل كتابي هذا.

فلما قرأ معاوية الكتاب وشهادة الشهود عليهم قال: ماذا ترون في هؤلاء النفر الذين شهد عليهم قومهم بما تسمعون؟ فقال له يزيد بن أسد البجلي: رى أن تفرقهم في قى الشام فيكفيكم طواغيثها، وكتب معاوية إلى زياد أما بعد، فقد فهمت ما اقتصصت به من أمر حجر وأصحابه وشهادة من قبلك عليهم،

فنظرت في ذلك، فأحيانا رى قتلهم أفضل من تركهم، وأحيانا رى العفو عنهم أفضل من قتلهم، والسلام. فكتب إليه زياد مع يزيد بن حجية التميمي: أما بعد، فقد قأت كتابك وفهمت رأيك في حجر وأصحابه، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تودن حوا وأصحابه إلي.

فأقبل يزيد بن حجية حتى مر بهم بعواء فقال: يا هؤلاء، أما والله ما رى وأتكم، ولقد جئت بكتاب فيه الذبح فمروني بما أحببت مما ترون أنه لكم نافع أعمل به لكم وأنطق به.

فقال حجر: أبلغ معاوية: أنا على بيعتنا لا نستقبلها ولا نقبلها، وإنما شهد علينا الأعداء والأطناء.

فقدم يزيد بالكتاب إلى معاوية وأخوه بقول حجر، فقال معاوية: زياد أصدق عندنا من حجر. فقال عبد الرحمن بن أم الحكم

الثَّقَفِي، ويقال: عثمان بن عمير الثَّقَفِي: جذاذها جذاذها. فقال له معاوية: لا تعن أوا. فخرج أهل الشام ولا يدرون ما قال معاوية وعبد الرحمن، فأثوا النعمان بن بشير فقالوا له مقالة ابن أم الحكم، فقال النعمان: قتل القوم. أقبل عامر بن الأسود العجلي وهو بعزواء يريد معاوية ليعلمه بالرجلين اللذين بعث بهما زياد، ولحقا بحجر و أصحابه، فلما ولى ليمضي، قام إليه حجر ابن عدي يرسف في القيود فقال: يا عامر، اسمع مني، أبلغ معاوية: إن دماءنا عليه حرام. وأخوه أنا قد أومنا وصالحناه فليتنق الله ولينظر في أمرنا. فقال له نوا من هذا الكلام، فأعاد عليه حجر مرارا. فدخل عامر على معاوية فأخوه بأمر الرجلين، فقام يزيد بن أسد البجلي فاستوهب الرجلين، وكان جرير بن عبد الله كتب في أمر الرجلين: أنهما من

الصفحة 461

قومي، من أهل الجماعة والرأي الحسن، سعى بهما ساع ظنين إلى زياد وهما ممن لا يحدث حدثا في الإسلام، ولا بغيا على الخليفة، فلينفعهما ذلك عند أمير المؤمنين فوهبهما له ولزيد بن أسد. وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكندي فتوكة. وطلب أبو الأعور في عتبة بن الأخنس فوهبه له. وطلب حمزة بن مالك الهمداني في سعيد بن نوان فوهبه له. وطلب حبيب بن مسلمة في عبد الله بن حوية التميمي فخلى سبيله. فقام مالك بن هبوة فسأله في حجر فلم يشفعه، فغضب وجلس في بيته، فبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي من بني سلامان بن سعد، والتحسين ابن عبد الله الكلابي، وأبا شريف البدي - في الأغاني: أبا حريف البوري - فأقوهم عند المساء، فقال الخثعمي حين رأى الأعور مقبلا: يقتل نصفنا وينجو نصفنا. فقال سعيد بن نوان: اللهم اجلعي ممن ينجو وأنت عني راض. فقال عبد الرحمن بن حسان العوي: اللهم اجلعي ممن تكرم بهوانهم، وأنت عني راض، فطالما عرضت نفسي للقتل، فأبى الله إلا ما أراد.

فجاء رسول معاوية إليهم بتخيلية ستة وبقتل ثمانية، فقال لهم رسل معاوية: إنا قد أومنا أن نعوض عليكم الواءة من علي واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وإن أمير المؤمنين زعم أن دماءكم قد حلت له بشهادة أهل مصوكم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك، فأروا من هذا الرجل نخل سبيلكم. قالوا: لسنا فاعلين، فأمروا بقيودهم فحلت، وبقيودهم فحوت، وأدنيث أكفانهم، فقاموا الليل كله يصلون، فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء قدر أيناكم البلحة أطلتم الصلاة، وأحسنتم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أول من جار في الحكم، وعمل بغير الحق. فقال أصحاب

الصفحة 462

معاوية: أمير المؤمنين كان أعلم بكم، ثم قاموا إليهم وقالوا: توأون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نؤلاه، فأخذ كل رجل منهم

رجلا ليقتله، فوق قببصة بن ضبيعة في يدي أبي الشريف البدي، فقال له قببصة: إن الشر بين قومي وقومك آمن - أي آمن - فليقتلني غيرك. فقال له: بروتك رحم، فأخذ الحضرمي فقتله، وقتل القضاعي صاحبه.

قال لهم حجر: دعوني أصلي ركعتين، فأيم الله ما توضأت قط إلا صليت ركعتين. فقالوا له: صل، فصل، ثم انصرف، فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن تزوا أن ما بي خزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها، ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة شهوا علينا. وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني بها، إني لأول فارس من المسلمين سلك في واديهما، وأول رجل من المسلمين نبخته كلابها. فمشى إليه هدبة الأعر بالسيف فرأى عدت فصائله، فقال: كلا زعمت أنك لا تخزع من الموت فأنا أدعك فاوا من صاحبك. فقال: ما لي لا أخزع، وأنا رأت قوا محفرا، وكفنا منشورا، وسيفا مشهرا؟ وإني والله إن خزع من جوعت لا أقول ما يسخط الرب، فقيل له: مد عنقك. فقال: إن ذلك لدم ما كنت لأعين عليه. فقدم فضربت عنقه، وأقبلوا يقتلونهم واحدا واحدا حتى قتلوا ستة.

قال عبد الرحمان بن حسان العزي، وكريم بن عفيف الخثعمي: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته، فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث: اثنتوني بهما، فالتفتا إلى حجر فقال له العزي: لا تبعد يا حجر، ولا يبعد مثواك، فنعم أخو الإسلام كنت. وقال الخثعمي نحو ذلك، ثم مضى بهما فالتفت العزي، فقال متمثلا:

كفى بشفاة القبر بعدا لهالك * وبالموت قطاعا لحبل القوائن

فلما دخل عليه الخثعمي قال له: الله الله يا معاوية، إنك منقول من هذه

الصفحة 463

الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عما أردت بقتلنا وفيهم سفكت دماءنا. فقال معاوية: ما تقول في علي؟ قال أقول فيه قولك، أنتوا من دين علي الذي كان يدين الله به؟ فسكت، وكره معاوية أن يجيبه. فقام شمر بن عبد الله الخثعمي، فاستوهبه، فقال: هو لك غير أنني حابسه شهرا، فحبسه، فكان يرسل إليه بين كل يومين فيكلمه، ثم أطلقه على أن لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان. فقول الموصل فكان يقول: لو قد مات معاوية قدمت مصر، فمات قبيل معاوية بشهر.

ثم أقبل على عبد الرحمان بن حسان فقال له: إيه يا أخا ربعة ما قولك في علي؟ قال: دعني ولا تسألني فإنه خير لك. قال: والله لا أدعك حتى تخبرني عنه، قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثوا، ومن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر (1)

والعافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال:

هو أول من فتح باب الظلم ولرتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك، قال: بل إياك قتلت لاربيعة بالوادي - يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فينتكلم فيه - فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه: أما بعد، فإن هذا العزي شر من بعثت به فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها، واقتله شر قتلة، فلما قدم به على زياد بعث به إلى قس الناطف (2) فدفن به حيا (3).

صعصعة ومعلوية

قال معلوية لصعصعة بن صوحان: إنما أنت هاتف بلسانك لا تنتظر في أود

(1) في الأغاني: من الأمرين بالحق، والقائمين بالقسط.

(2) موضع قرب الكوفة على شاطئ الفوات الشوقي.

(3) الغدير: ج 11 / 37 - 53، عن الأغاني: ج 16 / 2 - 11، وتاريخ الطوي: ج 6 / 141، ومستترك الحاكم: ج 3 / 468، وتاريخ ابن عساكر: ج 4 / 84 و ج 6 / 459، والكامل لابن الأثير: ج 3 / 202 وتاريخ ابن كثير: ج 8 / 49، واختصونا نحن المواضع منه (.)

الصفحة 464

الكلام ولا استقامته، فإن كنت تنتظر في ذلك، فأخوني عن أفضل المال.

فقال: والله يا أمير المؤمنين، إني لأدع الكلام حتى يختمر في صوري فما رهف به، ولا أتلحق فيه، حتى أقيم أوده، وأحرر منته، وإن أفضل المال لوة سمراء في تربة غواء، أو نعجة صواء في روضة خضواء، أو عين خولة في أرض خولة.

قال معلوية: لله أنت، فأين الذهب والفضة؟

قال: حوران يصطكان، إن أقبلت عليهما نفدا، وإن تركتهما لم يريدا (1).

(651)

جامع المحلبي والحجاج

العتبي قال: دخل جامع المحلبي على الحجاج - وكان جامع شيخا صالحا خطيبا لبيا جريئا على السلطان، وهو الذي قال للحجاج إذ بنى مدينة واسط:

بنيتها في غير بلدك، وتورثها غير ولدك - فجعل الحجاج يشكو سوء طاعة أهل الواق وقبح مذهبهم، فقال له جامع: أما إنه لو أحبوك لأطاعوك على أنهم ما شنؤك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع عنك ما يبعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية ممن دونك تعطيها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعدك بعد وعدك.

قال الحجاج: ما رى أن رُد بني اللكية إلى طاعتي إلا بالسيف، قال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار.

قال الحجاج: الخيار يومئذ لله. قال: أجل، ولكنك لا تتوي لمن يجعله الله، فغضب وقال: يا هناة إنك من محارب.

فقال جامع:

(1) العقد الفريد: ج 3 / 32

الصفحة 465

وللحرب سمينا وكنا محربا * إذا ما القنا أمسى من الطعن أحوا

فقال الحجاج: والله، لقد هممت بأن أخلع لسانك فأضرب به وجهك، قال جامع: إن صدقناك أغضبناك، وإن غششناك أغضبنا الله فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله.

قال: أجل وسكن. وشغل الحجاج ببعض الأمر، فانسحل جامع فمر بين الصفوف من أهل الشام حتى جاوزها إلى صفوف العواق... (1).

(652)

قيس بن عباد وعبيد الله بن زياد

قال عبيد الله بن زياد لقيس بن عباد: ما تقول في وفي الحسين؟ قال: اعفني عافاك الله.

قال: لا بد أن تقول. قال: يجيئ أبوه يوم القيامة فيشفع له، ويجيئ أبوك فيشفع لك. قال: قد علمت غشك وخبتك، لئن فرقتني يوما لأضعن أكثوك شوا بالأرض (2).

(653)

ثوريك والمهدي

كان بين ثوريك القاضي والربيع حاجب المهدي معرضة، فكان الربيع يحمل عليه المهدي، فلا يلتفت إليه حتى رأى المهدي في منامه ثوريكا القاضي مصروفا وجهه عنه، فلما استيقظ من نومه دعا الربيع وقص عليه رؤياه، فقال: يا أمير المؤمنين إن ثوريكا مخالف لك، وأنه فاطمي محض. قال المهدي: علي

(1) العقد الفريد: ج 3 / 179 - 180.

(2) العقد الفريد: ج 3 / 175

الصفحة 466

به، فلما دخل عليه قال له: يا ثوريك بلغني أنك فاطمي.

قال له ثوريك: أعيدك بالله يا أمير المؤمنين، أن تكون غير فاطمي إلا أن تعني فاطمة بنت كسوى. قال: ولكنني أعني فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله.

قال: أفتلعنها يا أمير المؤمنين؟ قال: معاذ الله.

قال: فما تقول فيمن يلعنها؟ قال: عليه لعنة الله.

قال: فالعن هذا - يعني الربيع - فإنه يلعنها، فعليه لعنة الله. قال الربيع: لا والله يا أمير المؤمنين، ما ألعنها. قال له ثوريك:

يا ماجن فما ذكرك لسيدة نساء العالمين وابنة سيد المرسلين في مجالس الرجال؟

قال المهدي: دعني من هذا، فإنني رأيتك في منامي كأن وجهك مصروف عني وقفاك إلي، وما ذلك إلا بخلافك علي، ورأيت في منامي كأنني أقتل زنديقا.

قال شريك: إن رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برويا يوسف الصديق - صلوات الله على محمد وعليه - وأن الدماء لا تستحل بالأحلام، وأن علامة الزندقة بينة. قال: وما هي؟ قال: شوب الخمر، والوشا في الحكم، ومهر البغي. قال: صدقت والله أبا عبد الله، أنت والله خير من الذي حملني عليك ⁽¹⁾.

(654)

مسلم بن الوليد وهارون الرشيد

كان هارون الرشيد يقتل ولاد فاطمة وشيعتهم، وكان مسلم بن الوليد صريع الغواني قدرمي عنده - يعني هارون - بالتشيع، فأمر بطلبه فهرب منه، ثم

(1) العقد الفريد: ج 2 / 178 - 179

الصفحة 467

أمر بطلب أنس بن أبي شيخ - كاتب الوامكة - فهرب منه، ثم وجد هو و مسلم ابن الوليد عند قينة ببغداد، فلما أوتي بهما، قيل له: يا أمير المؤمنين، قد أوتي بالوجلين، قال: أي الوجلين؟ قال: أنس بن أبي شيخ ومسلم بن الوليد. فقال الحمد لله الذي أظفوني بهما، يا غلام أحضوهما، فلما دخلا عليه نظر إلى مسلم وقد تغير لونه، فرق له وقال: إيه يا مسلم أنت القائل: أنس الهوى ببني علي في الحشا * وأراه يطمح عن بني عباس قال: بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين:

أنس الهوى ببني العمومة في الحشا * مستوحشا من سائر الایناس

وإذا تكاملت الفضائل كنتم * أولى بذلك يا بني العباس

قال: فعجب هارون من سوعة بديهته، وقال بعض جلسائه: استبقه يا أمير المؤمنين، فإنه من أشعر الناس، وامتحنه فسوى ⁽¹⁾ منه عجا... .

(655)

الكميت الأسدي وهشام

كان الكميـت بن زيـد يمدح بني هاشم، ويعرض ببني أمية، فطلبه هشام فهرب منه عشرين سنة لا يستقر به القوار من خوف هشام، وكان مسلمة بن عبد الملك له على هشام حاجة في كل يوم يقضيها له ولا يوده فيها، فلما خرج مسلمة بن عبد الملك

يوما إلى بعض صيوده، أتى الناس يسلمون عليه، وأتاه الكميت بن زيد فيمن أتى، فقال:

السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

قف بالديار وقوف زائر * وتأن أنك غير صاغر

حتى انتهى إلى قوله:

(1) العقد الفريد: ج 2 / 180 - 181، وقاموس الرجال: ج 9 / 487. ونقل القاموس عن الخطيب في تاريخ بغداد أن الرشيد هو الذي سماه صريع الغواني

الصفحة 468

يا مسلم بن أبي الوليد * لميت إن شئت ناشر

علقت حبالى من حبا * لك ذمة الجار المجاور

فالآن صوت إلى أمية * والأمور إلى المصائر

والآن كنت به المصيب * كمهتد بالأمس حائر

فقال مسلمة: سبحان الله من هذا الهندكي الجلحباب⁽¹⁾ ، الذي أقبل من أخريات الناس، فبدأ بالسلام، ثم أما بعد، ثم الشعر؟

قيل له: هذا الكميت ابن زيد، فأعجب به لفصاحته وبلاغته، فسأله مسلمة عن خوه وما كان فيه طول غيبته، فذكر له سخط أمير المؤمنين عليه، فضمن له مسلمة أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام، وهشام لا يعرفه.

فقال الكميت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الحمد لله قال هشام: نعم الحمد لله يا هذا.

قال الكميت: مبتدئ الحمد ومبتدعه، والذي خص بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، وجعله فاتحة كتابه، ومنتهى شكره، وكلام أهل جنته، أحمدته حمد من علم يقينا، وأبصر مستبيناً، وأشهد له بما شهد به لنفسه، قائماً بالقسط وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده العربي ورسوله الأُمِّي، رُسُلُه والناس في هِوَات حِوَة، ومدلهِمَات ظِلْمَة، عند استِئْوَار أبْهَة الضلال، فبلغ عن الله ما أمر به، ونصح لأُمَّتِه، وجاهد في سبيله، وعبد ربه حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله.

ثم إني يا أمير المؤمنين، تهت في حوة، وحرث في سكرة إدلام بي خطوها، وأهاب بي داعيها، وأجابني غلويها، فاقطوطيت إلى الضلالة، وتسكعت في

(1) الهنادك بالكاف في آخره رجال الهند يقال: رجل هندي وهندكي. الجلحباب بالكسر الجلحابة بهاء:

هو الشيخ الكبير (راجع تاج العروس وأقرب المولد). في " هند " و " جلب "

الصفحة 469

الظلمة والجهالة، حائداً عن الحق، قائلاً بغير صدق، فهذا مقام العائذ، ومنطق التائب، ومبصر الهدى بعد طول العمى، ثم يا

أمير المؤمنين، كم من عائر أقلت عثرته؟ ومجترم عفوت عن جرمه؟

فقال له هشام - وأيقن أنه الكميت - : ويحك من سن لك الغواية وأهاب بك في العماية؟

قال: الذي أخرج أبي آدم من الجنة فَنسي ولم يجد له عَوماً، وأمير المؤمنين كَريح رحمة أثرت سحاباً متوقفاً، فلفقت بعضه إلى بعض حتى التحم فاستحكم وهدر رعدُه وتلألأ برقُه، فقول الأرض فرويت وأخضلت واخضرت واسقيت، فروي ظمأنها، وامتلأ عطشانها، فكَذلك نَعدك أنت يا أمير المؤمنين أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد الغموس فيها، وحقق بك دماء قوم أشعر خوفك قلوبهم، فهم يَبيكون لما يعلمون من حَرمك وبصيرتك، وقد علموا أنك الحرب وابن الحرب إذا احمرت الحدق، وعضت المغافر بالهام، عز بأسك، واستربط جأشك مسعار هتاف وكاف، بصير بالأعداء، مغوي الخيل بالنكواء، مستغن وأيه عن رأي نوي الألباب، وأي لَيب وحلم مصيب، فأطال لأمير المؤمنين البقاء، وتمم عليه النعماء، ودفع به الأعداء.
(1) فرضي عنه هشام وأمر له بجأوة .

(656)

الفرزدق وسليمان بن عبد الملك

دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك، فقال له: من أنت؟ وتجهم له كأنه لا يعرفه.
فقال له الفرزدق: وما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا.

(1) العقد الفريد: ج 3 / 183 - 185

الصفحة 470

قال: أنا من قوم منهم أوفى العرب، وأسود العرب، وأجود العرب وأحلم العرب، وأفوس العرب، وأشعر العرب.
قال: والله لتبينن ما قلت، أو لأوجعن ظهرك ولأهدمن ذلك.
قال: نعم يا أمير المؤمنين، أما أوفى العرب: فحاجب بن زرارة الذي رهن قوسه عن جميع العرب فوفى بها، وأما أسود العرب: فقيس بن عاصم الذي وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله فبسط له رداءه، وقال: هذا سيد الوبر.
وأما أحلم العرب: فعتاب بن ورقاء الرياحي، وأما أفوس العرب: فالحرث بن هلال السعدي، وأما أشعر العرب فأنا ذا بين يديك يا أمير المؤمنين.

فاغتم سليمان مما سمع من فخوه ولم ينكوه، وقال: لرجع على عقبيك فما لك عندنا شئ من خير، فوجع الفرزدق وقال:
(1) أتيناك لا من حاجة عرضت لنا * إليك ولا من قلة في مجاشع

(657)

عبد الله بن عباس ومعاوية

كتب قيصر إلى معاوية: أخونني عما لا قبلة له، وعمن لا أب له، وعمن لا عشوة له، وعمن سار به قوه، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم، وعن شئ ونصف شئ ولا شئ، وابعث إلي في هذه القرورة ببزر كل شئ.

فبعث معاوية بالكتاب والقرورة إلى ابن عباس، فقال [ابن عباس]: أما ما لا قبلة له: فالكعبة، وأما من لا أب له: فعيسى، وأما من لا عشوة له، فأدم، وأما من سار به قوه: فيونس، وأما ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم: فكبش إواهيم، وناقاة ثمود، وحية موسى، وأما شئ: فالرجل له عقل يعمل بعقله، وأما نصف شئ: فالرجل ليس له عقل ويعمل وأي نوي العقول، وأما

(1) العقد الفريد: ج 3 / 193

الصفحة 471

لا شئ: فالذي ليس له عقل يعمل به، ولا يستعين بعقل غوه. وملاً القارورة ماء وقال: هذا بزر كل شئ. فبعث به إلى معاوية، فبعث به معاوية إلى قيصر، فلما وصل إليه الكتاب والقرورة، قال: ما خرج هذا إلا من أهل بيت النوة⁽¹⁾.

(658)

عبد الله بن الحسن وعبد الملك

كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان: أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة، لأغرينك جنوداً مائة ألف ومائة ألف.

فكتب عبد الملك إلى الحجاج: أن يبعث إلى عبد الله بن الحسن ويؤعده ويكتب إليه بما يقول، ففعل.⁽²⁾ فقال [عبد الله بن الحسن]: إن الله عز وجل لوحاً محفوظاً يلحظه كل يوم ثلاثمائة لحظة، ليس منها لحظة إلا يحيي [فيها] ويميت ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، وإنني لأرجو أن يكفنيك منها بلحظة واحدة. فكتب به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان، وكتب به عبد الملك إلى ملك الروم، فلما قرأه قال: ما خرج هذا إلا من كلام النوة⁽³⁾.

(659)

المأمون مع الثوي

قال المأمون للثوي الذي تكلم عنده: أسألك عن حرفين لا أريد عليهما هل ندم مسيء قط على إساءته؟ قال: بلى. قال: فالندم على الإساءة إساءة أم إحسان؟ قال: بل إحسان. قال: فالذي ندم هو الذي أساء أم غوه؟ قال: بل

(1) العقد الفريد: ج 2 / 201 - 202.

(2) في الأصل: " الله " والصحيح ما أثبتناه.

(3) العقد الفريد: ج 2 / 203

الصفحة 472

هو الذي أساء. قال: فَرَى صاحب الخير هو صاحب الشر. قال: فَإِنِّي أَقُول: إن الذي ندم غير الذي أساء. قال: فندم على شئ كان منه أم على شئ كان من غيره؟ فسكت ⁽¹⁾.

(660)

المأمون مع الثوي أيضا

قال له أيضا: أخبرني عن قولك باثنين، هل يستطيع أحدهما أن يخلق خلقا لا يستعين فيه بصاحبه؟ قال: نعم. قال: فما تصنع باثنين؟ واحد يخلق كل شئ خير لك وأصح ⁽²⁾.

(661)

المأمون والموتد الخراساني

قال المأمون للموتد الخراساني الذي أسلم على يديه وحمله معه إلى العواق فرتد عن الإسلام: أخبرني ما الذي لُوحشك مما كنت به آنسا من ديننا؟

فوالله لئن أستحييك بحق أحب إلي من أن أقتلك بحق، وقد صوت مسلما بعد أن كنت كافوا، ثم عدت كافوا بعد أن صوت مسلما، وإن وجدت عندنا لواء لدائك تدلوك به، وإن أخطأت الشفاء وتباعد عنك كنت قد أبليت العذر في نفسك ولم تقصر في الاجتهاد لها، فإن قتلناك قتلناك في الشيعة، وتوجع أنت في نفسك إلى الاستبصار واليقين، ولم تفرط في الدخول من باب الحرم.

قال الموتد: لُوحشني منكم ما رأيت من كثرة الاختلاف في دينكم. قال المأمون: لنا اختلافان: أحدهما: كاختلافنا في الأذان، وتكبير

(1) العقد الفريد: ج 2 / 384.

(2) المصدر نفسه

الجنائز، وصلاة العيدين، والتشهد والتسليم من الصلاة، ووجوه القاءات، واختلاف وجوه الفتيا، وما أشبه ذلك، وهذا ليس باختلاف، وإنما تخيير وتوسعة، وتخفيف من السنة، فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يَأْثَم، ومن ربح لم يَأْثَم. والاختلاف الآخر: كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتاب الله، وتأويل الحديث عن نبينا مع اجتماعنا على أصل التويل واتفاقنا على عين الخبر، فإن كان إنما لُوحشك هذا، فينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والانجيل متفقا على تأويله، كما يكون متفقا على تويله، ولا يكون بين اليهود والنصرى اختلاف في شئ من التأويلات، ولو شاء الله أن يقول كتبه مفسوة ويجعل كلام أنبيائه ورسله لا يختلف في تأويله لفعل، ولكننا لم نجد شيئا من أمور الدين والدنيا وقع إلينا على الكفاية إلا مع طول

البحث والتحصيل والنظر، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحن، وذهب التفاضل والتباين، ولما عرف الحزم من العاجز ولا الجاهل من العالم، وليس على هذا بنيت الدنيا.

قال الموتد: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن المسيح عبد الله، وأن محمدا صادق، وأنت أمير المؤمنين [حقا

(1)] .

(662)

هشام مع المؤيد

دخل المؤيد على هشام بن الحكم، والمؤيد هو عالم الفوس، فقال له: يا هشام حول الدنيا شيء؟ قال: لا، قال: فإن أخرجت يدي فثم شيء يردّها؟

قال هشام: ليس ثم شيء يردّها، ولا شيء تخرج يدك فيه. قال: فكيف أعلم



هذا؟ قال له: يا مؤبذ، أنا وأنت على طرف الدنيا، فقلت لك: يا مؤبذ إني لا أرى شيئاً، فقلت لي: ولم لا ترى؟ فقلت لك: ليس هاهنا ظلام يمنعني؟ قلت لي أنت: يا هشام إني لا أرى شيئاً، فقلت لك: ولم لا ترى؟ قلت: ليس ضياء أنظر به، فهل تكافأت الملتان في التناقض؟ قال: نعم، قال: فإذا تكافأتا في التناقض لم تتكافأ في الإبطال أن ليس شيء؟ فأشار المؤبذ بيده: أن أصبت ⁽¹⁾.

(663)

هشام بن الحكم مع رجل

قال رجل لبعض ولاة بني العباس: أنا أجعل هشام بن الحكم يقول في علي - رضي الله عنه - أنه ظالم [فقال: إن فعلت ذلك فلك كذا وكذا. ثم أحضر هشام] فقال له: نشدتك الله أبا محمد، أما تعلم أن علياً نزل العباس عند أبي بكر؟ قال: نعم. قال: فمن الظالم منهما؟ فكه أن يقول: العباس فيوقع سخط الخليفة، أو يقول: علي فينقض أصله، قال: ما منهما ظالم. قال: فكيف ينتزع اثنان في شيء لا يكون أحدهما ظالماً؟ قال: قد تتلوع الملكان عند داود عليه السلام وما فيهما ظالم ولكن لينبها داود على الخطيئة، وكذلك هذان إذا تنبيه أبي بكر من خطيئته. فأسكت الرجل، وأمر الخليفة لهشام بصلة عظيمة ⁽²⁾.

(664)

الأحنف و معاوية

الهيثم بن عدي [عن عامر الشعبي] قال: دخل الأحنف بن قيس على

(1) العقد الفريد: ج 2 / 411، وفي التعليقة عن عيون الأخبار لابن قتيبة.

(2) العقد الفريد: ج 2 / 412 وفي هامشه عن عيون الأخبار لابن قتيبة: ج 2 / 150

معاوية فأشار إليه إلى وسادة، فلم يجلس عليها، فقال له: ما منعك يا أحنف أن تجلس على الوسادة؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن فيما أوصى به قيس بن عاصم ولده أن قال: لا تسع السلطان حتى يملك، ولا تقطعه حتى ينساک، ولا تجلس له على فراش ولا وسادة، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين [فإنه ربما أتى من هو أولى منك بهذا المجلس فتقام فيكون قيامك هذا زيادة له ونقصا عليك، حسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين] ⁽¹⁾.

(665)

الأحنف ومعاوية

رسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟

قال: [يا أمير المؤمنين] ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة وسما ظليلة، فإن طلبوا فاعطهم، وإن غضوا
فلرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك، ويحبوا وفاتك، فقال: الله أنت يا أحنف، لقد دخلت
علي وإني لملوء غضبا على يزيد فسألته من قلبي.

فلما خرج الأحنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب، فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم
ومائة ثوب شاطوه إياها ⁽²⁾.

(666)

عبد الله بن عباس وزيا

دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده زياد، فحب به معاوية ووسع له إلى جنبه، وأقبل عليه يسأله ويحدثه، وزيا
ساكت، فقال له ابن عباس:

(1) العقد الفريد: ج 2 / 429 وفي الهامش عن بعض المراجع.

(2) العقد الفريد: ج 2 / 437

الصفحة 476

كيف حالك أبا المغيرة، كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك هوة؟ فقال:
لا، ولكنه لا يسلم على قادم بين يدي أمير المؤمنين. قال ابن عباس: ما أكرت الناس إلا وهم يسلمون على إخوانهم بين
يدي أرائهم، فقال له معاوية: كف عنه يا ابن عباس فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت ⁽¹⁾.

(667)

مؤمن الطاق مع خلجي

لقي شيطان الطاق رجلا من الخوارج وبيده سيف، فقال له الخلجي:
والله لأقتلنك أو تروأ من علي، فقال له: أنا من علي، ومن عثمان وئ [يريد أنه من علي، وروئ من عثمان] ⁽²⁾.

(668)

صعصة مع معاوية

قال معاوية لصعصة بن صوحان: إصعد المنبر فالعن عليا، فامتنع من ذلك وقال: أو تعفيني؟ قال: لا.
فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: معاشر الناس: إن معاوية أموني أن ألعن عليا، فالعنوه لعنه الله ⁽³⁾.

(669)

الأحنف وعمر بن الخطاب

المدائني قال: قدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في أهل البصرة وأهل الكوفة، فتكلموا عنده في أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم، وتكلم الأحنف فقال:

(1) العقد الفريد: ج 2 / 459 و ج 1 / 16.

(2) العقد الفريد: ج 2 / 465.

(3) العقد الفريد: ج 2 / 466.

الصفحة 477

يا أمير المؤمنين، إن مفاتيح الخير بيد الله، وقد أنتك وفود أهل العواق، وأن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر تولوا منزل الأمم الخالية، والملوك الجبابة، ومنزل كسوى وقيصر وبنى الأصغر، فهم من المياه العذبة، والجنان المخصصة، في مثل هولاء السلى، وحققة البعير، تأتيتهم ثملهم غضة لم تتغير، وإنا قلنا لرضا نشاشة، طوف في فلاة وطوف في ملح أجاج، جانب منها منابت القصب، وجانب سبخة نشاشة لا يجف رابها، ولا ينبت موعاها، تأتينا منافعها في مثل موى النعامة، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فوسخين، وتخرج المرأة بمثل ذلك تونق ولدها تونيق العنز، تخلف عليه العدو والسبع، فألا ترفع خسيستنا، وتتعرش ركيستنا، وتجبر فافتنا، وتريد في عيالنا عيالا، وفي رجالنا رجالا، وتصغر وهمنا، وتكبر قفونا، وتأمّر لنا بحفر نهر نستعذب منها الماء هلكنّا.

قال عمر: هذا والله السيد، هذا والله السيد.

قال الأحنف: فما زلت أسمعها بعد. فلأدريد بن جبلة أن يضيع منه، فقال: يا أمير المؤمنين: إنه ليس هناك وأمه باهلية.

قال عمر: هو خير منك إن كان صادقا، يريد إن كانت له نية.

فقال الأحنف:

أنا ابن الباهلية لضععتني * بندي لا أجدولا وخيم

أغض على القذى أجفان عيني * إذا شر السفية إلى الحليم

قال: فوجع الوفد واحتبس الأحنف عنده هولا وأشعوا، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله حزننا كل منافق صنع

اللسان، وإنني خفتك فاحتبستك، فلم يبلغني عنك إلا خير، رأيت لك هولا ومعولا، فلرجع إلى متولك، واتق الله ربك. وكتب إلى

(1)

أبي موسى الأشعري أن يحتقر لهم نهرا .

(1) العقد الفريد: ج 2 / 163 - 164، وفي الهامش عن سرح العيون: ص 54

الصفحة 478

رجل مع معاوية

أوتي معاوية يوم صفين بأسير من أهل الواق، فقال: الحمد لله الذي أمكنني منك. قال: لا تقل ذلك يا معاوية، فإنها مصيبة، قال: وأي نعمة أعظم من أن أمكنني الله [عز وجل] من رجل قتل جماعة من أصحابي في ساعة واحدة؟
إضرب عنقه يا غلام، فقال الأسير: اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك، وأنت لا ترضى بقتلي، وإنما يقتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله. قال له: ويحك لقد سببت فأبلغت، ودعوت فأحسننت، خليا عنه ⁽¹⁾.

(671)

صعصعة مع معاوية

قال معاوية لصعصعة بن صوحان: أي النساء أشهى إليك؟ قال: المواتية لك فيما تهوى. قال: فأيهن أبغض؟ قال: أبعدهن مما ترضى.
قال: هذا النقد العاجل. فقال صعصعة: بالميزان العادل ⁽²⁾.

(672)

صعصعة مع معاوية

قال صعصعة لمعاوية: يا أمير المؤمنين كيف ننسبك إلى العقل وقد غلب عليك نصف إنسان؟ يريد غلبة امرأته فاخته بنت قوطة عليه، فقال معاوية:
إنهن يغلبن الكوام، ويغلبهن اللثام ⁽³⁾.

(1) العقد الفريد: ج 2 / 172 - 173.

(2) العقد الفريد: ج 6 / 106، وفي الهامش عن عيون الأخبار.

(3) العقد الفريد: ج 6 / 106

(673)

محمد بن عبد الله مع المنصور

لما انصرف أبو جعفر إلى الواق خرج محمد بن عبد الله بالمدينة، فكتب إليه أبو جعفر:
من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله " إنما خواء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن

يقتلوا أو يصلوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقرروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم " ولك علي عهد الله وميثاقه وذمة الله وذمة نبيه إن أنتما أتيتما وتبتما ورجعتما من قبل أن أقدر عليكما، وأن يقع بيني وبينكما سفك الدماء أن أومنكما وجميع ولدكما ومن شايكما وتابعكما على دمائكم وأموالكم، وأوسعكم ما أصبتم من دم أو مال، وأعطيكما ألف ألف وهم لكل واحد منكما، وما سألتما من الحوائج، وأبوئكما من البلاد حيث شئتما، وأطلق من الحبس جميع ولد أبيكما، ثم لا أتعب واحدًا منكما بذنب سلف منه أبداً، فلا تشمت بنا وبك عدونا من قريش، فإن أحببت أن تتوثق من نفسك بما عرضت عليك فوجه إلي من أحببت، ليأخذ لك من الأمان والعهود والمواثيق ما تأمن وتطمئن إليه إن شاء الله، والسلام.

فأجابه محمد بن عبد الله: من محمد بن عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد " طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفوعون بالحق لقوم يؤمنون " إلى قوله: " ما كانوا يحزنون " وأنا أعرض عليك من الأمان ما عرضته، فإن الحق معنا، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا، وخرجتم إليه بشيعتنا، وخطبتم بفضلنا، وإن أبانا علياً رحمه الله كان الإمام فكيف ورثتم ولاية ولده؟

وقد علمتم أنه لم يطلب هذا الأمر أحد بمثل نسبنا ولا شرفنا، وإننا لسنا من أبناء

الصفحة 480

الظئار ولا من أبناء الطلقاء، وأنه ليس يمت أحد بمثل ما نمت به من القوابة والسابقة والفضل، وإننا بنو أم أبي رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو فاطمة ابنته في الإسلام دونكم، وأن الله اختارنا واختار لنا فولدنا من النبيين أفضلهم، ومن السلف أولهم إسلاماً علي بن أبي طالب، ومن النساء أفضلهن خديجة بنت خويلد، وأول من صلى إلى القبلة منهن، ومن البنات فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ولدت الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة صلوات الله عليهما، وأن هاشماً ولد علياً مرتين، وأن عبد المطلب ولد حسناً مرتين، وأن النبي صلى الله عليه وآله ولدني مرتين، وأني من أوسط بني هاشم نسباً وأشرفهم أباً وأماً، ولم تعوق في العجم، ولم تتلوع في أمهات الأولاد، فما زال الله بمنه وفضله يختار لي الأمهات في الجاهلية والإسلام حتى اختار لي في النار، فأنا ابن رُفَع الناس نوجة في الجنة، وأهونهم عذاباً في النار، وأبي خير أهل الجنة، وأبي خير أهل النار، فأنا ابن خير الأخيار [وابن خير الأشرار] فلك الله إن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي، أن أومنك على نفسك وما لك ودمك وكل أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله، أو حق امرئ مسلم أو معاهد، فقد علمت ما يلزمك من ذلك، وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد، لأنك لا تعطي من العهد أكثر مما أعطيت رجلاً قبلي، فأبي الأمانات تعطيني؟ أمان بن هبوة، أو أمان عمك عبد الله بن علي، أو أمان أبي مسلم، والسلام.

فكتب إليه أبو جعفر المنصور:

من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله بن الحسن، أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت كلامك، فإذا جل فحرك، بقوابة النساء لتضل به الغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء، ولا كالعصبة الأولياء، لأن الله جعل العم أباً وبدأ به في

السلام: "واتبعت ملة آبائي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ " على أن المذكورين في الآية ليسوا بأعمام ليوسف، فيعقوب أبوه، وإسحاق جده، وإبراهيم أبو جده [ولو كان اختيار الله لهم على قدر قابتهن لكانت آمنة أقربهن رحماً وأعظمهن حقاً، وأول من يدخل الجنة غداً، ولكن اختيار الله لخلقهم على قدر علمه الماضي لهم.

فأما ما ذكرت من فاطمة جدة النبي صلى الله عليه وآله ولادتها لك، فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها دين الإسلام، ولو أن أحداً من ولدها رزق الإسلام بالقوابة لكان عبد الله بن عبد المطلب ولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة، ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء، وقد قال جل ثناؤه: " إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ". وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وله عمومة أربعة، فأقول الله عليه:

"وأندرك عشيرتك الأقربين " فدعاهم فأنفروهم، فأجابه اثنان أحدهما أبي، وأبى عليه اثنان أحدهما أبوك فقطع الله ولايتهما منه، ولم يجعل بينهما إلا ولا ذمة ولا مواتاً، وقد زعمت أنك ابن أخف أهل النار عذاباً وابن خير الأشرار، وليس في الشر خيار، ولا فخر في النار، وستود فتعلم " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون "، وأما ما فخرت به من فاطمة أم علي، وأن هاشماً ولد علياً مرتين، وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين، وأن النبي صلى الله عليه وآله ولدك مرتين، فخير الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وآله لم يلد هاشماً إلا مرة واحدة، ولا عبد المطلب إلا مرة واحدة، وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً وأكرمهم أباً وأماً، وأنت لم تلدك العجم، ولم تعرق فيك أمهات الأولاد، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طواً، فانظر أين أنت ويحك من الله غداً، فإنك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نفساً وأباً وأولاً وأخاً، فخرت على إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وآله، وهل خيار ولد أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات ولاد؟ وما ولد منكم بعد وفاة

رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد، وهو خير من جدك حسن بن حسن، وما فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد وهو خير من أبيك، ولا مثل ابنه جعفر وهو خير منك وجدته أم ولد. وأما قولك: إنا بنو رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن الله يقول: " ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " ولكنكم بنو ابنته وهي امرأة لا تحرز مواتاً، ولا تورث الولاء، ولا يحل لها أن تؤم فكيف تورث بها إمامة؟ ولقد ظلمها أبوك بكل وجه، فأخرجها ⁽¹⁾ نهلاً ومرضها سوا ودفنها ليلاً فأبى الناس إلا (تقديم) الشيخين وتفضيلهما. ولقد كانت السنة التي لا اختلاف فيها أن الجد أبا الأم والخال والخالة لا يورثون.

وأما ما فخرت به من علي وسابقتها، فقد حضرت النبي صلى الله عليه وآله الوفاة فأمر غوه بالصلاة، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فما أخوه، وكان في الستة من أصحاب الشورى فتروكه كلهم، رفضه عبد الرحمن بن عوف، وقاتله طلحة والزبير، وأبى سعد بيعته وأغلق باباً دونه وباع معاوية بعده، ثم طلبها بكل وجه فقاتل عليها، ثم حكم الحكمين ورضي بهما وأعطاها

عهد الله وميثاقه، فاجتمعا على خلعه واختلفا في معاوية، ثم قام جدك الحسن فباعها بخرق ورواهم ولحق بالحجاز، وأسلم شيعته بيد معاوية، ودفع الأموال إلى غير أهلها وأخذ مالا من غير ولائه، فإن كان لكم فيها حق فقد بعتموه وأخذتم ثمنه، ثم خرج عمك الحسين على ابن مرجانة، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأقوا وأسه إليه، ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جنوع النخل، وأحرقوكم بالنوان، ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيى بن زيد بلرض خراسان، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء وحملوهم كالسبي المجلوب إلى الشام، حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثلركم وأتركنا بدمائكم، ولورثناكم لرضهم

(1) فأخرجها تخاصم خ ل

الصفحة 483

وديلهم وأموالهم، ولردنا أشواكم في ملكنا فأبيتكم إلا الخروج علينا، وظننت مارأيت من ذكرنا أبأك وتفضيلنا إياه إنا نقدمه على العباس وحنوة وجعفر وليس كما ظننت، ولكن هؤلاء سالمون مسلم منهم مجتمع بالفضل عليهم، وابتلى بالحرب أبوك، فكانت بنو أمية تلعنه على المنابر كما تلعن أهل الكفر في الصلاة المكتوبة فاحتججنا له وذكرنا فضله وعنفناهم وظلمناهم فيما نالوا منه.

وقد علمت أن المكرمة في الجاهلية: سقاية الحاج الأعظم، وولاية بئر زمزم، وكانت للعباس من بين إخوته، وقد نزعنا فيها أبوك فقضى لنا بهار رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم قل نليها في الجاهلية والإسلام، فقد علمت أنه لم يبق أحد من بعد النبي صلى الله عليه وآله من بني عبد المطلب غير العباس وحده، فكان ولثه من بين إخوته، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده، فالسقاية سقايتنا، وموآث النبي صلى الله عليه وآله موآثنا، والخلافة بأيدينا، فلم يبق فضل ولا شرف في الجاهلية والإسلام إلا والعباس ولثه ومورثه، والسلام (1).

(674)

شيخ كوفي ومحمد بن هشام

عوانة بن الحكم قال: حج محمد بن هشام، وقلت رفقة فإذا فيها شيخ كبير قد احتوشه الناس وهو يأمر وينهى، فقال محمد بن هشام لمن حوله: تجدون الشيخ عاقيا فاسقا؟ فقال له بعض أصحابه: نعم، و كوفيا منافقا. فقال محمد: علي به، فأوتني بالشيخ، فقال له: أعواقي أنت؟ فقال له: نعم عواقي. قال: وكوفي؟ قال: وكوفي. قال: ووابي؟ قال: ووابي من الواب خلقت وإليه

(1) العقد الفريد: ج 5 / 79 - 85، وفي الهامش عن الطبري والكمال لابن الأثير وصبح الأعشى للقلقشندي

الصفحة 484

أصير. قال: أنت ممن يهوى أبا واب، قال: ومن أبو واب؟ قال: علي بن أبي طالب. قال: أتعني ابن عمر رسول الله صلى

الله عليه وآله، وزوج فاطمة ابنته، وأبا الحسن والحسين؟ قال: نعم. قال: فما قولك فيه؟ قال: قدرأيت من يقول خوا ويحمد، ورأيت من يقول شوا ويذم. قال: فأيهما أفضل عندك، أهو أم عثمان؟ قال: وما أنا وذاك؟ والله لو أن عليا جاء بوزن الجبال حسنات ما نفعتني، ولو أنه جاء بوزنها سيئات ما ضروني، وعثمان مثل ذلك. قال: فاشتتم أبا قَاب. قال: أو ما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من علي؟! قال: وما ذاك؟ قال: رضي الله وهو خير منك من عيسى وهو خير مني في النصارى وهم شر من علي إذ قال: " إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم " (1)

(675)

علي بن عبد الله والوليد

كان علي سيدا شريفا عابدا زاهدا، وكان يصلي كل يوم ألف ركعة وضرب مرتين [كلتا هما] ضربه الوليد [فإحداهما]: في تزوجه لبابة بنت عبد الله ابن جعفر، وكانت عند عبد الملك بن مروان، فعرض تفاحة ورمى بها إليها، وكان أبخر، فدعت بسكين، فقال: ما تصنعين به؟ قالت: أميط عنها الأذى، فطلقها، فتزوجها علي بن عبد الله بن عباس، فضربه الوليد، وقال: إنما تتزوج أمهات ولأد الخلفاء لتضع منهم، لأن مروان بن الحكم إنما تزوج أم خالد بن يزيد ليضع منه، فقال: علي بن عبد الله بن عباس: إنما رأدت الخروج من هذه البلدة، وأنا ابن عمها، فتزوجتها لأكون لها محرما. وأما ضربه إياه في المرة الثانية: فإن محمد بن يزيد قال: حدثني من رآه

(1) العقد الفريد: ج 5 / 90

الصفحة 485

مضروبا يطاف به على بعير، ووجهه مما يلي ذنب البعير، وصائح يصيح عليه: هذا علي بن عبد الله الكذاب. قال: فأتيته فقلت: ما هذا الذي نسبوك فيه إلى الكذب؟ قال: بلغهم أنني أقول: إن هذا الأمر سيكون في ولدي، والله ليكونن فيهم حتى تملكهم عبيدهم الصغار العيون، العواض الوجوه، الذين كأن وجوههم المجان المطرقة.

وفي حديث آخر:

إن علي بن عبد الله دخل على هشام بن عبد الملك، ومعه ابناه: أبو العباس وأبو جعفر، فشكا إليه دينا لومه. فقال له: كم دينك؟ قال: ثلاثون ألفا، فأمر له بقضائه، فشكوه عليه، وقال: وصلت رحما، وأنا لريد أن تستوصي بابني هذين خوا. قال: نعم، فلما تولى قال هشام لأصحابه: إن هذا الشيخ قد اهتر وأسن، وخولط فصار يقول: إن هذا الأمر سينقل إلى ولده، فسمعه علي بن [عبد الله بن] العباس، فقال: والله ليكونن ذلك، وليمكن ابناي هذان ما تملكه (1).

(676)

الأحنف ومعلوية

قال الأحنف لمعلوية حين شلوه في استخلاف يزيد فسكت عنه، فقال:

ما لك لا تقول؟ فقال: إن صدقناك أسخطناك، وإن كذبتناك أسخطنا الله، فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله. فقال له: صدقت (2).

(677)

هانئ ومعلوية

ذكر أن معلوية ولي كثير بن شهاب المذحجي خواسن، فاختان مالا

(1) العقد الفريد: ج 5 / 103 - 104.

(2) العقد الفريد: ج 1 / 59 ، وقد مر بالفاظ مختلفة فراجع

الصفحة 486

كثوا، ثم هرب، فاستتر عند هانئ بن عروة الوادي، فبلغ ذلك معلوية، فهدر دم هانئ، فخرج هانئ إلى معلوية، فكان في جواره، ثم حضر مجلسه وهو لا يعرفه، فلما نهض الناس ثبت مكانه، فسأله معلوية عن أمره، فقال: أنا هانئ بن عروة. فقال: إن هذا اليوم ليس باليوم الذي يقول فيه أبوك:

لرجل جمتي وأجر ذيلي * وتحمل شكتي أفق كمي

وأمشي في سواة بني غطيف * إذا ما ساءني أمر أبييت

قال: أنا والله يا أمير المؤمنين اليوم أعز مني ذلك اليوم، فقال: بم ذلك؟

قال: بالإسلام. قال: أين كثير بن شهاب؟ قال: عندي وعندك يا أمير المؤمنين. قال: انظر إلى ما اختانه فخذ منه بعضا وسوغه بعضا، وقد آمنه ووهبناه لك (1).

(678)

صعصة ومعلوية

سأل معلوية بن أبي سفيان صعصة بن صوحان: أي الخيل أفضل؟ قال:

الطويل الثلاث، القصير الثلاث، العريض الثلاث، الصافي الثلاث. قال: فسر لنا. قال: أما الطويل الثلاث: فالإذن والعنق

والخوام، وأما القصير الثلاث:

فالصلب والعسيب والقضيب، وأما العريض الثلاث: فالجبهة والمنخر والورك، وأما الصافي الثلاث: فالأديم والعين والحافر

(2)

(679)

الفرزدق وبلال بن أبي بودة

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بودة وعنده ناس من اليمامة يضحكون،

(1) العقد الفريد: ج 1 / 136.

(2) العقد الفريد: ج 1 / 154

الصفحة 487

فقال: يا أبا فاس، أتوي مم يضحكون؟ قال: لا أوي. قال: من جفائك، قال: أصلح الله الأمير، حجبت فإذا رجل على عاتقه الأيمن صبي وامرأة آخذة بمتزره، وهو يقول:

أنت وهبت زائدا ومزيذا * وكهلة أولج فيها الاجردا

وهي تقول: إذا شئت فسألت ممن الرجل؟ قيل: من الأشعريين، فأنا أجفى من ذلك الرجل؟ قال: لا حياك الله، وقد علمت أنا لا نفلت منك⁽¹⁾.

(680)

مؤمن الطاق وأبو حنيفة

لما مات جعفر بن محمد قال أبو حنيفة لشيطان الطاق: مات إمامك وذلك عند المهدي. فقال شيطان الطاق: لكن إمامك من المنظورين إلى يوم الوقت المعلوم.
فضحك المهدي من قوله وأمر له بعشرة آلاف واهم⁽²⁾.

(681)

حزوين بن المنذر وعبيد الله بن ظبيان

لما قدم الحجاج الواق واليا عليها، خرج عبيد الله بن ظبيان متوكئا على مولى له، وقد ضربه الفالج، فقال: قدم الواق رجل على ديني، فقال له حزوين ابن المنذر الوقاشي: فهو إذا منافق. قال: عبيد الله: إنه يقتل المنافقين، قال له حزوين: إذا يقتلك⁽³⁾.

(1) العقد الفريد: ج 4 / 40.

(2) العقد الفريد: ج 4 / 42، راجع روضة المؤمنين: ص 52 عن الأنوار النعمانية.

(682)

الفزردق وابن عواء

أبو الحسن قال: لقي الفزردق عمرو بن عواء فعاتبه في شيء بلغه عنه، فقال له ابن عواء، وهو بالمربد: ما من شيء أحب إلي من أن آتي كل شيء تكوهه، قال له الفزردق: بالله أنت تأتي كل شيء أكوهه؟ قال: نعم، قال: ⁽¹⁾ فإنني أكوه أن تأتي أمك، فأتها .

(683)

شريك ورجل

قال رجل لشريك: أليس قول علي لابنه الحسين عليهما السلام في يوم الجمل: " يا بني! يود أبوك أنه مات قبل هذا اليوم بثلاثين سنة " يدل على أن في الأمر شيئاً؟ فقال شريك: ليس كل حق يشتهي أن يتعب فيه، وقد قالت مريم في حق لا يشك فيه: ⁽²⁾ " يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا " .

(684)

السيد المرتضى ورجل

وقال رجل للمرتضى: أي خليفة قاتل ولم يسب ولم يغتم؟ فقال: لرد غلام في أيام أبي بكر فقتلوه ولم يعرض أبو بكر لماله، وروي مثل ذلك في مريد قتل في أيام عمر فلم يعرض لماله، وقتل علي عليه السلام مستورد العجلي ولم يتعرض لماله، فالقتل ليس بأمرأة على تناول المال ⁽³⁾ .

(1) العقد الفريد: ج 3 / 53.

(2) البحار: ج 8 ص 146 ط الكمباني عن المناقب.

(3) البحار: ج 8 ص 145 ط الكمباني